
بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والشكر وبه نستعين







بحوثُ المؤتمرِ العلميِّ الدوليِّ الثَّاني

عَن سيِّدةِ نساءِ العَالمينَ فاطِمَة الزَّهراء عليها السلام

بشعار

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام

ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وَشَجَرَةُ الإِمَامَةِ

الجُزْءُ الخَامِسُ

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَيْنِ الحُسَيْنِيَّةِ وَالعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَيْنِ

بِمُناسَبَةِ ذِكْرَى وِلادَتِها المباركة عليها السلام

أَقامهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ كُلِّيَّةِ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

وَمَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

مِنْ ١٨-١٩ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٤هـ/ ١١-١٢ كانون الثاني ٢٠٢٣م

المُشْرِفُ العَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ المُوسَوِيُّ

العِرَاقُ / بَابِل

الحِلَّة مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ والْعُلَمَاءِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة
مركز تراث الحِلَّة
موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثاني : ٢٠٢٣ : بابل، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة. الجزء الخامس / أقامه قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة بالتعاون مع كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة بابل ومركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدسة.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٥ هـ. = ٢٠٢٣.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

١. فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل (العراق). كليَّة العلوم الإسلاميَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٢/٩٠١

ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة -
العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين
فاطمة الزَّهراء عليها السلام
الحلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
E-mail: hilla@alkafeel.net
١٧,٥ × ٢٤سم
بحوث - دراسات
م/ و
٢٧٧٨/ ٢٠٢٣م
المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٨) لسنة ٢٠٢٣م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة (الجزء الخامس).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

التَّعالق النصِّيّ وأبعاده الخطابيَّة بين الخطبتَين الفدكيَّة والشقشقيَّة

أ.د. مولود محمَّد زايد
جامعة ميسان/ كليَّة التربية

ملخَّص البحث

يقوم هذا البحث على دراسة ملامح (التعالق النصِّيّ) أو (التناص) بين كلٍّ من الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والخطبة الشقشقيَّة لامير المؤمنين عليه السلام، والتي لم نجد، في حدود استقصائنا، دراسة قد ركَّزت الضوء على ملامح هذا التعالق النصِّيّ ومعالمه ومواطنه بين الخطبتَين، على الرغم من الأهميَّة الكبيرة التي يحظى بها هذا التعالق النصِّيّ بينهما.

إلى جانب التركيز على الملامح الخطابيَّة الكامنة وراء هذا التعالق المرصود، فدراستنا هذه تزعم أنَّ هنالك مقصديَّة في هذا التعالق بين الخطبتَين، وهي مقصديَّة أرادها أمير المؤمنين، وتعمَّدها؛ لأغراضٍ تتعلَّق باسترجاع مضامين خطبة الزَّهراء، وسياقاتها الخطابيَّة المحايثة لها، والدفع بذهنيَّة المتلقِّي في تلك المرحلة، إلى الربط بين السياقات الخطابيَّة لكِلَا الخطبَتَين.

الكلمات المفتاحيَّة: التناص، التعالق النصِّيّ، الخطبة الفدكيَّة، الخطبة الشقشقيَّة.

المقدِّمة

تنوَّعت الدراسات التي تناولت موضوعة التفاعل الحاصل بين النصوص على اختلاف أجناسها، وتعدَّدت بتعدُّد زوايا النظر التي ينطلق منها الباحثون في خوض غمار هذه الثيمة التي شغلت مساحة واسعة من النقد، بجانبيه القديم والحديث، منذ ظهور بواكير الحديث عنه لدى (شكلوفسكي)، و(جاكبسون)، مرورًا بـ(باختين)، ومصطلح (الحواريَّة) لديه، وانتهاءً بـ(جوليا كرستيفا) التي أخذ موضوع التفاعل بين النصوص على يديها ملامح تكاد تكون واضحة وناضجة، سواء على المستوى المفاهيميّ، من خلال ما وضعت له من تعريف مقيّد، أم على المستوى الاصطلاحيّ، والتزامها لمصطلح (التناص)، والذي عرَّفته بقولها: «إنَّ كلَّ نصٍّ هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكلّ نصّ تسرَّب وتحوَّل لنصوص أخرى»[1].

وهي بذلك تكون قد فتحت الباب واسعًا أمام الدراسات النقديَّة التي تناولت هذا الموضوع تناولًا واسعًا ومكثَّفًا، وخاصَّة في جانبه الاصطلاحيّ، ولذلك نجد هذا التعدُّد والكثرة في المصطلحات التي حاول النقَّاد والباحثون من خلالها أن يحدِّدوا أبعاد التناص، ومكامن تمظهره في النصوص، وكذلك آليَّات هذا التمظهر، والتي تقف وراء هذا التنوُّع الاصطلاحيّ الذي رافق سَير الدراسات التناصيَّة، ولعلَّ من أهمِّ هذه المصطلحات (التناص أو التناصيَّة، النصوصيَّة، تداخل النصوص أو النصوص المتداخلة، النصُّ الغائب، النصوص المهاجرة، تضافر النصوص، النصوص الحالَّة

(١) المتعاليات النصيَّة في رواية (حصار المرايا) لزينب لوت، زهرة بن عودة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كليَّة الأدب العربيّ والفنون، ٢٠١٥، (ماجستير): ٢٠.

والمزاحة، تفاعل النصوص، التداخل النصّيّ، التعدّي النصّيّ، عبر النصيَّة، البينصوصيَّة، وهو وجود نصٍّ في نصٍّ آخر، التنصيص)، إلى جانب المصطلحات التي وضعها النقد العربيّ القديم، لجلاء هذه الظاهرة وخصوصيَّاتها النصيَّة، كالتضمين والاقتباس والسرقات وغيرها.

إلى جانب ذلك، فقد سعت هذه الدراسات إلى تفكيك آليَّات عمل التناص داخل النصوص، واستجلاء القوانين البنائيَّة التي يتبنَّاها في عمليَّة استحضار النصوص الغائبة، وصهرها في جسد النصِّ الراهن، فوضعت لنا مجموعة من القوانين تنوَّعت بتنوُّع مستويات هذا الانصهار، وتنوُّع صيغ ظهور النصِّ المستحضر في ثنيات النصِّ الحاضر، فنجد مثلًا قانون (الاجترار)، الذي يتجلَّى في تكرار النصِّ الغائب حرفيًّا دون تدخُّل، وكذلك قانون (الامتصاص)، الذي يعني إعادة إنتاج النصِّ بحلَّة جديدة وبنية مغايرة، فضلًا عن قانون (الحوار)، الذي يعدُّ أعلى مراحل التناص من خلال إنشاء حواريَّة مع النصِّ الغائب وهدمه، وإعادة بنائه اختلافًا أو اتِّفاقًا[1].

ولعلَّ من المسلَّم به في هذا المجال، أنَّ أنضج دراسة تحليليَّة تناولت موضوعة التفاعل بين النصوص، هي دراسة (جيرار جينيت) التي تضمَّنها كتابه، وكذلك في كتابه، والذي حاول أن ينظر إلى هذا الموضوع نظرة تشريحيَّة شاملة، مراعية الاختلاف في آليَّات عمل هذا التفاعل بين النصوص، ودرجات تجلِّي هذا التفاعل أيضًا، ومن هنا فقد ذهب إلى أنَّ موضوع التناص لا يتمظهر لنا في النصوص بوجهٍ واحد، أو بصورة واحدة؛ وإنَّما هنالك خمسة أشكال حاول جينيت أن يحصر في نطاقها مختلف تجلِّيات عمل آليَّة التفاعل بين النصوص، وهي (معماريَّة النصّ، التناص، الميتانص، المناص، التعالق النصِّيّ)[2]، وهي محاولة، وإن لم تسلم من النقد والتعديل في بعض مقرِّراتها، فإنَّ أهم

(١) ينظر: حداثة السؤال، محمَّد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٥: ١١٧.

(٢) ينظر: الرواية والتراث السرديّ، سعيد يقطين: ٢٢.

ما يمكن أن نلمسه منها، هو تفريق جينيت بين التناص وبين الميتانص، أو التعالق النصِّيّ، والتي يمكن أن نعدّهما الوجهَين الأبرز لتجلِّيات التفاعل النصِّيّ، والتي قد تتمثَّل في حضور جزئيَّات وملامح نصٍّ غائبٍ أو مجموعة نصوصٍ في نصٍّ راهن، فتشكِّل (تناصًّا)». أو أن تتمثَّل في حضور نصٍّ معيَّن ومحدَّد بكلِّ حيثيَّاته الدلاليَّة والاجناسيَّة في نصٍّ آخر، عبر قوانين تفاعل تتَّخذ لها وجهة الموافقة والمماثلة بين النصَّين؛ كما نجد ذلك في النصوص المعارضة لنصوص سابقة، كمعارضات بردة البوصيري مثلًا، أو إنَّها تتَّخذ وجهة المناقضة والضد؛ وهو ما يتجلَّى في فنِّ النقائض مثلًا. وهنا يتمثَّل لنا (التعالق النصِّيّ)، كما حدَّده جينيت، وذلك عندما يكون نصّ محدَّد يتعلَّق بنصّ محدَّد؛ الأوَّل لاحق بنصٍّ ثانٍ يكون سابقًا، والعلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة (تعلُّق)[1].

فالتعالق النصِّيّ إذن، يتمحور حول تشكُّل نصٍّ حاضر، وتناميه، وهو يستحضر في ذاكرته الاجناسيَّة وجزئيَّاته البنائيَّة، نصًّا آخر يمكن أن نتلمَّس حضور أصدائه وظلاله بشكل معلَن، أو بشكل مضمَّن، فهو كما عرَّفه (محمَّد مفتاح): «تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصٍّ حدث بكيفيَّات مختلفة»[2].

وكلُّ هذا التعالق النصِّيّ منظور إليه من جانب الحيثيَّة البنائيَّة شكلًا ودلالةً، ودائر في فلك القصديَّة الباعثة التي يقف وراءها الوعي الفنِّيّ والجماليّ للمنشئ، ومدياته الإبلاغيَّة، والتي قد تتَّسع فتأخذ بُعدًا آخر ذا منحًى خطابيٍّ يتعالق مع نصّه الغائب، لا في فضاءاته الدلاليَّة وجزئيَّاته البنائيَّة فقط؛ بل قد يمتدُّ التعالق فيطال البُعد السياقيّ المرتبط بالقيم المرافقة للمحيط النصِّيّ، بما تنطوي عليه من تمثُّلات ثقافيَّة أو إيديولوجيَّة مخصوصة، وهو ما يُشكِّل البعد الخطابيّ لآليَّة التعالق النصِّيّ.

(١) ينظر: الرواية والتراث السرديّ: ٢٩.

(٢) تحليل الخطاب الشعريّ، إستراتيجيَّة التناص: ١٢١.

ونحن، في هذه الدراسة، أمام مدوَّنَتين يرتبطان بحادثَتَين متباعِدَتَين من حيث الزمن، ولكلٍّ منهما خصوصيَّاته التاريخيَّة، تتمثَّل المدوَّنة الأولى في الخطبة الفدكيَّة التي القتها الزَّهراء سلام الله عليها أمام المسلمين، وبحضور السلطة السياسيَّة المتمثِّلة بالخليفة الأوَّل (أبو بكر)، موجِّهة الخطاب إلى كليهما، بعد أن سلبت منها السلطة (متمثِّلة بالخليفة أبي بكر) بستان (فدك) الخاصّ بها عليها السلام.

والمدوَّنة الثانية تتمثَّل في الخطبة الشقشقيَّة لأمير المؤمنين عليه السلام، والتي تدور حول موضوع خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، التي هي حقٌّ إلهيّ لأمير المؤمنين، وكيف حُرفت عن مسارها الطبيعيّ، فذهبت إلى أبي بكر ومَن جاء بعده من الخلفاء.

فكِلَا المدوَّنَتين تتمحوران حول ثيمة مشتركة، هي ثيمة (السلب)، والتي اتُّخذت منصَّة ومناسبة للانطلاق إلى أبعاد وآفاق أوسع من مجرَّد حقٍّ مغصوب، إلى طرح رؤية عقائديَّة وسياسيَّة مبيِّنة للانحرافات الكبرى التي تقف خلف فعل السَّلب هذا، مؤكِّدة أنَّ الأمر أعظم من مجرَّد حقوق ماديَّة أو اعتباريَّة مُطالَب بها، وإنَّما هنالك انحراف وانعطافة مرحليَّة كبرى من الممكن أن تُحبط المشروع الإسلاميّ كلَّه، وأن تُصيب منه مقتلًا.

وحيث إنَّ الخطبة الشقشقيَّة كانت تالية للخطبة الفدكيَّة من الناحية التأريخيَّة؛ فإنَّ الدراسة ستحدِّد مسارها على فرضيَّة أنَّ الخطبة الشقشقيَّة تتعالق نصيًّا مع خطبة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّ أمير المؤمنين في خطبته الشقشقيَّة كان واعيًا لهذا التعالق، وقاصدًا له، إثارةٍ لذهنيَّة المتلقِّي ولذاكرته، من أجل الربط بين (السياقات الخطابيَّة) لكلتا المدوَّنَتين، بل والحادثَتَين، وكأنَّه عليه السلام يحاول إقرار إرساليَّة إبلاغيَّة مفادها أنَّ الموضوع بين الخطبَتَين واحد، والحدث واحد أيضًا من الجوانب العقائديَّة والسياسيَّة.

المحور الأوَّل

التعالق في بُعده النصِّيّ

وفي هذا المستوى من التعالق بين الخطبَتَين، يمارس التفاعل النصِّيّ مختلف آليَّاته وقوانينه التي يقوم عليها التناص عبر تجليَّاته النوعيَّة المؤثِّرة في تشكُّلاته البنائيَّة التي ينهض بها النصُّ في حدوده الاجناسيَّة المانحة لهويَّته النهائيَّة.

إذ يحضر النصُّ الغائب في ثنايا النصِّ الحاضر؛ ليوازيه في الظهور، وليتردَّد صداه عِبر الموجِّهات الدلاليَّة التي يقوم عليها النصُّ الحاضر، خالقًا أفقًا تفاعليًّا يمتدُّ عبر مستوَيَين يتآزران في خلق الدلالة الكليَّة للنصِّ؛ يتمثَّل المستوى الأوَّل في ما نحن بصدد الحديث عنه من تفاعل نصِّيّ عبر تعالق نصَّين أحدهما حاضر، والآخر متمظهر فيه وعبره، وأمَّا المستوى الثاني فهو المختصُّ بخلق فضاءٍ تفاعليٍّ محيط بذهن المتلقِّي ومؤثِّر فيه، يُحيل القارئ في النهاية إلى متفاعل مع النصِّ، وفاعل أيضًا في خلق دلالات النِّصِّ.

ولو حاولنا رصد أهمِّ المواطن التي يمكن أن يتجلَّى فيها التعالق بين نصَّي الخطبَتَين، فإنَّنا سنكتشف أنَّ هناك غايات دلاليَّة وتلميحيَّة أكبر من مجرَّد تناص بنائيّ تقتصر غاياته على حدود التفاعل الجماليّ النصِّيّ؛ بل ستتجلَّى أمامنا مقصديَّة كبرى تقف وراء هذا التعالق الهادف إلى شدِّ الأذهان بخصوصيَّات النصِّ الغائب (النصُّ الفدكيّ)، ومن أهمِّ مَواطن التعالق هذه:

١. ابتدأ امير المؤمنين عليه السلام خطبته بذِكر قضيَّة استبعاده من موقع الخلافة، التي هي

من حقِّه نصًّا واستحقاقًا؛ لنصِّ الرسول صلى الله عليه وآله عليه، ولما يمتلكه عليه السلام من سمات إيمانيَّة ومعرفيَّة بحدود الإسلام ودقائقه، تجعله أحقَّ من غيره في تطبيق الشريعة الإسلاميَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. قوله عليه السلام: «**أما والله لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة، وإنَّه ليعلَم أنَّ محلِّي منها محلَّ القطب من الرحى، ينحدر عنِّي السَّيل ولا يرقى إليَّ الطير**»[1]. وهي إشارة نجد لها تعالقًا مع قول الزَّهراء عليها السلام: «**وأبعدتم مَن هو أحقُّ بالبسط والقبض**»[2]، فهو تناصٌّ امتصاصيّ، يمتصُّ النصَّ الغائب لينطلق منه في رسم دلالات النصِّ الراهن.

٢. قوله عليه السلام: «**فصبرت وفي العين قذًى، وفي الحلق شجًى**»[3]. ونجد أنَّ هذا المقطع من الشقشقيَّة يتناصّ أسلوبيًا مع قول الزَّهراء عليها السلام: «**ونصبر منكم على مثل حزِّ المدى، ووقع السِّنان في الحشى**»[4]. مع ملاحظة غاية في الدقَّة، تتعلَّق بالجانب الفنِّيّ في اختيار جزئيَّات الصورة في كِلَا المقطَعَين، فصبره عليه السلام كان صبر من يرى الانحراف عن الشريعة باغتصاب حقِّه بالخلافة، وهو أيضًا صبر من يصمت عن الدعوة والنهضة درءًا للفتنة، وغياب الناصر، وهو ما عبَّر عنه عليه السلام بقوله: «**فطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذَّاء، أو أصبر**»[5]، فعبَّر عن الألم الناجم عن تلك الرؤية وذلك الصمت بالقذى، (العود) في العين، والغصَّة، والشجى (العظم) في الحلق.

أمَّا صبرها عليها السلام؛ فهو، فضلًا عن ألم رؤية الانحراف، صبرٌ مقرونٌ بألمٍ واقعيّ، ملموس، عبَّرت عنه بألم حزِّ المدى، وبالألم الذي ينتجه وقع السِّنان في الحشى، ولعلَّها عليها السلام تشير بذلك إلى ما جرى عليها من تعدٍّ وتجاوزٍ واقعيٍّ وحقيقيٍّ في الحادثة المشهورة المرتبطة بعصرِها خلف الباب، ودخول المسمار بين أضلاعها الشريفة عليها السلام.

(١) نهج البلاغة، شرح محمَّد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: ١/ ٣٠.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٣) نهج البلاغة: ١/ ٣١.
(٤) الاحتجاج :١/ ١٣١.
(٥) نهج البلاغة: ١/ ٣١.

٣. قوله عليه السلام: «**أرى تراثي نهبًا**»[١]، وهو تناصٌّ واضح مع قولها عليها السلام: «**أأُغلب على إرثي؟**»[٢]، وكذلك قولها عليها السلام: «**أأهضم تراث أبي؟**»[٣]. ففي الموقعَين نجد أن المناسبة في الخطبتَين تتعلَّق بإرث مغصوب؛ وتراث مستحق. وإذا كانت دلالة هذا التراث في الشقشقيَّة واضحة عبر ارتباط مناسبة القول بغصب الخلافة منه عليه السلام؛ فإنَّنا لا يمكن أن نؤوِّل لفظة التراث في الفدكيَّة تأويلًا مقتصرًا على البُعد (المادِّيّ)، عبر قصر هذه الدلالة على قضيَّة (بستان فدك) فقط، وكأنَّ الزَّهراء عليها السلام لم تقم وتخطب إلَّا لاسترجاع ما غُصِب منها من بستان يمثِّل إرثًا مادِّيًّا لها من أبيها صلى الله عليه وآله، فهي عليها السلام أجلُّ وأكبر من أن تقف هذا الموقف الخالد طلبًا لحقٍّ مادِّيٍّ يرتبط بحطام الدنيا التي كانت من أزهد الناس فيه.

فقراءة عابرة لخطبتها عليها السلام يمكن أن تكشف الهدف الأسمى وراء هذا الموقف منها عليها السلام؛ والمتجسِّد في الكشف عن الانحراف الهائل الذي تعرَّضت له الشريعة الإسلاميَّة، وما سيؤدِّي له هذا الانحراف من ويلات وتمزُّق فكريّ ومعرفيّ وسياسيّ، يمكن أن يطيح بكلِّ ذلك البناء الذي كافح نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله من أجل إقراره، ووضع أسسه الفكريَّة والعقديَّة والسياسيَّة أيضًا، عبر تحديد مبدأ تنصيب وليِّ الأمر، وما جرى من عدم تطبيقه، والانحراف عنه.

٤. من مواطن التعالق الواضحة بين النصَّين؛ ما نجده من اتِّفاق كِلتَا الخطبَتَين على ربط صورة (الفتنة) التي وقعت في الأمَّة بصورة (الناقة)، وما أوردته الخطبتان من صفات وسمات ترسم ما يمكن أن نفهمه من طبيعة هذه الفتنة عبر مرشّحات صفات هذه الناقة، ففي الشقشقيَّة نجدها ناقة صعبة القياد، مشوَّهة الصورة، ممَّزقة الأجزاء، في قوله عليه السلام: «**فصاحبها كراكب الصعبة؛ إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها**

(١) نهج البلاغة: ١/ ٣١.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣١.
(٣) الاحتجاج: ١/ ١٣٣.

تقحِّم»[1]، وقوله عليه السلام: «**لشدّ ما تشطَّر ضرعيها**»[2]، واستشهاده عليه السلام بقول الأعشى:

شـــتَّـــان مـــا يـــومـــي عـــلـى كـــورهـــا

ويـــــــوم حـــيَّـــان أخـــــي جـابـــر

وهي صورة نجدها تتعالق بشكلٍ لافت للنظر مع صورة الفتنة في الفدكيَّة، وتشبيهها بالناقة العجفاء المشوهة، كقولها عليها السلام: «**فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف**»[3].

وقولها عليها السلام: «**فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك**»[4]، فهذه الصورة المشوَّهة للناقة في كِلَا الخطبَتَين، تؤكِّد هذا التعالق النصِّيّ الذي تقف وراءه مقصديَّة دلاليَّة مثيرة لذهن المتلقِّي، ولذاكرته الثقافيَّة، تهدف إلى الربط بين النصَّين، وبين المناسبَتَين.

٥. وقد تحضر رمزيَّة (الناقة) أيضًا في موضعَين متعالقَين من الخطبَتين، ولكن بدلالة مختلفة لاترتبط بموضوعة (الفتنة) وتشبيهاتها؛ وإنَّما نجدها هذه المرَّة مرتبطة بصورة (الخلافة)، أي قيادة الأمَّة وحكمها وأدارتها سياسيًّا، ففي الشقشقيَّة نجد قوله عليه السلام: «**لَوْلا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ؛ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا**»[5]، فرمز عليه السلام بالناقة والإمساك بزمامها إلى الإمساك بزمام الخلافة وقيادة الأمَّة، وهي الصورة التي تصادفنا صريحة في موطن آخر من الشقشقيَّة، تصف الخلافة وما يتعلَّق بها وبأسلوب القيام بها: «**فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا**

(١) نهج البلاغة: ١/ ٣٣.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ٣٢.
(٣) الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٤) الاحتجاج ١/ ١٣٢.
(٥) نهج البلاغة: ١/ ٣٦.

تَقَحَّمَ»[1]، وهي صورة تنطوي على تلميح دقيق وعميق، تصف حال من يتصدَّى لقيادة الأمَّة، وهو غير مؤهَّل لذلك، وما يمكن أن يجرُّه ذلك من نتائج عبَّرت عنها الشقشقيَّة نفسها بقوله عليه السلام: «**فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ الله بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ**»[2].

فهذه الصورة المازجة بين طرف (الناقة)، وبين طرف (القيادة) تتعالق نصيًّا مع قول الزَّهراء عليها السلام: «**ثمَّ لم تلبثوا إلَّا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمَّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيِّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال سنن النبيّ الصفيّ**»[3]، فعبَّرت عن استقرار الأمر بيد المسلمين، وانتشار الإسلام وقيادته للمجتمع بالناقة النافرة التي تهدأ وتمنح قيادتها بيد من يخلف الرسول صلى الله عليه وآله، والذي كان من المفترض أن يسير بسننه صلى الله عليه وآله، ومبادئه ذات المرجعيَّة الإلهيَّة والقرآنيَّة، إلَّا أنَّ المقطع المذكور يذكر عكس ذلك؛ فهذه القيادة المتصدِّية لخلافة الرسول «**تطفئ أنوار الدين**»، و«**تهمل سنن النبيّ**».

٦. قوله عليه السلام: «**فلمَّا نهضت بالأمر؛ نكثت طائفة**»[4]، وهو مقطع يتناص مع قولها عليها السلام: «**فأنَّى حزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسًا لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم**»[5]، وفيه نجدها عليها السلام توظِّف التناص القائم على آليَّة الاجترار من خلال تناصِّها مع النصِّ القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾.

٧. في قوله عليه السلام: «**بَلَى وَالله لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**»، وفيه بيان لسبب الانحراف الكبير الذي وقع في مسيرة الإسلام من

(١) نهج البلاغة: ١/ ٣٣.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ٣٣.
(٣) الاحتجاج: ١/ ١٣١.
(٤) نهج البلاغة: ١/ ٣٦.
(٥) الاحتجاج: ١/ ١٣٣.

قِبَل المسلمين أنفسهم، وربط هذا الانحراف بحبِّ الدنيا والميل إلى زخارفها ودعتها، وهو التفسير نفسه الذي تقدِّمه الخطبة الفدكيَّة لسبب هذا الانحراف، في قولها عليها السلام: «ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقُّ بالبسط والقبض»[1]، فنلمس هنا الإشارة إلى إخلاد المسلمين إلى (الخفض)، أي الترف والدِّعة، وهي إشارة خفيَّة إلى تحقُّق الأطماع والمكاسب التي لم تكن لتتحقَّق، لو أنَّ أمر قيادة الأمَّة صار بيد أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا كشف فاضح لحجم الانحراف الذي تعيشه الأمَّة.

٨. لعلَّ من وجوه التعالق الغريبة ما نلمسه في تسمية كلٍّ منهما عليهما السلام للخطاب الذي صدر عنهما؛ فقد وصف أمير المؤمنين كلامه بأنَّه «**تلك شقشقة هدرت ثمَّ قرَّت**»[2]؛ والشقشقة هي صوت يصدره البعير إذا هاج[3].

وهي تسمية تلتقي من تسميتها عليها السلام لكلامها بأنَّه «**ولكنَّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ.. وبثَّة الصدر**»[4]، فكِلا التسميَتَين يشيران إلى غصَّة غيظ يجيش بها الصدر، فيفيض منها شيء في القول، وكأنَّه شكل من أشكال البثِّ، يخفِّف به المهموم عمَّا يعتلج في صدره من الهمِّ والغمِّ.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ٣٧.
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت: ١٠/ ١٨٥.
(٤) الاحتجاج: ١/ ١٣٣-١٣٤.

المحور الثاني

التعالق في بعده الخطابيّ

كثيرة هي الدراسات التي تناولت موضوع (الخطاب) ومفهومه، وبيان أوجه التلاقي والاختلاف بينه وبين (النصِّ)، واختلفت تبعًا لذلك زوايا النظر إلى ملامح الخطاب، وتعدَّدت محاولات وضع تعريف جامع مانع له، سواء أكان ذلك في ميدان النقد الغربيّ أم العربيّ، ويمكننا أن نعتمد في ذلك على مفهومَين رئيسَين للخطاب تكاد تجمع عليها أغلب هذه الدراسات، هما:

أوَّلًا: إنَّ الخطاب، في حقيقته، يمثِّل النصّ مُتداولًا؛ أي هو النصّ محكومًا بموجهات سياقيَّة يخلقها تداول النصّ، وإخراجه من بُعده السكونيّ المادِّيّ المحدَّد المعنى ضمن إطاره الورقيّ؛ إلى فضاء متحرِّك متجدِّد، يُسهم السياق الحاكم له في تفجير طاقاته الدلاليَّة المختلفة باختلاف سياقاته. فالخطاب «يمثِّل الواقع الاستعماليّ للغة (اللغة في الاستعمال)، بمعنى أنَّ للخطاب أهدافًا ومقاصد لايمكن فهمها أو الوصول إليها بمنأى عن الظروف المحيطة (زمان، مكان، مقام)، بل تظهر واضحة جليَّة في المقام الذي تشكَّلت فيه اللغة، فهو يدخل ضمن إطار العمليَّة التواصليَّة للغة»[1].

ثانيًا: وهو المفهوم المرتبط بـ(فوكو)، والذي يمثِّل جوهر نظريَّته حول الخطاب وحدوده؛ والمتمثِّل بـ«مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابيَّة، فهو ليس وحدة بلاغية أوﷺورية قابلة لأن تتكررالى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على

(١) فضُّ الشراكة المفاهيميَّة بين النصِّ والخطاب، إبراهيم أحمد محمَّد شويحط، عبد القادر مرعي خليل، دراسات، مجلَّد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦: ١٨٠٨.

ظهورها واستعمالها خلال التاريخ.. بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها»[1]، فهو، إذن، مجموعة النصوص والملفوظات التي تشترك في التأسيس لمفهوم معيَّن تدور حوله، والتي ترسم بمجموعها الخريطة الدلاليَّة لذلك المفهوم.

إنَّ محاولة أمير المؤمنين عليه السلام إنشاءَ تعالقٍ نصِّيٍّ مع خطبة الزَّهراء عليها السلام، يضعنا أمام خطاب اشتركت كلتا المدوَّنَتين في صنع أبعاده وحيثيَّاته؛ وهو خطاب يدور حول مسألة (الغصب)، و(الإبعاد)، وسلب الخلافة منه عليه السلام، وما يمثِّله ذلك من انحرافٍ عن مسار الشريعة الإسلاميَّة كما رسمها الله تعالى على يد رسوله صلى الله عليه وآله.

ومن خلال تتبُّع سياقات الخطبَتَين وأبعادهما الخطابيَّة المشتركة؛ يمكننا أن نتلمَّس الفرق الواضح بين السياقَين المشكِّلَين للظروف المقاميَّة لكِلَا الخطبَتَين؛ وهي الظروف أو العوامل التي تتدخَّل بشكلٍ مباشرٍ في حيثيَّات الخطاب وغاياته وموجِّهاته البنائيَّة، وهو الاختلاف الذي سنجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد جعله أساسًا تنهض عليه شقشقته المحمَّلة بكلِّ هذا الألم النبيل.

فقد اهتمَّ (فيرث) اهتمامًا واضحًا بالمؤثِّرات السياقيَّة والاجتماعيَّة التي تتدخَّل في توجيه المعنى اللغويّ للنصِّ، وما يشكِّله من أفقٍ خطابيٍّ عبر تحليله لعناصر السياق إلى:

١. شخصيَّة المرسَل والمتلقِّي وتكوينها الثقافيّ.
٢. الظواهر الاجتماعيَّة المتَّصلة بالموقف الثقافيّ، وطبيعة المكان، والوضع السياسيّ، وعلاقة كلِّ ذلك بالسلوك اللغويّ للمرسَل.
٣. أثر النصِّ الكلامي بالمتلقِّين، كالاعتراض، والاقتناع، وغير ذلك[2].

(١) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د. الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة (د.ط)، ٢٠٠٠: ١٥٥.

(٢) ينظر: التركيب والدلالة والسياق، د. محمَّد أحمد خضيِّر، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠: ٦٠.

ونحن في بحثنا هذا لا نريد التوسُّع والتعمُّق في دراسة هذه العناصر، وبيان خصوصيَّاتها ومؤثِّراتها الخطابيَّة؛ وإنَّما ما يهمُّنا منها، في حدود دراستنا هذه، هو الجانب المتعلِّق بالمخاطَب أو (المتلقِّي)، وأثره في (نشوء) الخطاب، فضلًا عن تحديد وجهته الدلاليَّة، إلى جانب أثر المتلقِّي في اختيار المرسِل أو (المخاطِب) للإستراتيجيَّات التي يبني عليها خطابه، من أجل تحقيق الأثر المتوخَّى من الخطاب.

ففي الخطبة الفدكيَّة، نجد أنَّ الزَّهراء عليها السلام موجِّهة خطابها إلى متلقٍّ (متخاذِل)، قد تخلَّى عن مهمَّته العقديَّة التي ناضل وكافح من أجل ترسيخ قواعدها الفكريَّة والسياسيَّة: «**إيهًا بني قيلة، أأهضمُ تراث أبي، وأنتم بمرأى منِّي ومسمع، ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدَّة، والأداة والقوَّة، وعندكم السلاح والجُنَّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون**»[1]، وهذا التخاذل كان سببًا في توظيف الزَّهراء عليها السلام لـ(الإستراتيجيَّة الإقناعيَّة) عبر إيراد الحجج والأدلَّة التاريخيَّة والقرآنيَّة عبر آليَّة تناصيَّة واعية ومتقصِّدة لهذا التفاعل بين كلامها عليها السلام وبين النصِّ القرآنيّ، فنجد أنَّ «سياق الخطبة التي ألقتها في ذلك الحشد المعاصر للنزول القرآنيّ، ينتظم في نسيج النصِّ القرآنيّ، وهو نصٌّ معصوم، إذ يستدعي نصُّ الخطبة، تارةً، لغة القرآن المباشرة، ويستدعي حينًا آخر لغة الإشارة والرَّمز، وهذا يعطي مؤشِّرًا واضحًا على أنَّ (المخاطب) يعي جيِّدًا المقاصد القرآنيَّة، وتوظيفها في النصِّ المعصوم»[2]، التي لا تثبت حقَّها في وراثة (فدك) فحسب؛ وإنَّما لتضع (المخاطَب/ جمهور المسلمين) أمام حقيقة دامغة، وهي انحرافهم عن تعاليم الإسلام وقيمه التشريعيَّة والسياسيَّة، «**يابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا على الله ورسوله، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾**،

(١) الاحتجاج: ١٣٣.

(٢) تداعيات التناصِّ الواعي في النصِّ المعصوم، الخطبة الفدكيَّة أنموذجًا، د. عماد صالح التميميّ، مجلَّة العقيدة، العدد ٢٠، شتاء ٢٠٢٠: ٩-١٠.

وقال في ما اقتصَّ من خبر يحيى بن زكريّا عليه السلام إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وزعمتم أن لا حظوة لي، ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصَّكم الله بآية (من القرآن) أخرج أبي محمَّدًا صلى الله عليه وآله منها؟ أم تقولون: إنَّ أهلَّ ملَّتَين لا يتوارثان؟ أوَلست أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة؟»[1].

فهي إستراتيجيَّة حجاجيَّة تحاول خلق تأثير إقناعيّ في نفوس المتلقِّين، عِبر إرجاع البُعد المادِّي من الموقف الخطابيّ؛ والمتجسِّد في غَصب بستان فدك منها، إلى أبعاد أخطر وأعمق من الجوانب الشخصيَّة والمنفعيَّة التي تجلُّ عليها السلام عنها؛ وهي الأبعاد التي تكمن خلف هذا الفعل المادِّيّ القائم على انحرافات فكريَّة وسياسيَّة كبيرة ستأخذ بزمام الأمَّة إلى منحدرات ومزالق خطيرة أشارت إليها الشقشقيَّة، بقوله عليه السلام: «**وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ الله خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ**»، فهذا جانب واحد من جوانب النتائج الوخيمة الناجمة عن إبعاد مَن هو أحقُّ بالبسط والقبض، ومَن هو مِن الخلافة بمنزلة القطب من الرَّحى.

إنَّ هذا الانفتاح على الخطبة الفدكيَّة والتعالق معها، يُضيء لنا بعض الجوانب المهمَّة من الخطبة الشقشقيَّة، لعلَّ أهمَّها صبر الامام عليه السلام وصمته الذي أشار إليه بقوله: «**فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا**»، فإنَّ هذا الصمت عن المطالبة بحقِّه من الخلافة؛ وهو قطعًا حقٌّ لا يتعلَّق بالجانب المادِّيّ والاعتباري منها أكثر من تعلُّقه بترسيخ قواعد الدين الجديد؛ يُعيد إلى أذهان المتلقِّين ما قدَّمته الزَّهراء عليها السلام من تفسيرٍ له في خطبتها؛ والمرتبط بتخاذل المسلمين، ونكوصهم عن الوقوف معه عليه السلام في اكمال ما بدأه رسول الأمَّة صلى الله عليه وآله.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣١.

ونجد الإستراتيجيَّة الإقناعيَّة حاضرة أيضًا في الشقشقيَّة، وفي هذا السياق نفسه؛ أي سياق المطالبة بحقِّه عليه السلام بالخلافة، فنجده يفسِّر سبب قبوله بعد ذلك بتولِّي قيادة الأمَّة، واستلام دكَّة الخلافة بحضور السبب الذي كان غائبًا في المراحل الأولى من الانحراف، والذي نتج عنه صمته عليه السلام، وإعراضه عن المطالبة بالخلافة، وهذا السبب يتمثَّل بوجود (النَّاصر) الذي وجدناه (خاذلًا) في الخطبة الفدكيَّة[1]. «**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ؛ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا**». وهنا يبين عليه السلام أن «لا حجَّة ولا عذر عند الله لمن يسكت عن الفساد والضَّلال، إذا وجَد من يناصره ويؤازره، والإمام عليه السلام بعد أن رأى الفساد في الأرض، وبعد أن عُرِضت عليه الخلافة؛ أصبح من واجبه أن يقبل وينهض ويردع المفسدين، ويرعى مصالح المسلمين»[2]. ونجد الجانب الحجاجيّ واضحًا في عرض النتائج مع أسبابها، وبيان الحجَّة في قبوله عليه السلام الخلافة لوجود الناصر والمعين.

فهذا المقطع يمثِّل البؤرة التي تقوم عليها الخطبة الشقشقيَّة بجميع مفاصلها وجزئيَّاتها، بل توضِّح السبب الذي دفع الإمام عليه السلام إلى إلقائها، معبِّرًا عمَّا يجيش في صدره، مستندًا في عرض مقوِّمات خطابه إلى ما يتعالق معها من مقوِّمات خطابيَّة نهضت بها الخطبة الفدكيَّة، والتي شكَّلت مع الخطبة الشقشقيَّة معالم خطاب له إبعاده ومفاهيمه، يتعلَّق بثيمة (الغصب) للخلافة، وما وراء ذلك من عوامل تبيِّن حجم

(١) لمزيد من الاطِّلاع حول ملابسات حال الأمَّة وتخاذلها، ينظر: الزَّهراء وخطبة فدك، محمَّد باقر المجلسيّ، دار كلستنا كوثر للنشر، طهران، ط١، ٢٠٠٣: ١٨٨. وكذلك: شرح خطبة الزَّهراء وأسبابها، الشيخ نزيه القميحا، بيروت، المريجا، ط٢، ١٩٩٥: ١٧٨.

(٢) شرح الخطبة الشقشقيَّة، محمَّد رضا الحكيميّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

الانحراف العقائديّ الذي مُنيت به الأمَّة الإسلاميَّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، واستيقاظ النزعات القبليَّة والنفعيَّة التي وقفت في سبيل إتمام المشروع الإلهيّ الذي يمثِّل خاتمة الرسالات والمشاريع السماويَّة.

مصادر البحث

١. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، منشورات الشريف الرضيّ، ط١، ١٣٨٠هـ.
٢. تحليل الخطاب الشعريّ، إستراتيجيَّة التناص، د. محمَّد مفتاح، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦.
٣. تداعيات التناصِّ الواعي في النصِّ المعصوم، الخطبة الفدكيَّة أنموذجًا، د. عماد صالح التميميّ، مجلَّة العقيدة، العدد ٢٠، شتاء ٢٠٢٠.
٤. التركيب والدلالة والسياق، د. محمَّد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.
٥. حداثة السؤال، محمَّد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٥.
٦. الرواية والتراث السرديّ، سعيد يقطين، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢.
٧. الزَّهراء وخطبة فدك، محمَّد باقر المجلسيّ، دار كلستنا كوثر للنشر، طهران، ط١، ٢٠٠٣.
٨. شرح الخطبة الشقشقيَّة، محمَّد رضا الحكيميّ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
٩. شرح خطبة الزَّهراء وأسبابها، الشيخ نزيه القميحا، بيروت، المريجا، ط٢، ١٩٩٥.

١٠. فضُّ الشراكة المفاهيميَّة بين النصِّ والخطاب، أبراهيم أحمد محمَّد شويحط، عبد القادر مرعي خليل، دراسات، مجلَّد ٤٣، ملحق ٤، ٢٠١٦.

١١. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٢. المتعاليات النصيَّة في رواية (حصار المرايا) لزينب لوت، زهرة بن عودة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كليَّة الأدب العربيّ والفنون، ٢٠١٥، (ماجستير).

١٣. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د. الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، (د.ط)، ٢٠٠٠.

١٤. نهج البلاغة، شرح محمَّد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الأسلوب الإنشائيّ في خُطب الهاشميَّات
(السيِّدة الزَّهراء والسيِّدة زينب)

أ.م.د. سحر ناجي المشهديّ
الكليَّة التربويَّة المفتوحة/ مركز النجف الدراسيّ

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيِّدنا ونبيِّنا الكريم وعلى آله وصحبه المنتجبين الأبرار، وبعد...

لسيِّدتنا الزَّهراء ومن بعدها السيِّدة زينب عليهما السلام منزلة كبيرة لم تصلها أيٌّ من نساء العالمين على وجه الأرض، فبيتهما منزل النبوَّة والوحي والإلهام، ونسلهما نسل أشرف المرسلين، ولهما مقامٌ قدسيٌّ رفيع اختصَّهما به الباري عزَّ وجلَّ، فسيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام (أمُّ أبيها)، وسيِّدتنا زينب عليها السلام حاملة لواء أخيها، ومواقفها الشجاعة المساندة لأخيها في صعاب الحياة وبؤسها، ودورها المميَّز في واقعة الطَّفِّ، خير مثال لتلك المواقف، ويكفي في فخرهما أنَّ الله (سبحانه وتعالى) جعلهما من مصافِّ النساء؛ لذا فقد جاءت دراستنا لخطب الهاشميَّات، وأولاهما خطب سيِّدتنا الزَّهراء، ومن بعدها سيِّدتنا زينب عليهما السلام عقيلة الطالبيِّين؛ لتحاكي صفحات مشرفة، فنجد الظلم والحزن والقهر بأسلوبٍ لغويٍّ رصين، انماز بجمال العبارات وصحَّة التركيب، وهو خطاب موجَّه للمجتمع القائم آنذاك ممَّن ظَلَم وقهر آل بيت النبوَّة.

وقد تنوَّعت الأساليب اللغويَّة في الخطاب، فجاءت بين الإنشائيَّة الطلبيَّة، وغير

الطلبيَّة؛ لتلقي ظلالها على السامع والمتلقِّي، وهذا إن دلَّ على شيء، فدلالته على النشأة والتربية النبويَّة والعلويَّة التي ندرت وشحَّت، فكلتاهما نشأت في حضن ترتيل آيات الله، ويذكِّر بتدبير الإله العظيم، ونجدُ الخطاب الزينبيّ يجسِّد مبادئ الثورة الحسينيَّة، وغدر بني أُميَّة، بأسلوب بليغ العبارة، وواضح الفصاحة، تدلُّ على إحقاق الحقِّ ومجابهته في وجه الباطل.

المقدِّمة

يسعى بحثنا الحاليّ دراسة الأساليب البلاغيَّة التي جاءت في خطب الهاشميَّات (سلام الله عليهنَّ)؛ لذلك قُسِّم على مبحثَين، أوَّلاهما يختصُّ (بالإنشاء الطلبيّ)، وثانيهما (غير الطلبيّ)، وسنبدأ بتعريفهما، ثمَّ البدء بتقسيمهما كلٌّ بحسب أنواعه وأقسامه، والاستشهاد بما جاء في خطبَتَي سيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام، ومن بعدها العقيلة زينب عليها السلام.

الإنشاء يعني الابتداء، يقول الفراهيديّ: «أنشأت حديثًا: ابتدأتُ»[1].

وعرَّفه ابن فارس: «النون والشين والهمزة أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء وسمو. ونشأ السَّحاب: ارتفع، وأنشأه الله رفعه، ومنه: النَّشْأ والنَّشأ: أي: أحداث النَّاس»[2].

والإنشاء (اصطلاحًا): هو الكلام الذي «لا يقال فيه: صدقْتَ ولا كذَّبْتَ»[3].

ولا يدلُّ على أمرٍ حاصلٍ في الخارج[4].

وهذا يدلُّ أنَّ للمعنى الاصطلاحيّ تقاربٌ مع المعنى اللغويّ، فهو إنشاء الناظم للكلام في نفسه أو نفس مخاطِبه، وقد قسِّم بحثنا على مبحَثَين، تحدَّث في أوَّلهما عن الإنشاء

(١) العين (مادَّة نشأ): ٦/ ٢٨٧.
(٢) مقاييس اللغة: ٥/ ٤٢٩.
(٣) الأصول في النحو: ١/ ٧٢.
(٤) ظ: الطراز: ٣/ ٢٨٠.

الطلبيّ، وثانيهما عن غير الطلبيّ. ويرى النحويُّون أنَّ النوع الثاني، وهو (الإنشاء غير الطلبيّ)، له أهميَّة خاصَّة، فله أكثر أبواب النحو؛ بينما يرى البلاغيُّون أنَّ الإنشاء الطلبيّ هو الأهم، فوضعوه ضمن (علم المعاني)، وهو ركن أساسيّ من أبواب البلاغة العربيَّة، وسنتحدَّث عن كلٍّ منهم بالتفصيل.

المبحث الأوَّل

الإنشاء الطلبيّ

وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، كالاستفهام والنداء والأمر والنهي.. الخ[1]، وممَّا جاء فيهما:

أوَّلًا: أسلوب الاستفهام

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، فالاستفهام: طلب الفهم[2].

والاستفهام من أساليب الكلام معاني، وأوسعها تصرُّفًا، وأكثرها في مواقف الانفعال ورودًا؛ ولذا نرى أساليبه تتالى في مواطن التأثُّر، وحيث يرد التأثير وهيجان الشعور للاستمالة والإقناع[3].

وجاء الاستفهام بنوعَيه (الحقيقي: تصديقي وتصوري والمجازي (بـأدوات الاستفهام المختلفة الآتية:

١. حرف الاستفهام (الهمزة):

تكرَّرت همزة الاستفهام (خمس مرَّات) في خطابها إلى المسلمين عامَّة، وأبي بكر خاصَّة، قائلة: «**أيُّها المسلمون أ أُغلب على أرثيه؟ ! يابن أبي قحافة ! أ في كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريًّا أ فعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه**

(١) ظ: البلاغة و التطبيق.

(٢) ظ: العين (مادة فهم): ٤/ ٦١.

(٣) ظ: أساليب الاستفهام في القرآن الكريم: ٢٩٢.

وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وقال فيما اقتصَّ من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1]، «أ أغلب على أرثيه؟»: استفهام على سبيل التوبيخ، و«أ في كتاب الله أن ترثَ أباك ولا أرثُ أبي؟»: مقابلة ضديَّة بالجملة الفعليَّة هل تقولون أهل ملَّتين لايتوارثان، أو لست أنا وأبيمن أهل ملة واحدة؟ أفعلى عمد تركتم كتاب الله؟ استفهام آخر على سبيل التذكير والتنبيه، والحِظوة: المكانة، وأشار الشارح بأنَّ كلمة الحظوة هنا تناسب دعوى النِّحلة دون الإرث، والرَّحل بالفتح للناقة كالسَّرج للفرس، والخطام ما يوضع في أنف البعير ليُقاد به، ورحل البعير كمنع شدَّ على ظهره الرَّحل شبهتها في كونها مسلِّمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيَّأة للركوب، وكلمة ما مصدريَّة[2].

«أفخصَّكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملَّتين لا يتوارثان؟» و(هل) من أدوات الاستفهام التي تدلُّ على التقرير، ثمَّ تلت الاستفهام بالهمزة، وتبعت باستفهام منفي متصدِّرًا بفعل النفي (ليس)، (أوَ لستَ)، وهي دعوة للتأمُّل في رفضهم لحقِّها.

«أوَ لست أنا و أبي من أهل ملَّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن؟».

ثمَّ هبطت النغمة لتسليمها لأمر الله بقولها: **«فنِعم الحكم الله والزعيم محمَّد والموعد الساعة..»** الخ. وجاءت الهمزة في: **«أيها بني قيلة، أ أهضم تراث أبي، وأنتم بمرأى منِّي ومسمع، ومبتدء و مجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، و أنتم ذوو العدد والعُدَّة، والأداة والقوَّة، وعندكم السلاح والجُنَّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصَّرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح»**، جاءت الهمزة في ارتفاع نغم الكلام، ثمَّ تدرِّج بالهبوط بعد ذلك تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة.. أيها بني قيلة:

(١) الاحتجاج: ١/ ٣١.

(٢) ظ: شرح الخطبة الفدكيَّة: ٩٦.

أيهًا: بمعنى هيهات، وفاعلها محذوف، وهم قبيلة الأوس والخزرج، والخطاب من باب التوبيخ، كأنَّها قالت: هيهات هذا التخاذل، فما كان ينبغي أن يقع، وبنو قيلة: الأوس والخزرج، قبيلتا الأنصار، وقيلة: اسم أمٍّ لهم قديمة، وهي قيلة بنت كاهل، والهضم: الكسر، والتراث: الميراث، وأصل التاء فيه واو، وتلبسكم: تغطِّيكم وتحيط بكم، والمراد بالدعوة: نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميتها، وتعبيرها بالشمول والاحاطة، و الكفاح: استقبال العدوِّ بلا ترس ولا جنَّة، والنجيب: الفاضل على مثله، النفيس في نوعه(١).

والآية في مقام اليهود الذين نقضوا عهدهم، وأرادوا إخراج الرسول من المدينة، وقيل نزلت في مشركي قريش.

ومنه قول الزَّهراء عليها السلام: «**أرغبةً عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ بئس للظَّالمين بَدَلًا، ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين**»(٢).

فالهمزة استُعملت في الاستفهام التصوُّريّ لمجيء (أم) المعادلة في سياقها، وواضح الذّم بلفظ فعل الذّم (بئس)، وقد ضمنَّت قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾؛ لبيان معنى الحزن والألم في قلبها، وقولها أيضًا: «**أ فحكمُ الجاهليةِ تبغون ومنْ أحسنُ من اللهَّ حكمًا لقوم يوقنون، أفلا تعلمون؟! بلّى تجلّى لكم كالشّمس الضاحية أنّى ابنته**»(٣)، فدار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ولجوئهم إلى حكم الجاهليَّة مثال واضح في ظلمهم، وحكم الله واضح في كتابه، وهم يعلمون به علم اليقين، فالإستفهام المنفي بـ(أفلا) دليل على معنى التبكيت في حقِّهم، وفيها معنى التعجُّب.

وقول السيِّدة زينب عليها السلام ليزيد: «**أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيَّقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في إسارٍ، نُساق إليك سوقًا في قطار، وأنت**

(١) ظ: المعجم الوسيط: ٩٠١.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٢٧.
(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٥.

علينا ذو اقتدار، أنَّ بنا من الله هوانًا، وعليك منه كرامةً وامتنانًا، وأنَّ ذلك لعظم خطرك، وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحًا، وتنفض مذدرويك مرحًا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة»[1].

فقد أدَّت الهمزة وظيفة الاستفهام المرجوَّة التصوريّ، وما ينطوي تحته من إنكارٍ وتوبيخٍ وذمٍّ، فشرعت تستفهم بالتضييق والأسر وغروره كلّ ذلك بزفرات ملتهبة ممزوجة بحرقة ألم الفراق والقتل وشماتة الأعداء، وهذا ما جعل المتلقِّي، أهل الشام في ذلك الوقت، ليقفوا وقفة احتجاجيَّة بوجهه، ممَّا جعلهم يجهشون بالبكاء وتأنيب المشاعر، وهنا تبيِّن قوَّة البلاغة والحجاج التي ورثتها من بيت النبوَّة والإمامة، وتشابه بين أسلوب والدتها الزَّهراء حين اغتصبت أرضها الفدكيَّة وأنَّبت الجمهور أيضًا.

٢. حرف الاستفهام (هل):

وهو الحرف الثاني استعمالًا في خطب الهاشميَّات.

وقولها في ذمِّ أهل الكوفة: «**وهل فيكم إلَّا الصَّلف والعجب، والشَّنف والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة؟**»[2]، فالصلف المعجب بنفسه تكبُّرًا، والشنف: المبغض، فهم ممَّن يتملَّق لإرضاء سلطته (غمز الأعداء)، إي إنَّ ابن زياد وحاشيته ينظرون إليكم من جانب عيونهم، ويتقرَّبون إليكم بالتحقير والإذلال. ومن الاستفهام التوبيخي ما قالته عليها السلام: «**و هل رأيك إلَّا فند، وأيَّامك إلَّا عدد، وجمعك إلَّا بدد؟**». والاستثناء مفرَّغ أفاد القصر، فما رأيه وأيَّامه وجمعه سوى وقت قليل. ويحدِّثنا د. محمَّد محمَّد أبو موسى فيقول: «وهكذا تمضي مع النفي والاستثناء، ولا تلقاك هذه الأداة إلَّا حيث تلقاك النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد، ثمَّ إنَّ مسألة إنكار المخاطَب هنا أيضًا يجب أن نتلقَّاها بالوعي السابق،

(١) الاحتجاج: ٢/ ٢٦.
(٢) الاحتجاج: ٢/ ٢٦.

يعني أن ندرك أنَّ المخاطَب في كلِّ حال ليس هو شخصًا أو جماعة معيَّنة ترفض الحقيقة، وتجادل في شأنها، وإنَّما هو في كثير من الحالات أشبه بوعي الجماعة»[1]، أي إنَّ رأيك في تخطيطك ومحاولتك للتخلُّص من مضاعفات جريمتك خطأ وضعيف، فأيَّامك الباقية يا يزيد قليلة، فسوف لا تبقى في هذه الحياة إلَّا أيَّامًا معدودة، فأنت قريب إلى الموت والهلاك، فسوف تلاقي جزاء أعمالك، فالعذاب منك قريب.

٣. اسم الاستفهام (ما):

وهو الاستفهام عن غير العاقل، استعملته الزَّهراء في خطابها إلى الأنصار قائلة: «**يا معاشر الفتية وأعضاد الملَّة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقِّي والسِّنَة عن ظلامتي؟**»[2].

وهو تساؤل يثير الحزن والشكوى، ومن أجزاء الجواب شبَّهتهم بعض الوجوه المذكورة، وحاصل جوابها أنَّه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى، وتعني فَقدَ الرسول صلى الله عليه وآله، ويذهب الشارح شريعت مداري إلى أنَّ موت أبيها استعظمته، والكلام خارج إلى التوبيخ والتقريع على ماظهر منهم[3].

وهذا الخطب الجليل، وهو وفاة أبيها، جعل الأرض أظلمَّت لغيبته، والأرض لا تظلم، بل الظلام لليل، ومعناه دخلت في الظلام، يقال: وقد أظلم الليل[4]، واستعمالها على سبيل المجاز، وكسِفت النَّجوم لِمصيبته، والكسفة القطعة من لا شيء، وجمعها كِسف، والنجوم عبست، والنجوم لا تكسف بل الشمس، واستعمالها على سبيل المجاز.

ومنه قول الشاعر:

(١) دلالات التراكيب: ٥.
(٢) ظ: الاحتجاج: ١/ ١٢٦.
(٣) شرح الخطبة الفدكيَّة: ١٠٤.
(٤) الزَّهراء وخطبة فدك: ٢٩، ٤٦.

الشمس طالعة ليست بكاسفة

تبكي عليك نجوم الليل والقمرا[1]

أي ليست تكسف ضوء النجوم مع طلوعها لقلَّة ضوئها وبكائها عليك، وفي كلِّ الألفاظ المتقدِّمة كناية عن موت الرسول الأعظم، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى: أشارت باسم الاشارة (تلك) ثمَّ القسم بلفظ الجلالة، وقولها: فخطبٌ جليل استوسع وهنه، جملة معترضة، فلمَّا ذكرت موت والدها استعظمته، فمرَّت في بيان تقريعهم.

٤. اسم الاستفهام (كيف):

يستعمل في الاستفهام عن الحال، وهو جواب لمن يتساءل عن حاله، واستعملته الزَّهراء في تساؤلها قائلة لهم: «**فهيهات منكم، وكيف بكم وأنَّى تؤفكون؟**»[2]، وقد شبَّهتهم بناقة ركبوها، واستولوا عليها، كناية عن غصب الخلافة، فوجدكم الشيطان لشدَّة قبولكم للإنخداع للخلافة المغصوبة، شرعوا في تهييج الفتن وتغيير السُّنن. والهِتاف: الصياح، وإهماد النار: اطفاؤها بالكليَّة، فلمَّا صبرتم حتَّى استقرَّت الخلافة المغصوبة عليكم، شرعتم في تهييج الشرور والفتن، والإسرار ضدِّ الاعلان، وتشبيهها بالشمس الواضحة الظاهرة البيِّنة، وقولها: أنِّي ابنته: تنازع فيه عاملان، فهي مفعول لفعل محذوف (تعلمون)، و مثله يقدَّر فاعل لتجَّلى، أفلا تعلمون أنِّي ابنته؟ بلى تجَّلى لكم كالشمس الضاحية أنِّي ابنته.

٥. اسم الاستفهام (أنَّى):

استعملت سيِّدتنا الزَّهراء هذا الاسم في استفهامها، ومنه قولها: «**فأنَّى حزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسًا**

(١) شرح الخطبة الفدكيَّة: ١١٦.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣٢.

لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهمُّوا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أوَّل مرَّة، أتخشونهم؟ فالله أحقُّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين»[1]، وجاء اسم الاستفهام (أنَّى) وهو ظرف مكان بمعنى أين، وقد يأتي بمعنى كيف، فمن أين جرتم وما كان منشأه؟ و(جرتم) أمَّا بالجيم من الجور، وهو الميل عن القصد والعدول، ومن الاستفهام التعجُّبيّ الذي خرجت إليه الخطبة، قول الحوراء زينب عليها السلام: «**وأنَّى ترتجي مراقبة ابن مَن لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء**»، فجاءت (أنَّى) بمعنى كيف، والمعنى كيف ومتى يتوقَّع الخوف من الله تعالى من ابن مَن رمت من فمها أكباد الشهداء الأبرياء، وفي هذا إشارة إلى ما حدث في واقعة أُحد، حيث قتل سيِّدنا حمزة بن عبد المطَّلب عليه السلام.

وقولها أيضًا: «**وأنَّى ترخِّصون قتل سليل خاتم النبوَّة ومعدن الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنَّة وملاذ حربكم**»[2].

واستعملت مولاتنا زينب الاستفهام بـ(أنَّى) في قولها: «**وأنَّى ترحِّضون قتل سليل خاتم النبوَّة ومعدن الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنَّة وملاذ حربكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجَّتكم، ومدره سنتكم؟**».

ورحض الثوب: غسله، وهو تأنيبهم لقتل سبط الرسول، فهو الإمام، وهو امتداد الرسالة والنبوَّة اختاره الله.

٦. اسم الاستفهام (أي):

وفيه الاستفهام عن الحدث، ويتميَّز عن بقيَّة الاسماء بأنَّه معرب، فهو تضمُّن الاسم معنى الحرف مُجوِّز للبناء ولا موجِب[3].

قالت الزَّهراء عليها السلام: «**وإلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا؟ وبأيِّ عروةٍ تمسَّكوا؟ وعلى أيَّة ذريَّةٍ**

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٢) الاحتجاج: ٢/ ٢٦.
(٣) ظ: المقتصد في شرح الايضاح: ١/ ١٣١.

أقدموا واحتنكوا»[1].

أمَّا قول السيِّدة زينب عليها السلام فهو أشدُّ دلالة على التألُّم: «**ويلكم يا أهل الكوفة، أي كبدٍ لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دمٍ له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم بهم صلعاء عنقاء سواء فقماء**»[2].

فقد استفهمت باسم الاستفهام (أي) للدلالة على بشاعة فعلهم، فاستفهامها استنكاريّ توبيخيّ للتعجب من، وهو مجاز مرسل، وتذكِّرنا هنا بمقولة أمير المؤمنين، وكأنَّه هو الناطق بلسانها في لعنه وذمِّه لأهل البصرة؛ فيصف بيوتهم ممتدَّة كخراطيم الفيلة قائلًا: «**ويل لسِكَكِكُم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة..**»[3].

وهي صورة مؤلمة رسمتها العقيلة، فأبدعت في رسم هذه الصورة، فنجد ألفاظ (كبد، كريمة، دم، حرمة)، فيها ما فيها من دلالات، فلو عدنا إلى معناها اللغويّ نجد أنَّ من أعمالهم تنال الويل، ومنها:

- **إفراء كبد رسول الله**: والكبد كناية عن الولد، فقد قال رسول الله «**أولادنا اكبادنا**»، وهو تشبيه عظيم، فهو الإمام الحسين، والإمام الحسين جزء من الرسول، وبينهما علاقة الجزء بالكلِّ[4]، فـ«الكاف والباء والدال أصل صحيح يدلُّ على شدَّة في شيء وقوَّة، وهو المشقَّة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، وسمِّيت الكَبَد بذلك لتكبُّدِها[5]، فعلاقة الكبد بجسم الإنسان له أهميَّة كبيرة.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٣) نهج البلاغة: خ ١٢٨، ١٣٢.
(٤) ظ: البلاغة الواضحة: ١٠٨-١٠٩.
(٥) ظ: مقاييس اللغة: ٥/ ١٥٣.

- **إبراز كريمة رسول الله**: والكرم شرف في خلق من الأخلاق، ومنه رجل كريم[1]، وكريمة الرجل ابنته، ومؤنث الكريم[2]. وتعني به نفسها، فهي حفيدة الرسول، والحفيدة كالبنت، وإبرازها إلى الملأ مصيبة كبيرة.
- **سفك دم رسول الله**: فدم الحسين هو دم رسول الله، وكلُّ قطرة سقطت منه سقطت من جسم الرسول. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**اللهمَّ إنَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم**».
- **انتهاك الحرمة**: ما حُرِم فلا يُنتهَك، والحرم هم الأهل[3]، فحفيدات الرسول تُؤسر بيد الأعداء، وكلُّ هذه الأفعال تمتُّ بغدرٍ منهم؛ لأنَّهم أرسلوا الرسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ لينقذهم من الحكم الأمويّ، وضمَّنوها العهود المؤكِّدة، فبعث سفيره وقتلوه، ثمَّ قتلوا العترة الطاهرة، ثمَّ نظرت اليهم وقالت: **أتبكون؟** ما يعني دموعهم وبكاءهم مظاهر خدَّاعة وتلوُّن مُشين، فدعت عليهم بأن تمرَّ عليهم أيَّامًا لا تنقطع دمعتهم أو تجف، ولا يهدأ صوتهم ونحيبهم طوال حياتهم.

ثانيًا: أسلوب النداء

للنداء أهميَّة كبيرة في المنظومة اللغويَّة العربيَّة، وهو من علامات التواصل، ويعني الدعاء في اللغة، يقول سيبويه: «اعلم أنَّ النداء كلُّ اسمٍ مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك اظهاره»، «والمفرد رفع، وهو في موضع اسم منصوب»[4].

(١) ظ: مقاييس اللغة: ٥/ ١٧٢.
(٢) ظ: المعجم الوسيط: ٧٨٥.
(٣) ظ: المعجم الوسيط: ١٦٩.
(٤) الكتاب: ٢/ ٢٢٩.

ومن بين أدوات النداء الواردة (يا)، وهي أشهر الأدوات استعمالًا، تستعمل لنداء البعيد والقريب، وما هو بحكم البعيد[1]. وتأتي للتنبيه أحيانًا[2]، أمَّا المنادى فهو مطلوب إقباله بحرف نائب عن (أدعو) لفظًا أو تقديرًا[3].

وممَّا ورد في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الفدكيَّة قولها: «**يا مَعشِرَ النقيبة (الْفِتْيَةِ)، وَأَعضادَ الْمِلَّةِ، وَحَضَنة (أَنْصارَ) الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟**»[4]، فالمنادى لجمع معرفة (معاشر، أعضاد، أنصار)، ونداءها بـ(يا) مع قرب المنادى تعظيمًا لهم. (معاشر الفتية): وهو جمع معشر، وهم كلُّ جماعة أمرهم واحد، كمعشر المسلمين، ومعشر الإنس، ومعشر الجنِّ[5]، والفتية (جمع فتى)، والأعضاد جمع عضد يستعار في موضع القوَّة والمُعين، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والعَضْد المعونة، وعَضْدُ الرَّجل قومه وعشيرته[6]. والأنصار جمع ناصر، وهم الأعوان، ونَصْرُ المظلوم: عونه، ومنه يقال: أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، ومنه اسم الفاعل (النَّاصر)، ويُجمع على (أنصار)، و(نصارى)، والأنصار هم الأعوان. والنُّصرة: حُسْن المعونة[7]، وإضافة الإسلام لهم تشريفًا وتكريمًا.

وفي مواضع أخرى نجدها تحذف النداء بـ(يا)، فقالت: «**مَعاشِرَ النَّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَ**

(١) ظ: معاني الحروف، الرمَّانّي: ١٠٤.
(٢) ظ: الخصائص: ٢/ ١٩٨.
(٣) ظ: شرح الرضيّ على الكافية: ٢٨٨.
(٤) الاحتجاج: ١/ ١٣٣.
(٥) ظ: مقاييس اللغة: ٤/ ٣٢٧.
(٦) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٤٩.
(٧) ظ: العين (مادة نصر): ٧/ ١٠٨.

أَبْصارِكُمْ»[1].

فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِها الدَّارُ قالتْ لأميرِ المُؤمنينَ عليه السلام: «**يا ابْنَ أَبِي طالِب ! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضْتَ قادِمَةَ الأَجْدِلِ، فَخانَكَ ريشُ الأَعْـزَلِ**»[2]، وشعورها ببعدهم النفسيّ، لذا استعملت (يا)، فبعدهم ليس حقيقيّ، وإنَّما هو نفسيّ، أو اجتماعيّ.

و نجد الأسلوب نفسه تتبعه العقيلة زينب عليها السلام، فتقول في خطابها لأهل الكوفة: «**أَمَّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنَّة، إنَّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوَّة أنكاثًا، تتَّخذون أيمانكم دخلًا بينكم، ألا وهل فيكم إلَّا الصلف والنطف، وملق الإماء وغمز الأعداء (أو) كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة**»[3]، فالنداء هنا للجمع من أهل الكوفة، فنادتهم باسم المكان، وهو (الكوفان)، ويدلُّ على استدارة في شيء، واشتقاقه من تكوَّف الرَّمل: استدار، ولذلك سمِّيت الكُوفةُ، ويقال الناس في كوفيّ من أمرهم لاختلاطهم واضطرابهم في الشدائد، والكُوفان الدَّغل من القصب والخشب والشر الشديد والعناء والمشقَّة، وقد يطلق، ويراد به العِزُّ والمنعة[4].

ومِن المتعارَف عليه في مجتمعاتنا أنَّ معنى (الآل) يرتبط بالأتباع والأشياع، وأهل الملة الواحدة ويُقال: أهل النبيّ: أمَّته[5].

ويقال: «أهل بيت النبيّ، وأهل المدينة، وأهل القرية، وأهل الأرض، وأهل مدين»، ويعني ساكنيها، وقيل في أصلها أنَّها (أهل)، فقُلِبت الهاء همزة.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٢.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣٤.
(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٣.
(٤) ظ: مقاييس اللغة: ٥/ ١٤٧، وظ: المعجم الوسيط: ٨٠٥.
(٥) ظ: المصدر نفسه: (مادَّة أهل): ١/ ؟؟.

ووصفتهم بأنّهم أهل ختل وغدر، والختل: هو الخَدْع، فـ(الخاء والتاء واللام أُصيل فيه كلمة واحدة، وهي الخَتْل، قال قوم: هو الخَدْع»[1].

أمَّا صفة الغَدْر، فهي أشدُّ ذمًا، وهو الإخلال بالشيء، ويقال لترك العهد[2].

ثمَّ كرَّرت النداء توكيدًا، بوصفهم (أهل الختل والغدر)، وخرج النداء عن الغرض الحقيقيّ إلى التعجُّب، فصوَّرت صورة بلاغيَّة بمظلوميَّتهم وأحقيَّتهم في الخلافة[3].

وتلت الهمزة الفعل (تبكون) بصيغة الفعل المضارع الدالّ على الحدوث والتجدُّد، فالاستفهام خرج لمعنى التعجُّب، فهم مَن خذل الامام، وأقعدهم عن نصرته، وبعدها دعاء «**لا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنَّة**»، وهو دعاء عليهم متصدِّر بـ(لا النافية) غير العاملة، التي من معانيها الدعاء، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، ولا شُلَّت يمينك، ولا فُضَّ فوك. ثمَّ استشهدت بآيٍ من الذِّكر الحكيم في تشبيههم، كالمرأة التي أتمَّت غزلها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[4].

وهو نهي للمكلَّفين عن التشبُّه بـ(التي نقضت غزلها من بعد قوَّةٍ أنكاثًا)، وكل شيء نقض بعد الفتل، فهو أنكاث، فلا تنقضوا الإيمان لكثرتكم، فأحفظوا عهدكم، شبَّهتهم بتلك المرأة، فلم تفِ بعهدها، فالغدر متأصِّل في نفوسهم[5].

(١) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٥.
(٢) ظ: المفردات: ٢/ ٤٦٤.
(٣) ظ: التحفة الباهرة في بلاغة المخدَّرة الطاهرة: ٦٥.
(٤) سورة النحل: ٩٢.
(٥) ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤٢١.

المبحث الثاني

الإنشاء غير الطلبيّ

وهو ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، ومنه: (القسم، المدح والذَّم، التعجُّب، صيغ العقود، الرجاء).

أوَّلًا: أسلوب القَسَم

و هو أسلوب لغويّ، يأتي في سياق الكلام؛ لتأكيد مضمون الكلام، ويؤدِّى بحروف أو بألفاظ معيَّنة، قال سيبويه: «اعلم أنَّ القَسم توكيدٌ لكلامك. فإذا حلفتَ على فعلٍ غير منفيّ، لم يقع لزمته اللام، ولزمت اللامَ النونُ الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة. وذلك قولك: والله لأفعلنَّ.. واعلم أنَّ من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجري الفعل بعدها مجراه بعد قولك والله، وذلك قولك: أقسِمُ لأفعلنَّ، وأشْهَدُ لأفعلنَّ، وأقسمتُ بالله عليك لَتَفعلنَّ»[1].

وهنا إشارة واضحة لسيبويه إلى فائدة القَسم للتوكيد، ويتبيَّن أنَّه يأتي مع نونَي التوكيد، ولم يفرِّق سيبويه بينه وبين الحِلف، فكلاهما بمعنى واحد، ومنهم من فرَّق بينه وبين الحلف، كالعسكريّ (ت ٣٩٥هـ)، فقال: «إنَّ القسم أبلغ من الحلف؛ لأنَّ معنى قولنا أقسم بالله أنَّه صار ذا قسم بالله، والقَسم النَّصيب، والمراد أنَّ الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله»[2]، ومن حروف القَسم (الواو والباء ثمَّ

(١) ظ: البلاغة والأسلوبيَّة: ٢٧٣، وظ: التعبير القرآنيّ: ٤٨.
(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٠٢.

التاء)، تأتي لأنَّك تضيف حلفك إلى المحلوف به، كما تضيف مررتُ به بالباء، إلَّا أنَّ الفعل يجيء مضمرًا في هذا الباب، والحلف توكيد(١).

فالحِلفُ والحَلف القَسَم، والحَلِف اليمين، وأصله العقد بالعزم والنيَّة، وتحالفوا تعاهدوا(٢). ويستدلُّ على القسم بالحرف والفعل معًا، أو لفظ من الفاظ القَسم(٣)، والفرق بينه وبين الحلف دقيق، قال أبو هلال العسكريّ في الفرق بين القَسَم والحلف: «إنَّ القَسمَ أبلغُ من الحَلِف؛ لأنَّ معنى قولنا أُقسم بالله؛ أنَّه صار ذا قسم بالله.. واليمين: اسم للقَسَم مستعار، وذلك أنَّهم كانوا إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم، ثمَّ كثر ذلك حتى سُمِّيَ القسم يمينًا»(٤)؛ أمَّا القَسم أصله من القَسم بالكسر، وهو النصيب، فالشخص يحلف على قسمه أي نصيبه فيأخذه، فكأنَّ القَسم يدلُّ على الحلف بالنصيب خاصًّا ثمَّ عمَّ(٥).

وله أدوات توصل الحلف إلى المقسم به؛ فالحلف مضمر لإعلام السامع به، فقول: أحلف بالله لأفعلنَّ وبالله لأفعلنَّ، فالباء موصلة، والواو في معناها أيضًا؛ لكن الباء هي الأصل(٦).

يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): «اعلم أنَّ الغرض من القسم توكيد ما يُقسم عليه من نفي أو إثبات، كقولك: «والله لأقومنَّ»، و«والله لا أقومنَّ»، «إنَّما أكَّدت خبرك لتزيل الشك عن المخاطَب»(٧)، ويأتي القَسم في الكلام لتأكيد الدلالة، ويعدُّ أفضل أنواع المؤكِّدات وأهمَّها وأقواها.

(١) ظ: الكتاب: ٣/ ١٠٤.
(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٥٣.
(٣) الكتاب: ٣/ ٤٩٧.
(٤) ظ: لسان العرب: ٩/ ٥٣.
(٥) ظ: معاني النحو: ٤/ ١٣٨.
(٦) الفروق اللغويَّة: ٥٦.
(٧) ظ: معاني النحو: ٤/ ١٣٧.

أنواع القَسَم:

أ) القسم بالجملة الاسميَّة:

لفظ (وبالله):

الباء هي الأصل في القسم، وباقي الحروف كـ(الواو) و(التاء) مبدلة منها، قال ابن يعيش: «أصل حروف القَسم الباء، والواو مبدلة منها، وإنَّما قلنا ذلك؛ لأنَّها حرف الجرِّ الذي يُضاف به على الحلف إلى المحلوف، وذلك الفعل (أحْلِفُ)، (أُقْسِمُ)، أو نحوهما»[١].

إنَّ لفظ (والله) أصله الباء، ولكثرة استعمال (اقسمُ بالله) حُذف الفعل أوَّلًا، ثمَّ تدرجوا فأبدلوا الباء واوًا، لأنَّها أخف، فيحذف معها فعل القَسم[٢].

لفظ (والله) المتكوِّن من حرف القسم (الواو)، والمقسم به الله (سبحانه وتعالى): تكرَّر في أغلب الخطب الهاشميَّة، فأصل القسم (بالله)، والواو هنا بدلًا عنها؛ لأنَّها من مخرجها، وهما صوتان شفويَّان، والواو للجمع، والباء للإلصاق فيتقاربان[٣].

والواو أكثر الحروف استعمالًا في القَسم، ولا يذكر معها فعل القَسم، ولا تدخل على ضمير، بل تدخل على المقسم به[٤].

تالله: «وتالله لو مالوا عن المحجَّة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجَّة الواضحة، لَردِّهم إليها، وحملهم عليها»[٥].

وقول السيِّدة زينب عليها السلام: «**فو الله الذي شرَّفنا بالوحي والكتاب والنبوَّة والانتخاب لا تدرك أمرنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذِكرنا**»[٦].

(١) ظ: المقتضب: ٢/ ٣٢٠.
(٢) ظ: المقتضب: ٢/ ٣٢٠.
(٣) شرح المفصَّل: ٥/ ٢٤٤.
(٤) شرح المفصِّل: ٨/ ١٤٧، وظ: شرح الرضيّ على الكافية: ٢/ ٤٢٩.
(٥) الاحتجاج: ٢/ ٢٣.
(٦) الاحتجاج: ٢/ ٢٣.

وهو توكيد يدلُّ على على علوِّ المقام بتشريف آل محمَّد (صلوات الله وسلامه عليهم)، فألهمهم الله بصفة النبوَّة والإمامة والخلافة، وصفة (الإيحاء)، وهو إلهام خاصٌّ للأنبياء والأوصياء، وجدّهم الرسول، ودلالات الخطاب تدلُّ على عظمة الفصاحة والبلاغة وقوَّة الشخصيَّة، والتأكيد بأنَّ يزيد لم ولن يبلغ أو يفهم أو يمحو ذكرهم وسيرتهم الطيِّبة الطاهرة.

زيادة على ذلك، نجد الروح النفسيَّة العالية، ورباطة الجأش أمام الطاغية، وهي في مجلس يكتظُّ بأناس تتشمَّت وتتذمَّر إلَّا أنَّ بطش السلطة جعل الأفواه تصمت، وهذا ممَّا يدلُّ على تحريك الهمم، وإيقاظ المشاعر والأحاسيس.

لعمري: تردَّد هذا اللفظ دالًّا على القسم على لسان أهل البيت، جاء هذا النوع من القَسم في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1].

إذ أقسم الله سبحانه وتعالى بعمر نبيِّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أي ببقائه وحياته، فلم يُقسم بحياة أحد غير النبيّ، وفي هذا القَسم يبيِّن أهميَّة الرسول وحبِّ آل البيت عليهم السلام.

والعَمر بالفتح والضمِّ شيء واحد، وهو الحياة، ويستعمل في الفتح فقط، وجمعه أعمار، واللام الداخلة عليه لام الابتداء، ومعنى لعمرك أي لحياتك، ولعمر الله: أقسم ببقاء الله ودوامه[2].

وقد أشار سيبويه إلى ذلك في باب (ماعمل بعضه في بعض وفيه معنى القَسم)، بقوله: «وذلك قولك: لَعَمْرُ الله لأفعلنَّ، وأيمُ الله لأفعلنَّ»[3].

وفيها عمرك مبتدأ، واللام فيها لام الابتداء، وخبرها محذوف يقدَّر بـ(قسم، أو حلف، وحذف لطول الكلام بالمقسم به؛ وهو مصدر، فإن دخلت عليه اللام رفع، وإن لم تدخل عليه نصب المصادر، ومعنى (لعمر الله): الحلف ببقاء الله

(١) سورة الحجر: ٧٢.
(٢) ظ: لسان العرب (مادَّة عمر): ٤/ ٦٠١.
(٣) الكتاب: ٣/ ٥٠٣.

ودوامه[1].

ومنه قول الزَّهراء عليها السلام بعد مرضها: «**لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثمَّ احتلبوا ملءُ القعب دمًا عبيطًا وزعافا مبيدًا، هنالك يخسر المبطلون**»[2].

وقد أحسنت السيِّدة الزَّهراء في استعمال القَسم، وقد جاء في خطب الإمام الحسن عليه السلام في قوله لمعاوية: «**إنَّه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك، وما هؤلاء شتموني، ولا سبَّني غيرك، وما هؤلاء سبُّوني، ولكن شتمتني وسبيتني فحشا منك وسوء رأي وبغيًا وعدوانًا وحسدًا علينا، وعداوةً لمحمَّد صلى الله عليه وآله قديمًا وحديثًا**»[3]، والأزرق هو معاوية.

ثانيًا: أسلوب المدح والذَّم

المدح حسن الثناء، وهو نقيض الهجاء[4]، وهو وصف محاسن بكلام جميل[5].

والمدح والمديح واحد يجمع على أماديح ومدائح[6]، وهو الثناء باللسان على الجميل الاختياريّ قصدًا[7]. وهو الثناء على الجميل في الفضائل والفواضل[8]. وبخلافه الذَّم[9].

وهو إظهار سوء بقصد التعيب، فالصفات الذميمة مؤثِّرة عند المخاطب، والذَّم من أكثر الأساليب استعمالًا عند خطاب السيِّدة الزَّهراء، والسيِّدة زينب، وبالخصوص

(١) ظ: شرح المفصَّل: ٥/ ٢٤٥.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣٩.
(٣) بحار الأنوار: ١٠/ ٢٢٤، وظ: حياة الإمام الحسن: ٢٥٧.
(٤) ظ: العين: ٣/ ١٨٨.
(٥) ظ: مقاييس اللغة: ٢/ ٥٠٣.
(٦) ظ: لسان العرب: ٤/ ٣٦٧٧.
(٧) ظ: التعريفات: ٢٠٦.
(٨) ظ: الكليات: ٨٥٧.
(٩) ظ: مقاييس اللغة (مادة ذمَّ): ٢/ ٣٤٥.

الخطاب الموجَّه لأهل الكوفة.

وهو على نوعَين (قياسيّ وغير قياسيّ)، وجاء الأوَّل منه في مدح سيِّدتنا الزَّهراء لأبيها في خطابها قائلة: «**ولنعم المعزَّى إليه صلى الله عليه وآله، فبلِّغ الرسالة، صادعًا بالنذارة، مائلًا عن مدرجة المشركين، ضاربًا ثبجهم، آخذًا بأكظامهم**»[1]، فاستعملت فعل المدح (نعمَ) للدلالة على أبيها، ومرَّة أخرى لتدلَّ به إلى الذات الإلهيَّة في قولها: «**فنعم الحكم الله والزعيم محمَّد والموعد الساعة**»[2].

أمَّا فعل الذَّم (بئس)، فاستعملته للمخاطَبين، ومنه قولها: «**لبئس ما تأوَّلتم، وساء ما به أشرتم**»[3].

كما استعملت الفعل (ساء) للذَّم قائلة: «**ألا ساء ما تزرون**»، أي بِئس ما حملتم من ذنوب وإجـرام، **فبُعدًا وسُحقًا**: أبعدكم الله عن رحمته، وأهلككم أشدَّ البُعد والسحق»[4].

واتَّبعت العقيلة زينب عليها السلام أسلوب والدتها في خطابها لأهل الكوفة: «**ألا ساء ما قدَّمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعسًا تعسًا! ونكسًا نكسًا! لقد خاب السعي، وتبَّت الأيدي، وخسرت الصفقة**»[5].

كما ذمتَّهم بالمصدر (تبًّا) قائلة: «**فأنتم لا تهتدون تبًّا لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله قبلكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبنيه عترة**

(١) الخطبة الفدكيَّة: ٢٣.

(٢) ظ: الاحتجاج: ١/ ١٣٩.

(٣) ظ: الاحتجاج: ١/ ١٣٩، وقد كثر في خطبها، ومنه على سبيل المثال لا الحصر قولها: «**بئس ما قدَّمت لهم أنفسهم**»، «**بئس للظالمين بدلًا**» وقولها: «**ويحهم أنَّى زعزعوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوَّة والدلالة**»، وقولها: «**لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظَّالمين بدلًا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل**». ظ: الاحتجاج: ١٣٩.

(٤) ظ: شرح الخطبة الفدكيَّة: ٢٢.

(٥) الاحتجاج: ٢/ ٢٦.

النبيّ الطاهرين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم. فقال: نحن قتلنا عليًّا وبني عليّ بسيوف هنديَّة ورماح، وسبينا نساءهم سبي ترك»[1]، وهذا ما يدلُّ على اقتباسها الفعل (تبَّ) من القرآن الكريم: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[2]، والتبُّ الاستمرار في الخسران[3].

كما دعت عليهم بالويل قائلة: «**وإنَّما لكلِّ امرئ ما قدَّمت يداه، حسدتمونا ويلًا لكم على ما فضَّلنا الله عليكم، فما ذنبنا أن جاش دهرًا بحورنا، وبحرك ساجٍ لا يواري الدعامصا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور**».

(١) الاحتجاج: ٢/ ٢٥.
(٢) سورة المسد: ١-٢.
(٣) ظ: المفردات: ١/ ٩٢.

الخاتمة

- احتلَّ الخطاب اللغويّ لآل البيت معانٍ ومفاهيم قرآنيَّة تمثَّلت من الواقع المرير الذي ألفوه في صراعهم مع السلطة الحاكمة، ونجد افتتاح الخطب بالبسملة، والانتقال إلى العرض بعبارة (وبعد)، ثمَّ الدخول في صُلب الموضوع والغاية المرجوَّة، فقد أكَّد خطاب الهاشميَّات حقوقهم بالخلافة، ووجوب النصرة والمبايعة بأدلَّة قرآنيَّة، ثمَّ التضمين بآيات الذِّكر الحكيم، وألفاظ فصيحة حاكت المجتمع القائم آنذاك، ونجد الخذلان وعدم النصرة لآل البيت، سواء أكان في خطب سيِّدتنا الزَّهراء أم سيِّدتنا العقيلة زينب عليها السلام، وهذا يدلُّ على سهولة الخطاب لديهنَّ في شتَّى المواضيع، وليس بمنكر أو بغريب على هاشميَّات النبوَّة، فجدُّهم الرسول، وأبوهم علي، وكلاهما ممَّا يعتدُّ به بالإمامة والولاية.
- تبيَّن من خلال تحليل الخطب الأسلوب العربيّ البليغ والفصيح، الذي ليس بغريب على بيتٍ ترتَّل فيه آيات الذِّكر الحكيم، وتشيع فيه محبَّة العلم وتفسير القرآن، وكلُّ ما هو قريب إلى الله، فجاء الإنشاء على أروع ما يكون، وبالخصوص في استعمال أسلوبَي الإنشاء الطلبيّ وغير الطلبيّ، فقد احتلَّ أسلوب الاستفهام الصدارة من بين الأساليب اللغويَّة؛ لما يحمله من معانٍ مجازيَّة وخصائص إنكاريَّة، وجاء أسلوب النداء من بعده ليبيِّن أنواع المنادين، وهم أهل الكوفة في خطابات الزَّهراء والسيِّدة زينب عليهما السلام.

- نجد المعاني البلاغيَّة العالية الدالَّة على الإنكار والتبكيت والتقريع والتوبيخ والذَّمِّ والتبكيت والتنكيل لأهل الكوفة، وهو من باب التشابه بين الأسلوبَين، فجاءت البلاغة بأعلى مستويات الفصاحة، كلام لاذع لجرائمهم المتتالية، وكلُّ تلك البلاغة لإيقاظ تلك الضمائر من سباتها العميق.
- سادت ألفاظ الحزن بنبرات عذبة عالية، نجد فيها القهر والظلم؛ إلَّا أنَّ نهاية الخطاب كان الحمد الشكر برضا الله سبحانه وتعالى.
- تبيَّن بدراستنا للقَسَم أنَّه أقوى المؤكِّدات التي جاءت في خطب الهاشميَّات، وبالاخصِّ القَسم بالجملة الاسميَّة (والله، وتالله، لعَمري)، وكأنَّ الرسول أشاع تلك المفردات في البيت العلويِّ الرفيع.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، منشورات الشريف الرضيّ، د.ت.

٢. الأصول في النحو.

٣. أساليب الاستفهام في الشعر الجاهليّ: د. حسني عبد الجليل يوسف، مؤسَّسة المختار، ط١، القاهرة، ٢٠٠١.

٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار: محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة إحياء الكتب الإسلاميَّة، إيران، قم.

٥. البلاغة والأسلوبيَّة: محمَّد عبد المطَّلب، مكتبة لبنان ناشرون، لونجمان.

٦. البلاغة الواضحة: عليّ الجارم ومصطفى أمين، ط١، مكتبة البشرى، ٢٠١٠.

٧. البلاغة والتطبيق: أحمد مطلوب وحسن البصير، ط٢، وزارة التعليم العالي، ١٩٩٩.

٨. التحفة الباهرة في بلاغة المخدَّرة الطاهرة: حسين البحرانيّ، دار زين العابدين، د.ت.

٩. التعبير القرآنيّ: فاضل السامرَّائيّ، دار عمَّار، ٢٠٠٦.

١٠. التعريفات: عليّ بن محمَّد بن عليّ الحسينيّ الجرجانيّ الحنفيّ (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

١١. تفسير الطوسيّ (التبيان في تفسير القرآن): أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

١٢. حياة الإمام الحسن عليه السلام دراسة وتحليل: باقر شريف القرشيّ، ط١، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣.

١٣. شرح الخطبة الفدكيَّة: محمَّد باقر المجلسيّ، تعليق: محمَّد تقي شريعتمداريّ، ط١، ٢٠٠٣.

١٤. شرح المفصَّل: يعيش بن عليّ بن يعيش ابن أبي السرايا محمَّد بن عليّ أبو البقاء موفَّق الدين الأسديّ الموصلِّيّ (ت٦٤٣هـ)، تقديم: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٥. شرح الكافية: محمَّد بن الحسن الإستراباذيّ الرضيّ، تحقيق: حسن بن محمَّد ابن إبراهيم، ط١، إدارة الثقافة والنشر في جامعة محمَّد بن سعود، السعوديَّة، ١٩٩٦.

١٦. دلالات التراكيب (دراسة بلاغيَّة): محمَّد محمَّد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٧.

١٧. الزَّهراء وخطبة فدك: المجلسيّ، د.ت.

١٨. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم العلويّ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، د.ت.

١٩. الفروق اللغويَّة: أبو هلال العسكريّ، تحقيق: محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، د.ت.

٢٠. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.

٢١. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ، د.ت.

٢٢. الكليَّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة): أبو البقاء أيُّوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، ترتيب: عدنان درويش ومحمَّد المصريّ، مؤسَّسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٨.

٢٣. لسان العرب: جمال الدين محمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، مراجعة: يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال عليّ، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٩٨٥.

٢٤. معاني النحو: الفرَّاء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمَّد عليّ النجَّار، دار السرور، د.ت.

٢٥. المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، ١٩٨٢.

٢٦. المقتضب: محمَّد بن يزيد المبرِّد، تحقيق: محمَّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.

٢٧. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بـ(الراغب الأصفهانيّ)، مصطفى الباز، د.ت.

٢٨. معاني النحو: فاضل صالح السامرَّائيّ، ط٥، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠١١.

٢٩. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريَّا، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الكتب العلميَّة، د.ت.

٣٠. المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطيَّة الصوالحي، محمَّد خلف الله أحمد، ط٤، مجمع اللغة العربيَّة، مكتبة الشروق الدوليَّة، د.ت.

أثر علوِّ النَّغم في الخطبة الفَدكيَّة

فاطمة عبد الجليل عبَّاس

ملخَّص البحث

كشفت الدراسة عن مواطن علوِّ النَّغم في الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء (سلام الله عليها)، نظرًا لما لهذه الخطبة من رقيٍّ لفظيّ ومعنويّ وظَّفته السيِّدة الزَّهراءعليها السلام؛ لتوجيه رسالة إنسانيَّة للأمَّة الإسلاميَّة، فهذه الخطبة على درجه كبرى من الثراء المعرفيّ والعقديّ والفقهيّ، كما أنَّ المتأمِّل لطبيعة رسم الصور الفنيَّة في هذه الخطبة، يجد بحرًا معطاءً من الصور الموحية التي تجذب المتلقِّي؛ لفهمها والغوص إلى أعماقها.

جاءت الفنون البديعيَّة (التكرار، والتوازن، والجناس)، كوسيلة لبحث ما وراء الألفاظ والمعاني الإيحائيَّة، وإخراجها للعيان بحُلَّة جديدة معبِّرة عن أهداف سامية، وبالوقت نفسه وثيقة للكشف عن مواطن الإيحاء المخفيِّ الذي أشارت إليه بضعة الرسولعليها السلام، وكانت تهدف عن طريقه إلى إيصال أهـداف أخلاقيَّة ودينيَّة للأمَّة المحمَّديَّة، وتسليط الضوء على أمور عدَّة في المجتمع

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة والسلام على سيِّد الأنام محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين، وبعد:

لقد اقترن خلود الخطبة الفدكيَّة المقدَّسة لسيِّدة نساء العالمين (سلام الله عليها) بخلود صاحبتها، هذه السيِّد الجليلة، منبع الطهارة ونسل الأكارم من الدوحة الهاشميَّة، والبذرة العلويَّة المباركة، فوالدها الرسول الأعظم والنبيِّ الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله؛ لذلك كانت الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام مثالًا لكلِّ نساء العالمين في العفَّة والحياء، والعلم، والتقوى، وما إلى ذلك، وكيف لا تكون كذلك، وهي رضعت الإيمان والعصمة من السيِّدة خديجة (رضوان الله عليها)، فكانت والدتها نِعمَ الزوجة الصالحة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقفت معه في السرَّاء والضرَّاء، وهي أوَّل امرأة آمنت به، فكيف لا تكون ثمرة هذا الزواج المبارك، سيِّدة عظيمة كفاطمة البتول عليها السلام؛ لذا جاءت الخطبة الفدكيَّة على درجة كبيرة من العلم، والفصاحة، والمعرفة الشموليَّة لكلِّ فنون البلاغة العربيَّة، فهذه الخطبة من أشرف الخطب، وأعلى رُتب البلاغة؛ لأنَّ منبعها مشكاة النبوَّة، ومنبع الهداية والصلاح.

وبما أنَّ موضوع البحث متعلِّق بأثر علوِّ النَّغم في الخطبة الفدكيَّة، وتناولنا في هذا البحث الخطبة التي قالتها عليها السلام لـمَّا منعها أبو بكر حقَّها في فدك؛ لذا تضمَّن التمهيد: التعريف بمصطلح (أثر علوِّ النَّغم)، ثمَّ مبحث بعنوان (مظاهر علوِّ النغم في الخطبة الفدكيَّة)، يقسَّم على ثلاثة مطالب، المطلب الأوَّل: التكرار، والمطلب الثاني: الجناس، والمطلب الثالث: التوازن، ثم خُتمت الدراسة بالنتائج التي توصَّل إليها البحث.

التمهيد

أثر علو النغم

عند الحديث عن النَّغم والموسيقى الصوتيَّة، وجماليَّتها العذبة، يأتي فنُّ البديع أوَّلًا؛ لأنَّه يُضفي روعةً وبهاءً على المعاني والألفاظ الموحية، فشدَّة وقع الكلمات وأجراسها الصوتيَّة يفسح المجال أمام الأسماع المرهفة للتأمُّل والتفكُّر في سبب اختيارها دون غيرها، وعلم البديع في اللغة: «إحداث شيءٍ لم يكن له من قبلُ خلقٌ ولا ذِكر ولا معرفة»[1]، فالبديع هو الحديث والجديد، والمحدث.

أمَّا في الاصطلاح: فقد ذكره الخطيب القزوينيّ (ت٧٣٩هـ) بأنَّه «علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»[2]، وتحسين الكلام على قسمَين[3]:

- **محسِّنات لفظيَّة**: غايتها تحسين اللفظ، وإن حسَّنت المعنى أحيانًا.
- **محسِّنات معنويَّة**: غايتها تحسين المعنى، وإن حسَّنت اللفظ أحيانًا، فهذه المحسِّنات البديعيَّة تعمل على إثراء وتنغيم الكلمات بأصواتٍ موسيقيَّةٍ عذبة.

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، مادة (بدع): ١/ ١٢١.

(٢) الإيضاح، للقزوينيّ: ٤٧٧.

(٣) ظ: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب: ٦١.

مظاهر علوِّ النغم في الخطبة الفدكيَّة

المطلب الأوَّل: التكرار

ظاهرة لغويَّة عُرفت عند العرب قديمًا وحديثًا؛ لارتباطها الشديد بالخطب النثريَّة، والقصائد الشعريَّة، لذا لقيت عنايةً واهتمامًا عند أهل البلاغة والنحو، فعملوا على تبيان أثرها في تمكين وتقويَّة المعاني من النفس، فالتكرار من المحسِّنات اللفظيَّة، وهو في اللغة: من كرَّ يكرُّ كرًّا، وتكرَّر الشيء جاء مرَّة بعد مرَّة[1]، وفي الاصطلاح: وجده ابن الأثير (٦٣٧هـ) نوعًا من الإطناب، فالألفاظ والعبارات عندما تكرَّر، منها ما يأتي لفائدة، ومنها يأتي لغير فائدة[2]، لذا فالنوع الأوَّل محطُّ اهتمامنا، فهو «أن تأتي المتكلِّم بلفظٍ ثمَّ يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متَّفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى، ثمَّ يعيده»[3]، تناوله البلاغيُّون وبيَّنوا أغراضه وأنواعه، فهو يأتي للتهويل، والتعظيم، والتوكيد، وسواها[4].

ومن مظاهر التكرار في الخطبة الفدكيَّة قول السيِّدة الزَّهراءعليها السلام: «**أنتم عباد الله نصبُ أمره ونهيه، وحَمَلة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم**»[5]،

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة (كرر): ١٢/ ٦٤.

(٢) ظ: المثل السائر، لابن الأثير: ٢/ ٣٧٠.

(٣) معجم النقد العربيّ القديم، أحمد مطلوب: ١/ ٣٧٠.

(٤) ظ: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: ١٤٩-١٥٠. ظ: أنوار الربيع في أنواع البديع، السيِّد عليّ صدر الدين المدنيّ: ٥/ ٣٤٥-٣٤٧. ظ: معجم النقد العربيّ القديم، أحمد مطلوب: ١/ ٣٧٠-٣٧١.

(٥) بلاغات النساء، ابن طيفور: ٩، ظ: الزَّهراء وخطبة فدك، للعلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ: ٥٨.

تتسامى هذه السيِّدة العظيمة بأحاديثها وخطبها جمالًا وإيحاءً، وفيها تبثُّ روح العبوديَّة الخالصة والتوحيد للذات العليا؛ لأنَّها ترى ما لا يراه مَن تخاطبهم وتنصحهم، ويلحظ تكرار لفظ الجلالة (الله) في هذا النصِّ مرَّتَين، جاءت اللفظة الثانية توكيدًا للأولى، وإشارةً لتوعية الحضور إلى دينهم، مع حزنٍ دفينٍ مهيمن على نفسيَّتها الطاهرة عليها السلام؛ لأنَّها ترى فيهم خذلانًا للحقِّ وميلًا للباطل، كما أنَّ اللفظة نفسها تكرَّرت بشكل منظَّم على طوال الخطبة؛ إذ بلغ عددها (٤٧) مرَّة، وكان لتكرارها دلالة دينيَّة ونفسيَّة، هدفت الصدِّيقة عليها السلام إلى إيصالها المخاطَبين؛ بغية تحريك نفوسهم، وإيقاظ ضمائرهم نحو حقِّها المشروع في هذه الأرض المباركة، كما عاضد ذلك التكرار تكرار آخر للفظة الرسول والنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله؛ إذ وجدت (١٩) مرَّة، ومن ذلك قولها عليها السلام: «**وأشهد أنّ أبي محمَّدًا (النبيّ الأمّيّ) صلى الله عليه وآله عبده ورسوله**»[١]، وهذا التكرار دلَّ على قصديَّةٍ معيَّنةٍ، ومغزًى للسيِّدة عليها السلام.

وتكرَّر الضمير المتَّصل (الهاء) العائد على الله جلَّ وعلا في (أمره، ونهيه، ودينه، ووحيه) أربع مرَّات، وفي ذلك إيحاء بترسيخ العبوديَّة لله وحده باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه؛ ولأنَّ تكرار الحرف يتمتَّع بمزيَّة فكريَّة ترجع إلى المعنى، ومزيَّة سمعيَّة ترجع إلى الموسيقى والنَّغم، فالتكرار يمنح النصَّ إيقاعًا جذَّابًا[٢].

وتكرَّر في خطبتها (سلام الله عليها) لفظة كتاب الله في مواضع عدَّة، منها في قولها: «**لله فيكم عهد قدَّمه إليكم، وبقيَّة استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق**»[٣]، و«**كتاب الله بين أظهركم**»[٤]، و«**كتاب الله في**

(١) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٩.
(٢) ظ: الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة، د. عبَّاس عليّ الفحَّام: ٢٣٣.
(٣) بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٠، ظ: الزَّهراء وخطبة فدك، للعلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ: ٥٩.
(٤) بلاغات النساء، ابن طيفور: ٨.

أفنيتكم»[1]، و«**تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم**»[2]، تبيَّن الأسلوب التكراريّ عن طريق اللفظة السابقة، نظرًا لما لها من أهميَّة كبرى في المعاني الظاهرة والباطنة، وقد جاء تكرارها؛ لأنَّ فيها دلالة وتنبيه عظيمَين، فكان الجمع الغفير الذي وقفت أمامه يعلم كلَّ العلم بأنَّها بنت المصطفى صلى الله عليه وآله، وحقّها في وراثة أبيها، لكنَّ أبصارهم عميت عن الحقِّ والعدل، فكانت (سلام الله عليها) بتأكيدها المتكرِّر على هذه اللفظة بذاتها دون غيرها؛ لإلقاء الحجَّة عليهم لعلَّهم يرشدون ويهتدون.

فهذا التركيب الصوتيّ لموسيقى الألفاظ جعلها تعمل بحركات متتابعة تتآلف في مجموعات متساوية ومتقاربة[3]، لتعبِّر عن المعنى المقصود، فالسيِّدة الجليلة عليها السلام طالبت بحقِّها المشروع من الذين يُحسَبون من الأمَّة المحمَّديَّة، ولكنَّهم لا ينتمون إليهم بصلة، لأنَّهم عملوا بها من أبشع ما رأى التاريخ، حتَّى أزالوا النور عن عينيها، وقضت نحبها مظلومة مقهورة، ومغصوبة الحقِّ.

شكَّلت النصوص التكراريَّة أهميَّة كبيرة في خطاب الزَّهراء عليها السلام، وهذا منح الخطبة أصواتًا موسيقيَّة عذبة، وأضفى عليها إحساسًا معبِّرًا عن الحزن المهيمن في نفس سيِّدة نساء العالمين عليها السلام.

(١) بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٠.

(٢) بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٠.

(٣) ظ: موسيقى الشعر العربيّ، شكري محمَّد عياد: ٥٧. ظ: الأثر القرآنـيّ في نهج البلاغة، د. عبَّاس عليّ الفحَّام: ٢١١.

المطلب الثاني: التوازن

التوازن هو لون ومحسِّن بديعيّ لفظيّ، يمنح الكلام رونقًا بهيًّا؛ لما يقوم به من الترتيب والاعتدال في تكوين الكلام النثريّ والشعريّ، وهذا يعمل على جذب السامع أو المخاطَب إلى ذلك التلاحم والانتظام اللفظيّ، وقد سمَّاها ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، مسمًّى آخر، وهو الموازنة، وعرَّفها بقوله: «وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعريّ وعجزه متساوي الألفاظ وزنًا»[1]، كما وضَّح القزوينيّ (ت٧٣٩هـ) أنَّه لا بدَّ فيها «أنَّ تكون الفاصلتان متساويتَين في الوزن دون التقفية»[2]، وبذلك تعمل الموازنة على إيجاد بُعدٍ دلاليّ، وإيحائيّ؛ لما لها من مويسقى صوتية، وجِرس عذب.

جاء التوازنُ في قولِها عليها السلام: «**فوسمتم**[3] **غير إبلكم، وأوردتم**[4] **غير شربكم**»[5]، حفلت هذه الصورة النثريَّة بنغمٍ صوتيٍّ كوَّنهُ أداء التوازن؛ إذ وازنت الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام بين «**فوسمتم غير إبلكم**»، و«**أوردتم غير شربكم**»، وهنا ظهر المعنى الإيحائيّ المُبطَّن؛ لخروج مفردة الوسم من معناها الحقيقيّ إلى معنًى مجازيّ كنائيّ، أُريد به أخذ ما ليس من حقِّهم، أي غصبهم الخلافة عنوةً وجبرًا دون مراعاةٍ للنبيّ صلى الله عليه وآله، ووصيَّته للإمام عليّ (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام)، بالخلافة من بعده، لذلك

(١) المثل السائر، لابن الأثير: ١/ ٢٦٩.

(٢) الإيضاح، للقزوينيّ: ٥٥٢.

(٣) الوسم: هو أثر الكيّ، يُستعمل للبعير عندما يتمُّ وسمه بسمةٍ يُعرف بها. ظ: العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ: ٤/ ٣٧١.

(٤) الورود: يُطلق على أماكن تواجد الماء، والإيراد: الإحضار، ظ: العين، ٤/ ٣٦٣.

(٥) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٨، ظ: الزَّهراء وخطبة فدك، للعلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسّي: ٥٩.

خرجت ألفاظ بضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مليئة بالحزن والأسف على ما عملته هذه الأمَّة بأهل بيت نبيِّها.

ويلحظ أنَّ التوازن أعطى نغمًا وانتظامًا للبنية النصيَّة، بغية التأثير في نفوس المخاطَبين.

وفي موضع آخر، قالت (رضون الله عليها): «**والعهد قريب، والكلم**[1] **رحيب**»[2]، جاءت العبارة متوزنة، عبَّرت بوساطتها عن الكلم، وهو الجرح، أي كثرة الجراحات التي لم ولن تندمل، فهي عليها السلام أشارت إلى أنَّ موت أبيها صلى الله عليه وآله وجرحها بسبب ذلك لازال قائمًا، وسرعان ما تأتي ضربة آخرى من الأمَّة المنسوبة والمحسوبة عليهم، وهذا الأمر زادها حزنًا إلى حزنها.

أسهمت الموازنة هنا في التوافق بين الكلام الإبداعيّ والنظم؛ نظرًا لما لها من أهميَّةٍ في جعل أجزاء النصِّ متلاحمةً متناسقة، يظهر عليها الانسجام التام، لهذا فهي عنصرٌ مهمٌّ يوائم بين أطراف الكلام بالإجمال والتفصيل، أو بالتكامل، أو بالتَّضاد وغيرها[3]؛ اتَّضح الاعتدال الوزنيّ بين «**العهد قريب**»، و«**الكلم رحيب**»، وهذا إحدث تناسبًا صوتيًّا أضفى على الصورة البليغة تأثيرًا عميقًا؛ ذلك لأنَّ الوزن «أعظم أركان حدِّ الشعر، وأوَّلها به خصوصيَّة»[4]، وهذا كثَّفَ موسيقى النصِّ ودلالته الموحية؛ لما فيه من كشفٍ للحقائق التاريخيَّة، وبيان زيف عقيدة الفئة المدَّعية الإسلام، وقالت المحدِّثة العليمة عليها السلام: «**وأنتم الآلي نخبة الله التي انتخب لدينه، وأنصار رسوله وأهل الإسلام، والخيرة التي اختار لنا أهل البيت، فباديتم العرب، وناهضتم**[5] **الأمم، وكافحتم**

(١) الكَلم: الجَرح، وجمعها كلوم، أي جروح، ظ: العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ: ٤/ ٤٥.
(٢) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٩.
(٣) ظ: المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيِّب: ٢/ ٣٥٧.
(٤) العمدة، لابن رشيق القيروانيّ: ١/ ١٣٤.
(٥) في موضع آخر جاءت بمعنى: وناطحتم الأمم، أي حاربتم، وقارعتم الخصوم والأعداء، =

البُهم[1]»[2]، ظهرت الوحدة الموضوعيَّة بشكلٍ واضحٍ متسلسلِ الأحداث، وهذا أفصح عن رقيٍّ كبيرٍ للسيِّدة فاطمة عليها السلام عن طريق عباراتها المنتظمة المنسجمة مع السياق، وشكَّلت بذلك وحدةً نموذجيَّة موضوعيَّة؛ بسبب الانتظام الوزنيّ في خطبيها بين «**فباديتم العرب**»، و«**ناهضتم الأمم**»، و«**وكافحتم البُهم**»، فهذه العبارة احتوت نغمًا عذبًا سبَّبه التقارب اللفظيّ والتماثل الوزنيّ؛ لأنَّ التوازن هو «وجهٌ من أوجه التكرار»[3]، وهذا النمط التكراريّ رفد النصَّ بتنغيمٍ موسيقيّ فيه لذَّة على الأسماع المرهفة، ويدلُّ على مقدرةٍ وتذوُّقٍ فنِّيّ لأنماط الكلام البليغ، وكيف لا يكون ذلك، وصاحبته سيِّدة في البلاغة والفصاحة، انهازت ألفاظها بالجزالة والتلوين الشعوريّ، والتعبير المبطَّن عن المنى المراد، وجاء خطابها عليها السلام كوسيلة لتذكيرهم وتنبيههم، لعلَّ الذكرى تنفعهم، لكنَّ قلوبهم موصدة عن الحقِّ.

التمس البحث توازنًا آخر في قولها عليها السلام: «**فأنَّى حُرتم**[4] **بعد البيان، وأسررتهم بعد الإعلان، ونكصتم**[5] **بعد الإقدام**»[6]، جاءت الجملة المتوازنة تحمل شحنات ممتلئة بالمشاعر والأحاسيس المشجيَّة، وطفحت الحسرة بصورةٍ جليَّةٍ؛ لأنَّها تملَّكت نفس الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام، فهي وقفت شامخة في محضرٍ للنفوس الضعيفة ممَّن ينتمون ظاهريًّا للإسلام دون باطنهم؛ لذا جاءت الموازنة بين «**فأنَّى حرتم بعد البيان**»، و«**وأسررتهم بعد الإعلان**»، و«**ونكصتم بعد الإقدام**»، وفي هذه الألفاظ مرارة وتهكم من الجماعات

=ظ: الزَّهراء وخطبة فدك، للعلامة الشيخ محمَّد باقر المجلسي:١١٦.

(١) البُهم: الشجعان، وجمعها البُهمة، وتعني: الأبطال، ظ: العين: ١/ ١٦٩

(٢) بلاغات النساء: ١١.

(٣) تشريح النقد، نور ثربفراي: ٣٢٣-٣٢٤.

(٤) حارَ: يَحارُ من الحيرة والتحيُّر في أمرٍ ما، ظ: العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ: ١/ ٣٧٧.

(٥) النكوص: بمعنى الرجوع إلى الخلف، ظ: المصدر نفسه: ٤/ ٢٦٥.

(٦) بلاغات النساء، لابن طيفور: ١١.

البشريَّة حملت بُعدًا إيحائيًّا كشفَ عن الحزن الذي بان على ألفاظها ومعانيها عليها السلام؛ لأنَّها غاضبة على رجال الأمَّة لتراجعهم وتخلُّفهم عن الأهداف العظيمة التي وطَّد وأثبت قواعدها أبوها، رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله، فأرادت تبيان ظلامتها أوَّلًا، ونكوصهم على الأعقاب ثانيًا، وبسبب ذلك قامت بتقريعهم، معرضة للبراهين المقوِّية لحجَّتها؛ وهذا زاد في قوَّة الخطبة ورصانتها، وكأنَّها بنية حيَّة تامَّة في التكوين والمعاني[1].

ووجد البحث توازنًا في قولها عليها السلام: «**ألا وقد أرى أن أخلدتم**[2] **إلى الخفض**[3]، **وركنتم إلى الدّعة**[4]»[5]، جاء التوازن اللفظي بين «**أخلدتم، وركنتم**»؛ إذ منح النصَّ نغمًا موسيقيًّا؛ للتماثل الصوتيّ، وهذا أسهم في نسج معانٍ عميقة أخرجت الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام ما بداخلها من لوعةٍ وألمٍ تجاه الحضور ممَّن وقفوا ضدَّها في استعادة حقِّها، ومخالفة عهد نبيِّها صلى الله عليه وآله، لذا قامت عليها السلام بمحاربة الباطل ومكافحته، والدفاع عن المظلوم، فهي أوَّل الناس ظلمًا، فكانت نهضتها المعروفة مع ما أصابها من ظلمٍ كبير، حتَّى أُستشهدت مكسورة الضِّلع[6] مقهورة (سلام الله عليها).

عمل الفن التوازنيّ على إكساء الكلام أصواتًا نغميَّةً مبيِّنةً ومفصحةً عن تماثلٍ وتلاحمٍ بين أجزاء الكلام، وهذا يدلُّ على تمكُّنٍ بلاغيٍّ كبيرٍ للخطيبة عليها السلام؛ ولما فيه من شدٍّ للمتلقِّي إلى فهمه، والبحث عن مغزاه.

---

(١) خطب سيِّدات البيت العلويّ (عليهنَّ السلام) حتَّى نهاية القرن الأوَّل الهجريّ، زينب عبد الله كاظم الموسويّ: ٨٧-٨٩.

(٢) أخلد إليها: أي ركن إليها. ظ: لسان العرب، لابن منظور: ٤/ ١٧١.

(٣) الخفض: يدلُّ على لين العيش وسعته. ظ: المصدر نفسه: ٤/ ١٥٤-١٥٥.

(٤) الدِّعة: تفيد معنى الخفض في العيش والرخاء، والراحة. ظ: المصدر نفسه: ١٥/ ٢٥٠.

(٥) بلاغات النساء، لابن طيفور: ١١.

(٦) ظ: فاطمة الزَّهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء، الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ: ٨٨.

المطلب الثالث: الجناس

الجناس ظاهرة لافتة وكبيرة في الشعر العربيّ، قديمًا وحديثًا، فقد عرَّفها ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تُجانِس الأخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»[١]، فهو يبيِّن ويكشفُ بين ثناياه جرسًا صوتيًّا يمنح المتلقِّي شعورًا وإحساسًا حسنًا؛ لما له من اتِّفاقٍ صوتيٍّ، ولأنَّ هذا «الاشتراك اللفظي»[٢]، يُعطي أجراسًا نغميَّةً تعمل على إعطاء العبارة قوَّةً وإيحاءً؛ لما تضفيه من إمكانيَّات وقدرات صوتيَّة تُثير وتحثُّ ذهن المخاطَب إلى الإصغاء إليه؛ «لأنَّ اللفظ المشترك إذا حُمل على معنى، ثمَّ جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوُّق إليه»[٣]، ومن ذلك قولها عليها السلام: «**إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة**»[٤]، اتَّضح الجناس الناقص في النصِّ بين (مكنونة، ومصونة، ومقرونة)، وهذا النوع من الجناس يكون بين اللفظَين المتجانسَين، «إن اختلفا في أعدادها سُمِّي ناقصًا»[٥]، وهو سبيل آخر في جعل المعنى قويًّا مع تعزيزه في نفس المخاطب عن طريق إثراء الكلام النثريّ بالإيقاعات الصوتيَّة[٦]، لذلك نجد في هذه الألفاظ المتجانسة نغمًا صوتيًّا واختلافًا في عدد الأحرف، وهذا ولَّد حسًّا موسيقيًّا مرهفًا.

كانت عليها السلام تتحدَّث عن مصير الخلائق والنهاية الحتمية لهم، فالموت آتٍ لا محالة،

(١) البديع، لابن المعتز: ٢٥.
(٢) جرس الألفاظ ودلالتها، ماهر مهدي هلال: ٢٧٩.
(٣) الإتقان، للسيوطيّ: ٣/ ٢٧١.
(٤) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٩.
(٥) التلخيص، للقزوينيّ: ٣٨٩-٣٩٠. ظ: التصوير الفنِّيّ في خطب الإمام عليّ، د. عبَّاس عليّ الفحَّام: ٢٢٢.
(٦) ظ: الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة، د. عبَّاس عليّ الفحَّام: ٢٥٩.

وسوف ينال ويُجازى كلّ ظالمٍ على ما ظلم، بقدرة الله تعالى، فكان كلامها عليها السلام تنبيهًا لهم على غفلتهم وانصرافهم عن الحقِّ، وركوبهم الباطل.

وأكَّدت السيِّدة عليها السلام ذلك في قولها: «**ولا فائدة له في تصويرها، إلَّا تثبيتًا لحكمته، وتنبيهًا على طاعته، وإظهارًا لقدرته، وتعبُّدًا لبريته**»[1]، ظهرت ماهيَّة الجناس الناقص بين (تثبيتًا وتنبيهًا)، فهذا الجناس متساوٍ بعدد الأحرف، ولكن الاختلاف بهيئتها، وهذا النوع من الجناس يُسمَّى محرّفًا؛ لأنَّه يكون بين اللفظَين «إن اختلفا في هيآت الحروف فقط؛ سمِّي محرّفًا»[2]؛ لذا شكَّلت الكلمات المتجانسة دلالةً على القدرة الكبيرة لله عزَّ وجلَّ في تبيان الأشياء، وابتداعها، فضلًا عن قوَّة ألفاظ الخطيبة وجزالتها الكبرى، وعن طريقها جذبت المخاطب إلى التفكُّر والتأمُّل في ظلال التراكيب، وما فيها من معانٍ موحيةٍ ساعدت في خلق موسيقى تنغيميَّة داخليَّة في النصِّ؛ لأنَّها عليها السلام عضَّدتها بوشائج النَّغمة «أن يتساوق الجناس مع سائر ألفاظ النصِّ متلائمًا معهما في موسيقى أجراس الحروف، ومتجاوبًا في تعاطف مع أصداء أبنيتها»[3]، وهذا منح الجملة تأثيرًا كبيرًا.

ومن توظيفاتها (عليها أفضل الصلاة) قائلةً: «**عِلْمًا من الله بمآئل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور**»[4]، تزداد هذه الخطبة العظيمة جمالًا وإيحاءً بوساطة طريقة الرصف لمعانيها وألفاظها، وطريقة اختيارها عليها السلام لهذه الألفاظ دون سواها؛ إذ تزداد موسيقاها مع كلِّ لفظة ترد إلى الذِّهن وتشدُّه إلى معرفة معناها ووظيفتها في السياق النصِّيّ، لذلك ظهر الجناس الناقص بين لفظتَي (الأمور، والدهور)، بقصديَّة مِن القائلة، وفيها دلَّت إلى سلطان الله تعالى، والمعرفة المطلقة الشاملة لكلِّ شيء.

(١) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٩.
(٢) الإيضاح، للقزوينيّ: ٥٣٧.
(٣) أساليب البديع في القرآن، السيِّد جعفر الحسينيّ: ١٨٦.
(٤) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٩، ظ: الزَّهراء وخطبة فدك، الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ: ٤٩.

كما التمس البحث صورة مجانسة في قولها: «**وفيكم العدَّة والعدد**»[1]، وقع الجناس الناقص بين (العدَّة والعدد)، ويسمَّى هذا النوع من الجناس بالمضارع[2]؛ والسبب مجيء الاختلاف في الحرف الأخير، وكونهما على جنسٍ واحد، ومادَّة واحدة[3].

نسجت السيِّدة عليها السلام خيوط إبداعها بوساطة أحاسيسها، وكيف أنَّها لوَّنتها بلون ما تشعر به تجاه الحقِّ المغصوب، فأظهرت حسرة ولوعة ممتزجة بالخيبة من الأمَّة الخاسرة، وبذلك نجحت عليها السلام في إيصال قصدها إلى المتلقِّي أو المخاطب دون ابتذالٍ أو تكلُّفٍ.

ومن مجانستها قائلة: «**لا نبرح نأمركم وتأمرون حتَّى دارت لكم بنا رحا الإسلام**»[4]، بانت المجانسة بين الفعلَين (نأمركم وتأمرون)، وهذا النوع من الجناس يُطلق عليه بالجناس الاشتقاقيّ، وفيه يجتمع المتجانسان في أصلٍ واحدٍ من الاشتقاق[5].

عملت الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام على تجويد ألفاظها وعذوبتها؛ عندما أبعدتها عن التعقيدات المختلفة وثقلها على الأسماع؛ لذا جاء هذا الفن البديعيّ لغرض منح النصِّ إيحاءً وجمالًا، ولأنَّ الجناس نوع من أنواع التكرار التي تزخرف الألفاظ النثريَّة، وتدلُّ بالوقت نفسه على قدرة الخطيبة الكبيرة، وسعة علمها، وهذه ظاهرة ملحوظة على ألفاظها ومعانيها، وبالتالي تُكسِب الكلام إثراءً دلاليًّا وبُعدًا إيحائيًّا.

ووجد البحث جناسًا في قولها: «**وبرهانٌ مُنجلية ظواهره، مديم إلى البريَّة أسماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة**

(١) بلاغات النساء: ١٠.
(٢) ظ: التلخيص، للقزوينيّ: ٣٩١.
(٣) ظ: جنان الجناس، صلاح الدين الصفديّ: ١١.
(٤) بلاغات النساء: ١١.
(٥) ظ: مفتاح العلوم، للسكاكيّ: ٤٣٠.

استماعه»[1]، انكشف الجناس الناقص بين (أسماعه، وأتباعه، واستماعه)، كما أنَّ الانتقال بين مفردَتي (أسماعه وأتباعه) هو انتقالٌ صوتيّ؛ لزيادة حرف التاء، وكان لهذا اللون أثر في توليد المعاني؛ لأنَّ النصَّ الأدبيّ بأسره له أثر في إحداث وتكوين التناغم الموسيقيّ، وهذا يكشف عن براعة الخطيب أو الشاعر، وحذقه في استعمال الألفاظ ذات المعاني الموحية المتعدِّدة المهارة[2]، فالتجاوب الموسيقيّ للكلمات صدر عن طريق تماثل الكلمات بشكلٍ كاملٍ أو حتَّى ناقص، فتُطرب لهذا التماثل الأذن المرهفة، وتهزُّ أوتار القلب، وتؤنِس النفس[3].

وقالت عليها السلام في موضع : «**اللهمَّ أنت أشدُّ قوَّةً وحولًا، وأحدُّ بأسًا وتنكيلًا**»[4]، استعملت الخطيبة الجناس غير التام، وعُنيت به عناية بالغة، وهذا واضح في خطبتيها؛ لأنَّه يمنح النصَّ إيقاعًا دلاليًّا معبِّرًا، وله أثر في بناء الصورة البديعيَّة، فهو يُعرَّف بأنَّه «ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة التي يجب توافرها في الجناس التامِّ، وهي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها»[5]، وله أنواع عدَّة، فالنوع الذي حصل بين (أشدُّ، وأحدُّ)، يُدعى بالجناس اللاحق، «فهو ما أُبدِل من أحد ركنيه حرف بحرف آخر من غير مخرجه، ولا قريب منه»[6]، وهذا التنويع بفنِّ المجانسة له أثر في زيادة النَّغم الصوتيّ وعلوِّه، ومعنى كلامها عليها السلام: أنَّها تشكو إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو صاحب القوَّة المطلقة في كلِّ شيء؛ ولأنَّه سبحانه يمتلك العذاب الأليم والعقوبة والتنكيل على كلِّ ظالم.

---

(١) بلاغات النساء، لابن طيفور: ٩-١٠.
(٢) ظ: الإيقاع المعنويّ في الصورة الشعريَّة، محمود درويش أنموذجًا، داحو اسيا: ٨٢-٨٣.
(٣) ظ: فن الجناس، عليّ الجنديّ: ٢٩.
(٤) الزَّهراء وخطبة فدك، الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ: ١٥١.
(٥) علم البديع، عبد العزيز عتيق: ٢٠٥.
(٦) أنوار الربيع، السيِّد عليّ صدر الدين بن معصوم المدنيّ: ١/ ١٤٠.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج:

١. أوجدت الدراسة أنَّ التكرار في الخطبة الشريفة، دالٌّ على روح إسلاميَّة تبدَّت على نصوص السيِّدة الطاهرة، فجسَّدتها بشكلٍ بليغ ظهر للمخاطَب كوحدة ممتلئة بالمشاعر الحزينة التي مسَّت شغاف القلب، فتأثَّر بها كلُّ من طرقت مسامعه، ولاسيما أنَّ ظلامتها واقعيَّة مريرة، زادتها الحسرة والجزع تأجُّجًا كبيرًا.

٢. ظهرت قدرة الخطيبة اللغويَّة والبلاغيَّة، وذلك في توليدها للمعاني والتفنُّن بها؛ إذ كانت منظَّمة بشكلٍ متناسقٍ متكاملٍ في الصياغة والتعبير.

٣. استعمال الجناس وأنواعه المختلفة، أسهم في عرض مواقف وجدانيَّة ونفسيَّة تملَّكت نَفسَ الزَّهراء (سلام الله عليها)، وهذا التعدُّد في أنواع الجناس تطلَّبتهُ طبيعة الموضوع ومادَّته النثريَّة؛ لأنَّه يحتوي على الخفاء، وهذا الأمر يأخذ المخاطَب من حيِّز الإيضاح إلى حيِّز الاضمار والإخفاء؛ بغية التأثير في المخاطَبين.

٤. كان للنَّغم الصوتيّ أثر في كشف الدلالات؛ وذلك لأنَّ (التكرار والتوازن والجناس) لكلٍّ منهم إيقاعٌ دلاليٌّ أسهم وساعد في تكثيف المعاني بلاغتها.

المصادر والمراجع

١. أساليب البيان في القرآن، السيِّد جعفر السيِّد باقر الحسينيّ، مؤسَّسة بوستان، ط١، ١٣٨٧هـ.

٢. الإتقان في علوم البلاغة، الحافظ جلال أبي بكر الخضيريّ المصريّ الشافعيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلاميَّة، المملكة العربيَّة السعوديَّة.

٣. الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون)، د. عبَّاس عليّ الفحَّام، مكتبة الروضة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب محمَّد بن عبد الرحمن القزوينيّ (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥. الإيقاع المعنويّ في الصورة الشعريَّة، محمود درويش أنموذجًا، داحو أسية، جامعة حسيبة بن عليّ الشلف، ٢٠٠٩م.

٦. البديع، لأبي عبَّاس عبد الله بن المعتزِّ، تقديم وشرح وتحقيق د. محمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧. التصوير الفنِّيّ في خطب الإمام عليّ عليه السلام، د. عبَّاس عليّ الفحَّام، مؤسَّسة الصادق الثقافيَّة، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٨. الزَّهراء وخطبة فدك، شرح الخطبة الفدكيَّة للعلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ، علَّق عليه وأكمله آية الله الشيخ محمَّد تقي شريعتمداری، دار كلستان كوثر، ط١، ٢٠٠٣م.

٩. العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ، حقَّقه وفصَّله وعلَّق حواشيه محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، حقَّقه وعلَّق عليه الشيخ كامل محمَّد عويضة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٢. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيِّب، دار الآثار الإسلاميَّة، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٣. أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف السيِّد عليّ الدين بن معصوم المدنيّ، حقَّقه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٤. بلاغات النساء، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، صحَّحه وشرحه أحمد الألفيّ، مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوَّل، القاهرة، ١٩٠٨م.

١٥. تأويل مُشكل القرآن، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، علَّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٦. تشريح النقد، نورثرب فراي، ترجمة د. محمَّد عصفور، عمَّان، الأردن، ١٤١٢هـ/ ١٩٨١م.

١٧. تلخيص المفتاح، للشيخ محمَّد بن عبد الرحمن القزوينيّ (ت٧٣٩هـ)، مكتبة البشرى، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٨. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.

١٩. جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين الصفديّ، مطبعة الجوائب، ط١، ١٢٩٩هـ.

٢٠. خطب سيِّدات البيت العلويّ (عليهنَّ السلام) حتَّى نهاية القرن الأوَّل الهجريّ، زينب عبد الله كاظم الموسويّ، جامعة الكوفة، كليَّة التربية للبنات، ٢٠٠٨م.

٢١. علم البديع في البلاغة العربيَّة، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيَّة، بيروت، لبنان.

٢٢. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، د. محمَّد أحمد قاسم، د. محيي الدين ديب، المؤسَّسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٣. فاطمة الزَّهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء، الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، مؤسَّسة التبليغ، ط٦، ٢٠٠٣م.

٢٤. فنُّ الجناس، عليّ الجنديّ، دار الفكر العربيّ، ١٩٥٤م.

٢٥. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحه أمين محمَّد عبد الوهاب، محمَّد الصادق العبيديّ، دار التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٦. معجم النقد العربيّ القديم، د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، الأعظميَّة، ط١، ١٩٨٩م.

٢٧. مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمَّد بن عليّ السكاكيّ (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٨. موسيقى الشعر العربيّ، د. شكري محمَّد عيَّاد، دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٨م.

إشكاليَّة تأريخ الأدب العربيّ- مقاربة نقديَّة أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام مثالا

أ.م.د. سامر عبد الكاظم چلَّاب
جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

إنَّ هذهِ القضيّةِ ذات ارتباطٍ عميقٍ بالتراثِ الأدبيِّ سواءٌ كانَ جاهليًّا أم إسلاميًّا من جهةِ ضرورةِ اعتمادها رؤية شموليَّة وإدراكًا واسعًا كاملًا للتراثِ العربيِّ طيلةِ الحقبِ الممتدَّةِ من العصرِ الجاهليِّ حتَّى وقتنا الحاضرِ، ونتيجةً لذلكَ تتحقَّقُ بذلكَ رؤية واقعيَّة صائبة للتراثِ بصورةٍ عامَّةٍ بما يدعمُ الأدبُ الإسلاميُ المعاصرُ. فقدٌ حدَّدَ المؤرِّخونَ تاريخَ الأدبِ كُلًّا بحسبِ رؤيتهِ ومرجعيَّاتهِ الثقافيَّةِ، وأنَّ تاريخَ الأدبِ يُعنى بالآثارِ الفكريَّةِ جميعها، فيذكر أوقاتَ ظهورها، فضلًا عن تقديرِ منازلها، والتي تندرجُ فيها إيضاحُ قواعدها، وكيفيَّةِ تفرُّعها بعضها عن بعضٍ.

ويبدو التفاوت واضحًا بينَ المؤلِّفينَ في المنهجِ في دراسةٍ تاريخُ الأدبِ، فقد تراوحت بينَ العمقِ والشمولِ، فضلًا عن المنهجِ السائدِ التقليديِّ في الدراساتِ الأدبيَّةِ إذ أخذت هذهِ القضيَّةِ مداها في العملِ على اصطناعِ المنهجِ الأفضلِ والأشملِ في الاحتواء أو الوصولِ إلى جميعِ القضايا المتنوِّعةِ في تاريخِ الأدبِ.

فمن الممكنِ أن تكونَ أكثرَ المناهجِ رواجًا في الدراساتِ الأدبيَّةِ حولَ تاريخِ الأدبِ، والتي تتمثَّلُ في أكثرَ من منهجٍ، كانَ في مقدِّمةِ تلكَ المناهجِ، المنهجُ التقليديُّ السَّائدُ في

تناولِ النصوصِ الأدبيَّةَ على غرارِ التقسيمِ الزمنيِّ للعصورِ

أمَّا موقفُ د. البستانيّ، الذي ابتعدَ كثيرًا عن المناهجِ السائدةِ في دراستها لتاريخِ الأدبِ، واختطَّ طريقهُ في كتابةِ تاريخِ الأدبِ في ضوءِ المنهجِ الإسلاميِّ معتمدًا جانبَينِ؛ والذي يعدُّ خطوةً جديدةً ومبتكرةً، قياسًا بسابقيهِ ومعاصريهِ، ففي أحدِ جوانبها يعالجُ قضيَّةَ الأدبِ المنحرفِ، وكيفيَّةُ معالجتهِ، فهوَ لا يتناولُ في كتابهِ سوى الأدبِ السويِّ، ويستدلُّ في انتهاجهِ هذا الجانبِ أنَّهُ يحاولُ المحافظةَ على المتلقِّي أو السامعِ من الأدبِ المنحرفِ، كي لا يؤدِّي بالنتيجةِ إلى انحرافِ المتلقِّي، فهوَ هنا بخلافِ المؤرِّخينَ والنقَّادِ في عنايتهم بفئةٍ دونِ فئةٍ، لكنَّهُ يقفُ قبالَ ما هوَ شاملٌ للمتلقِّي بجميعِ أنماطهِ، ولا يقتصرُ على فئةٍ دونَ أخرى، إذ يراعي ما يؤدِّي إلى التأثيرِ السلبيِّ أو الإيجابيِّ في المتلقِّي، إذ يرى في الكتبِ التي تكتبُ كلَّ القضايا الإيجابيَّةِ والسلبيَّةِ يؤدِّي بالضرورةِ إلى الابتعادِ عن الهدفِ الإسلاميِّ، إذ يرى أنَّ هذا الأدبِ المنحرفِ- من غزلٍ ماجنٍ وغيرهِ- محظورٌ شرعًا، كما يؤكِّدُ على ذلكَ بأنَّهُ لا يسمحُ لكلِّ من اتَّخذَ الاتِّجاهُ الإسلاميُّ أن يكتبَ بحثًا أدبيًّا مليئًا بالظواهرِ السلبيَّةِ التي لا تتماشى معَ التشريعِ الإسلاميِّ.

في إطار الحديث عن قراءة البستانيّ لتأريخ الأدب في حدود أدب فاطمة عليها السلام، نلحظ أنَّه يُعطي أدبها فصلًا مستقلًّا في كتاب تأريخ الأدب، وتحدَّد من طريقَين، هما: الخاص بأدب فاطمة عليها السلام، والعام في أدب زمنها.

تمثُّلات تاريخ الأدب من المنظور النقدي

إنَّ هذهِ القضيةِ ذاتِ ارتباطٍ عميقٍ بالتراثِ الأدبيِّ سواء كانَ جاهليًّا أم إسلاميًّا من جهةِ ضرورةِ اعتمادها رؤيةً شموليَّةً وإدراكًا واسعًا كاملًا للتراثِ العربيِّ طيلةِ الحقبِ الممتدةِ من العصرِ الجاهليِّ حتَّى وقتنا الحاضرِ، ونتيجةً لذلكَ تتحقَّقُ بذلكَ رؤية واقعية صائبة للتراثِ بصورةٍ عامَّةٍ، بما يدعمُ الأدبُ الإسلاميُّ المعاصرُ. فقد حدَّدَ المؤرِّخونَ تاريخَ الأدبِ كُلًّا بحسبِ رؤيتهِ ومرجعيَّاتهِ الثقافيَّةِ، فمنهم من يراهُ بأنَّهُ علمٌ «يبحثَ في تاريخِ الأمَّةِ من حيثُ الأدبُ والعلمُ، فيدخلُ فيهِ النظرُ في ما أظهرَ فيها من الشعراءِ والأدباءِ والحكماءِ وما دونوهُ من ثمارِ قرائحهم ونتاجِ عقولهم في الكتبِ وكيفَ نشأَ كلُ علمٍ وارتقى وتفرَّعَ عملًا سنةَ النشوءِ والارتقاءِ»[1]. فيما يعدُّهُ آخر «بأنَّهُ وصفَ مسلسلًا معَ الزمنِ ما دونَ من الكتبِ، وسجلَ في الصحفِ أو نقشٍ بالأحجارِ تعبيرًا عن عاطفةٍ أو فكرةٍ أو تعليمٍ لعلمٍ أرهن أو تخليدٍ لحادثةٍ أو واقعةٍ فيدخلُ فيهِ ذكرُ من نبغَ من العلماءِ والحكماءِ والمؤلفينَ وبيانِ مشاربهم ومذاهبهم وتقريرِ مكانتهم في الفنِ الذي تعاطوهُ ليظهر من كلِّ ذلكَ تقدُّمُ العلومِ جميعا أو تأخُّرها»[2]، وتاريخَ الأدبِ، بطبيعتهِ، أحدُ فروعِ التاريخِ العامِ، فيتخذُ مسارَينِ في عملهِ، فتارةُ هوَ عملٌ علميٌّ في البحثِ بالتنقيبِ عن الأحداثِ وتحري الوقائعِ وجمعِ الوسائلِ، والكشفُ والإيحاءُ والتمثيلُ والتعليلُ والاستنتاجُ، وتارةٌ أخرى يعملُ كعملٍ أدبيٍ عن معطياتِ العملِ التاريخيِ وحصيلتهِ[3].

(١) تاريخ آداب اللغة العربيَّة، جرجي زيدان، ط٢، ١٩٧٨ م، بيروت: ١/ ١٣.
(٢) تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزيَّات، القاهرة، ١٩٥٢م: ٤.
(٣) ينظر: الفن والأدب، بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبيَّة والفنيَّة: د. ميشال عاصي: ١٢٩.

ممَّا سبقَ يتبينُ لنا أنَّ تاريخَ الأدبِ يعنى بالآثارِ الفكريَّةِ جميعها، فيذكر أوقاتَ ظهورها، فضلًا عن تقديرِ منازلها، والتي تندرجُ فيها إيضاحُ قواعدها وكيفيَّةِ تفرُّعها بعضها عن بعضٍ[1]، وفي الدورِ الفعَّالِ الذي لا يمكنُ غضَ النظرِ عنهُ رؤيةُ طه حسين في مجالِ دراسةِ تاريخِ الأدبِ، «فهوَ يبحثُ في نشأةِ الأدبِ وفي تواريخِ ظهورِ أغراضهِ وفنونهِ واتِّجاههِ ومدارسهِ وفي الظروفِ التي ساعدت على ظهورها، وهوَ يؤرِّخُ للنصوصِ والإعلامِ الذينَ انتهجوها ولصلاتهم بعضهم ببعضٍ وبنتاجهم، ويحاول الوقوفُ على حركةِ سيرِ الاتِّجاهاتِ الأدبيَّةِ في رقيِّها وانحطاطها وتفرعها أو تقلصها»[2]، فإنَّ «تاريخُ الأدبِ هوَ نفسهُ أدب؛ لأنَّهُ يتأثَّرُ بما يتأثَّرُ مأثورٌ الكلامِ عن الذوقِ، وهذهِ المؤثراتُ الفنيَّةُ المختلفةُ»[3].

وفي محاولةِ الوقوفِ على الغرضِ الذي يهدفُ إليهِ تاريخُ الأدبِ، فإنَّ المؤرِّخينَ قد تنوَّعت آرائهم فيما يتَّخذهُ تاريخُ الأدبِ غرضًا لهُ، ولتاريخَ الأدبِ أغراضهُ التي يسمو إليها ويتَّسعُ ليشملَ حركةَ الأدبِ عمومًا في منافذهِ من أنواعهِ، وأغراضهُ، وأصولهُ، فهوَ يتَّسمُ بالعموميَّةِ والشمولِ، إذ يحتوي شتَّى الآثارِ فكرًا علميًّا وفلسفيًّا وإبداعًا فنيًّا.. وأنَّ تاريخَ الأدبِ خلالَ مراحلَ متعاقبةٍ يكشفُ عن إظهارِ الخصائصِ التي يتميَّزُ بها الأدبُ ومدى تأثيرها في الواقعِ التاريخيِّ من خلالِ التفتيشِ عن دوافعها وأساليبها وعواملِ تأثيرها بالواقعِ[4]، فقد وقفَ المؤلِّفونَ العربُ على الأغراضِ التي يودُّونَ تحقيقها من وراءِ دراسةِ تاريخِ الأدبِ، ومن أبرزَ تلكَ الأغراضِ[5]:

(١) ينظر: تاريخ أدب اللغة العربيَّة، جرجي زيدان: ١/ ١٤.
(٢) في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج، د. حسين الواد، ط٣، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣م: ١٠٦.
(٣) في الأدب الجاهلّي، طه حسين: ٣١، ٣٥.
(٤) ينظر: الفن والأدب، د. ميشال عاصي: ١٣١.
(٥) تاريخ الأدب، جرجي زيدان: ١/ ٨.

١. بيانُ منزلةِ العربِ بينَ سائرِ الأممِ الراقيةِ من حيثُ الرقيُّ الاجتماعيُّ والعقليُّ.
٢. تاريخُ ما تقلَّبت عليهِ عقولهم وتراثهم.
٣. تاريخُ كلِّ علمٍ من علومهم على اختلافِ أدواتـهِ وتراجمِ رجالهِ العلمَ والأدبَ.

كما ويذكر جرجي زيدان الغرضِ الأساسِ في اتِّخاذهِ أو تأليفهِ كتابَ تاريخِ الأدبِ تكمنُ في «فائدةُ عمليَّةٍ فضلًا عن الفائدةِ النظريَّةِ، بحيثُ يسهلُ على الطلَّابِ المطالعةِ معرفةَ الكتبِ الموجودةِ ومحلِّ وجودها وموضعُ كلٍّ منها وقيمتهُ بالنسبةِ إلى سواهُ من نوعهِ»[١]. أمَّا الزيَّات فإنَّهُ يذكرُ أكثرَ من غرضٍ لذلكَ، فهوَ يذكرُ في خطةِ الكتابِ «ونحنُ إنَّما كتبناهُ لناشئةِ الأدبِ لا لفحولةٍ»[٢]، فضلًا عن الغرضِ الأهمِّ وهوَ الغرضُ القوميُّ في مشاركتهِ في الحفاظِ على وحدةِ العربِ وعلى مقوِّماتِ شخصيَّتهم وخصائصها، إذ يقولُ: «إنَّ المحافظةَ على اللغةِ وما فيها من ثمارِ العقلِ والقلبِ أحدُ الأساسِ الذي بنى عليها الشعبُ وحدتهُ، ومجدهُ، فخرهُ، فإذا حرمت شعبًا آدابهُ وعلومهُ الجليلةَ الموروثةَ، فقطعت سياقَ تقاليدهِ الأدبيةِ والقوميةِ حرمتهُ خصائصهُ ونظامِ وحدتهِ وقدرتهِ إلى العبوديةِ»[٣]. بينما يذهبُ طه حسين إلى وضعِ غايتَينِ لتاريخِ الأدبِ إحداهما: غايةٌ تعليميَّةٌ، إذ يسهلُ تاريخَ الأدبِ «على طلابِ الأدبِ درسَ الأدبِ والتعمُّقِ فيهِ، دونُ أن يضيعوا من وقتهم الشيءِ الكثيرَ في تحصيلِ أشياءَ لا بدَّ لهم من خلالها دونَ أن يتعمقوا فيها»[٤]، والأخرى: غايةٌ تاريخيَّةٌ صرفةٌ تتمثلُ في بيانٍ «ما اختلفَ على الأدبِ من أطوار وما عملَ فيهِ من مؤثِّراتٍ متباينةٍ تباينَ العصورِ، البيئاتُ»[٥].

(١) تاريخ الأدب، جرجي زيدان: ٩.
(٢) تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزيَّات، القاهرة، ١٩٥٢م: ٢.
(٣) تاريخ الأدب العربيّ: ٢.
(٤) في الأدب الجاهليّ، طه حسين: ٣٢.
(٥) في الأدب الجاهليّ، طه حسين: ٣٢.

كما يقتربُ رأيَ مصطفى صادق الرافعي من غرضٍ الزَّيات، إذ يؤمنُ بأنَّ «تغلُّبَ الأممَ بعضها على بعضٍ لا يتمُّ بتسخيرِ الأفرادِ واسترقاقهم ولا يغلبُ الحكوماتِ وإنَّما يتمُّ الغلبُ باندماجِ المقلوبِ من جنسيةِ الغالبِ أو مذهبهِ استدراجًا لجنسيَّتهِ، ومن أجلِ ذلكَ تجهدُ الأممُ الفاتحةُ والمستعمرةُ في الثأرِ للغتها وآدابها»[1]، ومدى قوَّةِ هذا التفاوتِ بينَ المؤرِّخينَ حولَ الغرضِ من كتابةِ تاريخِ الأدبِ، إلَّا أنَّهُ يمكنُ أن يقتصرَ في حدودِ الموضوعِ الذي يحتملهُ البحثُ ويرومُ منهُ إدراكِ غاياتٍ معمقةٍ، فقد تتعمَّقُ الفوارقُ بينَ رؤيةِ هذا الناقدِ وذلكَ للغاياتِ المتعدِّدةِ لتاريخِ الأدبِ[2]، ويبدو التفاوت واضحًا بيَن المؤلِّفينَ في المنهجِ في دراسةٍ تاريخُ الأدبِ، وفقدٍ تراوحت بينَ العمقِ والشمولِ، فضلًا عن المنهجِ السائدِ التقليديِّ في الدراساتِ الأدبيَّةِ، إذ أخذت هذهِ القضيَّةِ مداها في العملِ على اصطناعِ المنهجِ الأفضلِ والأشملِ في احتواءٍ أو الوصولِ إلى جميعِ القضايا المتنوِّعةِ في تاريخِ الأدبِ، إذ تمثلُ ذلكَ بمجيءٍ «الجدلُ متفاوتًا شديد التفاوتِ عندَ النقَّادِ والمؤلِّفينَ تارةً يصلُ إلى حدِّ الإنحاءِ، وتارةً أخرى إلى حدِّ العنفِ أحيانًا»[3]، فمن الممكنِ أن تكونَ أكثرَ المناهجِ رواجا في الدراساتِ الأدبيَّةِ حولَ تاريخِ الأدبِ والتي تتمثذَلُ في أكثرَ من منهجٍ، كانَ في مقدِّمةِ تلكَ المناهجِ، المنهجُ التقليديُّ السائدُ في تناولِ النصوصِ الأدبيَّةَ على غرارِ التقسيمِ الزمنيِّ للعصورِ، وقد تجسَّدَ ذلكَ عندَ كلٍّ من الزيَّات وجرجي زيدان، في حينِ ابتعدَ كثيرًا عن هذا التقسيمِ التقليديِّ للعصورِ الأستاذَ طه حسين، إذ انتهجَ لهُ منهجًا مغايرًا للمنهجِ السائدِ، فقد اعتمدَ العملُ تقسيمَ تاريخِ الأدبِ بحسبِ المدارسِ الفنيَّةِ في كتابهِ المشهورِ (في الأدبِ الجاهليِّ)، إذ ركَّزَ فيهِ على «عرضُ المنهجِ وبسطِ ما يمكنُ بسطهُ من مذاهبِ البحثِ ومناهجِ التحليلِ الشعريِّ»[4]. في نظرِ طه حسين

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، ط٢، مطبعة الاستقامة بمصر، ١٩٤٠م: ٣/ ٣٣٢.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج، د. حسين الواد: ١١٣.

(٣) في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج، د. حسين الواد: ١٢٨.

(٤) في الأدب الجاهليّ، طه حسين: ٢٥٣.

تقسيمِ تاريخِ الأدبِ إلى مدارسَ أدبيةٍ يسلطُ أضواءهُ على أعمالِ الأدباءِ من خلالِ معرفةِ خصائصِ الأدباءِ الفنيةِ، ويخرجُ من ذلكَ في أنَّ طه حسين يستبعدُ الوقوفُ على منهجٍ في دراسةِ تاريخِ الأدبِ العربي لما يعملُ من قضايا شائكةٍ وآراءِ متنوعةٍ إذ يحتاجُ إلى مناهجَ متطورةٍ تستطيعُ حينها إدراكَ هذا التراثِ الضخمِ[1]، وهناكَ المنهجُ الذي يعتمدُ كلُ الركائزِ التي اتخذها المؤلفينَ في كلا المنهجينِ، وهوَ اعتمادُ تقسيمِ تاريخِ الأدبِ تقومُ على أبحاثٍ وليسَ على العصورِ، إذ يؤرخُ «كلُّ بحثٍ من مبتدئهِ إلى منتهاهُ متقلِّبًا على كلِّ العصورِ سواءُ اتَّسقت أم تفرَّقت»[2]، كما وقفَ الرافعيّ ضدَّ المنهجِ التقليديِّ في تقسيمِ العصورِ، وعدهُ لا يتجاوزُ ظاهرةً نُقِلت عن المستشرقينَ، إذ وصفَ طريقهم بالعقمِ[3]. كانَ هدفُ طه حسين تربويًّا، «إذ يعلِّمُ الطلَّابُ كيفَ يستكشفونَ النصوص وكيفَ يحقِّقونها ويقرؤونها فيفهمونها على وجهها، ويوظفونها إلى مظاهرِ الجمالِ الفنِّي فيها.. ويؤدِّي إلى نتائجَ جليلةٍ للثورةِ الأدبيَّةِ أقربُ منها إلى كلِّ شيءٍ»[4]، وقد واجهت المنهجَ السائدَ كثيرٌ من الاعتراضاتِ لا يحمل من التناقضاتِ في إدراكِ النقادِ عندهم لهذا المنهجِ، إذ يرى بعضُ النقادِ أنَّ «هذا التقسيمِ يؤدِّي إلى أخطاءٍ قادمةٍ في نتائجَ وتحدِّد المنظارُ الذي تقسرُ القارئَ على النظرِ من خلالهِ إلى أدبنا، بل وتحدِّد لهُ مسارًا معيَّنا فلا يرى إلَّا ما كانَ على جوانبَ هذا المسارِ في طريقهِ..»[5]، إذ أخذَ مجموعةً من النقادِ جلَّ اهتمامهِ في إثارةِ هذهِ القضيةِ لا يحقِّقُ ذلكَ من أثرٍ فعَّالٍ في مجالِ الكشفِ عن الحسِّ الإسلاميِّ في حركةِ التراثِ، وعن دعمهِ للإسلاميَّةِ في واقعها المعاصرِ، وذلكَ من خلالِ طريقتَينِ[6]: أحدهما: إقامتها على جذورٍ تاريخيَّةٍ، والأخرى: تعضيدُ منظورها عمليًّا

(١) ينظر: في الأدب الجاهليّ، طه حسين: ٥٥.
(٢) تاريخ أدب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ: ١/ ٢٤.
(٣) ينظر: تاريخ أدب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ: ١/ ١٨.
(٤) في الأدب الجاهليّ، طه حسين: ٦٤، ٦٥، ٢٤٣.
(٥) في الأدب الإسلاميّ المعاصر، دراسة وتطبيق: د. محمَّد حسين بريغش: ٦٩.
(٦) ينظر: المنهج الإسلاميّ في النقد الأدبيّ، د. سيِّد سيِّد عبد الرزاق: ٩٣.

باتِّخاذِ المادَّةِ التراثيَّةِ ميدانًا لتمريرِهِ التطبيقيِّ ممَّا يؤدي بالنتيجةِ إلى إعطائهِ قوَّةً ومتانةً كما أنَّها تشاركُ في تهدمِ كثيرٍ من المفاهيمِ السلبيَّةِ المتعارفةِ عليها في التراثِ الأدبيِّ، وتصحيحِ كثيرٍ من الحقائقِ في ميدانِ الدراساتِ الأدبيَّةِ. وثمَّةَ آراءٌ متنوعةٌ للنقَّادِ الإسلاميِّينَ حولَ هذهِ القضيةِ، فمنهم مَن صبَّ اللومِ على المنهجِ السائدِ التقليديِّ لدى المؤرِّخينَ، إذ نعت تقسيمَ العصورِ بالتعسفيِّ الذي «يؤكِّدَ ما حدثَ من انفصالهِ بينَ الدنيا والأدبِ، ويؤكدُ ارتباطهُ بالسياسةِ والمذهبيَّةِ والعنصريَّةِ»[1]، أمَّا عندَ الناقدِ الإسلاميِّ د. عماد الدين خليل، فقد اقتصرَ على إشارةٍ عابرةٍ عندَ هذهِ القضيةِ في كتابهِ (مدخل إلى نظريةِ الأدبِ الإسلاميِّ)[2]. فضلًا عن ذلكَ فإنَّ هناكَ طائفةٌ من الاعتراضاتِ حولَ هذا المنهجِ في نظرِ النقَّادِ ممَّا يتخذُ الاتِّجاهُ الإسلاميُّ نمطًا في التعاملِ معَ التاريخِ الأدبيِّ، وهيَ:

أوَّلًا: إنَّ إخضاعَ الدراسةِ التاريخيَّةِ لـلأدبِ إلى التقسيماتِ السابقةِ، تجعلها ترتبطُ بأمورٍ سياسيَّةٍ وحركاتٍ مذهبيَّةٍ وفكريَّةٍ تجعلُ الذينَ وضعوا هذهِ التقسيماتِ يطبعونَ الحياةُ كلَّها بطابعها لحملوا الآدابِ ما لم يكن يحملُ في الحقيقةِ، آنـذاكَ، وهـذا يقدِّمُ الفلسفاتِ الحديثةَ التي تهـدفُ إلى ربـطِ الأدبِ بالمصالحِ الماديَّةِ وإلى تقسيمِ ولاءاتِ الناسِ وارتباطاتهم ببعضِ بحسبِ المـادَّةِ أو الجنسِ كالقوميَّةِ والوطنيَّةِ[3].

ثانيًا: هذهِ التقسيماتِ تتجاهلُ إلى حدٍّ كبيرٍ أثرِ الإسلامِ في الحياةِ عامَّةً، والأدبُ خاصةٌ ومدى ارتباطِ المسلمينَ بشرعِ الله في تلكَ العصورِ ومدى التزامهم بالتطبيقِ والمتخلقِ بأخلاقهِ، وتنفي خضوعَ الأدباءِ خاصَّةٌ، والحكامُ وبقيَّةِ الناسِ بشكلٍ عامٍ لمنهجِ الله، وكأنَّما تريد أن نقولَ للناسِ إنَّ المؤثَّراتِ الحقيقيَّةَ التي شاركت في إنتاجِ هذا

(١) نحو آفاق شعر الإسلاميّ معاصر: ٩٤.
(٢) ينظر: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلاميّ، د. عماد الدين خليل: ١٢٣.
(٣) ينظر: في الأدب الإسلاميّ المعاصر، دراسة وتطبيق: د. محمَّد حسين بريغش: ٧٠.

الأدبِ هيَ المؤثِّراتُ المادَّةُ والمنفعةُ أو العصبيَّةِ العشائريَّةِ أو الولاءِ للوطنِ.. وإنَّ أيَ واقعٍ غيرِ هذا لم يكن لهُ تأثيرٌ يذكرُ فهمٌ يرفضونَ أيُ واقعِ بعيدا عن واقعِ العقيدةِ وهكذا فالمدح والهجاءُ والرثاءُ وكلُ ذلكَ مرتبطٌ بالمصالحةِ المتمثلةِ في الحكمِ أو الطبقةُ وغيرَ ذلكَ من الأشكالِ[1].

ثالثًا: ينبغي أن لا ننسبُ ارتباطُ هذهِ التقسيماتِ بدراسةِ المستشرقينَ والمبشرينَ الذينَ كانت لهم غاياتهم وأهدافهم البعيدةِ في دراسةِ التاريخِ الإسلاميِّ والأدبِ العربيِّ والذي هوَ وليد هذا التاريخِ وتأثيرِ ذلكَ على المجتمعِ المعاصرِ ولا سيما المتعلمونَ عن الأجيالِ المتعاقبةِ وأنَ لهم أملًا يسعونَ إليهِ وهوَ إبعادُ المسلمينَ عن دينهم وذلكَ بطريقةِ المؤثراتِ المختلفةِ بعدَ إقناعهم بأنَّ الإسلامَ كغيرهِ من الدياناتِ التي عرفتها البشريَّةُ والفلسفاتُ التي اصطنعها الناسُ، وأرادوا أيضًا أن يدرسوا بعيدًا عن العقيدةِ وبعيدًا عن المجتمعِ الإسلاميِّ كأنَّما الدينُ يتمثلُ في طبقةٍ معينةٍ ولها عالمها ونتاجها بينما كانَ المجتمعُ والأدبُ من ضمنهُ وفي جانبٍ آخرَ، وهذا مأخوذٌ من تطوراتٍ الغربيِّينَ الماديِّينَ والكنيسةِ عندهم وأرادوا أن ينقلوها بلطفٍ وفي أثوابِ العلمِ والدراساتِ الموضوعيَّةِ إليها[2].

رابعًا: ومن مظاهرَ هذهِ الدراساتِ والمنهجِ المتَّبعِ فيها أنَّها كانت تتبعُ النقاطُ الضعيفةُ والنماذجُ الشاذةُ والانحرافاتُ الفرديةُ لتجعلَ منها كيانًا وتتَّخذها معلمًا على العصرِ كلِّهِ، ويرى أنَّ هذا المنهجِ لتقسيمِ تراثنا العربيِّ يعدُّ في ظاهرةِ منطقيٍ القبولِ لدى الدارسينَ لأنَّهُ اتَّخذَ المسارُ الزمنيُ وراعى تغيرات الدولِ لكنَّهُ غيرُ صحيحٍ عن حقيقتهِ؛ لأنَّ صبغَ الأدباءِ بأصباغٍ ليست أصليةً أبرزت للعصرِ مميِّزاتٍ لا تنسحبُ على العصرِ كلهِ، أرادوا منها أن ينأوا في نتاجهم عن تأثيرِ الإسلامِ أو إظهارِ تعاملٍ ثانويٍ ولقد حققوا من أغراضهم على الرغمِ مما يبدي بعضٌ من الحماسِ للتراثِ أو يقولونَ من

(١) ينظر: في الأدب الإسلاميّ المعاصر: ٧١.

(٢) ينظر: في الأدب الإسلاميّ المعاصر: ٧١-٧٢.

حججٍ[1]، فكانَ المقترحُ الذي ودِ النقادِ لو يكونُ بديلاً لكلِّ ما هوَ موجودًا في الساحةِ الأدبيَّةِ من مناهجَ في دراسةِ الأدبِ.

منجز السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بوصفه تراثًا أدبيًّا

سنقف عند أحد الأقلام النقديَّة والمتمثِّلة بالدكتور محمود البستانيّ[2]، والذي جعل من التراث علامة فارقة في منجزه، وبالتحديد أدب أهل البيت عليهم السلام، إذ يتبنَّى موقفًا نقديًّا وأيديولوجيًّا في أن يغيِّر مسار تاريخ الأدب العربيّ في حدود مسار تراث أهل البيت عليهم السلام منطلقًا من بُعد إسلاميّ يبرز فيه هويَّته الأقرب للواقع العربيّ، الهويَّة الإسلاميَّة، قُبَال الهويَّات الأخرى للغرب.

منطلقًا من مبدأ أنَّ التفصيل والتعمُّق يكتسبان أهميَّتهما عندما يحقِّقان القيم الخيرَة، وتصبح لا جدوى منهما عندما تبرز القيم الشريرة بل تصبح نصوصًا حاملة للطاقة السلبيَّة من المنظور الإسلاميّ (الإنسانيّ) بوصف أنَّ كلَّ أنسانيّ ينتسب بالضرورة إلى إسلاميّ، ما دام يجسِّد خاتمة المبادئ التي صاغتها السماء للكائن الآدميّ[3].

المقاربة النقديَّة التي تبنَّاها البستانيّ تدعو إلى تجنُّب المزالق التي وقع فيها المؤرِّخون لتأريخ الأدب، وأبرزها هو التعمُّق في الأدب الخاص بالخمر والجنس، فضلًا عن الأدب الزائف (مدح الملوك والوزراء)، والأدب المنحرف (الهجاء

(١) ينظر: في الأدب الإسلاميّ المعاصر: ٧٢-٧٣.

(٢) محمود البستانيّ ابن الحاج عبد الحسين أبو الريحة أبن الحاج أحمد المعروف بالبستانيّ. ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، درس بمدارسها الرسميَّة، ثمَّ تخرَّج من كليَّة الفقه بعدها سافر إلى القاهرة، وحصل على الماجستير سنة ١٩٧٠م، والدكتوراه سنة ١٩٧٣م. توفِّي الدكتور البستانيّ يوم الأثنين ٩ربيع الثاني ١٤٣٢هـ/ ١٥ آذار ٢٠١١م، وشيِّع جثمانه يوم الأربعاء. ونقل إلى العراق. ينظر: تاريخ القزوينيّ: ٢٨، ٣١، ٤١، وإطلالة على السيرة والفكر، الشيخ علي العابدي، مجلة البرهان،ع١٦و١٧: ٣١٧-٣٢١.

(٣) ينظر: تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٥-٦.

الـذاتيّ)، واضعًا بعين الاعتبار لإبـراز القيم الخيريَّة التي تنهل من أدب الشريعة الإسلاميَّة[1].

تمحور اشتغال البستانيّ لمقاربة التراث في إعادة خارطة المسار البحثيّ عن طريق إضاءة التراث المغيَّب، حسب رأيه، في مجال البحثيّ التراثيّ، وتدوير الهامش إلى المركز، بوصف أدب القرآن وأهل البيت عليهم السلام يعدُّ جزءًا من التراث، لكن رأي البستانيّ النابع من أيدلوجيَّته الإسلاميَّة في عدِّ الإسلام هو مَن يقود الحياة وأدب الشريعة الإسلاميَّة السمحاء هي الفضاء الرحب الذي يحقِّق الأهداف السامية للإنسانية جمعاء، لذا يرى أنَّ تأريخ الأدب يجب أن يعاد تصنيفه وتقسيمه في ضوء حياة الأئمَّة عليهم السلام، فكان نصيب أدب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أن تكون جزءًا مشتركًا من حياة الإمام عليّ عليه السلام، فجاءت مقاربة هذا التراث، أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام، في محل مدار البحث عن طريق البعد الفكريّ والبعد الفنِّيّ، بوصف النصوص الخاصَّة بأدب أهل البيت عليهم السلام تنماز بالكمال الفنِّيّ، فضلًا عن ذلك تجاهل الأقلام النقديَّة والأدبيَّة مقاربة منجزهم الإبداعيّ في تأريخ الأدب، لذا جاءت مقاربته من أجل إظهار هذا الأدب السَّويّ[2].

وإذا رجعنا إلى تاريخِ الأدبِ عندهُ فإنَّهُ لا يولي اهتمامهُ بموضوعِ تعريفِ تاريخِ الأدبِ، ولكن يصبُّ اهتمامهُ بنوعِ الدراسةِ أو نمطِ تلكَ الدراسةِ، وما يجبُ أن تكونَ عليهِ تلكَ المادةِ في تاريخِ الأدبِ، فتاريخُ الأدبِ، حسبَ رأيهِ، عملٌ أدبيٌّ في حدِّ ذاتهِ أنَّهُ يستحيلُ «أن يؤرِّخَ الأدبُ غيرُ الأديبِ»[3]

فالغايةُ وردت واضحةً جليَّةً بيِّنةً في عملِ د. البستانيّ الاحتكامِ إلى العقلِ ونبذِ الهوى والتحلِّي بروحِ العلمِ، وردت صريحةً بيِّنةً في أحدى كتابه (تاريخُ الأدبِ في ضوءِ المنهجِ الإسلاميِّ).

(١) ينظر: تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٦.
(٢) ينظر: تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٥-٦.
(٣) في الأدب الجاهليّ، طه حسين، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م: ١٣٤.

ويمكنَ عدُّ كتابِ (تاريخُ الأدبِ في ضوءِ المنهجِ الإسلاميِّ) للبستانيّ محاولةً لوضعِ تصوُّرٍ تطبيقيٍّ يحكمُ بهِ تاريخُ الأدبِ في قراءتهِ للأدبِ بصورةٍ عامَّةٍ، وقد جاءَ عملهُ هذا بعدَ أن عرضَ آرائهِ من قبلُ على أنَّها محاولةٌ تقومُ أساسًا على مقاربةِ النصوصِ الإيجابيَّةِ دونَ النصوصِ المنحرفةِ، والذي يمتازُ بهِ كتابهُ؛ أنَّهُ جاءَ معتمدًا خطَّةً محكمةً تحملُ تصورًا حولَ الأدبِ، إذ سعى إلى تحقيقِ تلكَ الرؤية بمختلفِ الوسائلِ المنهجيَّةِ التي اعتمدها من خلالِ اتِّجاهينِ، هما الاتِّجاهُ الفكريُّ والاتِّجاهُ الفنيُّ، فجاءت بنيةُ الكتابِ واضحةً ومتكاملةً يقدِّمُ المؤلفُ فيها مشروعهُ لقراءةِ الواقعِ الأدبيِّ، فالاتِّجاهُ الفكريُّ: فيصفهُ هوَ الجهازُ القيميُّ الذي تبنى عليهِ المجتمعاتُ سواءٌ كانت ذاتَ كيانٍ سياسيٍّ كـ(الدولةِ) أو كيانٍ عامٍ كـ(الأمَّةِ)، حينئذٍ يشكِّلُ مسوِّغًا لهُ مشروعهِ الذي لا يضارعها أيَّةَ تقسيماتٍ أخرى ما دامت جميعُ المؤسَّساتِ والنظمِ الاجتماعيَّةِ تخضعُ للجهدِ الفكريِّ الذي يحدِّدُ هويَّتها، والاتِّجاهُ الفنيُّ: فيعرض مشروعيَّتهُ أساسًا ما دامَ التغييرُ الذي يطرأُ عليهِ يحسبُ أثرهُ على الفنِ سواءُ أكانَ الفنُ أدبًا أم غيرهُ من الأشكالِ الثقافيَّةِ لكنَ الفنَّ لا يمكنُ أن تتحدَّدَ سماتهُ إلَّا من خلالِ الزمنِ، وما دامَ الزمنُ يخضعُ للبعدِ الفكريِّ حينئذٍ فإنَّ تحديدًا بهذا العصرِ الأيدولوجيِّ أو ذاكَ يظلُّ حقيقةً لا مفرَ منها، وهذا يعني أنَّ التقسيمَ الأيدولوجيَّ لعصورِ الأدبِ وغيرهِ هوَ المعيارُ الأكثرُ مشروعيَّةً من غيرهِ[1].

وفي اطار الحديث عن قراءة البستانيّ لتأريخ الأدب في حدود أدب فاطمة عليها السلام، نلحظ أنَّه يعطي أدبها فصلًا مستقلًّا مع أدب الإمام عليّ عليه السلام في كتاب تأريخ الأدب وتحدّد من طريقين هما: الخاص بأدب فاطمة عليها السلام، والعام أدب قيل في زمنها. بوصف أدب السيِّدة الزَّهراء جاء في مرحلة منسجمًا ومتماسكًا مع أدب الإمام عليّ عليه السلام من حيث الصراعات الاجتماعيَّة والفكريَّة والسياسيَّة، بما تتَّصف بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من

(١) ينظر: نقد وتقويم من زاوية أدب الثقلين (كتاب تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ، مجلَّة رسالة الثقلين، السنة الأولى، محرَّم- ربيع الأوَّل، ١٩٩٢: ٢٠٢-٢٠٣.

مكانة أسريَّة، زوجة، بنت النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله. وفي نظرِ د. البستانيّ فإنَّهُ يتناولُ النصوصَ الأدبيَّةَ فيؤرِّخُ لها ولكنَّهُ يوسِّعُ ميدانَ بحثهِ ويتناولُ أشياءَ قد لا يستطيعُ أن يتناولها من يعنى بالأدبِ من حيثُ هوَ أدبٌ في تفصيلٍ وإسهابٍ، كما في تناولهِ أدبَ القرآنِ الكريمِ، وأدبَ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وأدبَ أهل البيت عليهم السلام، إذ يصبُّ جلُ اهتمامهِ على هذا الأدبِ دونَ غيرهِ من ذكرِ الأدبِ المنحرفِ في محاولةِ نقدهِ وتقويمهِ.

تناول في حدود أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام نماذج من خطب السيِّدة الزَّهراء مع الإشارة إلى أهميَّة السياق الذي نشأت فيها الخطبَتين، إذ شكَّل علامة مضيئة للقارئ، وتمثَّل السياق بثلاثة وسائل؛ الأولى الإشارة إلى عمرها الشريف، والذي حدِّد ١٨ سنة، والثانية دورها الذي تقوم به إلى جانب عملها بالبيت، إلَّا أنَّها أخذت على عاتقها إرشاد العنصر النسويّ في المجتمع، والإجابة عن أسئلتهنَّ التي تدور في حياة العنصر النسويّ، وثالثة أنَّها لم تقف عند إرشاد العنصر النسويّ، بل أخذت على عاتقها تقديم خطبة في المهاجرين والأنصار، وتلك الوسائل الثلاثة تسهم بنحوٍ ما إلى الإشارة إلى القيمة الوظيفيَّة التي تقوم بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وعدم الاعتكاف في إطار حدود البيت، فضلًا عن ذلك تؤلِّف هذه الوسائل إلى صورة إيجابيَّة عن دور المرأة في المجتمع الإسلاميّ. وفيها بعدًا يشير إلى حركة المرأة في بواكير عملها في ظلِّ مجتمع ذكوريّ مغمور بالقبليَّة وشيخ العشيرة وسلطة الرجل، في حين السيِّدة الزَّهراء أصبحت علامة فارقة في الوسط القبائليّ، فضلًا عن المكانيّ، أعطاها أبعاد خارج الخطبَتَين شكَّلت فضاءً ثقافيًّا يسهم في رفع قيمة النصِّ، أبرز تلك الأبعاد البعد الزمنيّ والبعد المكانيّ، وأبعاد الشخصيَّة.

أمَّا الجانب الفنِّيّ لخطبتي الزَّهراء عليها السلام، فقد قاربها فنيًّا عن طريق مجموعة من العناصر التي يعدّها ضروريَّة في مقاربة أيّ نصٍّ أدبيّ، وهم العنصر الصوريّ، والشكليّ، والبنائيّ، والإيقاعيّ.

أمثلة على سرد مجموعة من متواليات من العنصر الصوريّ في خطبتها عليها السلام (عائفة، قالية، لفظتهم، عجمتهم، شنأتهم، سبرتهم، قرع الصفاة، صدع القناة، تطفح اللائمة، وزالوا ضفتاه).

من قولها المبارك في خطبتها: «**أصبحث والله عائفة لدنياكنَّ، قالية لرجالكنَّ، لفظتهم بعد أن أعجمتم، وشنأتهم بعد أن سبرتم، فقبحًا لأفون الرأي، وخطل القول، واللعب بعد الجدِّ، وقرع الصفاة، وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء.. وتالله لو مالوا عن الحجَّة اللائمة، وزالوا عن قبول الحجَّة الواضحة**»[1]. فالصور جاءت مألوفة جدًّا، محتشدة بعنصر الطرافة والعمق والتنوُّع، متجانسة بذلك مع المعطيات التي تستهدفها عليها السلام بأن توضِّح مستوياتها للقارئ.

إمَّا ما يتَّصل بالعنصر الإيقاعيّ واللفظيّ، فإنَّ السمات الفنيَّة تأتي منسجمة مع العناصر الأخرى، فالعبارات في غالبيَّة الخطب تمضي مقفاة، من حيث القرار، ومتوازنة من حيث الجمل، ومتجانسة من حيث الأصوات، فضلًا عن ذلك تخضع من حيث تكثيف الإيقاع أو تقليله أو عدمه إلى طبيعة السياق الذي يفرضه هذا التكثيف أو التقليل أو العدم.

ويرى البستانيّ أنَّ هذا الطابع الفنِّيّ في أدب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّها لا تعنى بالأداة الفنيَّة بما هي مجرَّد أداة، بل يوظِّفها من أجل الموضوع، ممَّا يجعل نتاجها ذا طبيعة خاصَّة ومتفرِّدة[2].

وفي حدود الأدب العام، يلتمس عدم وجود تغيير يُذكَر، بل هو امتداد طبيعيّ للأدب السابق ضمن أدب الإمام عليّ عليه السلام بوصف أنَّ المدَّة الأدبيَّة في تأريخ الأدب شهدت صراعًا ومعارك ألقت بظلالها على الفنون الأدبيَّة.

---

(١) المجالس السنية: ٢/ ٨٨-٩٤.

(٢) ينظر: تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢٦٢.

إمَّا الأدب العام الذي جاء في زمنها، فقد أشار البستانيّ بأنَّه أدب لم يتغيَّر عن العصر الذي سبقه، بل هم امتداد طبيعيّ له ضمن أدب الإمام عليّ عليه السلام وما شهده من صراعات ومعارك ألقت بظلالها على الفنون الأدبيَّة، والتي تجسَّدت بالفنون الآتية (الشعر، الرسالة، الخطبة، الخاطرة)، إلى جانب ذلك فإنَّ مقاربة الأدب العام جاء لبيان الأثر الفكريّ والفنِّيّ إلى جانب أثر انعكاس أدب القرآن وأدب الرسول وأدب الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «نتقدَّم إلى عرض هذا الأدب من حيث طوابعه الفكريَّة انعكاسات العصر عليه، ثمَّ من حيث طوابعه الفنيَّة، ثمَّ من جانب ثالث ملاحظة انعكاساته أدب القرآن الكريم والنبيّ الكريم وعليّ عليه السلام على النتاج الأدبيّ»[1].

حرص البستانيّ في مقاربة المرتكز الثاني المتمثِّل الأدب العام على تقفِّي أثر المرتكز الأوَّل (أدب الخاص للأمام المعصوم)، وبقوله: «نجد أنَّ القرآن الكريم وخطب الرسول صلى الله عليه وآله وأحاديثه، وخطب الإمام عليّ ووسائله وأحاديثه تظلُّ مادَّة أدبيَّة وفكريَّة يتوكَّأ عليها هؤلاء الأصحاب»[2].

ومن جانب آخر وضع البستانيّ نوع التأثير وأسبقيَّة التطوُّر الفنِّيّ فيها إلَّا في حدود ضيِّقة بقوله: «أمكنا الذهاب إلى أنَّ إنتاج هذه الفترة قد تضمُّ، كما أشرنا، حجمًا، ولكنَّه لم يتطوَّر فنيًّا بالنحو الملحوظ إلَّا في صعيدٍ جزئيّ من عناصر الفنِّ دون أن نسحب على ما هو كلِّيّ أو عام فيه، من حيث البناء أو اللغة فنية»[3].

نلحظ من طريق هذا النصّ أنَّه لم يترك النصوص وقيمتها الفنيَّة، بل قاربها وأبدى رأيه فيها، فالأدب العام لا يصل بالدرجة نفسها من القيمة الفنيَّة للأدب الخاصِّ (المعصوم)، فضلًا عن ذلك استظهر في الأدب العام بعض صفاته عن طريق ظهور أشكال فنية مغيبة في عصور سابقة بوصف أدب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام متلازم مع أدب

(١) تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢٦٤.
(٢) تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢٦٣.
(٣) تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢٦٣.

الإمام عليّ عليه السلام، فالأدب الذي ظهر لا ينسلخ عن الواقع الاجتماعيّ وتمظهراته وما واكبه من أحداث سياسيَّة وفكريَّة، وأبرزها حادثة السقيفة والفتوحات العسكريَّة والمعارك التي خاضها الامام عليّ عليه السلام ممَّا أدَّى إلى ظهور أدب يتَّسم بالاحتجاج والاستدلال، يُطلَق عليه أدب الاستدلال والاحتجاج، بقوله: «وأمَّا استتلاء هذه الأحداث لبروز النشاط الجديد فتمثَّل، بصورة رئيسة، في ولادة أدب يمكن تسميته (أدب الاستدلال) أو (الاحتجاج)، حيث إنَّ الوقائع التي رافقت حياه الإمام عليه السلام في اعتزاله أزمنة خاصَّة، ثمَّ دخوله ميدان العمل الرسميّ، وما واكب ذلك من معارك عسكريَّة وإعلاميذَة (في الداخل)، استتلت ميلاد أدب ينتصر لعليّ عليه السلام من جانب، ويحتجُّ على الأطراف الأخرى من جانب آخر»[1].

فضلًا عن ذلك استبعد ظهور أدب يرعى أبعاد أخرى خارج مناخ الاحتجاج بقوله: «لا نتوقَّع أن يبرز أي أدب عابث، مثل أدب الخمر والجني واللهو بقدر ما يتمخَّض الأدب لأحداث العصر»[2].

بهذا النص نجد أنَّ مقاربة التراث جاءت في ضوء الموضوعيَّة وبعدها الاجتماعيّ، فضلًا عن ذلك، هناك خيطًا رابطًا يحاول البستانيّ تحقيقيه يتمثَّل في بثِّ النصوص الإيجابيَّة التي ينطلق منها، وأثرها في المتلقِّي، فضلًا عن ذلك إعطاء البعد الواقعيّ أثره في نشوء فنون الأدب، وأنَّ الأدب مرتبط ثقافيًّا اجتماعيًّا في المناخ الذي ينشأ منه معزِّز ذلك بقوله: «نتقدَّم إلى عرض هذا الأدب، من حيث طوابعه الفرديَّة وانعكاسات العصر عليه، ثمَّ طوابعه الفنيَّة، ثمَّ من جانب ثالث ملاحظة انعكاسات أدب القرآن والنبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام على النتاج الأدبيّ»[3].

أمَّا موقفُ د. البستانيّ «والذي ابتعدَ كثيرا عن المناهجِ السائدةِ في دراستها لتاريخِ

(١) تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢٦٤
(٢) تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ:٢٦٤.
(٣) تأريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢٦٤.

الأدبِ واختطَّ طريقهُ معتمدًا جانبَينِ؛ والذي يعدُّ خطوةً جديدةً ومبتكرةً، قياسًا بسابقيهِ ومعاصريهِ، ففي أحدِ جوانبها يعالجُ قضيّةَ الأدبِ المنحرفِ وكيفيَّةُ معالجتهِ فهوَ لا يتناولُ في كتابهِ سوى الأدبِ السويِ، ويستدلُّ في انتهاجهِ هذا الجانبِ أنَّهُ يحاولُ المحافظةَ على المتلقِّي أو السامعِ من الأدبِ المنحرفِ، كي لا يؤدِّي بالنتيجةِ إلى انحرافِ المتلقِّي، فهوَ هنا بخلافِ المؤرِّخينَ والنقَّادِ في عنايتهم بفئةٍ دونِ فئةٍ لكنَّهُ يقفُ قبالَ ما هوَ شاملٌ للمتلقِّي بجميعِ أنماطهِ، ولا يقتصرُ على فئةٍ دونَ أخرى، إذ يراعي ما يؤدِّي إلى التأثيرِ السلبيِّ أو الإيجابيِّ في المتلقِّي، إذ يرى في الكتبِ التي تكتبُ كلَّ القضايا الإيجابيَّةِ والسلبيَّةِ يؤدِّي بالضرورةِ إلى الابتعادِ عن الهدفِ الإسلاميِّ، إذ يرى أنَّ هذا الأدبِ المنحرفِ، من غزلٍ ماجنٍ وغيرهِ، فهوَ محظورٌ شرعًا، كما يؤكِّدُ على ذلكَ بأنَّهُ لا يسمحُ لكلٍ من اتَّخذَ الاتِّجاهُ الإسلاميُّ أن يكتبَ بحثًا أدبيًّا مليئًا بالظواهرِ السلبيَّةِ التي لا تتماشى معَ التشريعِ الإسلاميِّ[1]. أمَّا الآخرُ: فهوَ جانبٌ يتناولُ فيهِ تقسيمهُ الذي انفردَ بهِ من خلالِ معارضتهِ التقسيمَ السياسيَّ الذي دأبَ عليهِ المؤرِّخونَ، ففي خضمِّ الاعتراضاتِ حولَ تقسيمِ الأدبِ على وفقِ الموقفِ السياسيِّ الذي ظهرَ حديثًا في العصرِ الحاليِّ، فإنَّ البستانيّ يمثِّل جانبًا من هذهِ الاعتراضاتِ التي وجدَ النقَّادُ أنَّ أفضلَ تقسيمًا هوَ تقسيمُ النصِّ الأدبيِّ إلى مسائلَ فنيَّةٍ صرفةٍ. أيُ الأشكالِ الأدبيَّةِ وتطوُّرها والأساليبِ الأدبيَّةِ، وليسَ من خلالِ العصورِ، ومن خلالِ ذلكَ أخذُ بنظرِ الاعتبارِ هذا التقسيمِ أنَّهُ لا يأتلفُ معَ طبيعةِ الأدبِ كفن، ثمَّ لا تأتلفُ معَ تصوّرنا الإسلاميِّ، وهوَ السببُ الذي يعتمدُ مرجعيَّتُهُ التي ينتسبُ إليها إذ يرى بوصفهِ إسلاميًّا ينسبُ إلى طائفةٍ، وحينئذٍ ينبغي أن نأخذَ بنظرِ الاعتبارِ أنَّ العصورَ في الواقعِ هيَ عصورُ المعصومينَ عليهم السلام لذلكَ وجدنا أنَّ تقسيمَ الأدبِ يتناسبُ معَ تاريخِ الأدبِ[2]. وإنَّ التقسيمَ الذي اتَّخذَ توجُّهًا جديدًا على أساسِ الارتباطِ بوظيفةِ الكلمةِ في كلِّ عصرٍ على

(١) ينظر: محمود البستانيّ مفكِّرًا إسلاميًّا: ١٦٧-١٦٨.

(٢) ينظر: محمود البستانيّ مفكِّرًا إسلاميًّا: ١٦٩.

أن تكونَ المقاييسُ الإسلاميَّةُ هيَ التي تحكمُ هذا التحديدِ الوظيفيِّ في كلِّ عصرٍ، معَ الأخذِ بالحسبانِ القيمةَ الفكريَّةَ والتأثُّرَ العاطفيَّ، فضلًا عن التطوُّرِ الحضاريِّ ومواكبةُ الشخصيَّةِ الإسلاميَّةِ لثقافةِ العصرِ. وتنطلقَ الحاجةُ إلى تاريخِ الأدبِ في ضوءِ المنهجِ الإسلاميِّ في نظرهِ من خلالِ العملِ على منهجٍ بعيدٍ عن المناهجِ السائدةِ المتَّبعةِ وأنَّ العملِ الذي يقومُ بهِ في متنِ هذا الكتابِ يكمنُ في أنَّهُ «يؤرِّخَ الأدبُ من خلالِ نماذجهِ الإيجابيَّةِ في مختلفِ عصورهِ، إذ إنَّ أغلبَ الدراساتِ المؤرِّخةِ للأدبِ لم تعنِ إلَّا بما هوَ منحرفٌ أو تحاولُ تشويهَ الأسماءِ النظيفةِ لأغراضٍ فكريَّةٍ منحرفةٍ، فضلًا تخضعُ النصَّ الأدبيَّ للتصنيفِ التاريخيِّ المرتبطِ بالمؤسَّساتِ المنحرفةِ»[1].

تنبعَ أهميَّةَ أيضًا من كونهِ يحاولُ إخضاعَ التاريخِ الأدبيِّ لمنهجٍ موضوعيٍّ يتناولُ من خلالهِ، عصورُ الأدبِ في ضوءِ الواقعِ الاجتماعيِّ الذي ننسبُ إليهِ، كما يتناولُ التعريفُ بكلِّ التيَّاراتِ الأدبيَّةِ حتَّى يقفَ القارئُ على الطابعِ العامِ لعصورِ الأدبِ، وحرصهُ على نقدِ التياراتِ المنحرفةِ، وإبرازَ التياراتِ الإيجابيَّةِ منهُ، والتركيزُ على إبرازِ الجوانبِ الفنيَّةِ للأدبِ، وليسَ مجرَّدَ العرضِ في صعيدِ السيرةِ الشخصيَّةِ أو البُعدِ التاريخيِّ أو التقويمِ الفكريِّ الصرفِ، وإنَّ ما ينماز بهِ هذا الكتابِ، وكما أشرنا لهُ سابقًا، هوَ العنايةُ الملحوظةُ بإبرازِ الطابعِ الفنِّيِّ في مختلفِ عناصرهِ إيقاعيًّا، لفظيًّا، صوريًّا، بنائيًّا، شكليًّا، وبذلكَ يستكملُ مهمتهُ في دراسةِ تاريخِ الأدبِ (فنيًّا، فكريًّا) في ضوءِ المنهجِ الإسلاميِّ بخاصَّةٍ أو الإنسانيَّةِ بعامة، كما يضعُ بنظرِ الاعتبارِ أنَّ التاريخَ أو التراثِ ينبغي أن نفيدَ منهُ في الحاضرِ، ومستهدينَ بذلكَ بخطى القرآنِ الكريمِ الذي يؤرِّخُ للماضينَ باعتبارِ ذلكَ (عبرةٌ وموعظةٌ)، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾[2]، وليسَ مجرَّدَ الإمتاعِ والتسليةِ واللهوِ[3].

(١) تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٣.
(٢) يوسف: آية ١١١.
(٣) تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٦.

ويتناولَ تحليلُ النصوصِ في خطوةٍ تطبيقيَّةٍ لمشروعِ قراءتهِ للأدبِ العربيِّ، ويشملُ بجانبَينِ: يتناولَ أحدهما الأدبَ في عصرِ التشريعِ الإسلاميِّ، ويختصَ الآخرُ بالأدبِ بعدَ الأئمَّةِ أهلَ البيتِ عليهم السلام والمسمَّى بعصرِ الغيبةِ، إذ يشملُ الكتابُ على جوانبَ إيجابيَّةٍ والدراسةِ المفصَّلةِ لأدبِ النبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمَّةُ أهل البيت عليهم السلام ببراعةِ تطبيقيَّةٍ مستندةٍ إلى أدواتٍ نقديَّةٍ محكمةٍ، وإنصافهِ للمعنيِّينَ من الأدباءِ الذينَ استبعدوا من دائرةِ اهتماماتِ الدارسونَ والنقَّادُ والمؤرِّخونَ لعدمِ انسجامهم معَ سياساتِ عصرهم[1]. فإنَّ هذهِ القراءةِ الجديدةِ التي قدَّمها الناقدُ خطوةً يعدّها مهمَّةً في إعادةِ قراءةِ تاريخِ الأدبِ العربيِّ على وفقِ المبادئِ والأسسِ التي اعتمدها مستبعدًا النظريَّاتِ والتقسيماتِ التي التزمها النقَّادُ في نظرتهم لتاريخِ الأدبِ، فهوَ يتَّسقُ معَ النقَّادِ والأدباءِ في رفضِ تقسيمِ الأدبِ وفقَ المنهجِ التقليديِّ، لكن في الوقتِ نفسهِ أنَّهُ ينماز عن النقَّادِ في قراءتهِ لتاريخِ الأدبِ والتي يأتي بتقسيمٍ جديدٍ، حسبَ رأيهِ، والتي تنبعُ من ثقافتهِ ومرجعيَّتِهِ الإسلاميَّةِ والمذهبيَّةِ.

يحاولُ إخضاعَ التاريخِ الأدبيِّ لمنهجٍ موضوعيٍّ يتناولُ من خلالهِ عصورُ الأدبِ في ضوءِ الواقعِ الاجتماعيِّ الذي ينتسبُ إليهِ، ويتناولَ كلُّ التيَّاراتِ الأدبيَّةِ حتَّى يقفَ القارئُ على الطابعِ العامِ لعصورِ الأدبِ والحرصِ على نقدِ التياراتِ المنحرفةِ وإبرازِ التياراتِ الإيجابيَّةِ منهُ، ويركِّزَ على إبرازِ الجوانبِ الفنيَّةِ للأدبِ وليسَ مجرَّدَ العرضِ في صعيدِ السيرةِ والشخصيَّةِ والبعدِ التاريخيِّ أو التقويمِ الفكريِّ الصِّرفِ، وأهمُّ ما يميِّزُ الكتابُ هوَ عنايتهُ الملحوظةُ بإبرازِ الطابعِ الفنِّيِّ في مختلفِ عناصرهِ «إيقاعيًّا، لفظيًّا، صوريًّا، بنائيًّا، وشكليًّا»[2].

أهمَ ما حاولَ البستانيّ إظهارهِ في هذهِ الدراسةِ العنايةُ بأدبِ التشريعِ الإسلاميِّ «النصُّ القرآنيِّ، السنةِ النبويَّةِ، «فضلًا عن أنَّ النصوصَ التشريعيَّةَ تعني في الدرجةِ

(١) ينظر: مجلَّة رسالة الثقلين: ٢٠٣.

(٢) تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٢.

الأولى بالقيمِ الفكريَّةِ المستهدفةِ أساسًا إلَّا أنَّ قسما منها يهتمُّ بالإعجازِ الفنِّيِّ كالنصِّ القرآنيِّ الكريمِ، وقسمًا آخر يتَّسمُ بالكمالِ الفنِّيِّ- نصوصَ السنَّةِ- وقسمٍ يرى من خلالهِ أكثرَ من جانبٍ فنِّيٍ»[1]. إذ يختلفُ البستانيّ من غيرهِ في اتِّخاذِ طريقةٍ في قراءةِ التاريخِ الأدبيِّ، فهوَ يعتمدُ رؤيةً إسلاميَّةً في إطارٍ خاصٍّ- تاريخِ أدبِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، ولم يسبق إلى مثلٍ هذا التقسيمِ، فهوَ يبتعدُ عن التقسيمِ التقليديِّ للتاريخِ حسبِ سياسةِ الدولةِ، بل يعتمدُ على تقسيمهِ بما ينماز بهِ أدبُ أهلِ البيتِ عليهم السلام، ويذكرَ كلُّ ما نشأَ من أدبٍ ونصوصٍ إبداعيَّةٍ في كلِّ زمنٍ من أدبِ أهلِ البيتِ عليهم السلام التي تحملُ من الكمالِ والعصمةِ في تناولِ (الأجناسِ الأدبيَّةِ) المتنوعةِ، حسبَ رأيهِ، إذ يحاولُ البستانيّ في ذلكَ الحفاظِ على ذوق أو فكرِ المتلقِّي من خلالِ انتقاءِ النصوصِ الفكريَّةِ والسويَّةِ والأخلاقيَّةِ التي تقي المتلقِّيَ من الانحرافِ عن سلوكهِ السَّويِّ.

(١) تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٦.

النتائج

١. العنايةُ بأدبِ التشريعِ الإِسلَامِيّ «اَلنَّصّ اَلقُرآنِيّ- السنَّةِ النبويَّةِ»، فضلًا عن أَنَّ النصوصَ التشريعيَّةَ تعني في الدرجةِ الأولى بالقيمِ الفكريَّةِ المستهدفةِ أساسًا.

٢. إعطاء البعد الواقعيّ أثره في نشوء فنون الأدب، وأنَّ الأدب مرتبط ثقافي اجتماعيًّا في المناخ الذي ينشأ منه.

٣. مراعاة القارئ بوصفه متلقِّي متأثِّر بالنصوص الإبداعيَّة وإبعاده عن النصوص المنحرفة من المنظور الإسلاميّ كـ(الخمر والجنس)، قبال نصوص تعينَ المتلقِّي في تقويمِ سلوكهِ اَلفَردِيّ وانعكاسهِ على المجتمعِ.

٤. فاعليَّة النصِّ المتمثِّل بأدب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وجعل نصوص الأئمَّة المعصومين عليهم السلام المحور الأساس في ظلِّ تهميشها من لدن كتَّاب تأريخ الأدب.

المصادر

١. تاريخ الأدب العربيّ: أحمد حسن الزيَّات، القاهرة، ١٩٥٢م.
٢. تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميّ: د. محمود البستانيّ، مجمع البحوث الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٣. تاريخ الأدب العربيّ: أحمد حسن الزيَّات، القاهرة، ١٩٥٢م.
٤. تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج: د. حسين الواد، المؤسَّسة العربيَّة والدراسات والنشر، تونس، ط٢، ١٩٨٠.
٥. تاريخ القزوينيّ في تراجم المنسيِّين والمعروفين من أعلام العراق وغيرهم ١٩٠٠-٢٠٠٠: د. جودت القزوينيّ، مؤسَّسة الخزائن لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ٢٠١٢.
٦. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعيّ، ط٢، مطبعة الاستقامة بمصر، ١٩٤٠م.
٧. تاريخ آداب اللغة العربيَّة: جرجي زيدان، ط٢، ١٩٧٨ م، بيروت
٨. الفن والأدب: بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبيَّة والفنيَّة: د. ميشال عاصي، مؤسَّسة نوفل، ط٣، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
٩. المنهج الإسلاميّ في النقد الأدبيّ: د. سيِّد سيِّد عبد الرزاق، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.

١٠. في الأدب الإسلاميّ المعاصر، دراسة وتطبيق: محمَّد حسين بريغش، ط٢، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٠م.
١١. في الأدب الجاهليّ: طه حسين، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.
١٢. محمود البستانيّ مفكِّرًا إسلاميًّا، إضاءات نقديَّة حول مشروع أسلمة المعرفة ونشاطاته الفكريَّة الأخرى، الشيخ محمَّد الساعديّ، ط١، مطبعة الأمير، ٢٠٠٠م.
١٣. مدخل إلى نظريَّة الأدب الإسلاميّ: د. عماد الدين خليل، مؤسَّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٤. نحو آفاق شعر إسلاميّ معاصر: حكمت صالح، ط٣، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٥. في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج: د. حسين الواد، ط٣، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر.
١٦. نقد وتقويم من زاوية أدب الثَّقَلين (كتاب تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلاميِّ، مجلَّة رسالة الثَقَلين، السنة الأولى، محرم - ربيع الأول، ١٩٩٢.

دُرَرُ الشُّعراء في ما قيلَ بحقِّ الزَّهراء عليها السلام
دراسة أسلوبيَّة

د. فاطمة مهدي البزَّال
لبنان/ الجامعة اللبنانيَّة/ دكتوراه في اللغة العربيَّة وآدابها

ملخَّص البحث

اتَّصل الشعر العربيّ بالسياسة منذ العصر الجاهليّ، كانت القبائل تتناحر، فانبرى الشعراء للذَّود عن مصالح قبائلهم، لذلك كانت القبائل تمجِّد شعراءها وتعتزُّ بهم، ولقد انبثَّ الشعر السياسيّ في الفخر والحماسة والهجاء والمدح.

جاء الإسلام وأطلق الآية الشهيرة ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤)، فكان أن خَفَتَ صوت الشعر، ولـمَّا اشتدَّ الصراع بين المسلمين والوثنيِّين، أخذ المشركون يسدِّدون سهام أشعارهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه، وعزَّ ذلك عليه، لا لأنَّهم كانوا يهجونه فحسب، بل أيضًا لأنَّهم كانوا يصدُّون عن سبيل الله بما يذيع من شعرهم في القبائل العربيَّة، فقال للأنصار: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟**»، فانبرى عدد من الشعراء، من أمثال حسَّان بن ثابت، وكعب ابن مالك، وعبد الله بن رواحة؛ للذود عن الرسول صلى الله عليه وآله، وعن الدين الجديد في وجه المشركين.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله تعود السياسة لتفرض نفسها على الشعر، فتصبح دواوينه سجلًّا للمنازعات والصراع بين الأحزاب (الخوارج، الزبيريِّين، الشيعة)، واستمرت

الحال في العصور اللاحقة على هذا المنوال ولم يخلُ عصر من شعراء السياسة.

ما يهمُّنا في هذا البحث، هو تسليط الضَّوء على الشِّعر الذي قيل في حقِّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مُختلف الحِقب، وأبرز المواضيع التي تناولتها، كونها أدَّت دورًا بارزًا، سواء أكان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث لُقِّبت بـ«**أمِّ أبيها**» بعد وفاة السيِّدة خديجة، أم بعد وفاته صلى الله عليه وآله، والظُّلامة التي طالتها وأهل بيتها من حرمانها ميراثها، وتنكُّر القوم لبيعة الإمام عليّ عليه السلام، وصولًا لاستشهادها في عزِّ شبابها غاضبةً على من سَلَب حقَّها وآذاها حتَّى في أبسط حقوقها، وهو بكاؤها على أبيها صلى الله عليه وآله. كلُّ هذه المواضيع عرضها الشُّعراء الموالون الذين أخذوا على عاتقِهم تبيان مظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، متوسِّلين لغةً فنيَّةً في التَّعبير عمَّا تختلج بها ذواتهُم من التمجيد والتعظيمِ وإظهار الحُزن على مصائبها المتوالية، التي امتحنتْ صبرها وقدرتها على الثَّبات في أحلك الظروف.

لقد تمتَّعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بخصوصيَّة في وجدان الشيعة والموالين، كونها تمثِّل الامتداد الوحيد لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وهي زوجة وصيِّه عليه السلام، ووالدة سبطيه سيِّدَي شباب أهل الجنَّة الحسن والحسين عليهما السلام، أضف إلى ذلك الأحاديث التي تروي فضلها ومكانتها، وتبيِّن منزلتها، حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى ذلك في قوله: «**فاطمة بضعة منِّي، من آذاها فقد آذاني، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، وهي سيِّدة نساء العالين**».

مقدِّمة

اتَّصل الشعر العربيّ بالسياسة منذ العصر الجاهليّ، كانت القبائل تتناحر، فانبرى الشعراء للذَّود عن مصالح قبائلهم، لذلك كانت القبائل تمجِّد شعراءها وتعتزُّ بهم، ولقد انبثَّ الشعر السياسيّ في الفخر والحماسة والهجاء والمدح.

جاء الإسلام وأطلق الآية الشهيرة ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[1]، فكان أن خَفَتَ صوت الشعر، ولـمَّا اشتدَّ الصراع بين المسلمين والوثنيِّين، أخذ المشركون يسدِّدون سهام أشعارهم إلى الرسولﷺ وأصحابه، وعزَّ ذلك عليه، لا لأنَّهم كانوا يهجونه فحسب، بل أيضًا لأنَّهم كانوا يصدُّون عن سبيل الله بما يذيع من شعرهم في القبائل العربيَّة، فقال للأنصار: «**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟**»[2]، فانبرى عدد من الشعراء، من أمثال حسَّان بن ثابت، وكعب ابن مالك، وعبد الله بن رواحة؛ للذود عن الرسولﷺ، وعن الدين الجديد في وجه المشركين.

وبعد وفاة الرسولﷺ تعود السياسة لتفرض نفسها على الشعر، فتصبح دواوينه سجلًّا للمنازعات والصراع بين الأحزاب (الخوارج، الزبيريِّين، الشيعة)، واستمرت الحال في العصور اللاحقة على هذا المنوال ولم يخلُ عصر من شعراء السياسة.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية ٢٢٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهانيّ، الأغاني، تحقيق: نخبة من الأدباء، ج٤، بيروت، دار الثقافة، ط٨، ص١٣٧.

ما يهمُّنا في هذا البحث، هو تسليط الضَّوء على الشِّعر الذي قيل في حقِّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مُختلف الحِقب، وأبرز المواضيع التي تناولتها، كونها أدَّت دورًا بارزًا، سواء أكان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث لُقِّبت بـ«**أمِّ أبيها**» بعد وفاة السيِّدة خديجة، أم بعد وفاته صلى الله عليه وآله، والظُّلامة التي طالتها وأهل بيتها من حرمانها ميراثها، وتنكُّر القوم لبيعة الإمام عليّ عليه السلام، وصولًا لاستشهادها في عزِّ شبابها غاضبةً على من سَلَب حقَّها وآذاها حتَّى في أبسط حقوقها، وهو بكاؤها على أبيها صلى الله عليه وآله. كلُّ هذه المواضيع عرضها الشُّعراء الموالون الذين أخذوا على عاتقِهم تبيان مظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، متوسِّلين لغةً فنيَّةً في التَّعبير عمَّا تختلج بها ذواتهُم من التمجيد والتعظيمِ وإظهار الحُزن على مصائبها المتوالية، التي امتحنتْ صبرها وقدرتها على الثَّبات في أحلك الظروف.

لقد تمتَّعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بخصوصيَّة في وجدان الشيعة والموالين، كونها تمثِّل الامتداد الوحيد لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وهي زوجة وصيِّه عليه السلام، ووالدة سبطيه سيِّدَي شباب أهل الجنَّة الحسن والحسين عليهما السلام، أضف إلى ذلك الأحاديث التي تروي فضلها ومكانتها، وتبيِّن منزلتها، حيث أشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى ذلك في قوله: «**فاطمة بضعة منِّي، من آذاها فقد آذاني، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، وهي سيِّدة نساء العالين**»[1]. يُشير هذا الحديث إلى تلازم رضا الرسول صلى الله عليه وآله، ورضا الزَّهراء عليها السلام؛ فهما العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومهبط بيت الوحي، وخزَّان علم الله. ولعلَّ الرسول صلى الله عليه وآله من خلال أحاديثه المتكرِّرة، كان يستشرف المستقبل، وما سيجري عليها من بعده، بعد أن عاث المنقلبون على الله ورسوله في غيِّهم وضلالهم. لقد باتت السيِّدة الزَّهراء أيقونة مقدَّسة اتَّخذها موالوها وأنصارها مثالًا للمظلوميَّة التي لحقت بهم أيضًا، فصاروا يتمثَّلون صبرها عند كلِّ نائبةٍ تلمُّ بهم، مُتَّخذين صبرها علامة فارقة تساعدهم في تخطِّي مصاعب الحياة.

(١) الديلميّ، إرشاد القلوب، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ، ط٤، ١٩٧٨م، ص٢٣٢.

سأعتمد في دراستي هذه على المنهج الأسلوبيّ؛ لما له من دور في الكشف عن أدبيَّة النصِّ وجماليَّاته؛ لأنَّ الغاية من المقاربة الأسلوبيَّة هي الوصول إلى أغوار النصِّ الشِّعريّ، للوقوف على عتباته المظلمة وعناصره الفكريَّة، وشبكة علاقاته بالعناصر الوجدانيَّة، الَّتي يصنع تضافرها وحدة دلاليَّة.

لكلِّ نصٍّ قواعده الأسلوبيَّة المميَّزة الَّتي بموجبها يتحوَّل الأثر الأدبيّ إلى أثر جماليّ. وهذا المنهج يتيح للدَّارس «أن يختار من هذه الظواهر الأسلوبيَّة ما هو متميِّز، والتَّميُّز يكون عندما تقوم هذه الظَّاهرة بوظيفتها، وهو إبراز جمال الأثر، وهذا ما يجعلنا نتعامل مع النَّصِّ بعلميَّة، ولكن من دون الانغلاق الَّذي يجعل التَّحليل جافاً»[1].

ومن بواعث اختيار هذا المنهج ما رآه ريفاتير[2] في الأسلوب من «قوَّة ضاغطة تتسلَّط على حساسيَّة القارئ بوساطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها، إذ تتمثَّل في هذه القوَّة عمليَّة الإقناع والإمتاع معًا، ناهيك عن الإثارة الَّتي من خلالها يمضي الشخص المُثار في اتِّجاه ردود الفعل المثارة»[3]، فالأسلوبيَّة تتحدَّد بكونها البُعد اللسانيّ لظاهرة الأسلوب، طالما أنَّ جوهر الأثر الأدبيّ لا يمكن النَّفاذ إليه إلَّا عِبرَ صياغته الإبلاغيَّة[4]، وكذلك تتحدَّد الأسلوبيَّة بدراسة الخصائص اللغويَّة التي بها يتحوَّل الخطاب عن سياقه الإخباريّ إلى وظيفته التأثيريَّة والجماليَّة[5].

(١) صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، القاهرة، مؤسَّسة مختار للنشر والتَّوزيع، د.ط، ١٩٩٢م، ص١٤.

(٢) باحث لسانيّ، وناقد أدبيّ بنيويّ أميركيّ.

(٣) ميشال ريفاتير، دراسات في الأسلوبيَّة البنيويَّة، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٦م، ص١٠.

(٤) عبد السلام المسديّ، الأسلوبيَّة والأسلوب، تونس، الدار العربيَّة للكتاب، ط٣، ١٩٩٣م، ص١٠.

(٥) م.ن، ص٣٥.

والأسلوبيَّة ترسم تأمُّلها لعالم النَّصِّ رسمًا تتعدَّد فيه القراءة، فهي تتأمَّل البنية التركيبيَّة النَّحويَّة، وتتأمَّل البنية الصَّوتيَّة والإيقاعيَّة والمعجميَّة، وتتأمَّل البنية الدَّلاليَّة الجماليَّة، ومن دون تجاهلٍ للسِّياق، وما يكتنزه من علاقات اختياريَّة وانحرافيَّة، والمنهج الأسلوبيّ يعتمد على علوم الُّلغة المختلفة، ويعني هذا البحث عن جميع الخصائص الأسلوبيَّة من الحِرف حتَّى الجملة.

والسؤال الذي يُطرح: أين تجلَّى ذِكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في المنظومة الشِّعريَّة العربيَّة؟ وما هي أبرز الموضوعات التي تناولتها؟ وكيف عبَّر الشُّعراء فنيًّا عن هذا الزخم من الولاء لسيِّدة نساء العالمين؟.

وبعد اطِّلاعي على ما سال من حبر الشُّعراء بحقِّها وقعتُ على كمٍّ هائلٍ من الأشعار التي تناولت مناقبها وفضائلها ورثاءها ومولدها في مختلف الحقب الزمنيَّة من عصر صدر الإسلام وحتَّى يومنا هذا، لذلك ارتأيتُ انتخاب بعض النَّماذج التي تمثِّل الحقب المختلفة مع تنوُّع الموضوعات التي تناولت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

أوَّلًا: القرن الأوَّل الهجريّ

إذا تتبَّعنا المنظومة الشعريَّة في عصر صدر الإسلام، وخاصَّة ما قيل من مدائح في حقِّ الرسول الأكرمﷺ، من شعراء أمثال حسَّان بن ثابت الذي لُقِّب بـ(شاعر الرَّسول)، وكعب بن زهير، وجدنا أنَّها كانت مُخصَّصة للدِّفاع عن الرسولﷺ، والذَّود عن رسالة الإسلام، بما يتطلَّبه ذلك من جُهدٍ كبير مقابل ما يبذلُه شعراء المشركين من جهدٍ لمحاربة الإسلام بالقول والفعل. وبالتَّالي فإنِّنا لا نقع على ذِكر السيِّدة الزَّهراء في هذه الأشعار. ويمكننا القول إنَّ مردَّ ذلك يعودُ إلى تحرُّج العرب من ذِكر النساء في أشعارهم، وخاصَّة المصونات منهنَّ، لما لهنَّ من قيمة مجتمعيَّة وأخلاقيَّة سرت مع العادات والتَّقاليد، بالإضافة إلى الهالة التي أحاطت رسول اللهﷺ، فجعلته قُطب الرَّحى في المنظومة الشعريَّة مدحًا وفخرًا آنذاك. لقد شكَّلت شخصيَّة الرسولﷺ هاجسًا لكلِّ من آمن برسالته أو لم يؤمن، فهو الصَّادق الأمين قبل البعثة، والله تعالى عندما كلَّفه بنشر رسالته خاطبه بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

إنَّ ما حقَّقه الرسولﷺ من إنجازات بإخراج الناس من الظُّلمات إلى النُّور، وبناء أركان دولة إسلاميَّة جديدة، جعلتْه مهوى القلوب ومحطَّ الأنظار، فكان من البديهيِّ أن يُطلق الشُّعراء مدائحهم في حقِّه؛ لمؤازرته في مشروعه الإلهيّ، وتسجيل انتصاراته ومآثره، فالشِّعر ديوان العرب، ومنه وصلتنا عاداتهم وقيمهم وحروبهم ومآثرُهم.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

من هنا نرى أنَّ إغفال الشُّعراء، في هذه الحقبة المؤسِّسة للدولة الإسلاميَّة، ذكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في شعرهم، إنَّما كان استجابةً للأوضاع القائمة، ولكن هذه المعادلة ما لبثتْ ان تغيَّرتْ بعد زواجها من الإمام عليّ عليه السلام، ووفاة الرَّسول صلى الله عليه وآله، وما حاق بها من ظُلمٍ وإنكارٍ لحقِّها المشروع، فنراها تخرجُ لتُسجِّل للتَّاريخ عدم سكوتها عن حقِّها في الميراث، وحقِّ زوجها عليه السلام في الخلافة التي أشهد عليها رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير الأغرِّ، وبايعه النَّاس على ذلك بالولاية والسَّمع والطَّاعة. كان لوقوفها عليها السلام في المسجد النبويّ، وخطبتها الغرَّاء الشَّهيرة أمام النَّاس حجَّة على كلِّ من غصبها حقَّها وآذاها، حتَّى عروج روحها إلى بارئها غاضبةً بعد أن حوربت حتَّى في بكائها على والدها، وكان لدفنها مِن قِبَل الامام عليّ عليه السلام مع ثلَّة مخلصة في جنح الظلام رسالةً واضحةً على ظُلمها بعد أن أوصت بذلك.

مِن هذا المُنطلق صارت الصُّورة أوضح، وصارت الاصطفافاتُ العقائديَّة والولائيَّة تُحدِّد انتماء الشَّخص واهتماماته. فنرى الشُّعراء الموالين يُعبِّرون بفيضِ رؤاهم وولاءهم عمَّا تختلجُ ذواتهم تجاه العترة الطَّاهرة، فيبدؤون بمدح الرَّسول صلى الله عليه وآله، وذِكر مآثره، ثمَّ يعرِّجون على مدحِ أهل بيته عليهم السلام، وغدتْ هذه السنَّة موصولة بحكم الامتداد الطبيعيّ والرساليّ، حيث إنَّ الأئمَّة الأطهار هم من نسل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فلا يغفلون ذِكرها والوقوف عند أبرز محطَّات حياتِها مدحًا ورثاءً.

وإذا تتبَّعنا المنظومة الشعريَّة فإنَّ أُولى الأشعار التي وصلتنا، وفيها ذِكر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، كانت في خبر زفافها، حيث سارتْ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وهنَّ يرجزن ببعض الأبيات في حقِّها، وحقِّ بعلها وأبيها عليهم السلام. ومن هذه المقطوعات ما قالته حفصة بنت عمر:

فـاطـمـة خـيـر نـسـاء الـبـشْ

ومـن لهـا وجـهٌ كـوجـه الـقـمـرْ

فَضَّلكِ الله على كلِّ الورى
بفضل من خصَّ بآي الزُّمرْ
زوَّجكِ الله فتًى فاضلا
أعني عليًّا خير مَن في الحضرْ
فسرْنَ جاراتي بها فإنَّها
كريمة بنت عظيم الخطرْ[1]

في هذه المقطوعة نلحظُ تعداد فضائل المُحتفى بها أعني السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وبعلها وأبيها عليهما السلام، بلغة سهلة بسيطة بعيدة عن التكلُّف والتَّصنُّع، فقد ورد التشبيه في قولها «ومَن لها وجهٌ كوجه القمر» للدلالة على حسنها وجمالها، مع تفضيلها على «الورى»، في إشارة إلى سيادتها لنساء العالمين. هذه المقطوعات التي رافقت زفافها طغتْ عليها العفويَّة من دون الالتفات إلى الصِّياغة الفنيَّة التي أتقنها الشُّعراء وبرعوا بها قديمًا وحديثًا.

وفي شعرٍ منسوبٍ إلى الإمام عليّ عليه السلام في رثائها يقول:

أرى عِلل الدُّنيا عليَّ كثيرةٌ
وصاحبُها حتَّى الممات عليلُ
وإنِّي لمُشتاقٌ إلى من أحبُّهُ
فهل لي إلى من قد هويْتُ سبيلُ؟
لكلِّ اجتماعٍ من خليليْن فرقةٌ
وكلُّ الذي دون الفِراقِ قليلُ
وإنَّ افتقاديْ فاطمًا بعد أحمدٍ
دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ[2]

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٣٥٥.
(٢) ابن شهر آشوب، م.س، ص٣٦٥.

تطالعُنا في هذه القصيدة آهاتٌ وأشواقٌ يبثُّها خليلٌ فاقد في وجدانيَّة عالية غلب عليها استخدام ضمير المتكلِّم الذي عبَّر عن مكنونات النَّفس بكثير من الانسيابيَّة. فالزَّهراء عليها السلام لها مكانتها العظيمة في بيت العترة الطَّاهرة، وهي لم تكن الزَّوج فحسب، بل كانت الشَّريكة في التصبُّر ومواجهة مصاعب الحياة مع فئة باغية ظالمة، لذلك كان لوقع استشهاد الزَّهراء عليها السلام بعد مدَّة قصيرة من وفاة والدها سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله بالغ الأثر على الإمام عليّ عليه السلام، إذ فقد المُعين والسَّند، وها هو يُعبِّرُ بجملةٍ خبريَّة مؤكِّدًا بمؤكِّدَين، «وإنِّي لمشتاقٌ»، اشتياقهُ ولوعة الحزن لمن يُحبُّهُ، مع تداخل للجمل الخبريَّة والجمل الإنشائيَّة الاستفهاميَّة «فهل لي إلى من قد هويتُ سبيلُ؟». الجمل الإنشائيَّة حمَّالة المشاعر والأحاسيس، وهي تنطوي على مادَّة ثريَّة يستطيعُ من خلالها المرء إيصال مكنونات نفسه والتَّعبير عن خلجاتها بكثير من الصِّدق والانفعال، ولا شكَّ أنَّ المراثي تُعدُّ من أصدق الكلام؛ لأنَّها تُقالُ من قلوبٍ هدَّها الفقْدُ والنَّصَب. هذه الشَّكوى لم تبقَ في إطار التَّلميح، بل عرَّج عليه السلام مُصرِّحًا بذكر من يُحبّ ويفتقد «وإنَّ افتقادي فاطمًا بعد أحمدٍ»، فجرحُ غياب الرسول صلى الله عليه وآله ما زال طريًّا ولـمَّا يندمل بعد؛ لتكون أولى اللاحقات به ابنتهُ الزَّهراء عليها السلام، ولا شكَّ أنَّ التَّوقيت كان مُفجعًا ومؤلـمًا، ولكن في النِّهاية يخرج الإمام عليه السلام بحكمةٍ مؤدَّاها أنَّ لا إنسان خالدٌ، وإذا كان من خُلقت الدُّنيا لأجله قد غادرها وابنتهُ الطَّاهرة، فمن بقي ليس بأعزَّ لتستقيم له الأمور، وبالتالي هي سُنَّة الحياة فقدُ المحبِّين وافتقادهم.

جاءت الأحداث متسارعة، فاستشهد الإمام عليّ عليه السلام على يد الخارجيّ ابن ملجم، فتصدَّى الإمام الحسن عليه السلام لمنصب الولاية الإلهيَّة، وكان قد عزم على محاربة معاوية لعدم مبايعته، وحشد لهُ الجيوش، إلَّا أنَّ خيانة قادة جيش الإمام عليه السلام، وإيثار الناس الدِّعة والسَّلامة حالَا دون وقوع الحرب؛ لتنتهي بصلحٍ وضع الإمام الحسن عليه السلام شروطهُ، وخرقها معاوية في ما بعد، وسعى لتنصيب ابنه يزيد من بعده، وكانت واقعة كربلاء التي

هزَّت أركان العرش بقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وسبي نسائه وذراريه، في حادثة يندى لها جبين البشريَّة. وكان الانتقال إلى العصر الأمويّ بما فيه من إعادة لإحياء العصبيَّات القبليَّة التي سعى الإسلامُ جاهدًا لإطفائها، والتَّعامل على أساس التَّقوى والمساواة، أضف إلى ذلك، فقد شهد هذا العصر أحداثًا دامية، ومنها وقعة الحرَّة، والمُجاهرة في نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام، وسنُّ سنَّة سبِّ أمير المؤمنين على المنابر، التي بقيت أربعين عامًا. في ظلِّ هذه الأوضاع كانت المُجاهرة بحبِّ آل البيت عليهم السلام جريمة كبرى، ومع ذلك انبرى الفرزدق لمدح الإمام زين العابدين عليه السلام في قصيدته الشَّهيرة في ردِّه على هشام بن عبد الملك عندما تنكَّر له وتعجَّب من إجلال النَّاس واحترامهم له أثناء تأديته فريضة الحجِّ، وعرَّج الفرزدق على ذِكرِ السيِّدة فاطمة عليها السلام في دلالة وإشارة رمزيَّة موحية لتبيان امتداد الرسالة السَّمحاء في نسلها المبارك، فقال:

هــذا ابــن فـاطـمـة إن كـنـت جـاهـلـهُ

بــجــدِّهِ أنــبــيــاء الله قــد خــتــمــوا[1]

يُعدُّ هذا البيت بمثابة بطاقة تعريفيَّة بالإمام زين العابدين عليه السلام، وكأنَّ الفرزدق يعلمُ مسبقًا أنَّ الادِّعاء بالتَّجاهل كان للحطِّ من قدر الإمام عليه السلام، فجاء ردُّهُ بنفحةٍ من المنطقِ والخطاب المباشر «إن كُنت جاهله» ليدلَّ على أنَّ التجاهل لا يؤثِّر في مكانة الإمام عليه السلام، بل ويُذكِّره أيضًا بنسبه، فهو حفيد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ويرجعُ بالنَّسبِ إلى سيِّدة النِّساء عليها السلام، وهي المرأة المتفرِّدة بكونها من صلب الرسول صلى الله عليه وآله، ولها من المكانة والطُّهر والعفاف ما جعلها سيِّدة نساء العالمين، وبذلك يغمز الفرزدق بطريقة غير مباشرة إلى نسل بني أميَّة، وفي ذلك حديث طويل. هذه القصيدة الصَّادمة، والتي لم يتورَّع الفرزدق عن قول كلمة الحقِّ فيها، كلَّفتهُ الدخول إلى السِّجن لفترة من الزَّمن؛ بسبب حنق الخليفة الأمويّ عليه.

(١) الفرزدق، الديوان، شرح وضبط: أ. علي الفاعور، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ، ص٥١١.

أمَّا عند الكميت بن زيد الأسديّ، فنراه في إحدى هاشميَّاته يقول:

يقولون لم يورَثْ، ولولا تراثُهُ
لقد شركتْ فيه بكيلٌ وأرحبُ
ولانتشلت عُضوين منه يُحابرٌ
وكان لعبد القيس عضو مؤرَّبُ
فإن هي لم تصلح لحيٍّ سواهم
إذا فذوو القربى أحقُّ وأقربُ(١)

كان نشاط الشيعة السياسيّ مقترنًا بنشاطهم الشعريّ الذي يظهر في فنون شتَّى من مديح ورثاء لآل البيت عليهم السلام، وهجاء لأعدائهم، وكلُّ ذلك كان يصبُّ في خانة المنافحة عن حقِّ الأئمَّة في الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله. والكُميت عالم بأنساب العرب، احتجَّ لهم بشعره ودافع عنهم، ولقي في سبيلهم الأذى.

يعتمد الكميت الحِجاج واستخدام المنطق في تفنيد أحقيَّة أهل البيت عليهم السلام في الخلافة، فإذا كان بنو أميَّة يدَّعون أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لا يورِّث، فكيف لهم أن يستأثروا بالخلافة، ويجعلوها وراثة في نسلهم؟ وهذا يعني بمقتضى الحال أن تكون الخلافة من حقِّ أيِّ إنسانٍ مسلم بغضِّ النَّظر عن انتمائه أو نسبه أو قبيلته، وبذلك تكون الخلافة حقًّا لقبائل قحطان وعدنان وغيرهم. أمَّا إذا نفينا هذه الفرضيَّة، فأصحاب الحقِّ معروفون، وأنَّ الأولى بالخلافة هم العلويُّون وليس الأمويِّين؛ لأنَّهم الأقرب للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهم وصيَّتُه في أمَّته.

في هذا المقطع يُشير إلى بني أميَّة من دون ذكرهم «يقولون»، ليأتي نَفْيهم توريث الرسول لأهل بيته عليهم السلام، فيستعمل الكميت أدواته الحجاجيَّة «ولولا»، وهي حرف امتناعٍ لوجود، تفيد امتناع الشَّراكة في الخلافة لوجود الوراثة فيها، ليكمل باستخدام

(١) الكميت، الديوان، جمع وشرح وتحقيق: د. محمَّد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٠م، ص٥١٢.

أداة شرط جازمة «فإن»، ويؤكِّد بالضمير «هي»، مشيرًا إلى الخلافة، فإذا كانت محرَّمة على غيرهم، «فذوو القربى أحقُّ وأقربُ»، وهم آل بيت الرَّسول صلى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1].

هذا الأسلوب الحجاجيّ الذي انتهجته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها الشَّهيرة في المسجد النبويّ، وقد حاججت القوم بمنطقها القويِّ وأسلوبها الفريد المتَّكئ على براعتها في تقديم الحجج القرآنيَّة التي تبيِّن حقَّها في فدك، وحقَّ زوجها في الخلافة، إلَّا أنَّهم أصرُّوا على التَّنكر لها، ولمطالبها مع كلِّ الأدلَّة الدّامغة التي قدَّمتها، بحيث لم تترك كبيرة أو صغيرة إلَّا وعرضت لها في سياق محاججتها، بما لا يدع مجالًا للإنكار والتقوُّل عليها بشيء.

لقد تركت الزَّهراء عليها السلام مادَّة ثريَّة أغنت الـتُّراث، وقدَّمت دروسًـا مُستفادة في أساليب المحاججة والبرهان، جعلت اللاحقين يستفيدون منها، ويبنون عليها ثقافتهم، وهذا ما رأيناه مع الكميت وغيره من الشعراء الموالين.

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

ثانيًا: القرن الثاني للهجرة

اشتدَّت التَّجاذبات في العصر العبَّاسيّ، وعادت الأساليب الحجاجيَّة أقوى هذه المرَّة، إذ إنَّ الصراع كان بين بني أميَّة والهاشميِّين، وهما من قريش، ولكن الصِّراع غدا بين الهاشميِّين أنفسهم، أي العبَّاسيِّين والعلويِّين. ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الدَّولة العباسيَّة قامت على سبيل الدِّعاية بردِّ الحقِّ إلى آل البيت عليهم السلام، فكسبوا تعاطف النَّاس الذين ساروا مع هذه القضيَّة النبيلة، إلَّا أنَّهم سرعان ما انقلبوا عندما تمَّت لهم الأمور، وبدأوا برحلة الانتقام من العلويِّين، فكانوا أشدَّ بأسًا وتنكيلًا من الأمويِّين أنفسهم. وتعود الأساليب الحجاجيَّة لتطفو من جديد، وبأدوات جديدة، بعد الاطِّلاع على ثقافات الشعوب الأخرى، والأخذ من كلِّ علمٍ بطرف، فساد علم الكلام، وانتشرت الفرق الكلاميَّة من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وانبرى الشُّعراء المتكسِّبون لإضفاء الشَّرعيَّة على الخلافة العباسيَّة، مستخدمين أساليبهم الحجاجيَّة الهادفة للإقناع بأحقيَّتهم في تولِّي منصب الخلافة، فنرى شاعرًا مثل مروان بن أبي حفصة يقول في مدح المهدي العبَّاسيّ:

يا ابن الذي ورثَ النبيَّ محمَّدا
دون الأقاربِ من ذوي الأرحامِ
الوحيُ بين بني البنات وبينكم
قطعَ الخِصامَ فلاتَ حين خصامِ
ما للنِّساءِ مع الرجالِ فريضةٌ
نزلتْ بذلك سورةُ الأنعامِ

أنَّـــى يـكـونُ ولـيـسَ ذاكَ بـكـائـنٍ
لـبـنـي الـبـنـاتِ وراثـــةُ الأعـــمامِ؟(١)

في هذه القصيدة يحتجُّ مروان للعبَّاسيِّين ويعدُّهم عصبة النبيّ صلى الله عليه وآله، وهم ورثته برأيه، وأنَّه لا حقَّ لبني البنات بوراثته. يبدأ الشَّاعر بالنِّداء «يا ابن الذي» إشارة للمهدي العبَّاسيّ، مدَّعيًا وراثتهُ النبيّ صلى الله عليه وآله دون سائر الأقارب، ثمَّ يعمد إلى التَّقديم في البيت الثاني؛ ليركِّز على أهميَّة الوحي في إضفاء الشَّرعيَّة على حكم بني العبَّاس، وكأنَّه كان الحَكم الفصل في هذه القضيَّة المحوريَّة، فقدَّم «الوحي»، وقدَّم الطَّرفين المتنازعَين دون أن يسمِّيهما، فكنَّى عن أهل بيت العصمة بـ«بني البنات»، وأخَّر الفعل «قطع» ليدلَّ على أنَّ الوراثة حقٌّ لبني العبَّاس، وبذلك يصرفها عن أصحابها الشرعيِّين بما يُقدِّم من حجج باطلة وواهية لا تخدمُ إلَّا مغتصبي الحقوق، ولم يكتفِ بذلك، بل عمد إلى الجمل الاستفهاميَّة التي تحمل معنى الاستغراب «أنَّى يكون.. وراثة الأعمام»، مُستغربًا ونافيًا نفيًا قاطعًا أن يكون لبني فاطمة عليها السلام الحقُّ في الوراثة.

إنّ الإلحاح على مسألة الوراثة غدتْ أكثر أهميّة وشكّلت عقدة محوريّة، فبني أميّة كانوا معروفين بمجاهرتهم العداء لأهل البيت عليهم السلام، وبنو العبّاس إنّما أقاموا خلافتهم على حساب أهل البيت عليهم السلام والعلويين. من هنا، كانت الاستماتة في إضفاء الشّرعيّة على حكمهم ولو عن طريق التلفيق والدسّ واختلاق الأحاديث الكاذبة. وممّا لا شكّ أنّ العباسيين لجأوا لمختلف الوسائل التي يمكن أن تلمّع صورتهم وتعمل في الوقت نفسه على إبعاد النّاس عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فأنشأوا مدرسة أهل الحديث لتكون على الخطّ النقيض، وجهدوا في وضع المسائل الصّعبة وتوجيهها إلى الأئمة الأطهار في مناظرات علنيّة مدعومة من السلطة لإحراج الأئمة إلا أنّها كانت دائمًا ما تعود على بني العبّاس بالخزي والعار.

(١) مروان بن أبي حفصة، الديوان، تحقيق: د. حسين عطوان، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ٢٠٠٩م، ص١٠٤.

لقد نظر الشِّيعة إلى هذه الوراثة على أنَّها وراثة معنويَّة تتعلَّق بخلافة المسلمين. وهي خلافة إلهيَّة أشارت لها الأحاديث الشريفة من الرسول صلى الله عليه وآله، والأئمَّة الأطهار عليهم السلام، وقد سمّوهم بالاسم، وهذا دليل على أنَّ الخلافة لم تكن من حقِّ جميع أبناء الأئمَّة، إلَّا من اختارهم الله لهذه المهمَّة الإلهيَّة، وبالتالي فقد روَّج الشعراء المناهضون للشيعة أنَّ مسألة الخلافة إنَّما انتقلت من قبل الرِّجال، وليس من طريق البنات.

وقد ردَّ على مروان بن أبي حفصة جعفر بن عفَّان الطائيّ، فدحض فيها مزاعمه، مُستخدمًا البحر والرَّوي والوزن ذاته، فقال:

لم لا يكون وإنَّ ذاك لكائنٌ
لبني البنات وراثة الأعمامِ
للبنتِ نصفٌ كاملٌ من مالهِ
والعمُّ متروكٌ بغير سهامِ
ما للطَّليقِ وللتُّراثِ وإنَّما
صلَّى الطَّليقُ مخافة الصِّمصامِ[1]

لقد بدأ الشَّاعر من النقطة التي انتهى عندها ابن أبي حفصة، وكان تأكيده بدل النفي معتمدًا الجملة الاستفهاميَّة بمعنى الاستغراب أيضًا «لم لا يكون»، مؤكِّدًا عليه بمؤكِّدَين «إنَّ ذاك لكائنٌ»، فالشَّاعر يستخدم الحجَّة والمنطق أيضًا حول أحقيَّة بني السيِّدة فاطمة عليها السلام بوراثة جدِّهم بدل الأعمام، بدليل أنَّ للبنت النصف ممَّا ترك أبوها، بينما الأعمام لا يرثون منه شيئًا، ليُنهيَ حجاجهُ باستحضار التاريخ والتَّذكير به، عبر استخدام الاستفهام أيضًا «ما للطَّليق وللتُّراث» إشارة إلى العبَّاس بن عبد المطلب، عمِّ النبيّ، الذي أُسِر يوم بدر على يد المسلمين، فكيف يُعقل أن يُطالب بالوراثة أبناء من كان طليقًا محاربًا الدَّعوة والرسالة في زمنٍ كانت بأشدِّ الحاجة للمُعين والنَّاصر؟.

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، دار الثقافة، بيروت، ص١٠٠.

جاء هذا الردُّ حازمًا، وفيه شفاءٌ لقلوب محبِّي أهل البيت عليهم السلام. لقد حاولت الزَّهراء عليها السلام في المسجد النبويّ تبيان حقِّها، وبذلك استطاعت الفصل بين المؤيِّدين والمعارضين، بين مَن آمن بالله والرسول صلى الله عليه وآله، وما جاء به مصدّقًا من عند الله، وبين الذين خالفوا شرع الله، وكان على قلوبهم وقر، فكفروا بالله وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله.

أمَّا السيِّد الحميريّ، فيعرض لزواج الزَّهراء عليها السلام، فيقول:

والله أعطى ذا عليًّا كلّه
وعطاءُ ربِّي لم يكن محظورا
والله زوَّجهُ الزكيَّة فاطما
في ظلِّ طوبى مشهدًا محضورا
كان الملائكُ ثَمَّ في عدد الحصى
جبريلُ يخطبُهُم بها مسرورا
يدعو له ولها وكان دعاؤه
لهما بخيرٍ دائمًا مذكورا[1]

في هذه الأبيات يتناول السيِّد الحميريّ حادثة تزويج السيِّدة فاطمة عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام في محفلٍ سماويّ، ويوظِّف الأحاديث التي عرضت لزواج السيِّدة فاطمة عليها السلام في السَّماء قبل الأرض، ففي حديثٍ عن الرسول صلى الله عليه وآله مخاطبًا فاطمة عليها السلام: «**ما زوَّجتكِ من نفسي، بل الله تعالى تولَّى تزويجك في السَّماء. وكان جبرائيل الخاطب، والله تعالى الوليّ، وأمر شجرة طوبى، فنثرت الدرَّ والياقوت والحُليّ والحلل، وأمر الحور العِين فاجتمعن فلقطنه، فهنَّ يتهادينه إلى يوم القيامة**»[2].

(١) الحميريّ، الديوان، جمع شاكر هادي شكر، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، ص١٨٨.
(٢) الديلميّ، م.س، ص٢٣٢.

يفتخر الشَّاعر لكون هذا الزواج كان بأمر من الله عزَّ وجلَّ، فكرَّر لفظ الجلالة «الله» مرَّتَين، مقرونًا بفعلَين ماضيَين للدلالة على حدثٍ مضى وانتهى «أعطى/ زوَّجه»، فالعطاء هو من قِبل الله تعالى، وقد أكَّد الشَّاعر على ذلك بالتأكيد المعنوي «كلّه»، هذا العطاء غير منتقص وغير مُجزَّأ ويؤكِّد على هذا العطاء أيضًا بنفي حظره عن عليّ عليه السلام. إنَّ فعل التَّزويج كان بأمر من الله عزَّ وجلَّ «والله زوَّجه الزكيَّة فاطمًا» في السَّماء بحضور الملائكة، وفي مشهديَّة عظيمة تدلُّ على أهميَّة الحدث، وأهميَّة المشاركين به، الملائك يخطب بهم جبريل، ويدعو للزوجَين بالخير.

لقد برع الشَّاعر في توصيف المشهد، فأضفى عليه مسحة من الفرح والبهجة، بأسلوبٍ متَّزنٍ بليغ جمع إلى الجمال والحُسن قيمة تاريخيَّة تجسَّدت في نقل حادثة التزويج، مُترجمة الأحاديث ومستندة عليها كأساسٍ لا ينبغي إنكاره أو التشكيك به.

ويعرض الشَّاعر لحادثة المباهلة، كون السيِّدة الزَّهراء معنيَّة بها، فيقول:

وبكرن علقمة النصارى إذ عتتْ
في عزّها والباذخ المتعقِّدِ
إذ قال كرّر هاتُمُ أبناءكم
ونساءكم حتّى نُباهلَ في غدِ
فأتى النبيُّ بفاطم وولـيّها
وحسين والحسن الكريم المصعَدِ
جبريلُ سادسُهم فأكرم سادس
وأخير منتجبٍ لأفضل مشهدِ[1]

أمر الله تعالى نبيَّه الكريم عليه السلام بالمباهلة بعد أن جاء من يحاججه ويُجادله من بعد

(١) ابن شهر آشوب، م.س، ص١٤٥.

ما جاءه من العلم والمعرفة. قال الله تعالى في مُحكم كتابه العزيز: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

يعرض السيِّد الحميري لحادثة المباهلة، ولطرَفَي المباهلة، الأوَّل نصارى نجران متمثِّلين بعلقمة، والثاني: النبيّ صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، وجبريل كان سادسهم. يعرض الشَّاعر لعتوِّ علقمة وأتباعهِ، إذ حضر الرسول للموعد المحدَّد مع آل بيته، وليس مع أنصاره وأتباعه. لقد كان أسلوب النبيّ صلى الله عليه وآله) يقضي بتبيان صدقه بشكلٍ قاطع بتسديدٍ من الله تعالى، بفعل إيمانه الكبير وثقته بالله. فكيف لعاقل أن يدخُل هذا الميدان إن كان يعتريه الشكّ بأنَّه لن يكون مسدَّدًا، أو أنَّ النتيجة بعد المباهلة لن تكون صاعقة وحتميَّة؟ لقد عرض الشَّاعر لحضور النبيّ صلى الله عليه وآله «وفاطم ووليِّها» وابنيها، وزيَّن المشهد «جبريل»، فكان سادسهم والشَّاهد على هذه الحادثة العظيمة.

إنَّ فضيلة المباهلة «تدلُّ على فضلٍ تامٍّ وورعٍ كاملٍ لمولانا أمير المؤمنين ولولديه ولزوجته عليهم السلام، حيث استعان بهم رسول الله صلى الله عليه وآله في الدُّعاء إلى الله تعالى، والتأمين على دعائه لتحصل له الإجابة»[2].

فالشَّاعر الحميريّ استحضر اسم السيِّدة فاطمة في حادثَتَين مرتبطَتين بها، ألا وهما حادثة التَّزويج في السَّماء، والتي فاخر بها كثيرًا، وحادثة المباهلة أيضًا. هاتان القضيَّتان جاءتا من باب عرض مناقب آل البيت عليهم السلام، وللتأكيد على مناقب عليّ عليه السلام عبر إيصال رسالة مفادها أنَّ أهل البيت عليهم السلام يمثِّلون الامتداد الرِّساليّ للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهم خلفاء الله في أرضه وسمائه، فعن الرسول صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**يا أيُّها النَّاس، إنِّي تارك فيكم الثَّقَلين،**

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) الديلميّ، م.س، ص٢٣١.

ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنَّهما لن يفترقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوض»[1].

وفي سياقٍ آخر جاء ذكر السيِّدة الزَّهراء في عرض وصيَّتها بكثير من الحزن والألم، حين رثاها وبيَّن وصيَّتها، فقال:

وفاطمُ قد أوصتْ بأن لا يُصلِّيا
عليها وأن لا يدنوا من رجا القبرِ
عليًّا ومقدادًا وأن يخرجوا بها
رويدًا بليلٍ في سكونٍ وفي سترِ[2]

يُقدِّم الشَّاعر اسم «فاطم» على الفعل؛ لأنَّ ذِكرها قد حفَّز في قلبه حضورًا متميِّزًا فكان مُتصدِّرًا، لينتقل إلى الفعل «قد أوصتْ». إنَّ استخدام «قد» قبل الفعل الماضي يفيد التأكيد، فعلامَ تريد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التأكيد؟ ولمن أوصت؟ تأتي الإجابة «بأن لا يصلِّيا عليها»، بحرف نصب ومصدر واستقبال مُلحق بنفي القيام بالفعل، وهو الصلاة عليها في المستقبل، وهذا الإجراء كان موجَّهًا لشخصَين لم يُصرِّح بهما الحميريّ؛ لعدم الحاجة إلى ذلك؛ لأنَّهما معروفان، ولم تكتفِ بذلك، بل أرادت إخفاء قبرها حتَّى لا يعرفانه، «وأن لا يدنوا من رجا القبر». عندما تصل الأمور إلى هذا المستوى، فإنَّ ذلك دليلٌ واضحٌ على أذيَّتهما للزَّهراء عليها السلام، لذلك لا تريدهما أن يقتربا من قبرها؛ لأنَّهما لم يرعيا حقَّها وحقَّ زوجها عليه السلام، بل عمدا إلى أذيَّتها بما بدر منهما من مواقف. لقد عهدت بهذه الوصيَّة إلى عليّ والمقداد، فجاء اسمهما متأخِّرًا عن الفعل، والتقدير «قد أوصت عليًّا والمقداد». إنَّ تأخير المفعول به كان لسرد الوصيَّة والتأكيد عليها، لتكتمل وصيَّتها عليها السلام، ويكون الخروج ليلًا بكثير من الهدوء. هذه الأبيات تبيِّن مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام في حياتها واستشهادها، وما لقيت على أيدي مغتصبي حقَّها وحقَّ زوجها من ظلمٍ وتجاسر على

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣، مؤسَّسة الوفاء، لبنان، ص١٤١.
(٢) الحميريّ، م.س، ص٢٤٣.

بيتها. لقد أوصت الإمام عليّ عليه السلام بدفنها ليلًا، وإخفاء معالم قبرها؛ لتكشف عن مدى غضبها وألمها الكبير، ولتكون حجَّة دامغة على فعلتهم النَّكراء.

أمَّا الشَّاعر الموالي ديك الجنِّ في معرضِ حديثه عن قبر الزَّهراء عليها السلام، يقول:

يـا قـبر فـاطـمـةَ الـــذي مـا مِـثـلُـهُ
قـــبرٌ بـطَـيْـبـةَ طـــاب فـيـه مَـبـيـتـا
إذ فـيـك حـلّـتْ بـضـعـة الهـــادي الـتـي
تُجـــلى مَحـــاسِـــنُ وَجـهـهـا حُـلـيـتـا
فـسـقـى ثـــراكَ الـغـيـثُ مـا بـقـيـتْ بـهِ
لُـــمَـعُ الـقـبـورِ بـطـيْـبـةٍ وبـقـيـتـا
فـلـقـد بـريّـاهـا ظـلـلْـتَ مُـطـيَّـبًـا
تـسـتـافُ مِـسـكًـا فـي الأنـــوف فَـتـيـتـا[1]

استحضر الشّاعر المكان وشعريَّة المكان بندائه «يا قبر فاطمة»، ينادي قبر فاطمة بكثير من الوجدانيَّة، ويُضفي عليه القدسيَّة والمهابة، كونه حوى جسد سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، مُستخدمًا النَّفي «ما مثله»، فالقبور بطبيعة الحال تُشعر المرء بالوحشة والرَّهبة، ولكن «قبر فاطمة» على العكس تمامًا، يتميَّز عن كلِّ القبور التي حوتها طيبة، فهو المكان الذي يؤنس، وقد استمدَّ قيمته من ساكنته «إذ فيكَ حلَّت بضعة الهادي»، هذا الوجود المبارك والشَّريف لساكنته أضفى على القبر الكثير من الجمال. ثمَّ يعمد إلى المجاز المُرسل «فسقى ثراك الغيث»، مُقدِّمًا المفعول به على الفاعل للدلالة على أهميَّة المكان الحاضر دومًا في ذهن الشَّاعر، وقد ورد الفعل «سقى» بمعنى الدُّعاء، فأرضُ طيبة، بفضل هذا القبر، تتمتَّع بكثير من الامتيازات، وكذلك القبر «ظللت مُطيَّبًا»؛ لأنَّه يحوي جسد الصدِّيقة الطَّاهرة. هذه المُشاركة الوجدانيَّة التي عمد إليها الشَّاعر

(١) ابن شهر آشوب، م.س، ص٣٦٦.

عبر مُخاطبتِهِ القبر بضمير المخاطب، أعطته مكانة مرموقة، وعبر عمليَّة منطقيَّة نجد أنَّ أرض طيبة تشرَّفت بوجود قبر الزَّهراء عليها السلام فيها، والقبر كذلك ازداد مهابةً لوجود الزَّهراء فيه.

إنّ تكرار القبر بلفظه الظَّاهر أو بالضَّمائر العائدة إليه جعلته محور الكلام، واستحضاره وجدانيًّا يدلُّ على الأثر الذي تركه في نفوس الموالين، فالشَّاعر يُخاطبُ قبر الزَّهراء المخفيّ والمُغيَّب، وهذا ما يتركُ غصَّة في النَّفس تذكِّر دائمًا بمظلوميَّتها وغضبها «يا قبر، قبر، فيك، ثراكَ، القبور، ظللت». وكان لحضور الجمل الانشائيَّة من نداء ودعاء، أثرها في تبيان الحال النفسيَّة للشَّاعر الموالي الذي اختار المكان «القبر»؛ ليُناجيه ويبثُّه أشواقه ويبيِّن قداسته.

وفي قصيدة «مدارس آياتٍ»، نجد الشَّاعر دعبل الخزاعيّ يذكِّر السيِّدة فاطمة في تائيَّته الشَّهيرة التي أنشدها بين يدي الرِّضا عليه السلام، بعد أن بويع بولاية العهد، فيقول:

أفاطمُ هل خلتِ الحسين مجدَّلا
وقد مات عطشانًا بشطِّ فراتِ
إذن للطمتِ الخدَّ فاطمُ عندهُ
وأجريتِ دمع العينِ في الوجناتِ
أفاطمُ قومي يا ابنة الخيرِ واندبي
نجومَ سماواتٍ بأرضِ فلاةِ[1]

كان دعبل «متشيِّعًا لآل البيت ومحبًّا لهم، متعلِّقًا بهم تعلُّقًا شديدًا، في زمنٍ كان التَّعلُّق بآل البيت جريمة كبيرة من وجهة نظر الحاكمين»[2].

(١) دعبل، الديوان، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيليّ، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط٢، ١٩٧٢م، ص١٣١.

(٢) د. مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأمويَّة إلى العبَّاسيَّة، ج٣، بيروت، دار النهضة العربيَّة، ١٩٧٣م، ص٢٥٩.

من هذه الأبيات تنضحُ وجدانيَّة عالية تتمثَّل بالنِّداء «أفاطم» متبوعًا باستفهام «هل خلتِ الحسين». غاية الاستفهام هنا ليست طلب العلم، ولكنَّها مشاركة واستحضار وجدانيّ لما حدث في يوم الطفِّ على سبط الرَّسول صلى الله عليه وآله. هذا الاستفهام متبوع بحال «مجدَّلًا»، يليه تعداد لما حلَّ به من مآسٍ «قد مات عطشانًا». إنَّ فعل الموت عطشًا والتأكيد عليه «قد مات»، مع تحديد المكان «بشطِّ فرات» يُمثِّل قمَّة الانحطاط في مجتمعٍ يقتل ابن بنت نبيِّه عطشانًا على مجرى ماءٍ متدفِّق. هذا ما يخلق حساسيَّة وردّ فعلٍ ثوروي على هذا الحدث الفظيع والمستنكَر، وكأنَّ الشَّاعر يريد خلق مشاركة وجدانيَّة مع الأمِّ المكلومة التي لم تشهد الواقعة بحياتها، يسيطر على هذه الأبيات الحقل المعجميّ للحزن عبر استحضار الشَّاعر المفردات والتَّعابير التي تدلُّ على ذلك «مجدَّلا، مات، عطشانًا لَلَطمتِ، دمع الخدِّ، اندبي..». لقد وصف الشَّاعر حال الزَّهراء حيال هذه المصيبة، وما يمكن أن تفعلهُ من لطمٍ وبكاء وحزن على ابنها الحسين عليه السلام، ووسَّع دائرة الحزن لتشمل الكوكبة الطَّاهرة من الشُّهداء الذين نصروه وقدَّموا مُهجهم وأرواحهم بين يديه.

هذه القصيدة الخالدة التي أنشدها دعبل في حضرة الإمام الرِّضا عليه السلام عبَّرت عن وجدانه ومحبَّته لأئمَّته، وهو المطارد من قِبَل السلطات ردحًا من الزَّمن يقول: «أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة، لست أجد أحدًا يصلبني عليها»[1].

لقد كان دعبل حرًّا في عقيدته، غير مداهن ولا مُـراءٍ، وقد دفع ثمن تمرُّده في ما بعد حياته. وبطبيعة الحال، لقد آمن الشَّاعر الشيعيّ بالحضور الروحيّ لأئمَّة أهل البيت عليهم السلام في المجالس التي تحكي مُصابهم وتفجُّعهم، لذلك نراه يستحضرهم ويُشركهم في البثِّ الوجدانيّ المليء حُرقةً وأسًى على ما مرَّ معهم وما أصابهم، فهم أهل المُصاب ولسانُ حالهم حاضرٌ دائمًا في الرِّثاء والحُزن. وغالبًا ما يربط الشُّعراء بين اغتصاب حقِّ

(١) الريشهريّ، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسنَّة والتاريخ، ج٩، ص٢٤.

الزَّهراء عليها السلام، وبين ما جرى للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء، وبالتَّالي فإنَّ من قَتل الحسين عليه السلام يُمثِّل امتدادًا طبيعيًّا لمن غصب الزَّهراء حقَّها.

وفي سياقٍ آخر نجد لدعبل الخزاعي قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وآله، يذكر فيها تزويج الزَّهراء عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام في السماوات العلى، فيقول:

صهر الرسولِ على الزَّهراءِ زوَّجَهُ
اللهُ العليُّ بها فوقَ السماواتِ
فأثمرتْ خيرًا أهل الأرضِ بعدهما
أعني الشهيدَين سادات البريَّاتِ[1]

عمد الشَّاعر إلى تقديم «صهر الرَّسول»، وقد كنى بذلك عن عليّ عليه السلام، وكذلك تقديم الجارِّ والمجرور «على الزَّهراء» لحضور الاسمين في وجدان الشَّاعر، بعدها حدَّد الفعل «زوَّجه»؛ لتكون المعجزة أنَّ من قام بفعل تزويجها هو العليُّ العظيم، محدِّدًا المكان «فوق السَّماوات». هذا الفخر نجده عند الكثير من الشُّعراء عند ذكرهم هذه الحادثة، لتبيان فضل أهل البيت عليهم السلام وتفضيلهم على سائر البشر؛ لتكون ثمرة هذا الزَّواج المبارك «الشهيدَين سادات البريَّاتِ»، أعني الحسن والحسين عليهما السلام.

ويعرض الشَّاعر لما أصاب الحسن عليه السلام على يد معاوية، بعد أن أغرى زوجه بدسِّ السمَّ له، وما لاقى الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه من القتل والتَّنكيل بعد رفضهم مبايعة يزيد، فيقول:

إذا سقى حسنًا سُمًّا مُعاوية أو
على حسينٍ يزيدٌ شنَّ غاراتِ
لذاك ممَّن بدا في ظلم أمّهما
حتَّى قضت غضبًا من ظلمها العاتي

(١) دعبل الخزاعيّ، الديوان، شرحه وضبطه: ضياء حسين الأعلميّ، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ، ص٧١.

وقـــاد شـيـخـهـا قـــسرًا لـبـيـعـة مـن
قـــد بـايـعـــه في ظـــلِّ دوحـــاتِ
ظـــلامـــةٌ لم تـــزل تـســتـنُّ إثـــرَهُـــمُ
لم تُـثـنَ عـن سـالـف منهم ولا آتِ[1]

يربط الشَّاعر السبب بالنتيجة عبر استخدام الرابطة «إذا»، وهي حرف شرط غير جازم يليه الفعل «سقى»، وتقديم المفعول به الأوَّل والثَّاني «حسنا سمًّا» على الفاعل «معاوية» وعطف العجْز عبر «أو» مع اختلاف الفاعل «يزيد» وما فعله في كربلاء مع سبط الرسول صلى الله عليه وآله الحسين الشهيد. هذه النتيجة المأساويَّة كانت لها أسبابٌ يردُّها الشَّاعر إلى القضيَّة الأساس، وهي اغتصاب حقِّ فاطمة عليها السلام، ووقوع الظُّلم الجسديّ والمعنويّ عليها وآل بيتها عليهم السلام. إنَّ الجرأة على الله ورسوله وهضم حقِّ فاطمة عليها السلام، وانتزاع الخلافة الإلهيَّة من صاحبها، ونقض بيعته من قبل «الشَّيخَين» أسَّست أساس الظُّلم للتَّطاول لاحقًا على عترتها وولديها السِّبطَين الشَّهيدَين. إنَّ استخدام «لذاك» كان لردِّ النتيجة إلى السبب، مبيِّنًا فعل الشيخَين مع الإمام عليّ عليه السلام «قاد» والطريقة «قسرًا»، بعد أن شهدا له بالولاية وبايعاه في غدير خمّ خليفة للمسلمين «في ظلِّ دوحاتِ». ويعمد الشَّاعر إلى تقديم «ظلامة» على الفعل الناقص «لم تزل» للدلالة على استمراريَّتها وكأنَّها صارت سُنَّة من بعدهم، فلم يرعوِ أحدٌ عن ارتكاب أبشع الجرائم بحقِّ أهل البيت عليهم السلام بعد قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وسبي نسائه.

نستنتج من هذا العرض أنَّ التَّجرؤ على فاطمة وبعلها عليهما السلام قاد للتجرُّؤ على أهل بيتها لاحقًا، وكأنَّ التَّطاول على آل بيت العصمة صار سُنَّة مفروضة تلاحقهم في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. وعليْه فإنَّ الحِجاج قد أدَّى دوره في ربط الأحداث ببعضها، وبيَّن الأسباب والنتائج التي كانت سببًا لمظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام.

(١) دعبل، م.س، ص٧١.

ثالثًا: القرن الرابع الهجريّ

وفي مجالٍ آخر نرى الشريف الرضيّ يفتخر ويُعلن انتسابه لآل البيت عليهم السلام، فيقول:

صبغ القلبُ حبّكم صبغة الشيب
وشيبي لولا الردى لا يحولُ
أنا مولاكم وإن كنتُ منكم
والدي حيدرٌ وأمّي البتولُ[1]

يبيِّن الشَّاعر ولاءه وحبّه الكبير لآل البيت عليهم السلام، مستهلًّا بفعل ماضٍ «صبغ»، فالقلب صُبغ بحبِّ آل البيت عليهم السلام كما يصبغُ الشَّيب رأس الإنسان مع التقدُّم بالعمر، هذا التشبيه محذوف الأداة للدلالة على عظم هذا الحبِّ في قلبه، والذي لا يفارقه حتَّى بالموت، فهو أصيلٌ مُتجذِّرٌ في نفسه «وشيبي لا يحولُ»، ليبيِّن في البيت الثاني خضوعه واتِّباعه لهم، فهو خادم لهم كما بيَّن في الجملة الاسميَّة «أنا مولاكم»، والجمل الاسميَّة تدلُّ على الدَّيمومة والاستمراريَّة، وهي جملة خبريَّة في الوقت نفسه، كونه يُصرِّح ويعطي علمًا بالأمر عبر مخاطبتهم بضمير المخاطب بصيغة الجمع، مُصرِّحًا بانتسابه لهم «والدي حيدرٌ وأمي البتول». نلاحظ من خلال هذه الأبيات افتخار الشّاعر بنسبه العلويّ، وذِكر السيّدة فاطمة عليها السلام جاء للتأكيد على أنَّ آل البيت عليهم السلام كانوا امتدادًا لبيت عليّ وفاطمة عليهما السلام. هذا الحبُّ يتمظهر من خلال المدح والانتساب للعترة الطَّاهرة والرِّثاء، وقد سلك الشَّريف الرضيّ في هذه الأنواع جميعها، مُعبِّرًا عمَّا يختلج في نفسه

(١) الشريف الرضيّ، الديوان، دار صادر، ودار بيروت، ص١٩٠.

من مشاعر وأحاسيس تجاههم، مُبرزًا مظلوميَّتهم، ومفتخرًا بهم تارةً، ومستحضرًا مناقبهم وفضائلهم تارةً أخرى.

أمَّا الشَّاعر البِشنويّ الكرديّ فيعرض لمرور الزَّهراء على الصِّراط، فيقول:

وقف النّدا في موضعٍ عَبَرتْ
فيه البتولُ: عُيونَكم غُضّوا
فتمرُّ والأبصارُ خاشعةٌ
وعلى بَنان الظالمِ العضُّ
تَسودُّ حينئذٍ وجوههم
ووجوهُ أهلِ الحقِّ تبيضُّ(١)

وكما فعل ديك الجنِّ في استحضاره المكان، عمد الشاعر البِشنويّ الكرديّ لاستحضاره مع تغيُّر المُعطيات بتغيُّر المكان المُسمَّى. فالشَّاعر يعرض لمرور الزَّهراء عليها السلام على الصِّراط دون أن يسمِّيه «في موضعٍ»، والذي نستدلُّ عليه من «وقف النّدا/ عيونكم غضّوا». في الوقت الذي يحتشد فيه النَّاس وينتظرون المرور على الصِّراط، يؤمَرون بغضِّ النَّظر لمرور البتول عليه «عيونكم غضّوا». إنَّ تقديم المفعول به على الفعل والفاعل يُفيد الأمر المُلزم والفوريّ بغضِّ النَّظر، كون التي تمرُّ ليست أي امرأة، بل هي سيِّدة نساء العالمين «البتول». ويعرض لحال الحشود عبر الجملة الحاليَّة «والأبصار خاشعة». هذا يوم الحساب، لذلك سيكون موقف الظَّالم صعبًا «وعلى بنان الظَّالم العضُّ»، فهناك فريقان متقابلان: الظالمون، وأهل الحقِّ، ولتبيان حالتهم يعمد لاستخدام المقابلة «تسودُّ وجوه الظالمين»، و«تبيضُّ وجوه أهل الحقِّ»، ومن هذا المنطلق يُقدِّم الشَّاعر ظرف الزَّمان «حينئذٍ» على الفاعل «وجوههم»؛ للدلالة على الحسرة التي ترتسم على وجوه الظالمين في هذا الوقت المعلوم، في الوقت الذي يُقدِّم فيه «وجوه أهل الحقِّ» على

(١) ابن شهر آشوب، م.س، ص٣٢٧.

الفعل «تبيضُّ» للدلالة على البُشرى بالفوز العظيم الذي نالوه باتِّباعهم وحبِّهم لأهل البيت عليهم السلام، فالصِّراط هو الحكم بين الفريقَين كلاهما، فمن يجز على الصراط يسلم، ومن تزلُّ قدمه يهلك. لقد استحضر الشَّاعر ذِكر السيِّدة فاطمة عليها السلام مستندًا إلى الأحاديث الشَّريفة التي تبيِّن دورها وعظمتها وشفاعتها لمحبِّيها، وهذا في صُلب العقيدة، فعن رسول الله أنَّه قال: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ تحت الحُجُب: يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم ونكِّسوا رؤوسكم فهذه فاطمة بنت محمَّد رسول الله تريد أن تمرَّ على الصراط**»[1].

(١) الديلميّ، م.س، ص٢٣٢.

رابعًا: القرن الثاني عشر

يقول الشاعر محمَّد كاظم الأزريّ في قصيدة الأزريَّة في رثاء الزَّهراء:

نَـقـضـوا عـهـدَ أحمـــدٍ في أخـيـهِ
وأذاقـــوا الـبـتـولَ مـا أشـجـاهـا
وهـــي الـــعُـــروةُ الـتـي لـيـس ينجو
غـــيرُ مـسـتـعـصـمٍ بـحـبـلِ وِلاهـــا
لم يـــرَ الله لـلـنـبـوّة أجـــرًا
غـير حـفـظ الـــوِداد مـن قُـربـاهـا
لـستُ أدري إذ رُوِّعـتْ وهْـي حسرى
عـانـدَ الـقـومُ بَـعـلـهـا وأبـاهـا
يـــومَ جـــاءتْ إلى عُـــديٍّ وتَـيْـمٍ
ومِـــن الـوجـدِ مـا طـــالَ بُـكـاهـا
تـعـظُ الـقـومَ في أتـــمِّ خـطـابٍ
حَـكَـتِ المصطفى بـه وحـكـاهـا[1]

في هذه القصيدة الملحميَّة الطَّويلة يُعرِّج الشَّاعر على ذِكر الزَّهراء وما كان منها بعد وفاة أبيها وسلبها حقّها في فدك وحقّ بعلها في تولِّي المنصب الإلهيّ بعد نقض العهد من قِبَل أصحاب السّقيفة. الشَّاعر يستحضر الماضي ويروي تفاصيله بصيغة الماضي «نقضوا، أذاقوا، أشجى، رُوّعت، عاند، جاءت، طال، حكت، حكاها»، والضَّمائر

(١) الشيخ كاظم الأزريّ، الأزريَّة، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤٠٩هـ، ص١٤١.

تتنوع بين الغائب المؤنَّث «هي»، والغائب بصيغة الجمع «أذاقوا»، والمتكلِّم «لست أدري»، أضف إلى ذلك، انتشار للحقل المعجميّ الطافح بالحزن والأسى «أشجاها، روّعت، حسرى، بكاها». لقد استدعى الشَّاعر الحقل المعجميّ بمفرداته وتعابيره للدلالة على ما طال الزَّهراء وأهل بيتها عليهم السلام من الأذى، وهذا ما جعلها تتألَّم وتسعى لتبيان حقّها وحقّ زوجها عبر خطبتها الشَّهيرة، وكأنَّها كانت تنطق بلسان أبيها صلى الله عليه وآله ببلاغته وفصاحته ومنطقه «حكت المصطفى به وحكاها». إذًا، نحن أمام مشهديَّة تتمحور حول الزَّهراء عليها السلام ومظلوميَّتها، وفعل الظالمين بها، وموقف الشَّاعر الموالي الذي أشجاه ما تعرَّضت له الزَّهراء عليها السلام من هضمٍ لحقوقها، وهي التي «لم يرَ الله للنبوَّة أجرًا غير حفظ الوداد من قُرباها». إنَّ استحضار الزّهراء ودورها في هذه الأبيات دليلٌ واضحٌ على الدَّور الذي اضطلعت به، فلم تجلسْ عندما تطلَّب منها الأمر الخروج للدِّفاع عن حقِّها، وفي هذا دعوة صريحة لتبنِّي مواقف الزَّهراء عليها السلام، وأخذ العِبر منها، كونها المثال الأعلى الذي يُحتذى.

خامسًا: القرن الرابع عشر

قال الشيخ إبراهيم النصيراويّ في مولد الزَّهراء:

أكـــبرْتُ ذِكـــراكِ لا يـرقـى لهـا أدبي
فـيـضٌ مـن الـوحـي أم سرٌّ مـن العجبِ
أكـــبرتُ فـيـكِ حـيـاةً مـا لهـا شبـهٌ
كـالأنـبـيـاء حَـوتْ مـن أفـضـلِ الـرُّتـبِ
بـنـت الـنـبـيِّ وحـسـبـي أنَّهـا خُـلـقـتْ
وِتـــرًا لِـطـه ولم تُـشـفـعْ لأيِّ نبي
هل تُحجبُ الشمسُ عن أنـوارِ طلعتها
كـلَّا، وأنـوارُهـا تـبـدو مـع الحُـجُـبِ[1]

تبدو الوجدانيَّة طافحة في هذه الأبيات التي غلب عليها ضمير المتكلِّم «أكبرتُ، أدبي، حسبي، أكتب»، وهي تعود للمرسِل، مقابل ضمير المخاطب والغائب «خُلقتْ، طلعتها، أنوارها، فيكِ، ذكراكِ» العائدة للزَّهراء عليها السلام. يكرِّر الشَّاعر الفعل «أكبرتُ» مرَّتين للتأكيد على أهميَّة هذه الذِّكرى العطرة، ألا وهي ولادة الزَّهراء عليها السلام، والتي يحتار الشَّاعر في كيفيَّة التَّعبير عنها «لا يرقى لها أدبي»، لأنَّها تختصُّ بامرأة ملكوتيَّة تعجز الكلمات عن وصفها، مُشبِّهًا حياتها بحياة الأنبياء «كالأنبياء»، نافيًا أن تكون شبيهة بحياة أيِّ مخلوق آخر «حياة ما لها شبه»، أمَّا وجه الشَّبه فهو المقام العالي والرَّفيع الذي تتشاركه معهم لسموِّ قدرها وعلوِّ جاهها «حوت أفضل الرُّتَبِ». هذه المنزلة الرَّفيعة

(١) جعفر الهلاليّ، معجم شعراء الحسين عليه السلام، ج١، ص١٥٩.

التي نالتها الزَّهراء عليها السلام، جعلتها في مصاف الأنبياء، ولو لم تكن منهم، فحسبها أن تكون «بنت النبيّ»، وقد قرن رضاها برضاه، وغضبها بغضبه، ممَّا ينمُّ عن الواجب المحتَّم تجاهها، الأمر الذي يوجِب طاعتها؛ لأنَّها من طاعة الرسول صلى الله عليه وآله «وِترًا لطه». وفي البيت الأخير يطرح الشَّاعر سؤالًا إنكاريًّا، ويُجيب عنه في الشطر الثاني. إنَّ الغاية ليست السؤال بحدِّ ذاته، بقدر ما يهدف إلى تبيان مكانتها التي لم يستطع أحدٌ حجبها أو إطفاءها، لقد شبَّهها بالشَّمس التي يسطع ضوؤها حتَّى مع وجود الحجب، وبرز الطِّباق في البيت الأخير «تُحجب، تبدو»؛ ليؤكِّد سطوع نورها رغم كلِّ الحُجب.

أمَّا الوائليّ فنراه يفخر بالانتماء لآل البيت عليهم السلام، مُبرزًا مكانة فاطمة الزَّهراء عليها السلام فيقول:

كيف يدنو إلى حشاي الدَّاءُ
وبقلبي الصِّدِّيقةُ الزَّهراءُ
من أبوها وبَعلُها وبنوها
صفوةٌ ما لمثلهم قُرناءُ
أفقٌ ينتمي إلى أفق اللـ
ـه وناهيك ذلك الانتماءُ[1]

ينحو الشَّاعر منحًى استفهاميًّا في بداية القصيدة، يحملُ طابع الاستغراب والاستنكار «كيف يدنو إلى حشاي الدَّاء»، هذا السؤال يبقى محيِّرًا حتَّى يُعلن السَّبب في عدم اقتراب الدَّاء من الشّاعر، فيُصرِّح بجملة اسميَّة تحمل طابع الديمومة والاستمرار «وبقلبي الصِّدِّيقة الزَّهراء». في هذه الجملة يُقدِّم الشَّاعر الخبر على المبتدأ للدلالة على احتواء هذا القلب حبّ فاطمة عليها السلام الذي جعله مستأنسًا لا خائفًا ولا وجِلًا. ويكمل في البيت الثاني باستفهامه، وهو استفهام العارف مُتسائلًا «من أبوها وبعلها وبنوها»، ومجيبًا

(١) الوائلي، الديوان، قم، ١٤١٢هـ، ص٢٨.

عن سؤاله في الوقت عينه «صفوة» لم يدانيهم أحدٌ في الفضل، ولا في المكانة التي خصَّهم الله تعالى بها «أفقٌ ينتمي إلى أفق الله»، ويكفيهم ذلك الانتماء فخرًا؛ لأنَّ هذه المنزلة لم يرقَ لها أحد قبلهم ولا بعدهم. لقد عبَّر الشَّاعر عن خلجات نفسه تجاه الزَّهراء عليها السلام كونها حلقة الوصل بين النبيّ صلى الله عليه وآله وآل بيته من الأئمَّة الأطهار، هذه السِّلسلة المترابطة من الأب والزَّوج والأولاد تنتمي إلى «أفق الله»، وقد ميَّزهم الله تعالى بهذه الخاصيَّة عن سائر البشر.

الخاتمة

أخيرًا، نستطيع القول إنَّ الشِّعر الذي خصَّ به الشُّعراء السيِّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام تطوَّر عبر الزَّمن، من ذِكرٍ لها مع آل بيتها عليهم السلام في سياق القصيدة، إلى إنشاء المطوَّلات الخاصَّة بها، والتي تتناول مناقبها وفضائلها، مع تنوُّع الموضوعات التي تناولت شخصيَّتها الفريدة، فشكَّلت منبعًا للإلهام يستقي منه الشُّعراء، وخاصَّة الموالين، ما يرفدُ تجربتهم ويُضيف إليهم تجربة، ووعيًا، وحسًّا بالانتماء لآل البيت عليهم السلام. وقد تنوَّعت الموضوعات بتنوُّع الأحداث والمناسبات، فنجد القصائد قد نُظمت في رثائها وتبيان مظلوميَّتها، أو مهلِّلة فرحة بذكرى ولادتها العطرة، وتزويجها، وأخرى لمرورها على الصِّراط. ومن خلال دراستنا لاحظنا أنَّ الشّعراء المتأخِّرين اعتنوا عناية فائقة بالقصيدة وبوحدة الموضوع، أضف إلى ذلك الصياغة الفنيَّة والتَّفنُّن بالإخراج. وقد انبرى عدد كبير من الشُّعراء للكتابة عنها، وخصُّوها بقصائد عالية المستوى، هذا العدد لم نجده في القرون السَّابقة، ولعلَّ السَّبب يعود إلى الاضطهاد الذي مورس على أصحاب الكلمة الحرَّة، فلم يطق الصُّمود أمام الطغمة الحاكمة إلَّا القليلون.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأزريّ، كاظم، الأزريَّة، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢. الأصفهانيّ، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: نخبة من الأدباء، بيروت، دار الثقافة، ط٨.

٣. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤. الحميريّ، الديوان، جمع شاكر هادي شكر، بيروت، منشورات مكتبة الحياة.

٥. الخزاعي، دعبل، الديوان، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيليّ، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ط٢، ١٩٧٢م.

٦. الديلميّ، إرشاد القلوب، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ، ط٤، ١٩٧٨م.

٧. الريشهريّ، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسنَّة والتاريخ.

٨. ريفاتير ميشال، دراسات في الأسلوبيَّة البنيويَّة، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٦م.

٩. الشريف الرضيّ، الديوان، دار صادر ودار بيروت.

١٠. الشكعة، مصطفى، رحلة الشعر من الأمويَّة إلى العبَّاسيَّة، ج٣، بيروت، دار النهضة العربيَّة.

١١. الفرزدق، الديوان، شرح وضبط: أ. عليّ الفاعور، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧.

١٢. فضل، صلاح، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، القاهرة، مؤسَّسة مختار للنشر والتَّوزيع، د.ط، ١٩٩٢م.

١٣. القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.

١٤. قسم الدراسات الاسلاميَّة، مؤسَّسة الزَّهراء، فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الشعر العربيّ، مؤسَّسة البِعثة، ط١، ١٩٩٧م.

١٥. الكميت، الديوان، جمع وشرح وتحقيق: د. محمَّد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٠م.

١٦. المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣، مؤسَّسة الوفاء، لبنان.

١٧. مروان بن أبي حفصة، الديوان، تحقيق: د. حسين عطوان، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٨. المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، تونس، الدار العربيَّة للكتاب، ط٣، ١٩٩٣م.

١٩. الهلاليّ، جعفر، معجم شعراء الحسين عليه السلام.

٢٠. الوائلي، الديوان، قم، ١٤١٢هـ.

الصدِّيقة الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء في الخطاب النَّثريّ الأندلسيّ كتاب درر السمط في خبر السبط لابن الأبَّار القضاعيّ (ت ٦٥٨هـ) (دراسة تحليليَّة)

أ.م.د. حيدر زوين
جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب/ قسم اللغة العربيَّة

ملخَّص البحث

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمَّد وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين.

وبعد، فقد قسِّم هذا البحث على ثلاثة مباحث، سُبِقت بمقدِّمة، وخُتمت بخاتمة بيَّن فيها الباحث أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث، وتطرَّق المبحث الأوَّل إلى قراءة السيرة الشخصيَّة لابن الأبَّار، في حين عرض المبحث الثاني لدراسة كتاب درر السمط في خبر السبط، وحمل المبحث الثالث عنوان: الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء في كتاب درر السمط (دراسة تحليليَّة).

وقد اتَّبع البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ الاستقرائيّ؛ من أجل الوصول إلى نتائج تُثرِيه وتخدم الباحثين، وصولًا إلى الحقائق المرجوَّة، معتمدًا على مجموعة من المصادر (التاريخيَّة والأدبيَّة والبلاغيَّة واللغويَّة والفقهيَّة).

مقدِّمة البحث

زخر القرن السابع الهجريّ في الأندلس بأدباء بارزين، أظهروا الجانب العقائديّ بشكلٍ واضحٍ وجليٍّ من خلال نتاجاتهم الشعريَّة والنثريَّة، فعلى الرغم من المعوِّقات التي اعترضتهم من خلال الحكَّام الأندلسيِّين في تلك الحقبة، إلَّا أنَّ ذلك لم يقف حائلًا من دون بروز الانتماء المذهبيّ في تلك النتاجات الأدبيَّة، وقد قسِّم هذا البحث على ثلاثة مباحث سُبِقت بمقدِّمة، وانتهت بخاتمة بيَّن فيها الباحث أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث، وقد تطرَّق المبحث الأوَّل إلى قراءة السيرة الشخصيَّة لابن الأبَّار، في حين عرض المبحث الثاني لدراسة كتاب درر السمط في خبر السبط، وحمل المبحث الثالث عنوان: الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء في كتاب درر السمط (دراسة تحليليَّة).

وقد اتَّبع البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ من أجل الوصول إلى نتائج تُثريه وتخدم الباحثين، وصولًا إلى الحقائق المرجوَّة، معتمدًا على مجموعة من المصادر (التاريخيَّة والأدبيَّة والبلاغيَّة واللغويَّة والفقهيَّة).

وقد بذل الباحث ما بوسعه حتَّى يخرج البحث بالصورة التي هو عليها الآن، والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول

ابن الأبَّار البلنسيّ (قراءة في السيرة الشخصيَّة للمصنِّف)

أ) نبذة من حياته: هو أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعيّ، ويُعرف بابن الأبَّـار، فقيه، ومـؤرِّخ، وأديب من قبيلة قضاعة التي استوطنت أُنْدة في ضواحي بلنسية[1]. تلقَّى علومه في بلنسية على يد: «أبي عبد الله بن نـوح[2]، وأبي جعفر الحصَّار[3]، وابن واجـب[4]، وأبي الحسن بن خَـيْرة[5]، وأبي سليمان بن

(١) ينظر: نفح الطِّيب: ٣/ ٣٠٣، ٢/ ٥٨٩.

(٢) الإمام شيخ القرَّاء القاضي أبو عبد الله محمَّد بن أيُّوب بن نوح الغافقيّ البلنسّي. تلا على ابن هذيل، وسمع من جماعة، وتفقَّه بابن عقال، وحفظ المدوَّنة وأخذ النحو عن ابن النعمة . وأجاز له أبو مروان بن قزمان، والسلفيّ. وكان من كبار الأئمَّة. خطب ببلنسية، مات في شوَّال سنة (٦٠٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٢.

(٣) هو الإمام الفقيه عليّ بن محمَّد بن محمَّد. أبو الحسن الخزرجيّ الإشبيليّ ثمَّ الفاسيّ، إشبيليّ الأصل، نشأ بفاس ثمَّ رحل إلى المشرق وحجَّ وجاور بمكَّة. كان محدِّثًا راويةً فقيهًا، مفسِّرًا، عارفًا بأصول الفقه، متحقِّقًا بعلم الكلام، قيل إنَّ وفاته في سنة (٦١٠هـ)، ودفن بالبقيع. ينظر: تكملة الصلة: ٣/ ٢٤٨، الذيل والتكملة: ٥/ ٧٢، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٨٣، شجرة النور: ١٧٣، الأعلام: ٤/ ٣٣٠.

(٤) هو أحمد بن محمَّد بن عمر بن واجب القيسيّ، يكنَّى بـ(أبي الخطَّاب، حمل راية الرواية في شرق الأندلس ويعدُّ من ثقاتها، حدَّث عن جدِّه وعن ابن هذيل، وأجاز له أبو بكر بن العربيّ، ولد سنة ٥٣٥هـ، وكانت وفاته سنة ٦١٤هـ. ينظر: الذيل والتكملة: ١/ ٤٧٠-٤٧٢، والتكملة: ١٠٦.

(٥) أبو الوليد محمَّد بن عبد الله بن خيرة، من أهل قرطبة، كان من أحفظ الناس للرأي، مع المشاركة في الأدب، والتفنُّن في المعارف، توفِّي سنة (٥٥١هـ)، ينظر: المعجم: ١٧٢، ١٧٤، وشجرة النور: ١٤٣.

حَوْط [1]، وغيرهم»[2]. واتَّصل بأبي الربيع بن سالم[3]، ولزمه قرابة عشرين عامًا، وهو الذي علَّم ابن الأَبَّار صناعة الكتابة، وحبب إليه إتمام كتاب الصلة لابن بشكوال[4].

ولكن ابن الأَبَّار ما لبث أن أغضب المستنصر وحاشيته بسلوكه، فقد كان يزري به في مجالسه، وعُزيت إليه أبيات في هجائه، فأمر به فُقِتل، ثمَّ أُحرِق جثمانه ومصنَّفاته وأشعاره وإجازاته العلميَّة في محرقة واحدة في سنة (٦٥٨هـ)[5].

ب) مصنَّفاته التأليفيَّة: لم يصل إلينا من كتبه الخمسة والأربعين إلَّا عشرة كتب، فضلًا عن سبعة معاجم، وهذه الكتب هي:

١. إعتاب الكتَّاب وفيه يضرب للسلطان الحفصيّ أبي زكريَّا الأمثال عن حلم الملوك[6].

٢. إيماض البرق في شعراء الشرق (شرق الأندلس)[7].

٣. تحفة القادم: وهو في تراجم الشعراء الأندلسيِّين للحقبة الزمنيَّة الممتدَّة من (٥١٩-٦٣٧هـ).

---

(١) محدِّث الأندلس أبو محمَّد عبد الله بن سليمان بن داوود بن حوط الله الأنصاريّ الحارثيّ الأندلسيّ، من أُندة، أخو الحافظ أبي سليمان. ولد سنة (٥٤٩هـ)، روى شيئا كثيرًا وألَّف كتابًا في رجال الكتب الخمسة، وكان منشئًا خطيبًا، وقاضيًا في قرطبة، كانت وفاته في سنة ٦١٢هـ. ينظر: الإحاطة، ٣/ ٤١٦-٤١٧.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات، ٣/ ٣٤٤، وعقود الجمان: ٢٨٧.

(٣) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسَّان الحميريّ البلنسيّ، وهو شيخ الحديث والبلاغة، ولِد في سنة (٥٦٥هـ)، من مصنَّفاته: (الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، الصحابة، المصباح، سيرة البخاريّ)، استُشهد في مرسيه سنة (٦٣٤هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٣٤-١٣٧.

(٤) ينظر: فوات الوفيات: ٣/ ٤٠٤، وعنوان الدراية: ٣٠٩.

(٥) ينظر: شذرات الذهب: ٥/ ٢٧٥، وسير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٣٣٦.

(٦) ينظر: الذيل والتكملة: ٦/ ٢٥٣-٢٧٥، أزهار الرياض: ٣/ ٢٠٤.

(٧) ينظر: الذيل والتكملة: ٦/ ٢٥٣-٢٧٥، أزهار الرياض: ٣/ ٢٠٤.

٤. التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال[١].

٥. خضراء السندس في شعراء الأندلس من أوَّل فتحها إلى آخر عمره.

٦. ديوانه الشعري[٢].

٧. المقتضب من كتاب تحفة القادم.

وله شعر رقيق، يقوم على تزيين الأسلوب والإكثار من المحسِّنات البديعيَّة.

ت) فضلًا عن ذلك، فقد ألَّف البلنسيّ سبعة معاجم في علم الرِّجال، وهي[٣]: (معجم أصحاب أبي عمر بن عبد البرِّ[٤]، ومعجم أصحاب أبي عمرو المقرِّي[٥]، ومعجم أصحاب أبي عليّ الغسَّانيّ[٦]، ومعجم أصحاب أبي داوود

(١) وهو أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن واحة بن داكه بن نصر بن عبدالكريم بن واقد الخزرجيّ الأنصاريّ، ولد في عام ٤٩٤هـ، نشأته في قرطبة، له أكثر من خمسين مؤلَّفًا، منها: (كتاب الصلة في تاريخ أئمَّة الأندلس، أخبار قضاة قرطبة، وكتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة)، كانت وفاته سنة ٥٧٨هـ. ينظر: محدِّث الأندلس ابن بشكوال شخصيَّته ومؤلَّفاته، ج١٦، ع٢٨.

(٢) ينظر: اختصار القدح المعلَّى: ١٩١، المغرِب في حُلى المَغرب: ٢/ ٣٠٩.

(٣) ينظر: تحفة القادم، الصفحة (ب).

(٤) أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البرِّ، ولِد في قرطبة في سنة (٣٦٨هـ)، إمام وفقيه مالكيّ ومحدِّث ومؤرِّخ أندلسيّ، له (التمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وجامع بيان العلم وفضله وممَّا ينبغي في روايته وحمله، والدرر في اختصار المغازي والسِّيَر، والشواهد في إثبات خبر الواحد، والتقصِّي لما في الموطَّأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبار أئمَّة الأمصار، والبيان في تلاوة القرآن والتجويد، والمدخل إلى علم القرآن بالتجويد والاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلا بتوجيه ما اختلفا فيه، والكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة، والعقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء، وبهجة المجالس وأنس المجالس بما يجري في المذكِّرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات)، كانت وفاته في سنة (٤٦٣هـ). ينظر: نفح الطيب: ٢/ ٦٢.

(٥) لم أحصل على ترجمته.

(٦) أبو عليّ الحسين بن محمَّد الغسَّانيّ الجيانيّ الأندلسيّ، ولادته في سنة (٤٢٧هـ)، محدِّث من=

الغسَّانيّ[1]، ومعجم أصحاب أبي علي الصدفي[2]، و معجم أصحاب أبي بكر بن عربيّ[3]، و معجم شيوخ أبي علي بن السرَّاج[4].

ث) ومن مصنَّفاته في التاريخ[5]:

١. الحلَّة السِّيراء في تاريخ المغرب وتراجم رجاله: يتحدَّث فيه عن مشاهير الأعلام في السياسة والحرب من رجال الأندلس وبلاد المغرب من (المئة الأولى إلى المئة الرابعة).

٢. درر السِّمط في خبر السِّبط: وهو كتاب في أخبار تاريخ الرسول الأكرمﷺ، وأهل بيتهِ.

=العلماء له مجموعة من الكتب منها: تقييد المهمل والألقاب والتعريف بشيوخ البخاريّ، والتنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحَين، كانت وفاته سنة (٤٩٨هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ١٤٨-١٥١.

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) الإمام الحافظ أبو عليّ الحسين بن محمَّد بن فيره بن حيون بن سكرة الصدفّي، ولد في عام ٤٥٤هـ، قاضي أندلسيّ من مشاهير حفَّاظ الحديث في الأندلس، وأطولهم رحلة في طلب الحديث، أخذ عن ١٦٠ شيخًا، من أبرز مشايخه أبو الوليد الباجيّ وأبو العبَّاس العذريّ، استُشهد سنة ٥١٤هـ في موقعة سرقسطة. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) محمَّد بن عبد الله بن محمَّد المعافريّ المشهور بالقاضي أبي بكر بن العربيّ الإشبيليّ المالكيّ الحافظ، عالم أهل الأندلس ومسندهم، وهو ليس محي الدين بن عربيّ الصوفيّ، ولِد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ، من مؤلَّفاته: (قانون التأويل، أحكام القرآن، أنوار الفجر، الناسخ والمنسوخ، العواصم من القواصم، وقانون التأويل)، كانت وفاته سنة ٥٤٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ١٩٧-٢٠٠.

(٤) الشيخ الإمام المحدِّث اللغويّ الوزير الأكمل، حجَّة العرب أبو مروان عبد الملك بن قاضي الجماعة أبي القاسم سراج بن عبد الله بن محمَّد بن سراج الأمويّ، القرطبيّ، ولِد في عام (٤٠٠هـ)، روى عنأبيه، وإبراهيم بن محمَّد الأفليليّ، ويونس بن عبد الله بن مغيث، ومكِّي بن أبي طالب القيسيّ، وأبي عمرو الصفاقسيّ، وجماعة. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ١٣٣.

(٥) ينظر: تحفة القادم، الصفحة (ب)

المبحث الثاني

كتاب درر السِّمط في خبر السِّبط (أهميَّته، وصفه، مرجعيَّاته)

المحور الأوَّل: أهميَّة الكتاب

يعدُّ الكتاب من المصادر المهمَّة في الأدب الأندلسيّ، والتي نقلت لأهل الأندلس الحوادث التاريخيَّة التي شهدها تاريخ الإسلام في المشرق العربيّ، متمثِّلةً بالحوادث التي تعرَّض لها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وبضعته الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأهل بيته الطيِّبين الطاهرين، وعلى الرغم من أنَّ تصنيف هذا الكتاب مِن قِبَل الباحثين بأنَّه من ضمن كتب التاريخ، إلَّا أنَّه لا يخلو من السمات والخصائص البلاغيَّة التي تكشف عن ثقافة المصنِّف العالية، وباعه الطويل في مجال الشعر والنثر واللغة والبلاغة، وغيرها من العلوم.

فضلًا عن ذوقه العالي في اختيار الألفاظ وزخرفتها وتنميقها، وقد سلَّط هذا الكتاب الضوء على الحوادث والرزايا والخطوب والمحن التي تعرَّض إليها آل البيت عليهم السلام، وما ارتكبه الحكَّام من جرائم بحقِّهم.

المحور الثاني: وصف الكتاب

درر السمط في خبر السبط، تأليف: ابن الأبَّار البلنسيّ الأندلسيّ، أبي عبد الله محمَّد ابن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ، تحقيق: الدكتور عبد السلام الهرَّاس، والأستاذ سعيد أحمد اعراب، والدكتور عزّ الدين عمرو موسى، منشورات مؤسَّسة الغرب الإسلاميّ

للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ. يقع الكتاب في أربع وثلاثين ومائة صحيفة.

ومن المناسب أن نذكر هنا أنَّ سبب تسمية الكتاب بهذا العنوان تتعلَّق بأربعة محاور، كما يرى ذلك محقِّق الكتاب، وهذه المحاور:

١. أحقيَّة آل البيت عليهم السلام بالخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.
٢. المظلوميَّة التي تعرَّض لها أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، والسيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء من قِبَل الخلفاء على اختلاف عصورهم.
٣. إظهار مناقب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وآل بيتهِ الكرام ومآثرهم، ومن ضمنهم السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء التي انماز بها من دون غيرهم من البشر.
٤. كثرة أحاديث الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله في أصحاب الكساء عليهم السلام، وبالأخصِّ الإمام علي عليه السلام، والصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام[١].

والعنوان كما نقرأه يدلُّ على أنَّه مقتبس اقباسًا معنويًّا من حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بحقِّ حفيده الإمام الحسين عليه السلام: «حسينٌ منِّي، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسينًا، حسين سبطٌ من الأسباط»[٢].

والسِّبط في اللغة تعني الحفيد، وتعني الولد، ويرى البحث أنَّ الأُولى أنسب[٣]، وقد وردت لفظة السِّمط بعدَّة معانٍ، منها: ((السِّمط: الرجل الفقير، والسِّمط: الرجل الدَّاهية، والسِّمط: هو الخيط الذي تنتظم بهِ دائرة العقد، والسِّمط: القلادة»[٤]، والمعنى

(١) ينظر: درر السِّمط في خبر السِّبط، ابن الأبَّار البلنسيّ: ٢٧-٢٨.
(٢) جامع الترمذيّ، محمَّد بن عيسى الترمذيّ، رقم الحديث ٣٧٧٥.
(٣) لسان العرب: (سبط).
(٤) المصدر نفسه.

الأنسب الذي يلائم هذا التركيب هو القلادة، وبذلك فقد وفِّق المصنِّف في اختيار العنوان الرئيس للكتاب، فيكون المعنى واضحًا، درر القلادة في خبر الحفيد، فاللفظتان السِّمط والسِّبط تعدَّان من الجناس الناقص، فهما تتلاءمان في نهايات الحروف، وهما تليقان بالعنوان.

المحور الثالث: منهج ابن الأبَّار ومرجعيَّاته في كتاب درر السِّمط

أ. تقسيم المادة التي درسها المصنف على فصول: وهو يذكر في بداية كلِّ فقرة جديدة مصطلح فصل، وتتنوَّع الفصول في معظم أجزاء الكتاب.

ب. الاقتباس القرآنيّ: لا يخفى على أحد أنَّ الآيات القرآنيَّة الكريمة، والأحاديث النبويَّة الشريفة لها قداسة كبيرة وشرعيَّة وحُرمة مرعيَّة، والتعامل معها إنَّما يكون شرعةُ ربِّ العزَّة من أوجه التعبُّد بها، وأنَّ الغرض من النصوص القرآنيَّة هو التذكير بأمرٍ ربَّانيٍّ ربَّما منسيّ، أو لتقوية الرأي في خلاف معيَّنٍ مرويّ، وإنَّ توظيف النصوص القرآنيَّة لخدمة رأيٍ أو هوى نفسٍ أو تبريرٍ، فهو حرام، وهو فساد في الاعتقاد، يلجأ إلى هذا الأمر مَن ضعُف إيمانه وقلَّ تعظيمه لشرع ربِّه، وهو امتهان لكتاب الله المعظَّم، وانتقاص من سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، بأن نجعلها أداةً لتسويغِ نقائصنا، وتمريرِ سوء أفكارنا، فالتمسُّك بالنصِّ القرآنيّ فيه هداية، وتلاوته توفيق ورزق، والعمل به استحقاق للإمامة في الدين، والسير على منهج أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الحكمة من استعمال النصِّ هو أن يكون التفكير بين اثنين اثنين أو واحد واحد؛ خوفًا من القضاء على الحقيقة في الزحام، وخفاء وجه صواب الرأي في الاجتماع[1].

لقد وجدت المصنِّف موفَّقًا جدًّا في استعمال النصِّ القرآنيّ، بما يخدم فكرته وهدفه في هذا الكتاب، فقد وظَّف النصَّ القرآنيّ في أكثر من ثلاثين موضعًا، وكان أوَّل توظيف

(١) السيِّد محمَّد حسين فضل الله ومنهجه في تفسير وحي القرآن، سناء عليوي عبد السادة الزبيديّ: ١٠٩.

قد وظَّفه البلنسيّ في خدمة الموضوع الذي يتحدَّث عنه، إذ سخَّر الآيات الكريمة التي تتحدَّث عن شرف آل البيت، كقوله: «ذؤابة أشابه، فضلهم ما شانه نقص، ولا شابه، سرارة محلّتهم سر المطلوب، وقرارة محبَّتهم حبَّات القلوب، أذهب الله عنهم الرجس»(١)، إذ يشير إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢)، فعلى مدى الفقرات التي تسلسل بها المصنِّف، لم يذكرهم مباشرةً، وإنَّما عمد إلى استعمال الضمائر المتَّصلة، ومن ثمَّ ذكر الآية استعمالًا غير مباشر؛ لتنبيه المتلقِّي إلى العنصر الذي يتحدَّث عنه، وهم آل البيت. وفي موضع آخر يشير إلى أنَّ كتمان حبِّ آل البيت عليهم السلام يعدُّ من الإثم(٣)، ويستدلُّ بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾(٤). وفي موضعٍ ثالثٍ يشير إلى الظلم الذي لحق بهم، وهذا كلُّه في مقدِّمة كتابه، إذ يستدلُّ بقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾(٥)، إذ يشير في هذه الآية إلى وجوب الأخذ بالثأر من قَتَلة المظلوم، وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(٦)، أي أصحاب السِّمة، والعلامة التي تميِّزهم عن غيرهم، ويشير معظم المفسِّرين أنَّ هذه الآيات القرآنيَّة نزلت بحقِّ الإمام عليّ، والصدِّيقة الطاهرة الزَّهراء، والحسن، والحسين عليهم السلام.

ت. **اعتماد التضمين الشعريّ**: إذ يضمِّن المصنِّف أبياتًا شعريَّة قد يكون هو قائلها أو غيره في هذا الكتاب، ونلمس ذلك بقوله: «كأنَّ كسر الباب سببًا لتقطُّع الأسباب، والمقدور كائن جدَّد الحتف وجرَّد السيف، فأبيح حمى المهاجرين والأنصار، وأتيح لأهل البيت يوم كيوم الدار، تلك الرزيَّة لارزيَّة

(١) درر السمط: ٥٩.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٣) درر السمط: ٦٠.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٣.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٣٣.
(٦) سورة الحجر: الآية ٧٥.

مثلها»[1]. وفي هذه الفقرات يشير ابن الأبّار البلنسّي إلى الظلامات التي تعرَّضت إليها الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهو يوردها بالتسلسل الزمانيّ في قوله: «كأنَّ كسر الباب سببًا لتقطُّع الأسباب»، أي إنَّها أسقطت جنينها من جرَّاء كسر الباب، وكذلك كسر ضلعها، كما تشير معظم الروايات، فهذه الرزيَّة التي وقعت على آل البيت، كما يشير المصنِّف، رزيَّة عظيمة لم يحصل في التاريخ مثلها، وفي قوله: «والمقدور كائن جدَّد الحتف، وجرَّد السيف، فأبيح حمى المهاجرين والأنصار»، إشارة إلى ارتكاب الجريمة التي لم يسبق الخليفة الثاني أحد في ارتكابها، فتجديد الحتف وتجريد السيف، يكون على الأعداء، وليس على الإمام عليّ عليه السلام، وبضعته فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وفعل الإباحة ذكره الشاعر من جرَّاء الطغيان وتنامي الظلم الذي وصل إلى المهاجرين والأنصار، والعبارة الأخيرة تمثِّل صدرًا لبيت أبي تمَّام الذي يقول فيه:

إنَّ الـــرزيَّـــة لا رزيَّـــة مثـلـهـا
لا تبـتـغي غـطـفـانَ يـــومَ أضـــلَّـــتِ[2]

وقوله في موضع آخر[3]:

تـسـيـلُ عـلـى حـــدِّ الـظـبـاتِ نُـفـوسُـنـا
ولـيـسـتْ عـلـى غـيرِ الـسـيـوفِ تـسـيـلُ[4]

وقوله في موضع آخر[5]:

فـيـمَ الـشـمـاتـةُ إعـلانًـا بـأسـدٍ وغـى
أفـنـاهـم الـصـبرُ إذ أبـقـاكـم الجـــزَعُ

(١) درر السمط: ٦٢.
(٢) ديوان أبي تمَّام: ١/ ٢٠٩.
(٣) درر السِّمط: ٦٦.
(٤) البيت للسموأل في شرح ديوان الحماسة للتبريزيّ، والأصل: الظباة: ١/ ١١٧.
(٥) درر السِّمط: ٦٦.

لاغــروَ إن قـتـلـوا صــبرًا ولا عـجـبٌ
فـالـقـتـلُ لـلـصـبرِ فـي حـكـمِ الـقـنـا تـبـعُ[1]

ففي هذه الأبيات يشير إلى الصبر الذي تمتَّع به أل البيت عليهم السلام، والزَّهراء عليها السلام جزء منهم، وهم بحدِّ وصف الشاعر مشروع للجهاد من أجل ديمومة المشروع الإسلاميّ الرصين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي موضع ردِّه على الذين شمتوا برسول الله؛ لأنَّه لم يرزق بولد، استشهد بقول المتنبِّي[2]:

ومـا الـتـأنـيـثُ لاسـمِ الـشـمـسِ عيبٌ
ولا الـتـذكـيرِ فـخـرٌ لـلـهـلالِ[3]

ث. الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف: إنَّ أهميَّة الأحاديث النبويَّة وأقوال أهل البيت عليهم السلام، تؤكِّد لدينا حقيقةٌ مهمَّةٌ أكيدة لا شائبة فيها، وهي أنَّ لهذه الأحاديث قدسيَّة وسمة واضحة، وكبيرة، وأثر جليّ وبيِّن في مختلف علوم الإسلام، سواء أكانت تلك العلوم دينيَّة أم اجتماعيَّة أو علوم العربيَّة وغيرها، فالأحاديث فضلًا عن أنَّها وضحت القرآن الكريم، فهي أيضًا شقَّت الطريق أمام العلماء، وفتحت لهم آفاقًا واسعة ورحبة، كما أنَّها قرَّبت المسافات الشَّاسعة بالمعرفة بأمور الدين، وتوضيح الأهداف المرسومة، حتَّى قد قيل علم التَّفسير في ظلِّ الحديث النبويّ وبعين رعايتِه، وعلى هديٍ من قوانينِه وأُسُسِه التي كان لها الأثر الملحوظ في علوم الدين وعلوم التاريخ والمجتمع، وحتَّى علوم العربيَّة، لقد لاحظ الباحث أنَّ المصنِّف وظَّف كثيرًا من أحاديث الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله للوصول إلى الحقيقة، وتوضيح منهجه في كتابه موضع البحث، منها قوله[4]:

(١) البيتان في ديوان أبي تمَّام شرح الخطيب التبريزيّ: ٤/ ٩١.
(٢) درر السِّمط: ٦٥.
(٣) ديوان المتنبِّي شرح العكبريّ: ٣/ ١٨.
(٤) درر السمط، ٦٥.

«**الأنبياء أشد الناس بلاء**»(١)، وقوله أيضًا في تشبيه ذريَّة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ الأئمَّة من قريش كما تذكر الروايات، وفي ذلك يقول ابن الأبَّار: «**مثلُ النحلةِ لا تأكلُ إلَّا طيبًا، ولا تضعُ إلَّا طيبًا**»(٢)، وفي موضع آخر هنالك تضمين ثانٍ(٣)، هو: «**ملاك العمل خواتمه ربّ ربّاتِ حجالٍ أنقذ من فحول الرِّجال**»(٤)، وقوله في موضع آخر(٥)، يشير إلى عناية الله عزّ وجلّ، ورعاية الرسول بالزَّهراء عليها السلام، إذ يقول: «**وإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيرًا عسله**»(٦)، دلالة على عناية الله بالعبد ورعايته والاهتمام به.

ج. **تضمين الأمثال العربيَّة القديمة**: ومن الأساليب التي استعملها المصنِّف في هذا الكتاب تضمين هذه الأحداث التاريخيَّة أمثالا عربية قديمة، ومن تلك الأمثال ما ورد في الصحيفة السادسة والستِّين في ذمِّ بني مروان بقوله: «**الحقُّ أبلج والباطل لجلج**»(٧)، وقوله في الصحيفة الحادية والثمانين في شجاعة حمزة بن عبد المطَّلب: «**شوى أخوك حتَّى إذا أنضج رمد**»(٨)، وفي الصحيفة الحادية والتسعين يقول: «لا ماءك أبقيت، ولا درنك أنقيت»(٩)، وفي حديثه عن شجاعة أصحاب الحسين عليه السلام حينما خيَّرهم سيِّد الشهداء للبقاء معه أو الانصراف، وقد ورد ذلك في الصحيفة الرابعة بعد المائة بضرب المثل: «**وهذا الليل قد غشيكم فاتَّخذوه جملًا**»(١٠)

(١) في الحديث النبويّ: أي الناس أشدُّ بلاء؟ قال: الأنبياء. ينظر: مسند أحمد: ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠.
(٢) مسند أحمد: ٢/ ١٩٩.
(٣) درر السِّمط: ٦٥.
(٤) مقتبس من قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**وإنَّما الأعمال بالخواتيم**». مسند أحمد: ٥/ ٢٢٥.
(٥) درر السِّمط: ٦٧.
(٦) مسند أحمد: ٤/ ٢٠٠.
(٧) مجمع الأمثال، الميدانيّ: ١/ ١٣٩.
(٨) مجمع الأمثال: ١ / ٢٤٣، وهو مثل يُقال في إفساد الاصطناع بالمنِّ أو ما يورث سوء الظنِّ.
(٩) مجمع الأمثال: ٢/ ١١٣.
(١٠) مجمع الأمثال: ١/ ١٣٥.

المبحث الثالث

الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء في كتاب درر السمط في خبر السِّبط (دراسة تحليليَّة)

لقد سلَّط كتاب (درر السِّمط في خبر السِّبط) الضوء على الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء، وأزاح السِّتار عمَّا ألمَّ بها، وأماط اللثام عن الرزايا والخطوب الجسام التي تعرَّضت إليها هذه الصدِّيقة؛ فضلًا عن ذلك فقد توضَّح في هذا الكتاب الإمكانيَّة الفائقة للمصنِّف كونهُ أديبًا متبحِّرًا ضليعًا في علوم اللغة وميادين الأدب والبلاغة، والقارئ الحصيف لهذا المصنَّف سيجد مجموعة من الأساليب الأدبيَّة والبلاغيَّة القشيبة التي استعملها المصنِّف في هذا الكتاب:

أوَّلًا: أسلوب الجناس

وهو تشابه لفظتَين في الشكل، واختلافهما في المعنى[1]، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[2]، فالجناس التامُّ قد حصل بين اللفظتَين إذ تعني الأولى يوم القيامة، في حين تعني الثانية جزء من اليوم، ويقسَّم على قسمَين: لفظيّ، ومعنويّ، والنوع الأوَّل هو الذي يستعمله ابن الأبَّار في هذا الكتاب، ومن أنواعه الأكثر شيوعًا لديه، هي:

١. **الجناس الناقص**: وهو تشابه لفظتَين في مجموعة من الأحرف، واختلافهما

(١) ينظر: الصناعتَين، العسكريّ: ١/ ٣٢١.
(٢) سورة الروم: الآية ٥٥.

في حرفَين أو ثلاثة أحـرف[1]، ومن هذا النمط قول البلنسيّ في وصف مصيبة الزَّهراء عليها السلام:

«المصيبة العظمى: أيَّةُ فتنةٍ عمياء وداهيةٍ دهياء؟ لا تقوم بها النوادب، ولا تبلغ معشارها النوائب! طاشت لها النهى وطارت، وأفلت شهب الدجى وغارت، لولاها ما دخل ذلٌّ على العرب، ولا ألف صيد الصقر بالخرب، وقصف النبع بالغرب، فانظر إلى ذوي الاستبصار، خُضَّع الرقاب نواكس الأبصار».

فلقد استعمل ابن الأبَّار مجموعةً من الكلمات المتجانسة في هذه الفقرات النثريَّة؛ لإثارة الحزن في نفس المتلقِّي، وإثارة الحزن على السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء التي وافتها المنيَّة وهي في سنِّ الثامنة عشرة، كما تذكر ذلك الروايات التي نقلت إلينا حوادث السنة الحادية عشرة بعد الهجرة، ومن هذه الكلمات (النوادب والنوائب)، وهما من جموع التكسير التي وردت بصيغة (مفاعل)، التي اختلفت في الحرف السادس (الهمزة والدال) على الترتيب، والأولى تعني المصائب، والثانية تعني النساء الثواكل، ومنه أيضًا الجناس بين الأفعال الماضية المتَّصلة بتاء التأنيث الساكنة (طارت، وطاشت)، فالأولى تدلُّ على خفَّة الحركة، والثانية تدلُّ على خفَّة العقل والغرور، علمًا أنَّ الحرفَين المختلفَين هما (الراء، والشين). ومن ذلك أيضًا الجناس المتحقِّق في ألفاظ (العرب، والخرب، والغرب)، فالأولى أمَّة، والثانية الخراب والدمار، والثالثة تعني جهة من الجهات الأربع، والاختلاف فيها يتمخَّض في الحرف الثالث (العين، والخاء، والغين).

٢. **الجناس الاشتقاقيّ**: وقد يتحقَّق الجناس بآليَّة أخرى تبدو فيه اللفظتَان إحداهما من جنس الأخرى من حيث الجذر اللغويّ للكلمة معجميًّا، والمقصود بالجذر الفعل الماضي الثلاثيّ[2]، ومثال ذلك قول البلنسيّ في الموضع نفسه: (داهية، ودهياء)، فالأولى تعني المصيبة التي تحلُّ بالفرد، إشارة إلى ما وقع على الصدِّيقة الطاهرة فاطمة

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ: ٢/ ١١٧.
(٢) ينظر: خزانة الأدب وغاية الإرب: ١/ ٥٥.

الزَّهراء عليها السلام، والثانية الفتنة التي حدثت من جرَّاء اقتحام الدار وحرق الباب وكسر الضلع واستشهاد المحسن عليه السلام، ولو عدنا إلى الجذر الأساس للكلمَتَين لوجدناه: (دها)؛ فكلاهما من أصلٍ واحد.

ومنه أيضًا قوله: (الاستبصار والأبصار)، فالأولى مزيدة، وتعني التفكُّر، والثانية جمع ومعناها: العيون الباصرة، والجذر الجامع بينهما: (بصر)، وهو الأصل، وهنا يبيِّن المصنِّف أنَّ القوم بعصبيَّتهم القبليَّة لم يتفكَّروا، ولم يتدبَّروا، وهم يقومون باقتراف هذه الجريمة، فهم ارتكبوها أمام مرأى ومسمع المسلمين، والعيون شاخصة إليهم.

٣. **الجناس المحرَّف**: وهو ما يكون الاختلاف فيه بأكثر من حرفَين[١]، ويُطلق عليه أحيانًا بالجناس المذيَّل، ويبدو هذا النمط في قول المصنِّف يهجو بني أميَّة وما فعلوه في كربلاء بآل البيت: «يحبسهم آل الطليق، ويطاردهم آل الطريد[٢]، وما نقموا منهم إلَّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، نساؤهم أيامى أميَّة، وسماؤهم أرض بني سميَّة، من عصبةٍ أضاعت دماء محمَّد وبنيه بين يزيدها وزيادها»[٣].

فلفظة الطليق التي اقتبسها المصنِّف من قول الرسول الأكرم لمشركي مكَّة: «**اذهبوا، فأنتم الطلقاء**»[٤]، فقد تجانست مع لفظة الطريد، وهو مروان بن الحكم الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله: «**الوزغ بن الوزغ**»؛ فضلًا عن الجناس بين لفظَتَي (نساؤهم وسماؤهم)، و(أميَّة وسميَّة)، و(يزيدها وزيادها)، وفي قوله: «أضاعت دماء محمَّد»، إشارة إلى الدماء التي تساقطت من الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد الحادثة، وتلاها تساقط الدماء من سيِّد الشهداء الحسين عليه السلام.

(١) ينظر: خزانة الأدب وغاية الإرب: ١/ ٨٤.

(٢) وهو الحكم بن أبي العاص، وقد أسلم يوم مكة، مات في أيَّام خلافة عثمان. ينظر: المعارف، ابن قتيبة الدنيوريّ، (أسماء الخلفاء): ٣٥٣.

(٣) درر السِّمط: ١١٤.

(٤) تاريخ الطبريّ: ٣/ ٦٠-٦١.

ثانيًا: المقابلة

وهو أسلوب تعبيريّ منشأه الأساس مبدأ التضادّ الجدليّ بين المعاني والألفاظ والأفكار والصور، من أجل غايات بلاغيَّة وفكريَّة[1]، من وظائفهِ الجماليَّة إعمال الفكر الإنسانيّ، وهو من الطرق التي يتمُّ فيها اجتلاب الفائدة عن طريق:

١. إداء المعاني وإبراز تضادّها وتناقضها.

٢. إبراز السمات الصوتيَّة وتوظيفها في النصِّ عن طريق الألفاظ المتضادَّة داخل سياق المقابلة.

وقد ميَّز الدارسون بين التضادِّ اللغوي والمقابلة؛ لأنَّ الأوَّل يتعلَّق بالألفاظ من حيث كونها مفردات مثل: (الحق × الباطل)، (السماء × الأرض)؛ أمَّا الثاني: فيتعلَّق بدلالات تلك المفردات وذوبانها في السياق، فهي تؤدِّي معنًى سياقيًّا آخر.

والمقابلة على أنواع متعدِّدة منها:

١. **المقابلة بين جملَتَين اسميَّتَين**: ويبدو ذلك في قوله: «الحسين رمز الصلاح، ويزيد رمز الفساد»[2]، فقد قابل المصنِّف بين الألفاظ: (الصلاح والفساد) من جانب، و(يزيد والحسين)، مستعملًا في ذلك الوصل بوساطة حرف العطف؛ ليثير التساؤل في ذهن المتلقِّي حتَّى يجعله مقتنعًا بخروج الحسين عليه السلام؛ لوجود طرف نقيض له، ألا وهو يزيد؛ فهو رمز الفساد في تلك الحقبة؛ فيجعله متابعًا للحدث، وفي موضع آخر يقول: «الآجلة مدفوعةٌ، والعاجلة متبوعةٌ»[3]، فقد قابل بين الآجلة وهي الآخرة، والعاجلة وهي الدنيا، دلالة على أنَّ الدنيا إلى زوال، والآخرة إلى بقاء، فالصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد اختارت الآخرة؛ لأنَّها البقاء الأبديّ؛ وبالمقابل اختار الظالمون لها الدنيا؛ لأنَّها متأتِّية من الدنوِّ والسقوط والانخفاض، فهي تهبط بالذي يختارها إلى حافَّة الهاوية،

(١) ينظر: مفتاح العلوم، الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكيّ: ٣٢٤.

(٢) درر السِّمط: ١١٤.

(٣) درر السِّمط: ٩١.

ويمثِّل الطرف الثاني لدى ابن الأبَّار رمز الباطل والفجور، وهما اسما فاعل، وبين صفتَيهما، وهما اسما المفعول (مدفوعة، ومتبوعة)، وفي موضع آخر يستفسر المصنِّف مستعملًا هذا الأسلوب بقوله: «ما عذرُ الأمويَّة وأبنائها في قتل العلويَّة وإفنائها»[1]، فالاستفهام في هذا النصّ قد خرج من معناه اللغويّ الحقيقيّ إلى غرض مجازي، وهدفه غاية أخرى، وهو التعجُّب من الذي جرى في أرض كربلاء؛ مِن قتلٍ وحرقٍ وسبيٍ وتشريد.

٢. **المقابلة بين جملَتَين فعليَّتَين**: ويبدو هذا النوع من الجناس في قول المصنِّف: «أهم يقسمون رحمة ربِّك؟ كم دليل في غاية الوضوح على أنَّهم كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق»[2].

وقد اقتبس المصنِّف في هذه القطعة النثريَّة من الحديث النبويّ الشريف الذي قاله الرسول الأعظم بحقِّ آل البيت عليهم السلام، والصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء جزء لايتجزَّأ منهم: «**إنَّ مَثل أهل بيتي فيكم كمَثل سفينة نوح من ركبها، فقد نجا، ومن تخلف عنها، فقد غـرق**»[3]، فقد حصل هذا النمط من المقابلة بوساطة الأفعال الماضية المتقابلة (ركب، وتخلَّف)، وأحدهما يناقض الآخر، والفعلَين (نجا، وغرق)، وهما يتناقضان معنويًّا، وهنالك تقابلٌ آخر في الأفعال المضارعة المرفوعة (يقطعُ ويتلفُّ)، والمصدرَين (تسبيحًا وتبريحًا)، و(قرآنًا وعدوانًا).

ثالثًا: السَّجع

وهو توافق فواصل الجمل المتعاقبة في الحرف الأخير، ويعدُّ من المحسِّنات البديعيَّة، ومن الوسائل التي يستعملها الأديب؛ لإظهار مشاعره وأحاسيسه نثرًا،

(١) درر السِّمط: ١١٣.
(٢) درر السِّمط: ٩١.
(٣) حِلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهانيّ: ٤/ ٣٠٦.

والتأثير في المتلقِّي[1]، عن طريق ما يضفيه من نغم موسيقيّ متتابع وإيقاع متكرِّر، وقد قسم السجع على ثلاثة أقسام:

١. **سجع الترصيع**: وهو توافق معظم كلمات الجملة الأولى مع الجملة الثانية في الوزن[2]، ويبدو ذلك في قول ابن الأبَّار، وهو يصف آل البيت عليهم السلام والصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام منهم وإليهم، إذ يقول المصنِّف في مقدمِّته: «لولاهم ما عُبِد الرحمن، ولا عهد الإيمان، وعقد الأمان»[3].

فالتوافق حصل بين الجمل الثلاث: (ما عبد الرحمن، ولا عهد الإيمان، وعقد الأمان)، والتي تماثلت من حيث الوزن، وفي حروف الفاصلة في (الرحمن، والإيمان، والأمان).

وقوله في موضع آخر يصف محبَّتهم وموالاتهم: «سرارة محلَّتهم سر المطلوب، وقرارة محبَّتهم حبَّات القلوب»[4]، فقد تشابهت أجزاء هذه الجمل من حيث الوزن، وفي حرف الفاصلة الباء.

وقوله: «أي صفحات شربت ماء بشرها الصفاح، وترحات ما شفي تباريحها إلَّا السفاح»[5]، فالتشابه حصل بين معظم كلمات الجملتَين من حيث الوزن، باستثناء الكلمات (شربت، ما شفي).

وقوله: «شدَّما شالت النعامة، ومالت الدعامة، وآلت إلى الاستكانة الزعامة»[6]، فالتوافق بين الجملتَين في كلِّ أجزائهما باستثناء كلمَتَي (شدَّما، الاستكانة)، فهما لا يوجد لهما وزن متماثل في الجملتَين.

(١) سرُّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجيّ: ١٦٤.
(٢) سرُّ الفصاحة: ١٦٤.
(٣) درر السِّمط: ٦٠.
(٤) درر السِّمط: ٦٠.
(٥) درر السِّمط: ٦١.
(٦) درر السِّمط: ٦١.

٢. **سجع التوازي**: وهو ما اتَّفقت فيه الجملَتَان في الكلمَتَين الأخيرَتَين[١].

ومن ذلك قول المصنِّف يصف أصالة النَّسب وطهارة منشأ آل البيت عليهم السلام، والصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إذ يقول: «ما قدَّ من أديم آدم أطيب من أبيهم طينة، ولا أخذت الأرضُ أجمل من مساعيهم زينة»[٢]، فالتشابه حصل بين اللفظَتَين (تينة، زينة)، والجناس الاشتقاقيّ بين الاسمَين: (أديم، وآدم) اللذين يرجعان إلى الجذر اللغويّ (أدم)، وكما نعلم أنَّ أديم تعود إلى الأرض والتراب، وآدم مرجع الخلق إليه.

فالتوافق الصوتيّ الموسيقيّ يحقِّق نغمًا موسيقيًّا يثير النفس، وتطرب إليه الأذن، إذا جاء غير متكلَّف، وكما أنَّ الشعر يَحْسُنُ بجمال قوافيه، كذلك النثر يَحْسُنُ بتماثل الحروف الأخيرة من الفواصل[٣].

(١) درر السِّمط: ١٦٥.
(٢) درر السِّمط: ٦٠.
(٣) درر السِّمط: ١٦٧.

خاتمة البحث ونتائجه

توصَّل البحث إلى مجموعة من النتائج، يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١. تألف كتاب درر السِّمط من مجموعة من الفصول، دارت محاورها جميعًا حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وما وقع عليهم من (جور، وقتل، ومصائب، ومحن).

٢. من خصائص هذا الكتاب تقسيمه على هذه الفصول، وهذا يدلُّ على استناد المؤلِّف على منهج معيَّن، على الرغم من أن المصنِّف لم يعقد لها أي عنوانات تدلُّ عليها.

٣. شغلت الأحداث والوقائع التي مرَّت بها الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام حيِّزًا كبيرًا في كتاب درر السِّمط في خبر السِّبط، ذكر منها المصنِّف واقعة الباب، والأحداث التي رافقتها بوصفها ظلامات استطاع ابن الأبَّار البلنسيّ من توظيفها نثريًّا؛ ليطَّلع عليها العالم الإسلاميّ في الأندلس.

٤. أشار المصنِّف إلى المناقب والمآثر التي تمتَّعت بها سيِّدة نساء العالمين السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بوصفها جزءًا لا يتجزَّأ من آل البيت عليهم السلام.

٥. عنوان الكتاب وفقراته المسجوعة تمكَّن خلالها المصنِّف من تحقيق التطابق بين عنوان الكتاب ومحتواه.

٦. من الأساليب التي وظَّفها المصنِّف في هذا الكتاب (القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، والشعر العربيّ، والأمثال العربيَّة)، وهذه كلُّها جعلها

المصنِّف متداخلة مع نثره، إذ تبدو منصهرة فيه، وهذه سمة من سمات الهندسة الجماليَّة في هذا الكتاب.

٧. معظم استشهاداته بالشعر العربيّ كانت لشعراء في عصور سابقة، وهم من أشهر الشعراء، كأبي تمَّام والمتنبِّي وزهير بن أبي سلمى، وأبي العلاء المعرِّيّ وغيرهم، وهذا يدلُّ على تأثُّره الكبير بالمشارقة.

٨. استعمل المصنِّف مجموعة من الأساليب البلاغيَّة في هذا الكتاب، منها الجناس بأنواعه، والمقابلة بأنواعها، والسَّجع بأقسامه الثلاثة.

٩. أظهر الكتاب تفوقًا واضحًا للمصنِّف في أساليب البلاغة واللغة والأدب والتاريخ؛ كونه متضلِّعًا ماهرًا وأديبًا بارعًا متمكِّنًا في فنون الأدب وتصانيف اللغة.

مظان البحث الرئيسة

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (المتوفَّى ٩١١هـ)، المحقِّق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيأة المصريَّة العامَّة، ط١، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. الإحاطة في أخبار غرناطة: محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلمانيّ اللوشيّ الأصل الغرناطيّ الأندلسيّ، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين بن الخطيب (المتوفَّى ٧٧٦هـ)، تحقيق: بوزياني الدراجيّ، منشورات دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣. اختصار القدح المعلَّى في التاريخ المحلي: ابن سعيد أبي الحسن عليّ بن موسى، تحقيق: إبراهيم الإبياريّ، منشورات دار الكتاب اللبنانيّ للطباعة والنشر والتوزيع.

٤. أزهار الرياض في أخبار عيَّاض: أحمد بن محمَّد المقري التلمسانيّ شهاب الدين، المحقِّقون مصطفى السقَّا، إبراهيم الأبياريّ، عبد الحفيظ شلبي، سعيد أحمد أعراب، محمَّد بن تاويت، عبد السلام محمَّد هرَّاس، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، صندوق إحياء التراث الإسلاميّ المشترك بين المملكة المغربيَّة، ودولة الإمارات المتَّحدة، الرباط.

٥. الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمَّد بن عليّ بن فارس، الزركليّ الدمشقيّ (المتوفَّى ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر، آيار/ مايو، ٢٠٠٢م.

٦. تاريخ الطبريّ (تاريخ الرسل والملوك): محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (المتوفَّى ٣١٠هـ)، منشورات دار التراث، ط٢، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٧. تحفة القادم: ابن الأبَّار، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ البلنسيّ (المتوفِّى ٦٥٨هـ)، أعاد بناءه وعلَّق عليه: الدكتور إحسان عبَّاس، الناشر: دار الغرب الإسلاميّ الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٨. التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبَّار، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ البلنسيّ (المتوفَّى ٦٥٨هـ)، المحقِّق: عبد السلام الهراس، الناشر: دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٩. الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمَّد بن عيسى بن سَـوْرة بن موسى بن الضحَّاك، الـترمـذيّ، أبو عيسى (المتوفَّى ٢٧٩هـ)، المحقِّق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلاميّ، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهانيّ (المتوفَّى ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١١. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجَّة الحمويّ، تقي الدين أبو بكر بن عليّ بن عبد الله الحمويّ الأزراريّ (المتوفَّى ٨٣٧هـ)، المحقِّق عصام شعيتو، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٢. درر السمط في خبر السبط، ابن الأبَّار البلنسيّ الأندلسيّ أبي عبدالله محمَّد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعيّ، تحقيق: الدكتور عبد السلام الهرَّاس، والأستاذ سعيد أحمد اعراب، والدكتور عز الدين عمرو موسى، منشورات مؤسَّسة الغرب الإسلاميّ للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٣. ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزيّ، تحقيق: محمَّد عبده عزّام، الناشر: دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٤. ديوان أبي العلاء المعرِّيّ، أحمد بن عبد الله بن سليمان القطاعيّ التنوخيّ المعرِّيّ (٣٦٣-٤٤٩هـ)، منشورات دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٥. سرُّ الفصاحة، أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ الحلبيّ (المتوفَّى ٤٦٦هـ)، الناشر دار الكتب العلميَّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٦. السيِّد محمَّد حسين فضل الله ومنهجه في تفسير وحي القرآن، سناء عليوي عبد السادة الزبيديّ، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ٢٠١٢ م

١٧. سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن قايماز الذهبيّ، تحقيق: مجموعة من الباحثين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، منشورات دار الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٩٥م.

١٨. شجرة النور الزكيَّة في طبقات المالكيَّة، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن عليّ بن سالم مخلوف (المتوفَّى ١٣٦٠هـ)، علَّق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكبريّ الحنبليّ، أبو الفلاح (المتوفَّى: ١٠٨٩هـ)، حقَّقه: محمود الأرناؤوط، خرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، منشورات دار كثير، سوريا، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٠. شرح ديوان المتنبِّي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ البغداديّ، محب الدين (المتوفَّى ٦١٦هـ)، المحقِّق: مصطفى السقَّا، إبراهيم الإبياريّ، وعبد الحفيظ الشلبيّ، منشورات دار المعرفة، (د.ت).

٢١. كتاب الصناعتَين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (المتوفَّى نحو ٣٩٥هـ)، المحقِّق: عليّ محمَّد البجاوي ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصريَّة، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٢. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الميدانيّ النيسابوريّ (المتوفَّى ٥١٨هـ)، المحقِّق: محمَّد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيبانيّ (المتوفَّى ٢٤١هـ)، المحقِّق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله عبد المحسن التركيّ، منشورات مؤسَّسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٤. المعارف، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (المتوفَّى ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٥. المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد المغربيّ الأندلسيّ (المتوفَّى ٦٨٥هـ)، المحقِّق: د. شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م.

٢٦. مفتاح العلوم، الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكيّ، تحقيق: نعيم زرزور، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرِّي، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن أحمد، تحقيق: إحسان عبَّاس، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٨. الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الملك الأنصاريّ الأوسيّ المراكشيّ (ت ٧٠٣هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: د. إحسان عبَّاس، د. محمَّد بن شريفة، د. بشَّار عوَّاد معروف، منشورات دار الغرب الإسلاميّ، ط١، تونس، ٢٠١٢م.

٢٩. عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين السيوطيّ، تحقيق: عيسى عليّ العاكوب، منشورات دار نينوى للنشر والتوزيع، (د.ت).

٣٠. عنوان الدراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو العبَّاس الغبرينيّ، أحمد بن أحمد بن عبد الله (٦٤٤-٧١٤هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، الجزائر، ١٩٧٩م.

٣١. فوات الوفيات، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدين (المتوفَّى ٧٦٤هـ)، المحقِّق: إحسان عبَّاس، الناشر: دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٧٤م.

٣٢. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفديّ (المتوفَّى: ٧٦٤هـ)، المحقِّق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، منشورات دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٣. معجم أصحاب القاضي أبي عليّ الصدفيّ (المعجم)، ابن الأبَّار، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعيّ البلنسيّ (المتوفَّى ٦٥٨هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينيَّة، مصر، ط١، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

المجلَّات والدوريَّات

٣٤. محدِّث الأندلس ابن بشكوال شخصيَّته ومؤلَّفاته، قاسم عليّ السَّعد، مجلَّة جامعة أمِّ القرى لعلوم الشريعة واللغة العربيَّة وآدابها، جامعة أمِّ القرى بمكَّة المكرَّمة، ج١٦، ع٢٨، شوَّال ١٤٢٤هـ.

القُرآنيَّة في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

د. ماجد مهدي ذياب

ملخَّص البحث

لقد مَنَّ الله تعالى على رسوله والمؤمنين والناس جميعًا أن جعل عترته الطاهرة عدل لكتاب الله ومتلازمين له، حتَّى يرث الله الأرض ومَن عليها، «**إنِّي تارك فيكم ما أن تمسَّكتم به لن تضلُّوا، كتاب الله** صلى الله عليه وآله **حبلٌ ممدود، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوض**»، و(لن) في الموردَين تفيد التأبُّد لعدم الافتراق بين القرآن والعترة، وأبديَّة عدم الضلالة للمتمسِّك بهما.

ولأنَّ الزَّهراء هي قطب الرحى بين النبوَّة والعترة؛ ولأنَّها أمُّ أبيها وبضعته وكوثره الذي أعطاه ربُّ العزَّة ردًّا على شانئه، فقد حباهما الله بنِعَم انفردت بها دون خلقه، فكانت مقدِّمة لما صارت إليه من قرآنيَّة في كلامها وأفعالها، ومنها حنان قلبَين ليس لهما شبيه، قلب النبيّ الذي جعله الله وعاءً لأعظم كتاب، (فإنَّه نزله على قلبك بأذن الله)، وقلب أمِّ المؤمنين خديجة، وأنَّها سمعت القرآن الكريم من النبيّ، وسمعته من عليّ، وأنَّها صلَّت به ووعت أحكام فرائضه، وأنَّها وعت كلَّ ما وعته فتاة عربيَّة أصيلة العِرق والنسب، وزادت عليه ما لا يعيه غيرها.

ويمكن القول إنَّ الزَّهراء كان لها من النشأة ما لم يكن لسواها، فإنَّها نشأت في مهد الإيمان، وتعلَّمت في دار أبويها ما لم تتعلمه طفلة غيرها من آيات القرآن.

فسمعت وحي الله وهو ينزل على أبيها، ورأت كلماته، ووعته ببصيرتها، فخالط

لحمها ودمها، بل امتزجت آيات القرآن مع كلِّ خليَّة منها، فسمعت بآيات الله روحها، فكان القرآن بلغته وأسلوبه ومعانيه هو زادها الفكريّ. فكيف لا يظهر أثره في خطابها؟ لما فيه من إحقاق الحقِّ ودحض الباطل، وكشف الحقائق، فكان موضع الزَّهراء ومقامها كموضع النبيّ صلى الله عليه وآله من القرآن والعترة. ولم تنحصر القرآنيَّة في خطابها بالاستشهاد بآيات القرآن، بل شمل استعمال مقطع من آية، أو كلمة منها، أو توظيف معنى أو شخصيَّة، فتلاقحت أفكارها مع ألفاظه ومعانيه، فأنتجت نسيجًا فكريًّا متكاملًا، كأنَّ يد القدرة الإلهيَّة هي التي أبدعته وصاغت ما فيه.

المقدِّمة

ممَّا لا شكَّ فيه أن أحكام الله جلَّ ثناؤه في خلقه قائمة على العلم والحكمة، وعندما جعل الله تعالى أهل بيت النبوَّة عدل لكتابه الخاتم لرسالة السماء، فإنَّ ذلك قائم على دراية تامَّة بمفاهيم قبل خلقهم، وحتَّى يقوم الخلق مقرًّا بمالكيَّة الله الحقَّة، وأنَّه الواحد القهَّار؛ ولأنَّ القرآن جاء بما لم يأتي به من كان قبله من كتب السماء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، فلا بدَّ لمن يأتي ملازمًا للكتاب «**إنِّي تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا، كتاب الله عزَّ وجلَّ حبلٌ ممدود، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض**»[1]، أن يكون أعلم الخلق بتنزيله وتأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**نحن الراسخون في العلم**»[2].

وكما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو المبلِّغ عن الله تعالى والمبيِّن لأحكام دين الله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

كذلك عترته الطاهرة، فهم ليسوا من قبيل الرواة الثقات لحديث النبيّ صلى الله عليه وآله، بل هم امتداد لمهمَّة النبيّ في بيان أحكام الكتاب، وكلّ ما يتعلَّق به، وليس من زمن محدَّد قبل يوم الحساب تنتهي به ملازمة العترة للكتاب، بل «**ولن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض**»، وقوله: «**وما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا**»، و(لن) في الموردَين تفيد أبديَّة افتراق الحجج من

(١) جامع أحاديث الشيعة، آية الله البروجرديّ، تحقيق: حسين الطباطبائيّ.
(٢) مواهب الرحمان في تفسير القرآن، السيِّد السبزواريّ: ٥/ ٥٥.

آل محمَّد صلى الله عليه وآله عن القرآن الكريم، فهم يعلمون ما فيه والمراد منه، وتفيد أيضًا في منطوقها ومفهومها أن لا ضلالة ودوام الهداية مع حقِّ التمسُّك بالثَّقَلين.

وموضع فاطمة الزَّهراء عليها السلام ومقامها منها كموضع النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ هو ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، فهي أمُّ البيت الذي شملته الطهارة التكوينيَّة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وهي بضعة أبيها وأمّه[1]، وكوثره الذي أعطاه ربُّ العزَّة ردًّا على شانئه[2]، وهي قطب الرَّحى بين النبوَّة الخاتمة وسيادة الأوصياء.

والقرآنيَّة في خطابها عليها السلام لم تنحصر في تضمينه آيات قرآنيَّة كاملة فقط، بل شمل مقطع من الآية، أو كلمة منها، أو معنى، أو شخصيَّة قرآنيَّة، فتلاقحت أفكارها بمعاني القرآن الكريم، فأنتجت نسيجًا فكريًّا متكاملًا، كأنَّ يد القدرة الإلهيَّة قد أبدعته، وسيتناول البحث معنى القرآنيَّة، والأغراض التي استخدمتها مولاتنا الزَّهراء سلام الله عليها من القرآن الكريم في خطابها.

ومن الله تباركت أسماؤه التوفيق والسداد.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، مكارم الشيرازيّ: ٢٠/ ٣٨٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/ ٣٨٧.

أهم الأمور التي أكدت عليها الزَّهراء عليها السلام في خطبتها

من يتأمَّل في خطب الزَّهراء فاطمة عليها السلام، يجد أنَّها أكدَّت على إمور تعتبر من الأهميَّة إنَّها جوهر الإسلام، فإذا ما تُركَت دون تأكيد عليها أو دفاع عنها ممَّن له المقام السامي في نفوس كلِّ المسلمين، وقربه روحيًّا وجسديًّا ومعنًى من نبيِّ الإسلام، كفاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله، فإن ذلك يعني انهيار دين الله الذي بذل النبيّ لأجله «**ما أوذي نبيّ مثلما أوذيت**»[1]؛ لأنَّ القوم في حياته انقلبوا على أعقابهم! فكيف يكونوا بعد وفاته؟ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، ومن بين المسلمين ممَّن هو شاكر لنِعم الله تعالى، ومنها وأهمّها نعمة الإسلام ونبيِّه «**الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدَّم من عموم نِعَم ابتدأها**»[2].

وأهمُّ المحاور والأركان في خطب الزَّهراء عليها السلام، هي:

١. التوحيد.
٢. النبوَّة.
٣. القرآن ومضامينه ومعيَّته لأهل البيت.
٤. التكاليف العقائديَّة والشرعيَّة.
٥. العدل والإمامة وبعض المفاهيم الإسلاميَّة.
٦. شخصية السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.
٧. الزَّهراء وفدك والإرث.

---

(١) ينظر: حياة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، باقر شريف القرشيّ: ١/ ١٥٢.
(٢) شرح خطبة الزَّهراء (سلام الله عليها)، محمَّد حسين فضل الله: ٨٨.

٨. تقريعها للمهاجرين والأنصار وكيف وقعوا في الفتنة.

٩. بيان أهميَّة وموقع أمير المؤمنين عليه السلام في الإسلام، وجهاده في نشره والدفاع عنه، وقد ذكرت سلام الله عليها كلّ أمر بتفاصيله، حتَّى لا تبقى لمدعٍ حجَّة ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤٢).

١٠. عاقبة من ينحرف عن الصراط المستقيم (عليّ بن أبي طالب عليه السلام).

أوَّلًا: نشأة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

نشأتها عليها السلام كانت مقدِّمة لما صارت إليه من قرآنيَّة في كلامها وأعمالها، فقد نعمت منذ أوَّل لحظات حياتها بحنان قلبَين كبيرَين[1]، قلب النبيّ الذي صار وعاءً لأعظم كتاب، ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧)، وقلب أمِّها خديجة الكبرى.

إنَّها سمعت القرآن الكريم من النبيّ، وسمعته من عليّ، وإنَّها صلَّت به ووعت أحكام فرائضه، وإنَّها وعت كلَّ ما وعته فتاة عربيَّة أصيلة العِرق والنسب، وزادت عليه ما لا يعيه غيرها من الأصيلات المعرقات[2].

ويمكن القول إنَّ الزَّهراء عليها السلام كان لها من النشأة ما لم يكن لغيرها، فإنَّها نشأت في مهد الإيمان، وإنَّها تعلَّمت في دار أبويها ما لم تتعلَّمه طفلة غيرها في مكَّة من آيات القرآن الكريم[3]، فسمعت وحي الله تعالى، ورأت كلماته ببصرها، ووعته ببصيرتها، فخالط لحمها ودمها، بل كان القرآن الكريم في كلِّ خليَّة من جسدها حتَّى وسمت به روحها، فكان القرآن الكريم بلغته وإسلوبه ومعانيه المكنون الرئيسيّ لفكرها، فكيف لا يظهر أثره في خطبها بكلِّ ما فيها من المعاني والألفاظ؟ وفي إحقاق الحقِّ ودحض الباطل وكشف الحقائق.

لا عجب أن تنتج ذهنيَّة الزَّهراء عليها السلام وفكرها خطابًا يبقى له الدهر صاغيًا متفكِّرًا

(١) ينظر: فاطمة الزَّهراء والفاطميون، عباس محمود العقاد: ٢٢
(٢) المصدر نفسه: ٢٣
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢

في درر معانيه التي نهلت من وحي الخالق ما يعجز نساء وبلغاء الدنيا أن يأتوا بمثله، لهذا بقي خطابها عليها السلام يكتنز من المعارف والعلوم والعقائد الحقَّة ما يجد فيه كلُّ باحثٍ بغيته، وكأنَّه ثمر جديد من شجرة علم النبوَّة الخاتمة التي يتوقَّد نورها من شجرة لا شرقيَّة ولا غربيَّة، بل من نور القرآن الكريم، ونور البضعة الطاهرة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، لذلك ما انطفأ هذا النور على الرغم من مكر الماكرين وبُغض الجبابرة ومردة الشياطين؛ لأنَّه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

ومن الخطب التي لا زالت تمثِّل ميدانًا رحبًا للباحثين، هي الخطبة الفدكيَّة التي يقولون عنها إنَّها من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوَّة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف، وألفاضها البديعيَّة وجمال سياقها وسموِّ معناها، كلُّ ذلك ينبئ عن صحَّة انتسابها إلى أهل بيت الوحي والنبوَّة، بل ولا يمكن أن يتأتَّى مثلها عن غيرهم[1].

وما خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار عند عيادتهنَّ لها عليها السلام في مرضها بأقلَّ قيمة من سابقتها الفدكيَّة.

ومن هنا، وقبل الولوج في بحر الخطبَتَين؛ لا بدَّ لنا من معرفة معنى القرآنيَّة، وكيف استعملتها في خطبتها عليها السلام، وما انتجته هذه الخطب من دلالات جديدة استمدَّت قوَّة بيانها وأثرها في واقع حياة المسلمين والأحداث التي عصفت برسالة السماء، ولـمَّا تزل غضَّة، وفي مستقبل الأجيال، وأخذ العبرة من خطابها عليها السلام.

(١) خطب سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد جواد المحموديّ: ١١٨، وينظر: الزَّهراء عليها السلام من الوجه الآخر، د. محمَّد حسين عليّ الصغير: ١١٧-١١٨

ثانيًا: القرآنيَّة

للقرآن الكريم مباني ومعاني، وهو منهج ارتضته السماء أن يكون دستورًا لسعادة مَن عمل به من بني البشر ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨).

وعندما يتدبَّر الإنسان في هذا المنهج، ويستحضر ما يأمر به وما ينهي عنه، فإنَّ هذا التدبير يعني فاعليَّة حضور القرآن الكريم في كلِّ ما يتعلَّق بحياة الإنسان في الدَّارَين، وهذه الفاعليَّة تعني حضور القرآن الكريم في مبنى الأشياء ومعناها[1]، وهذا ما يمكن أن نُطلق عليه بالقرآنيَّة، وهذا المعنى قريب من مصطلحات تأخذ معانيها من علاقتها مع القرآن الكريم، مثل أثر القرآن، والتضمين، والاقتباس، والتوظيف القرآنيّ[2].

وممَّا يطبق عليه بين أهل العلم والمعرفة أنَّ التدبُّر في القرآن الكريم لا يمكن أن يحصل إلَّا بعد التخلُّص من الأقفال (أقفال الذنوب)، كما قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ (محمَّد: ٢٤).

فمن أحرى وأعلم بتدبُّر القرآن الكريم، ومعرفة منطوقه ومفهومه، تفسيره وتأويله وقرآنيَّته من أمِّ أبيها وبضعته، التي ربِّيت في حجره تشمُّ عبق أنفاس من خصَّه الله تعالى بخاتم الأنبياء وكمال الإنسان، حتَّى وصل إلى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ (النجم: ٨-٩). مَن أولى بالقرآن وقرآنيَّته من سيِّدة النساء وأمّ العترة الطاهرة التي زُقَّت العلم زقًّا؟.

(١) ينظر: القرآنيَّة في شعر الروَّاد، د. إحسان التميمي: ٢١، القرآنيَّة، د. رحمن غركان: ٣٢.
(٢) ينظر: القرآنيَّة: ٣٢.

ضمَّنت في خطابها آيات القرآن الكريم ومعانيه وأفكاره وقصصه وأشخاصه، أي إنَّها استحضرت القرآن في خطابها من أجل بقاء القرآن الكريم حيًّا، إذ لا إسلام بدون قرآن[1].

وهذا ما سيتَّضح من التأمُّل والتدبُّر في خطابها عليها السلام.

(١) ينظر: القرآن في الإسلام: محمَّد حسين الطباطبائي: ١٣

أساليب القرآنيَّة في خطب الزَّهراء عليها السلام

لو تتبَّعنا ما ذكرته الزَّهراء عليها السلام في خطبها من قرآنيَّة؛ لوجدناها تمثِّل أثر القرآن فيما قالت وفعلت وبيَّنت وأكَّدت، وحقيقة خطابها أنَّه صدى للمضمون القرآنيّ، ومَن أولى بذلك منها؟ ومَن أعلم منها بمضمون القرآن الكريم، وما يريده ويدعو له؟ ولم يرد في أخبار الرواة مَن هو أفضل منها قرآنيًّا من بعد ما سمعت وتعلَّمت من أبيها وبعلها، وهو العالم بكتاب الله تعالى وآياته.

وقد تنوَّعت أساليب استعمالها لمضامين القرآن الكريم في كيفيَّة إيصال رسالتها وتحقيق بغيتها إلى من يخصُّه الأمر، كأبي بكر أو الصحابة من المهاجرين والأنصار، رجالًا ونساءً، أو بيانها لأهميَّة وغاية التشريعات السماويَّة، حتَّى لا يتسرَّب إليها تأويل أو تحريف الدين ممَّن في قلوبهم مرض، كما حصل لقضيَّة فدك، التي عارضوا فيها كتاب الله تعالى الذي يقول ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: ١٦)، عارضوا كلام الله تعالى بحديث ظنِّي الوجود «نحن معاشر الأنبياء لا نوِّرث»، علمًا أنَّ الحديث الذي لا يوافق القرآن الكريم يُضرب به عرض الحائط.

ومن أهم الأساليب التي ضمَّنتها الزَّهراء في خطابها[1]:

أوَّلًا: آية قرآنيَّة أو مقطع من آية

إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تعلم على نحو اليقين، ومن خلال نشأتها وموقعها وصلتها بصاحب الرسالة الخاتمة، أنَّ النصَّ القرآني هو أقوى حجَّة لمن يُريد بيان حقيقة ممكن أن

(١) ينظر: بلاغات النساء، ابن طيفور: ٣٥، خطب سيِّدة النساء: ٢٩٨ وما بعدها، شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد حسين فضل الله: ٤٣ وما بعدها

تتعرَّض للطمس أو الإنتهاك، ومن الآيات التي تضمَّنها خطابها، هي:

١. **قوله تعالى:** ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، أرادت التأكيد على أهميَّة التقوى التي تعبِّر عن الإسلام، إذ هو أنَّ يسلِّم المسلم كلَّ وجوده لله تعالى، وأن يطيعه فلا يعصيه، وعليه الاستمرار على تقوى الله تعالى حتَّى الممات، أي أنْ تكون التقوى منهاج حياة كاملة، فلا تخصُّ مرحلة معيَّنة فقط.

٢. **قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، تنبيه من الزَّهراء عليها السلام إلى الصحابة، لأسباب كثيرة، منها أنَّهم الرعيل الأوَّل في الإسلام، وقد عاصروا النبيّ والتنزيل، فعليهم أن يكونوا أكثر الناس معرفة بالله تعالى، وبالتالي خشية وطاعة أوامره والانتهاء عمَّا نهى عنه، فالمسلمون ينظرون إليهم فيما يفعلون ويقولون، أي إنَّ معرفتهم لله تعالى من خلال نبيِّه صلى الله عليه وآله، وكتابه المجيد، تُملي عليهم مسؤوليَّة تنفيذ ما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله والذي هو «**أبي دون نسائكم**»، «**يا أيُّها الناس اعلموا أنِّي فاطمة، وأبي محمَّد، أقول عودًا وبدءًا**»، فهل يوجد في أمَّة الإسلام من هو أقرب منها؟ ومَن أولى بالبرِّ والمودَّة التي أعطاها الله تعالى لنبيِّه بديلًا عن أجر الرسالة ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣).

٣. **قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، أي إنَّ الذي بعثه الله تعالى رسول رحمة لكم يحمل همومكم ويعزّ عليه ما كنتم عليه من الضلال والضياع وشظف العيش، فهو رؤوف بكم يشفق عليكم، وهو ليس ببعيد عنكم، ففي حياته انبعث منكم وعاش معكم، والآن روحه الطاهرة تطلُّ عليكم، ويطلعه الله تعالى على ما صرتم إليه من الفتنة التي تردكم على أعقابكم، فتخسروا الدنيا والآخرة.

وتؤكِّد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّها لا تقول خطأً ولا بعدًا عن الحقِّ، وهي روح النبيّ

بين جنبيه، فهي أيضًا تحمل همَّكم وحرصه عليكم، ومَن لا يعرف نسبه وعلاقته بي، فهو أبي من دون كلِّ النساء، وتذكرهم بأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام بعلها، هو أخ لرسول الله دون كلِّ رجالكم، وهذا النسب غاية في شرف الدَّارَين.

٤. **قوله تعالى:** ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: ١٦). من نافلة القول يمكن أن تكون مسألة الإرث- إرث فدك- هي مفتاح لمطالبة الزَّهراء عليها السلام بحقوقها التي سُلِبت، ولـمَّا يجف تراب قبر خير الأنبياء، وبه سمِّيت أهم خطبة من خطاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومن مطالبتها بإرثها في فدك، والذي تمَّ اغتصابه بمعارضة صريحة لأكثر من آية، ومنها الآية موضوع البحث (النمل: ١٦)، فقد عورضت بحديث لا يمكنه أن يصمد أمام حجج آيات الإرث.

فإنَّ الزَّهراء عليها السلام قدَّمت القرآن الكريم (كلام الله تعالى المنزل على نبيِّه المرسَل)، أمام دعواها، ولا يمكن لقائل أن يعرض عن كلام الله تعالى إلى غيره؛ لأنَّه يقع في إشكال كبير ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤).

وحجَّتها عليها السلام كانت واضحة لمزاعم القوم، ولا يمكن ردها وهي القائلة «**أفخصَّكم الله بآية أخرج منها أبي؟**»، إنَّها تخاطب العقل الإنسانيّ، واستفهام استنكاريّ، إن لم يخصَّكم الله بآية تجعل أبي لا يورِّث لأولاده من دون كلِّ المسلمين، وهذا محال، فلو أراد الله تعالى أن ينزل آية تحرم إرثه، لأنزلها على أبي الزَّهراء عليها السلام الذي اجتباه الله عزَّ وجلَّ من خلقه لتبليغ رسالة الإسلام.

وجاءت بآيات الذكر الحكيم التي تعالج مسألة الإرث، ومنها:

- أ. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: ١٦).
- ب. ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٥-٦).

- ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠).
- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١).
- ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾ (الأنفال: ٧٥).

وفي هذه المسألة- فدك- التي كانت بداية الرزايا، استعملت الزَّهراء عليها السلام القرآنيَّة بكلِّ أشكالها، فإذا ما أُعيد لها حقّها واسترجعت أرض فدك، فإنَّ ذلك سيكون البداية الصحيحة لتطبيق ما جاء به الوحي، وأُنزل على أبي الزَّهراء عليها السلام محمَّد صلى الله عليه وآله، وحسب شرع السماء الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

لو أُعطيت الزَّهراء عليها السلام حقَّها في فدك وغيرها، لأصاب الأمَّة خير الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

وبقرآنيَّة الآيات ردَّت وفنَّدت كلَّ مزاعم القوم التي ادَّعوها، والتي منها أن لا إرث لها من أبيها، حسب حديثهم آنف الذِّكر، وكأنَّه لا رحِم بينها وبين أبيها، أو إنَّها وأبيها من ملَّتَين مختلفَتَين، أو أنَّ القوم أعلم من صاحب الرسالة ووصيِّه بعموم وخصوص القرآن، ومن واقع حال القوم الذي تعرفه قبل الإسلام وبعد البعثة حتَّى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فإنَّها عندما أقبلت على القوم، وقبل أن تبدأ خطبتها «فجلست ثمَّ أنَّت أنَّة أجهشت القوم بالبكاء فارتجَّ المجلس».

وبعد أن ألقت عليهم حججها الدامغة بقرآنيَّتها من آيات الإرث، وحتَّى لا يقول قائل: لو سمعت لعقلت، فإنَّها توجَّهت إلى من يهمُّه الأمر قائلة: «**فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك**» ومَن هناك؟: «**نعم الحكم لله، والزعيم محمَّد** صلى الله عليه وآله، **والموعد القيامة**»، والنتيجة النهائيَّة «**وعند الساعة يخسر المبطلون**»، وهل ينفع ندم عندئذ؟ فكان

جوابها عليها السلام: «**ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكلِّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحلّ عليه عذاب مقيم**»، وبهذه القرآنيَّة (كلمات ومعانٍ قرآنيَّة سأذكرها في ثنايا البحث).

٥. **قوله تعالى:** ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠). عندما قدَّمت الزَّهراء عليها السلام حججها العقليَّة والنقليَّة، قدَّمتها لمن بيده أمر فدك، ومَن بيده ناصية أمر المسلمين، ولم يسفر احتجاجها عن إعادة الحقِّ لأهله (آل محمَّد)، بل كان الردُّ عليها بحجج واهية، منها عاتية، كردِّ البيِّنة، وهي شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الحسن والحسين عليهما السلام وأمُّ أيمن. وعندما يضرب الإنسان عن الحقِّ صفحًا، ولا يأبه بقول الحقِّ تعالى، فإنَّه لا سبيل أمامه إلَّا أن يقع في الباطل، ومن أوضح مصاديق الباطل، هو حكم الجاهليَّة، وبالسذاجة الفكر الإنسانيّ إذا حاد عن حكم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ (التين: ٨).

وحكم الجاهليَّة يعيد المسلم إلى ما قبل الإسلام، وبذلك انقلبوا على أعقابهم، وانكروا حقَّها عليها السلام في فدك وغير فدك.

٦. **قوله تعالى:** ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧). لقد ضمَّت خطبتها هذه الآية قبل أن تترك كلامها مع أبي بكر والمهاجرين، والذي انتهى بقولها عليها السلام: «**أَوَ أُغلب على إرثي جورًا وظلمًا!**»، كانت متعجِّبة من حرمانها من إرثها المنصوص على أحقيَّتها به في القرآن الكريم والسنَّة المباركة والبيِّنة، وإنَّ غدًا لناظره قريب، وعند ذلك سيعلم الظالمون كيف تتقلَّب بهم الأحوال، وتظهر حقيقة النوايا والخفايا عند الذي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ (غافر: ١٩).

ولا يمكن لأحد مهما كان علمه أن يشكِّك في كلامها عليها السلام أنَّ إرثها أُخذ منها لا بحقٍّ، بل في الجور والظلم، وعدم الشكِّ ناتج من قرآنيَّة الزَّهراء في القرآن، إذ وردت عدَّة آيات تذكر فضلها، ومن ذلك آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (آل عمران: ٦١)، وآية المودَّة ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (الشورى: ٢٣)، وغير ذلك كثير.

أمَّا في السنَّة الشريفة، فنذكر بعضًا ممَّا ورد عن فضلها:

«سيِّدة نساء العالمين»، و«إنَّها كانت صدِّيقة شهيدة)، و«إنَّها أمُّ أبيها»، و«سيِّدة نساء أهل الجنَّة»، و«إنَّها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله»، و«إنَّ الله تعالى يغضب لغضبها»، وهذا الحديث الأخير ممَّا لا يمكن لأي مسلم أن يتجاهله، فضلًا عن أُولي الألباب، فإنَّ فيه غضب الله تعالى الذي يضعه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**وهذا ما لا تقوم له السموات والأرض، فكيف بي وأنا عبدك الضعيف الذليل**»[1].

ومعنى ذلك أنَّها كانت عليها السلام لا تغضب إلَّا لله عندما تُعصى أوامره ونواهيه، ولا ترضى إلَّا بما يرضى به الله تعالى في إطاعة أوامره ونواهيه، فكيف يمكن إغضابها واغتصاب حقّها، وفي ذلك غضب الله عزّ وجلّ؟!

ذكرت تلك الآيات والأحاديث الشريفة لبيان رزيَّة الأمَّة الإسلاميَّة في غصب حقِّ بنت نبيِّها، وهي ما عليها من المنزلة والشرف في السماء والأرض، فكيف يحصل ذلك لها بمرأى ومسمع المسلمين، وليس كأيِّ مسلمين، بل هم الرعيل الأوَّل، وهم ممَّن رأى وسمع وصحب النبيّ صلى الله عليه وآله، وعرفوا ماذا تعني الزَّهراء عليها السلام عند أبيها.

٧. **قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ..﴾** (آل عمران: ١٤٤)، ولأنَّ القوم سرعان ما أحدثوا أمورًا عجيبة تمثَّلت بإحداث البِدع والتَّرك للسُّنن، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وآله، كما أكَّدت الزَّهراء عليها السلام: «**أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده**»، فتخاذل القوم عن نصرة بضعة نبيِّهم، ولـمَّا يطول العهد بموته، فإذا ما مات النبيّ صلى الله عليه وآله، فواجب قومه أن يحيوا سنَّته، ومنها حفظه في ولده

(١) مفاتيح الجنان، عبَّاس القمِّيّ: ٩٩.

والمصداق الأوَّل له هو الزَّهراء عليها السلام، وبيَّنت سلام الله عليها بقرآنيَّة خطابها أنَّ الله قد أكَّد موت النبيّ والأنبياء من قبله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)، لكن ذلك لا يعني موت المبادئ والقيم التي بُعث بها وجاهد لأَجلها حتَّى موته، إلَّا أنَّ ارتداد القوم بعد إيمانهم ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، يمثِّل «**خطب جليل استوسع وهيه**».

٨. **قوله تعالى**: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٣).

ذكرت سلام الله تعالى عليها هذه الآية عند تقريعها للأنصار «**إيهًا بني قيلة**»، انتقاد لاذع لمن نصروا الإسلام في وقت الشدَّة، وهم أصحاب المواقف التي قلَّ نظيرها «**وأنتم ذوو الكدِّ والتَّعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم**»، لكن آلم الزَّهراء عليها السلام أنَّهم: «**نكثتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان**»، فما كان لها إلَّا أن تبيِّن لهم ما عليهم من قتال الناكثين، الذين يهمُّون بإخراج مَن هو نفس الرسول، والذي أوصى به، ومن تعطيل وصيَّته في أهل بيته، فمثل هؤلاء عليكم أيُّها الأنصار أن تخشوهم، بل الخشية لله تعالى، ومنه فقط، فأيَّدت ما قالت بشأن الأنصار بقول الله تعالى في سورة التوبة، آية (١٣)، وذكَّرتهم به؛ ليكون حجَّة دامغة عليهم.

فتضمينها واستحضارها للنصِّ القرآني في خطبتها، أضاف لها قوَّة في اللفظ والمعنى، وأصبحت دلالتها على مرادها واضحة، وحجَّتها ساطعة ناصعة.

٩. **قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٨).

بعد أن علمت الزَّهراء عليها السلام بنوايا القوم، وأن لا فائدة من كلامها معهم، بعدما خذلوها، جاءت بما وبَّخ الله تعالى به قوم النبيّ موسى عليه السلام، وأنَّ الله تعالى لا تنفعه أو تزيد في ملكه طاعة الطائعين، ولا تضرُّه معصية وكفر الفاسقين والمنافقين؛ لأنَّه غنيٌّ عن العالمين، فأرادت أن تؤكِّد للقوم بقرآنيَّتها أنَّ خذلانكم للنبيِّ وآله بعد موته، بعدم اعتماد وتنفيذ وصيَّته، لاسيما في بضعته ووصيِّه، ومخالفة النبيّ في ذلك كفر من القوم

بنِعَم الله تعالى، ومنها بعثة النبيّ بدين الله، وعدم حفظه في ذريَّته، وهنا الكفر لن يضرَّ الله شيئًا.

١٠. **قوله تعالى:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمَّد: ٢٤). تتساءل الزَّهراء عليها السلام عن سبب عدم تدبُّرهم للقرآن الكريم، فيقضوا ما عليهم من الحقِّ، ومن أفضل مصاديقه حقُّ آل محمَّد، وتبين عليها السلام أنَّ أقفال قلوبهم هي الرين الحاصل من سيِّئات أعمالهم التي أعمَت أبصارهم عن رؤية الحقِّ، وأصمَّت أسماعهم عن الإصغاء لصوت الحقِّ الذي أقرَّته السماء، وصرحت به سيِّدة النساء.

١١. **قوله تعالى:** ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: ٧٨). إنَّها أوضحت لهم أنَّ الأغطية الدنيويَّة من سيِّئات أعمالهم لا بدَّ أن ينكشف لهم الغطاء، ويرون الحقيقة، وعندئذ يتَّضح مَن الخاسر؟ لا محالة أنَّ الخاسر هو الباطل وأتباعه.

١٢. **وقوله تعالى:** ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ (الزمر: ١٥). من أين جاء لهم الخسران الواضح؟ استحضار الآية القرآنيَّة في خطابها عليها السلام أعطى دلالة واضحة وقوَّة في الصياغة والمعنى، وجعلت من قرآنيَّة الآية نتيجة لا تقبل الشكَّ؛ كلام الله تعالى قطعيّ النزول، وإن اختلف المسلمون في دلالة ألفاظه، وتتسائل عن سبب ذلك الخسران؟.

وجوابها عليها السلام أنَّ سبب ذلك هو: أنَّى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطَّبين بأمور الدنيا والدين؟!

أي إنَّ الإمامة لا تليق إلَّا بمن جعلهم الله تعالى شاطئ أمان لرسالة الإسلام، وقاعدة النبوَّة والدلالة عليها، ومهبط وحي الله وأمينه، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خبيرٌ بأمور الدنيا والدين.

١٣. **قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦). بعد أن

ذكرت عليها السلام صفات أمير المؤمنين عليه السلام، التي انفرد بها عن جميع الصحابة، وقد أخصَّه الله تعالى بها دون غيره، والتي أهَّلته أن يكون وصيَّ رسول الله على الأمَّة في أمور الدين والدنيا، ولو أنَّهم عملوا بما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لفتح الله تعالى عليهم بركات السماء والأرض، ولكنَّ القوم أبوا إلَّا المخالفة وعدم تنفيذ الوصيَّة، فكذَّبوا ما جاء عن النبيّ ووصيِّه، فكان على الله تعالى أن يأخذهم بإغلاق أبواب بركات السماوات والأرض، وهذا أوصلهم إلى الظلم الذي قال فيه عز وجل: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (الزمر: ٥١).

أي إنَّ الذين اغتصبوا حقَّ آل محمَّد، وهذا ظلمٌ عظيم، سيكون عقابه من جنسه، فالظالم هو نتاج طبيعيّ للسيِّئات التي تعني معصية الربِّ العظيم، ومهما بلغوا من قوَّة ومكر؛ فإنَّهم لن يعجزوا الله تعالى في خلقه وملكه، وتضمين خطابها لهذه الآية أعطاه قوَّة في المعنى الذي تريد الزَّهراء عليها السلام تأكيده.

١٤. **قوله تعالى:** ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤). جاءت عليها السلام بمقطع من الآية ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، بعدما أوضحت لهم أنَّهم ضلُّوا السبيل في الحياة الدنيا، بتركهم اتِّباع الحقِّ الذي لو اتَّبعوه لأحسنوا صنعًا لأنفسهم، والحقّ الذي أوصاهم به النبيّ المختار، وهو اتِّباع خليفته ووصيِّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الذي أوضحت سجاياه، وما حباه الله تعالى به من النِّعم، لو اتَّبعوه لسار بهم على المحجَّة البيضاء، فأكدَّت ضلالهم في الدنيا، والذي قادهم إلى العمى عن الحقِّ.

١٥. **قوله تعالى:** ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود: ٢٨). بعدما بيَّنت لهم البيِّنات الربانيَّة عن اتِّباع الحقَّ وعاقبة مخالفته «**وابشروا بسيفٍ صارمٍ وهرجٍ شاملٍ، يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم فيها حصيدًا**»؛ ولأنَّهم ضلُّوا، وسينالون عاقبة ضلالهم (العمى) تُشفق وتأخذها الحسرة عليهم؛ لأنَّها بضعة من الرحمة الإلهيَّة

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، فأتت بنصٍّ من القرآن الكريم بعد حسرتها عليهم «**فيا حسرةً عليكم، فأتى بكم**».

١٦. **قوله تعالى:** ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ (الحج: ١٣). بعد ضلالهم وكرههم للحقِّ واتِّباعهم الباطل، بذلك صار مولاهم الشيطان الذي يأصرهم بكلِّ معصية، ويمنعهم عن كلِّ طاعة، والذي ذمَّه الله تعالى بأنَّه مولى سوء، ومعاشرته تؤدِّي إلى كلِّ سوء، فأكَّدت ما ذهب إليه من وصفها للواقع الذي هم صاروا له ووصلوا إليه، فاستحضرت النصَّ القرآنيّ؛ ليكون القرآن الكريم حاضرًا وفاعلًا في خطابها.

١٧. **قوله تعالى:** ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ (الكهف: ٥٠). وأيُّ ظلم ظلموا به أنفسهم والمسلمين إلى يوم الدين، حيث عطَّلوا وصيَّة السماء، واستبدلوها بحكم الانقلاب على الأعقاب، فأيُّ عقلٍ يسمح بتغليب رأي أهل الأرض الظالمين على رأي أهل الحقِّ العالمين، والذين أذهب الله تعالى عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرا؟!

ومن أجل ذلك تضمَّن خطابها عليها السلام كلام الله عزَّ وجلَّ، الذي يذمُّ الظالمين الذين جدلوا قول الله تعالى بقول البشر: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٢).

١٨. **قوله تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٢). أكدَّت الزَّهراء عليها السلام إنَّ تبديل إرادة الله تعالى بإرادة الناس جعلهم في صنف الظالمين، سواء باغتصاب الخلافة الإلهيَّة، أو غصب حقِّ الزَّهراء عليها السلام، وغيرها من حقوق العترة الطاهرة.

كلُّ ذلك جعلهم مفسدين، وإن ادَّعوا طاعة الله تعالى ورسوله الكريم، ومخالفتهم لصريح النصوص الإلهيَّة جعلهم لا يشعرون أنَّهم مفسدين، وهذا ما أرادت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من تأكيده بقرآنيَّة الآية التي ذكرتها.

١٩. **قوله تعالى:** ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥). ويمكن القول إنَّ هذه آخر آية قرآنيَّة[1] ضمَّنتها الزَّهراء عليها السلام في خطابها إلى نساء الأنصار والمهاجرين، ضمن منهج قرآنيَّتها، أو ما نسمِّيه أثر القرآن الكريم في خطاب سيِّدة النساء، وفي ذلك إخبار لنساء المهاجرين والأنصار ولهم حتَّى لو كانوا يعلمون ذلك، لكنَّها أكدَّت أنَّ العترة الطاهرة، ولأسباب كثيرة، قد يصعب حصرها، ومنها أنَّ آل محمَّد صلوات الله تعالى عليهم هم عدل الكتاب في حديث الثَّقَلين المتواتر في كلِّ الطبقات، أنَّهم مصدر الهداية الربانيَّة، وبما أنَّنا نعلم يقينًا أنَّ «من يعدل عن القرآن فلا بدَّ إلى النار».

وللملازمة بين القرآن الكريم والعترة، فإنَّ الذي يعدل عن العترة، فمن البديهيّ أن يعدل إلى النار، وهذا حكم الجاهليَّة الذي به حكموا فيما فعلوا، وذلك هو الخسران المبين؛ لأنَّهم اتَّبعوا من لا يهدي، وتركوا مَن هم الأصل في هدايتهم في دنياهم وآخرتهم. ووجود الآية أو مقطع منها يكسب الخطاب قوَّة استثنائيَّة تختلف تمامًا عمَّا لو كان الخطاب خاليًا من أثر القرآن الكريم بمختلف وسائله، فكلام الله عزَّ وجلَّ لا تعدله قوَّة في الشكل والمعنى، ومعه صدق نيَّة الخطيب، فكيف إذا كان الخطاب من الصدِّيقة الشهيدة فاطمة الزَّهراء، مع صدق كلام الباري تباركت أسماؤه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢).

٢٠. **قوله تعالى:** ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ (المائدة: ٨٠). وهذا المقطع من الآية وقع في نهاية خطابها في نساء الصحابة عند عودتهن لها في مرضها الذي توفِّيت فيه. وعبَّرت فيه عن نتيجة ما وصل إليه القوم بعد كلِّ ما قدَّمته لهم من الحجج التي لا يعمل بها بعدما سمعها إلَّا الذي قدَّمت له نفسه ما قدَّمت ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ (المائدة: ٨٠).

(١) ينظر: خطب سيِّدة النساء: ٣١٧.

ثانيًا: اقتباس لفظة قرآنيَّة

الزَّهراء عليها السلام عالمة بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها، وتأثير موقع اللفظة أينما وقعت، فألفاظ القرآن الكريم تبدو في الخطاب كالنجمة في كبد السماء، فإذا ما صدرت من بنت البيت الذي يهبط فيه أمين الوحي (جبرائيل عليه السلام) على أبيها، وهي أمُّ أبيها، فيا ترى كيف يكون أثرها في قوَّة الخطاب؟ ستُنتج معانٍ جديدة تستمدُّ قوَتها من كونها كلام الله تعالى، وتلاقحت بأفكار فاطمة عليها السلام حتَّى تؤدِّي المعنى المراد منه إيصال ما تدعو له، وجاءت لأجله إلى القوم؛ لعلَّهم يفقهون ويعلمون بخطابها، أو تقيم عليهم الحجَّة البالغة، ومن هذه الألفاظ:

- **قولها عليها السلام في مطلع خطبتها الفدكية: «الحمد لله..»:**

وهذه الجملة أو لفظة الحمد مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢)، وهي في مورد افتتاح كلامها بحمد الله والثناء عليه على ما أنعم على عباده، لأنَّه يستحقُّ الحمد والشكر على آلائه، فهو المبدع لها والمتفضِّل بها، ولأنَّ الشكر مفتاح زيادة النِّعم كما في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبرهيم: ٧). ومَن أولى من الزَّهراء عليها السلام بشكر المنعم، وهي العارفة بالله، وحتَّى يتَّضح ذلك ويثبت للقوم أنَّ الله تعالى هو الأولى بالحمد في كلِّ زمان ومكان ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٨).

- **قولها عليها السلام: «آلاء أسداها»:**

فكلمة (آلاء) مقتبسة من قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣)، أو قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩). وهذا تأكيد منها وتذكير للقوم بنِعَم الله تعالى التي لا تحصى، وعليهم شكرها، وإلا فهم ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧).

- **قولها عليها السلام: «وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له»:**

جاءت بشهادة التوحيد التي هي أهم أصل من أصول الإسلام، وفيها لفظ الجلالة، الذي ذُكر في القرآن الكريم (١٧٤٥) مرَّة. ولا غرابة من هذا العدد، فبه وله قامت السموات والأرض، وأقرَّت جميع المخلوقات بربوبيَّته وعبوديَّته. جاءت بها لتذكير المسلمين بفلسفة التوحيد التي تنطقها الألسن، وعلى القلوب أن تعيها وتعمل بها، لكونها الأساس الذي تتوحَّد به كلّ المخلوقات لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

- **قولها عليها السلام: «الممتنع عن الأبصار رؤيته»:**

فقد جاءت بلفظة الأبصار القرآنية أشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، لعلَّهم يخشون من إدراكه لأبصارهم فيرجعون إلى رشدهم، فيبصرون الحقَّ ويعيدوه إلى أهله. ومن أوضح مصاديق الحقِّ الدَّارين لو اعتمدها واعتصم بها القوم.

- **قولها عليها السلام: «ثمَّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادةً لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنَّته):**

لا زال كلامها عليها السلام عن التوحيد وأساسه، والذي ينبثق منه مبدأ الثواب والعقاب، واللذان وردا في كتاب الله تعالى عدَّة مرَّات، ومع ملاحظة أنَّ الله تعالى بحكمته، وتنبيهًا لخلقه عن معصيته، فقد ذكر الثواب مرَّتَين، وذكر العقاب مرَّات عدَّة[1].

(١) الثواب ذُكر محلىَّ بالألف واللام مرَّتين في القرآن الكريم، والعقاب محلىَّ بالألف واللام ذُكر ستة عشر مرَّة، كقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٣١).

- **قولها عليها السلام: «وأشهد أن أبي محمّدًا صلى الله عليه وآله»:**

تأكيد منها عليها السلام على الأصل الثاني في الأهميَّة في أصول ودعائم ديننا، ثمَّ التذكير بأنَّ هذا الذي اختاره واصطفاه ربُّ العباد، وجعله خاتمًا للأنبياء، هو أبا الزَّهراء إن كانوا لا يعلمون، وقد ورد ذكر اسم النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله أربع مرَّات في القرآن الكريم، وجاءت سلام الله تعالى عليها بلفظ محمَّد اقتباسًا من آيات الذكر الحكيم، وحتَّى لا ينسى أو يطغي القوم أو يتناسون ذِكر النبي صلى الله عليه وآله، شهدت بذلك، وفيه مزيدًا من إقامة الحجَّة، وفضح الظلم الذي وقع على عترة النبيّ صلى الله عليه وآله.

- **قولها عليها السلام: «فأنار الله بأبي ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها»:**

فذكرت عليها السلام لفظة القلوب، وقد ورد ذكرها ستَّة مرَّات في القرآن الكريم، ويعني به مواقع الإدراك والإحساس، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

فذكَّرتهم الزَّهراء عليها السلام بنعمة بعثة أبيها النبيّ الذي أنار عقولهم من ظلمات الشرك والعبوديَّة لغير الله تعالى، وأنَّه النبيّ صلى الله عليه وآله قد كشف عن مشكلات عقولهم، ووضع لها الحلول «**وجلا عن الأبصار غممها**»، أي كشف عن إفهامهم التباس الأمور. فأيّ فضلٍ عظيم له عليهم؟.

- **قولها عليها السلام: «وقام في الناس بالهداية»:**

أي إنَّ مهمَّة أبيها أنَّه مرسل إلى الناس كافَّة لهدايتهم وإخراجهم من ظلمات الجهل والغواية إلى نور العلم والهداية، فقد أخذ بأيديهم من العمى إلى البصر والبصيرة، لذلك أردفت قائلة: «**وهدايتهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم**»، وفي ذلك أكثر من لفظ قرآنيّ، منها: الدين، الصراط المستقيم.

- **قولها عليها السلام: «محمَّد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة»:**

تذكِّرهم عليها السلام بالمتاعب والأذى الذي لاقاه النبيّ صلى الله عليه وآله من المشركين الذين وقفوا بكلِّ ما يملكون لإيقاف خطِّ الرسالة ذو الرحمة الإلهيَّة للعالمين، والزَّهراء عليها السلام كانت تعاني ممَّا يعانيه أبوها من الأذى؛ لأنَّها جزء منه روحًا وفكرًا وجسدًا.

- **قولها عليها السلام: «وبقيَّة استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق»:**

بعد أن أوجزتُ الشرح في بيان قرآنيَّتها عليها السلام في التوحيد والنبوَّة وأذى النبيّ صلى الله عليه وآله وما لاقاه من المشركين والمنافقين قبل وبعد بعثته، عطفت في خطابها إلى بيان عظمة وأهميَّة القرآن الكريم؛ لعلَّ القوم يرجعون إليه، فهو يحمل الحقَّ والصدق في كلِّ شيء ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ (فصِّلت: ٤٢)، فقد جاءت بلفظ قرآنيّ تكرَّر تسع مرَّات في القرآن الكريم، وهو (كتاب الله)، ويمكن القول إنَّها أشارت بهذا اللفظ إلى آيتَين ورد فيهما، والآيتان تجسِّدان الواقع الذي آل إليه المسلمون، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران: ٢٣)، وأيُّ إعراض عن كتاب الله أشدُّ من ظلم واغتصاب حقِّ محمَّد وآل محمَّد؟! وهم عدل الكتاب، وهذا ما أرادت الزَّهراء بيانه من خطابها مع قرآنيَّته التي تزيده قوَّة، وفي كلِّ زمان ومكان يتجدَّد معنى اللفظ القرآنيّ، أي إنَّه يحمل عنصرا القوَّة والتجديد في ذاته، وهذا من أسرار إعجازه.

- **قولها عليها السلام: «والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع..»:**

ضمَّنت خطابها لفظ القرآن الذي ورد في القرآن الكريم تسع وأربعون مرَّة، وإذا ضممنا إليه لفظ قرآن، فيكون عدد ذكره تسع وستُّون مرَّة. وإن جاز لنا التعبير أن نُطلق على فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّها بنت الوحي من حيث أنَّها تعلم وتسمع بكلِّ ما ينزل به الوحي على أبيها، أو من خلال ما يعلمه بعلها الوصيّ، حيث إنَّه سمع ما ينزل به

أمين الوحي جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا فإنَّها تعلم أهميَّة كلِّ ما أراده الله تعالى في دين الإسلام من التوحيد والنبوَّة ومنهاج هذا الدين (القرآن)، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ (الرحمن: ١-٢). وحتَّى تلفت نظر القوم إلى أهميَّة المنهاج الإلهيّ الذي فيه ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾، وممَّا فيه حقُّ محمَّد وآل محمَّد، فإنَّها عليها السلام ضمَّنت خطابها لفظ القرآن، فوصفته بما وصفه الله عزَّ وجلَّ، وبما هو حقُّه، وحتَّى لا يُهمل هذا الدستور السماويّ العظيم، ولا تندرس أحكامه، وليكن عليهم حجَّة بالغة، وهي عليها السلام القائلة: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: تلاوة كتاب الله، والنظر في وجه رسول الله، والإنفاق في سبيل الله**». ولبيان أهميَّة القرآن الكريم، فقد أوصت الزَّهراء سلام الله عليها في وصيَّتها قبل وفاتها لأمير المؤمنين عليه السلام، أن يقرأ القرآن عند قبرها.

ووصفها للقرآن، وتذكير القوم به وبما فيه، لعلَّهم يرجعون إليه، فيرجعون إلى صوابهم الذي فيه نجاتهم ومَن بعدهم، ومنه اتِّباع الحقِّ وأهله، ونبذ الباطل وأهله.

- **قولها عليها السلام: «فجعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك»:**

عرضت عليها السلام عليهم التكاليف العقائديَّة والشرعية المنبثقة من دستور السماء القرآن، والتي تدعو الإنسان إلى تحقيق الغاية التي خُلِق من أجلها كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾.

فذكرت سلام الله تعالى عليها هذه التكاليف التي تذكِّر الإنسان بواجبه في طاعة الله تعالى، كما أرادت من ذكرها لتثبتَّ في عقولهم لتعطي ثمار ما وجدت من أجله. فضمَّنت خطابها لفظة الإيمان، وهي اقتباس من آيات القرآن الكريم التي ذكرت الإيمان أربعة عشر مرَّة، وهذا الاقتباس أو التضمين هو أثر القرآن الكريم في خطابها عليها السلام.

وجاءت بلفظة الإيمان القرآنيَّة لتكون أداةً للتوحيد ونبذًا للشرك، فهي عليها السلام أخبرتهم عن الله تعالى أنَّ الإيمان الحقيقيّ هو الذي يستقرُّ في القلب، وتعمل به الجوارح، لا إيمان

الأقوال والإدعاء، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ (الحجرات: ١٤).

- **قولها عليها السلام: «والصلاة تنزيهًا لكم من الكبر»:**

أكدَّت على أهمِّ التكاليف الشرعيَّة والعقائديَّة، وأوَّلها الصلاة، فإنَّها ثمرة إيمان المسلم، ومن أهمِّ وسائل اتِّصاله بخالقه، فإنَّ أصلها في اللغة الدعاء القائم على التواضع والخشوع، وبذلك يبعد الإنسان عن التكبُّر ويجعله متواضعًا لربِّه. ولهذا يكون افتتاحها بـ(الله أكبر)، فلا يبقى عند الإنسان أي معنى للكِبر إذا ما استحضر عَظَمة الخالق وقدرته ورحمته وحكمته، والصلاة من أسباب نبذ الشرك، وتخصيص العبادة لله وحده ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

وذكرت الصلاة لأنَّها عمود ديننا وسفينة أعمالنا، ولذلك ضمَّنت خطابها هذه اللفظة القرآنيَّة التي ذُكِرت أكثر من إحدى وستِّين مرَّة في القرآن الكريم، ومن أسباب ذكرها تثبيتًا لها؛ ولأنَّها تنهى عن الفحشاء والمنكر والذي منه الظلم، لاسيما العترة الطاهرة.

- **قولها عليها السلام: «والزكاة تزكيةً للنَّفس، ونماءً في الرزق»:**

من القرآن الكريم استوحت لفظة الزكاة وضمَّنتها خطابها، وذلك تثبيت لها لأنَّها من التكاليف المفروضة كالصلاة، وفيها تطهير للروح، ونماء في البعد المادِّيّ الذي يغنيه عن الآخرين، وتزكية النفس من أهمِّ أسباب الفلاح، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس: ٩).

ولأنَّ العترة الطاهرة هم امتداد للرحمة الأهيَّة، وفي مقدِّمتهم الزَّهراء عليها السلام، فإنَّها خطابها هذه اللفظة القرآنية التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى اثنان وثلاثون مرَّة، ومن أهم معانيها التطهير والنماء.

- **قولها عليها السلام: «وبالحجِّ يشاد الدين»:**

لأنَّه يُظهِر وحدة المسلمين في طاعة الله تعالى في قصدهم إلى الكعبة المشرَّفة لتأدية المناسك التي تقرِّبهم من الله تعالى، وفي ذلك قوَّتهم، وقد ضمَّنت خطابها هذا اللفظ القرآنيّ الذي وردَ ذِكره في القرآن خمس مرَّات محلَّى بـ(ال)، ومرَّتَين من دونها.

قولها عليها السلام: «وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ»:

من أصول الدين، بل في مقدِّمتها بعد التوحيد، وأثره كبير، وخطره فادح في حركة الفرد والمجتمع، لذا يعرِّفه أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّه: يضع الأمور في مواضعها، وهو سائيس عام، وعكسه الجور، واستحضرت الزَّهراء عليها السلام هذه اللفظة القرآنيَّة التي ورد وذكرها في القرآن الكريم محلَّى بال، وغير محلَّى اثنا عشرة مرَّة؛ ولأنَّ الزَّهراء عليها السلام ذكرت في سياق خطبتها العدل وإلى جنبه القلوب، فأرادت أن يكون مؤلِّفًا للقلوب، أي يفتح بعضها على بعض في الرحمة، وبذلك يعمُّ الرضاء والسلام في المجتمع الإسلاميّ. وتقلُّ أو تنعدم الصراعات التي تؤدِّي إلى تفكُّك الأمَّة الإسلاميَّة وإضعافها ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ..﴾ (الأنفال: ٤٦).

ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد لمحمَّد وآل محمَّد أن يكونوا مصدر فيض رحمته على الأمَّة، فضمَّنت الزَّهراء عليها السلام خطابها لفظة العدل، ليكون من الثوابت فكر المسلمين.

- **قولها عليها السلام: «وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ»:**

لأنَّ الصبر الذي ذكرته الزَّهراء عليها السلام في خطابها أرادت به الثبات على المبدأ، وصلابة موقف الإنسان مع الله تعالى فيما يريد وما لا يريد، ولذا تكرَّر فعل الصبر (اصبر) في القرآن الكريم خمس وعشرين مرَّة، ويستشفُّ الأصوليُّون من فعل الأمر حكم الوجوب؛ ولأنَّها عليها السلام في خطبتها وقرآنيَّتها تحثُّ الناس على العمل بما ورد في القرآن الكريم لغايات شتَّى، منها إحقاق الحقِّ، فالصبر على الأذى الذي يتحمَّله الإنسان

من أجل قوله الحقِّ وفعله ودفاعه عن الحقِّ ونصرته، كلُّ ذلك مجلبة للأجر، وهو نِعم الكسب الذي جاء من رياضة الروح، على أن تتحمَّل مرارة الصبر في الحقِّ؛ ولأهميَّة الصبر في حياة الإنسان، فقد قرنه الله تعالى بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك في منهاج السماء الذي على الآباء تعلمه لأولادهم، كما في قوله تعالى على لسان لقمان عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧)، ولا تنسى قول أمير المؤمنين عليه السلام في الصبر والحثِّ عليه: «**عليكم بالصبر، فإنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا خير في جسد لا رأس معه، لا خير في إيمان لا صبر معه**»[1].

- **قولها عليها السلام: «والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة»:**

ضمَّنت خطابها لفظة قرآنيَّة جعلها الله تعالى من أوَّل أسباب تفضيل هذه الآية (أمة محمَّد وآل محمَّد) على الأمم الأخرى في قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)؛ ولأنَّ المعروف والأجر به يمثِّل حركة نقدية تعمل على تكامل المجتمع، فإذا ما تركته الأمَّة، فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى ازدياد شوكة المنكر قوَّة، وبالتالي يصبح حال المجتمع كما يصفه نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله: «**ولتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهنَّ عن المنكر، أو ليسلطنَّ الله شراركم فيدعوا خياركم، فلا يُستجاب لهم**»[2].

ولأنَّ البحث له مساحة محدَّدة، اكتفي بهذا القدر من قرآنيَّة الزَّهراء عليها السلام في خطابها من حيث تضمينه ألفاظ قرآنيَّة حتَّى ظهر أثر القرآن الكريم واضحًا في جماليَّة صياغة المعنى المراد، وتحقيق الهدف من الخطبة على أفضل ما يرام، وفي هذا المبحث الذي أسميته (اقتباس لفظة قرآنيَّة)، نرى زينة ربيع القلوب (القرآن)، قد بانت لكلِّ بصر وبصيرة،

(١) نهج البلاغة: شرح محمَّد عبده: ٤/ ٦٧٤.
(٢) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٩٣/ ٣٧٨.

وأينعت ثمارها في سياق الخطاب الفاطميّ.

ثالثًا: المعنى القرآنيّ

ومَن تتلمذت وتعلَّمت على يد وفكر المعلِّم الأوَّل لأمَّة الإسلام، والإنسان الأكمل في الوجود، هل يخفى عليها معنى من معاني القرآن الكريم الذي أنزله الله عزّ وجلّ (تبيانًا لكل شيء)؟ وممَّا يطبق عليه أهل العقل والنقل أنَّه لا يخفى عليها لفظ أو معنى. والذي يهمُّنا في هذا المبحث أن نسلِّط الضوء على بعض المعاني والأفكار القرآنيَّة التي وردت في خطابها، وحتَّى ترى أثر الفكرة القرآنيَّة في ظهور معانٍ جديدة انتجها فكر وعقل فاطمة الزَّهراء عليها السلام، سواء كانت لإحقاق الحقِّ، أو لتثبيت مبدأ إلهيّ إنسانيّ ربَّما تعرَّض أو يتعرَّض للزوال. ومن تلك المعاني والأفكار القرآنيَّة، نلحظ ذلك في أقوالها عليها السلام:

- **قالت عليها السلام: «وبرُّ الوالدين وقايةً من السَّخط»:**

ضمَّنت خطابها الفكرة القرآنيَّة الخاصَّة ببرِّ الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما، وآثار ذلك في حياة الإنسان في الدَّارَين، حيث ورد الأمر ببرّهما في أربعة موارد في القرآن الكريم بعد الإقرار بوحدانية الخالق عزّ وجلّ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

وبلا شك أنَّ القرآنيَّة في هذا الخطاب تعتمد على ما ورد في القرآن الكريم من آثار طيِّبة تتولَّد من إرضاء الوالدين والإحسان إليهما، وفي ذلك دفع لسخط الله تعالى وسخطهما.

- **قالت عليها السلام: «والقصاص حقنًا للدماء»:**

وفي هذه الجملة ضمَّنتها لفظة قرآنيَّة ومعنى، واللفظة هي (القصاص)، والمعنى أو الفكرة هي كيفيَّة حقن الدماء، وكلاهما مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ١٧٩). وفي خطابها عليها السلام اقتبست فيه من القرآن الكريم لفظًا

ومعنى في أمر يحفظ كيان الأمَّة؛ لأنَّه يقف رادع لأصحاب النفوس الضعيفة والشريرة، عندما يكبح جماح هؤلاء بعقوبة تماثل جرائمهم، فهو يعني حفظ كيان المجتمع، وبالتالي يسود الاستقرار والاطمئنان.

خاتمة البحث

بعد التوكُّل على الله تعالى، وسؤالي له أن يمنَّ عليَّ بلطفه، فيجعلني ممَّن تخطُّ أناملهم حروفًا أخدم بها الثَّقَلين وأبيِّن أثر القرآن الكريم في خطاب سيِّدة النساء، وذلك يحتاج إلى بحث وتحليل، فضلًا عن قلَّة المصادر التي تتناول القرآنيَّة في خطب الزَّهراء عليها السلام، لكن الله عزَّ وجلَّ كان حسبي، وحاولت جاهدًا أن أقدِّم شيئًا يساهم في إغناء المكتبة الإسلاميَّة وعبر المؤتمر الدولي الذي نال شرف التسمية والإضافة لأمِّ أبيها وبضعته الطاهرة وأصل العترة، التي جعلها الله تعالى عدل الكتاب، وخرجتُ بالنتائج الآتية:

إن القرآن الكريم كيف ومتى وأين حلَّ يفوح عطر أزهاره لأنه ربيع القلوب ويسطع بأنوار آثاره حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

١. قدرة الزَّهراء سلام الله عليها في استحضار الآيات القرآنيَّة أو بعضًا منها، أو الألفاظ القرآنيَّة أو أفكار ومعاني القرآن الكريم، وتوظيفها في خطابها؛ لتعطي ثمارًا جديدة في تحقيق المعنى المراد.

٢. ولأنَّ آيات القرآن خزائن مليئة بالكنوز حتَّى أن بعضًا منها شيَّعتها الملائكة عند نزولها، والزَّهراء عليها السلام أعلم الناس بعد أبيها وبعلها في أهميَّة آيات القرآن الكريم، ومواضع استخدامها، فكان توظيفها للآيات القرآنيَّة في خطابها، ومنها الخطبة الفدكيَّة، بأروع ما يكون في وضع الشيء في موضعه.

٣. تمثَّلت القرآنيَّة في الخطاب الفاطميّ باستحضار آية من القرآن الكريم، أو

مقطع من آية أو لفظة أو معنى قرآنيّ، وهذا ما يمكن تسميته بـ(أثر القرآن في خطاب الزَّهراء).

٤. ولأنَّ الآية أبلغ حجَّة من غيرها، حيث هي كلام الله تباركت أسماؤه، فقد أخذ المساحة الأوسع في هذا البحث، وبعضًا من نماذج القرآنيَّة اختصرتها مع ما لها من الفضل وروعة البيان وجمال الصياغة، حتَّى لا أخرج عن الحدِّ المسموح به لحجم البحث.

٥. تناولت الزَّهراء عليها السلام القرآنيَّة في خطابها متسلسلة في موضوعاتها، حسب الأهميَّة، إذ ابتدأت بإصول الدين، ومنها التوحيد والعدل والنبوَّة والإمامة والمعاد، ثمَّ أكَّدت على فروع ديننا، ومنها الصلاة والصيام والجهاد والأمر بالمعروف، وبيَّنت أهميَّة كلٍّ منها.

٦. وظَّفت القرآنيَّة لبيان ظلامة العترة النبويَّة، والردِّ على اغتصاب حقِّها في فدك، والولاية الإلهيَّة لآل محمَّد، ومنهم الوصيّ، بالنصِّ.

والله تعالى من وراء القصد، وهو المسدِّد للصواب.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢. بحار الأنـوار، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، دار إحياء الـتراث العربيّ، بيروت.

٣. بلاغات النساء وطرائف كلامهنَّ وملح نوادرهنَّ وأخبار ذوات الرأي منهنَّ وأشعارهنَّ في الجاهليَّة وصدر الإسلام، أحمد بن أبي طيفور، اعتنى به: بركات يوسف، المكتبة العصريَّة، صيدا، بيروت، ٢٠٠٥م.

٤. جامع أحاديث الشيعة، آية الله البروجرديّ، تحقيق: حسين الطباطبائيّ، د.ط، د.ت.

٥. حياة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، باقر شريف القرشيّ، تحقيق: محسن عقيل، دار ومكتبة الحوراء، توزيع دار المحجَّة البيضاء، د.ط، د.ت.

٦. خطب سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد جواد المحموديّ، مكتبة فخراوي، البحرين، ط١، ١٤٢٩هـ/ ١٩٦٧م.

٧. الزَّهراء عليها السلام من الوجه الآخر، محمَّد حسين عليّ الصغير، مؤسَّسة البلاغ، دار سلوني، النجف الأشرف، ٢٠١٢م.

٨. شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، محـمَّـد حسين فضل الله، تحقيق وتقديم:

الشيخ مصطفى الخضر، مؤسَّسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٩. فاطمة الزَّهراء والفاطميُّون، عبَّاس محمود العقَّاد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.

١٠. القرآن في الإسلام، محمَّد حسين الطباطبائيّ، تعريب السيِّد أحمد الحسينيّ، دار الزَّهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

١١. القرآنيَّة مفهومها موضوعها معاييرها أشكالها، د. رحمن غركان، دار نيبور للطباعة والنشر، العراق، ط١، ٢٠٢١م.

١٢. القرآنيَّة في شعر الروَّاد، د. إحسان التميميّ، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة، ط١، ٢٠١٣م.

١٣. مفاتيح الجنان، الشيخ عبَّاس القمِّيّ، بيروت.

١٤. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيِّد السبزواري، مطبعة الآداب، النجف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٥. نهج البلاغة، محمَّد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

مكوِّنات التَّشكيل الأسلوبيّ في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

م.م. عليّ جواد كاظم الجبوريّ

ملخَّص البحث

تمثِّل أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نصًّا مهمًّا، وأثرًا متميِّزًا من آثار الأدعية الإسلاميَّة، ولأهميَّتها في تاريخ هذا الصنف من الموروث العربيّ الإسلاميّ، فقد ارتأيتُ أنْ تكونَ مدارًا لهذه الدراسة الأسلوبيَّة، محاولًا سبر أغوار هذه الأدعية، وتحليل مكوِّناتها اللغويَّة، وبيان تشكُّلات الصور التي ظهرت في الأدعية، وقد عنيت هذه الدراسة بالمستوَيين: الصوتيّ، من جهة الإيقاع، وتكرار بعض الأصوات، وتقارب وتباعد مخارج حروفها، وما تحقِّقه من جماليَّة داخليَّة للنصِّ. والتركيبي، من جهة تأليف وتراكيب الجمل وتكوينها، وخصائصها اللغويَّة، من أجل تبيان ورصد ميزات هذه الأدعية الواردة في الصحيفة الفاطميَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: التشكيل، الأسلوبيَّة، الزَّهراء عليها السلام، الصحيفة الفاطميَّة.

المقدِّمة

تنبع أهميَّة هذه الدراسة من مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وما لخطبها وأدعيتها من أهميَّة في الموروث الإسلاميّ، وللتعريف ببعض جوانب التشكيل الأسلوبيّ لأدعيتها عليها السلام، إذ يمثِّل دعاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مزيجًا بين دعاء الأنبياء ودعاء الصالحين، فهي سليلة النبوَّة ومعدن الرسالة، والسيِّدة الزَّهراء تمثِّل الأنموذج الكامل والمتكامل ذاتيًّا وتربويًّا للمرأة الصالحة، فقد تجمَّعت فيها سائر الكمالات البشريَّة، فهي ابنةٌ للمعصوم، وزوجةٌ للمعصوم، وأمٌ للمعصومين عليهم السلام.

إنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، وهي «أمُّ المؤمنين والمؤمنات على طول التاريخ البشريّ، فهي أمُّ الأئمَّة النجباء عليهم السلام، كما هي أمُّ شيعتهم الكِرام، أمهم وقدوتهم في عالم المعنى والوجود والطينة»[1]، وكان للبعد العباديّ في حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الحضور الكبير، فعندما نقرأ سيرتها العطرة، يستوقفنا هذا المفصل كثيرًا، عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانًا ويقينًا إلى مُشاشها، ففرغت لطاعة الله**»[2]. وقد اتَّخذت هذه الدراسة من المنهج الأسلوبيّ منهجًا لدراسة أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد انتظمت في مطالب ثلاث؛ مثَّل كلُّ مطلب مستوًى من المستويات اللغويَّة: الصوتيّ، والتركيبيّ، والدلاليّ.

(١) فاطمة الزَّهراء مشكاة الأنوار، عادل العلوي، مطبعة النهضة، ط١، قم، ١٤٢٦هـ: ٩٣.

(٢) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إسماعيل الأنصاريّ، د.ط، د.ت: ٢١/ ١١٠.

إيضاح المصطلحات

الأسلوبيَّة: يعرَّف الأسلوب على أنَّه «طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفه للتعبير بها عن المعاني قصد الإضاح والتأثير»[1]، وهو «مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل التعبير»[2]، ومعدن الأسلوبيَّة حسب شارل بالي: «ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيريَّة تُبرز المفارقات العاطفيَّة الإراديَّة والجماليَّة، بل حتَّى النفسيَّة والاجتماعيَّة»[3].

وتعدُّ الأسلوبيَّة من المناهج الحديثة التي «تركِّز على دراسة النصِّ الأدبيّ، معتمدةً على التفسير والتحليل، وهي تمثِّل مرحلة متطوِّرة من مراحل تطوُّر الدرس البلاغيَّة والنقديَّة»[4]، وهي علم واسع ومتشعِّب، يأخذ من كلِّ زاوية ما يفيده ويفيد النصّ، ويبتعد عن كلِّ ما يجمِّد النصَّ ويجعله بلا فائدة، فأصبحت الأسلوبيَّة بابًا لاختراق النصِّ وتحليله[5]، وفضلًا عمَّا تقدَّم فإنَّ الأسلوبية «دراسة للغة.. ودراسة للعمل الإبداعي..»[6].

الدعاء: لغةً هو: «أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، تقول دعوتُ أدعو دُعاءً»[7]، وهو أيضًا «الرغبة إلى الله عزَّ وجلَّ، دعاه دُعاءً ودعوى»[8]، واصطلاحًا هو:

(١) دراسة بلاغيَّة تحليليَّة لأصول الأساليب الأدبيَّة: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصريَّة، مصر، ط٨، ١٩٩١م: ٤٠.

(٢) علم الأسلوب: صلاح فضل، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ٩٦.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، الدار العربيَّة للكتاب، ط٣، د. ت: ٤١.

(٤) تأصيل الأسلوبيَّة في الموروث النقديّ والبلاغيّ، ميس خليل محمَّد عودة، ٢٠٠٦: ١٨.

(٥) ينظر: تأصيل الأسلوبيَّة، ١٧. كذلك ينظر: البلاغة والأسلوبيَّة: محمَّد عبد المطَّلب، ٣٧٨-٣٧٩.

(٦) الأسلوبيَّة: بيير جيرو، ترجمة: منذر عيَّاشي، مركز الإنماء الحضاريّ، ط٢، ٢٠٠٨: ٦.

(٧) مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر: ٢/ ٢٧٩ (دعو).

(٨) لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم أبن منظور الإفريقيّ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ٤/ ٣٦٠ (دعا).

«الطلب على وجه الخضوع والتضرُّع، ويكون من الأدنى إلى الأعلى منزلةً»[1]، وقد تباينت مطالب الأدعية في الصحيفة الفاطميَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بين الهداية والمغفرة، والعفو والعافية، والأمن والأمان، والسلامة والنجاة من النار، والرزق والصلاح، والعفاف والغنى، والسلامة والفوز بالجنَّة والرضوان، فهي جوامع الدعاء.

السيِّدةُ الزَّهراء عليها السلام: هي فاطمةُ بنتُ محمَّدٍ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمَّا لقبها الزَّهراء: «فهو من الزَّهر، والأزهر من الرجال: الأبيض العتيق البياض، النيِّر الحسن، وهو أحسن البياض، كأنَّ له بريقًا ونورًا يُزهر كما يُزهِر النجم»[2]، وقال المناوي: «سُمِّيت بالزَّهراء؛ لأنَّها زهرة المصطفى صلى الله عليه وآله»[3]، «وقد سُئِل الامام الصادق عليه السلام عن فاطمة عليها السلام: لِمَ سُمِّيت زهراء؟ فقال عليه السلام: **لأنَّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما يُزهر نور الكواكب لأهل الأرض**»[4].

(١) مواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربيّ ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت: ٢/ ٣٢٠.

(٢) لسان العرب: مادَّة زهر.

(٣) إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، زين الدين محمَّد عبد الرؤوف المناوي القاهريّ (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، د.ت: ٢٤.

(٤) سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، عليّ موسى الكعبيّ، مؤسَّسة في طريق الحقِّ، ط٢، ١٤٠٩هـ: ١٥.

المطلب الأوَّل

المستوى الصوتي

توطئة

يعدُّ المستوى الصوتيّ من المباحث المهمَّة في مقاربة مكوِّنات التشكيل الأسلوبيّ في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهو أساس بناء بقيَّة المستويات اللغويَّة (الصرفيَّة والتركيبيَّة والدلاليَّة)، فـ«دراسة الأصوات مقدِّمة لا بدَّ منها لدراسة اللغة»[1]، في لحاظ العلاقة بين الأصوات والمعاني، التي تنبَّه لها العرب وبيَّنوا أثرها في الأسلوب، فالجاحظ يعرِّف الأسلوب: «آلة اللفظ، وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلَّا بظهور الصوت»[2]، وقد أصبحت العلاقة بين الأصوات والمعاني مجالًا واسعًا للدراسة، وعلمًا مستقلًّا يُطلَق عليه (Phonetique علم الأصوات)، وهناك مستوًى آخر في الدراسات الصوتيَّة يختصُّ بوظائف الأصوات، وهو (Phononlogie علم وظائف الأصوات)، ومن أجل مقاربة أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من الجانب الصوتيّ؛ لا بدَّ من التعرُّض للإيقاع[3]

(١) اللغة العربيَّة معناها ومبناها، تمَّام حسَّان، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، د.ط، ١٩٧٩: ٥٠.

(٢) البيان والتبيين، أبي عمرو الجاحظ، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ٢٠٠٣: ٥٨-٥٩.

(٣) الإيقاع: مصطلح إنجليزي اشتُقَّ أصلا من اليونانيَّة، بمعنى الجريان والتدفُّق، ثمَّ تطوَّر فأصبح كلُّ ما يُحدثه الوزن واللحن من انسجام. ينظر: معجم المصطلحات العربيَّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤: ٧١. والإيقاع هو: النغمة التي تتكرَّر على نحوٍ ما=

الداخليّ، وما يُحدثه من تأثير على المتلقِّي يستميله إلى متابعة القراءة، وما يحقِّقه من نَغَم يصنع حالة الخشوع والركون للدعاء بطمأنينة، ويشتمل على الجهر والهمس والشدَّة والرخاوة.

إنَّ تقصِّي مكامن الإبداع في النصِّ يتطلَّب الوقوف على البنى الصوتيَّة التي تمثِّل جزءًا لا يتجزَّأ من هيكليَّة النصِّ (الدعاء)، إذ ينطوي الإيقاع الداخليّ للأدعية على ظواهر صوتيَّة تدلُّ على قيم إيحائيَّة فعَّالة ومؤثِّرة، وذات قدرة على خلق دلالات تكشف عن فاعليَّة أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لذا كان من الواجب التركيز على النظم الإيقاعيَّة التي تشكِّل ملامح أسلوبيَّة ذات سمات دلاليَّة في سياق تلك النصوص، ومن أبرز تلك النُّظم الإيقاعيَّة:

التكرار

يُعرَّف التكرار لغةً بمعنى: «كرَّر الشيء وكرَّره، أعادهُ مرَّةً بعد أخرى، قال شيخنا: معنى كرَّر الشيء أي كرَّره؛ فعلًا كان أو قولًا»[1]، واصطلاحًا عبارة عن: «تكرير كلمة فأكثر بالمعنى، واللفظ لنكتة، إمَّا للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل أو للتعظيم، أو للتلذُّذ بذِكر المكرَّر»[2]، و«التكرار الأسلوبّي تعبير عن حالة نفسيَّة يلجأ لها المبدع في تكرار حرف أو اسم يتجاوز من خلاله المبدع حدود المألوف في اللغة والقول»[3]، فهو «تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكِّل نغمًا موسيقيًّا يتقصَّده الناظم

=في الكلام، أو في البيت الشعريّ، أي توالي الحركات والسَّكنات على نحوٍ منتظم في فقرتَين أو أكثر من فقر الكلام، أو أبيات القصيدة. ينظر: النقد الأدبيّ الحديث، محمَّد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د. ت: ٤٦٨.

(١) تاج العروس من جواهر القاموس: محي مرتضى الحسينيّ الزبيديّ، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤: مادة (مكرَّر): ١٤/ ٢٧.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٦٩: ٥/ ٣٤٥.

(٣) تحليل الخطاب الشعريّ: نور الدين السيِّد، مجلَّة اللغة والأدب، الجزائر، ع٨، ١٩٩٦: ١٨٩.

في شعره أو نثره»[1]، وهو ممَّا يفيد تقوية النغم في الكلام، وهو شائعٌ في الشعر والنثر، وهو أسلوب عرفه العرب قديمًا، حفل به شعرهم ونثرهم، كما ورد في القرآن الكريم، مدحًا كما في الآيات: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(الواقعة ١٠-١١)، ووعيدًا وتهديدًا كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ (الحاقة ١-٢)، وسأتطرق إلى التكرار الصوتيّ واللفظيّ في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

التكرار الصوتيّ:

يتحقَّق التكرار على مستويات عدَّة في الأدعية، بوصفه بنية أسلوبيَّة، فثمَّة تكرار على مستوى الصوت، متمثِّلًا بما يُطلَق عليه (الرمزيَّة الصوتيَّة)، وثمَّة تكرار حرفيّ يحمل دلالات محدَّدة، كما نلحظ التكرار في الكلمات والتعابير، التي تفيد في توكيد المعنى الذي تركِّز عليه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، مع ملاحظة الترابط النفسيّ والدلاليّ للتكرار؛ إذ لا يمكن عزل هذه السمة عن السياق الذي وردت فيه، مع ملاحظة أنَّ «الضابط لتوافق أجراس الحروف في تاليف الألفاظ هو الحسّ»[2].

إنَّ التماثلات الصوتيَّة تؤدِّي إلى تماثلات دلاليَّة، ويمكن أن نستبين التقارب الدلاليّ بين الكلمات من قبيل «اسمك، إليك، عندك، لديك، منك، استغفرك، استمنحك، يديك، أُقرُّ لك، أتملَّقك، عليك، كتبك، خلقك، ربوبيَّتك، رسلك، صلواتك»[3]، إذ يتَّضح توظيف صوت حرف (الكاف) المهموس[4] للدلالة على إنَّ طبيعة الأصوات

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠: ٢٣٩.

(٢) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب: ١٤٧.

(٣) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة الجامعة لأدعية بنت رسول الله سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء وشبليها عليهم السلام، محمَّد باقر مرتضى الموحِّد الأبطحيّ الأصفهانيّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٢١هـ: ٢٤-٢٥.

(٤) الهمس: هو الصوت الذي لا يهتزُّ معه الوتران الصوتيَّان، ولا يُسمَع لهما رنين حين النُّطق به. ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس: ٢٠.

في هذه الفقرة من الدعاء توحي بالحزن والانكسار والركون للخالق (جلَّ وعلا)، والانقطاع له، وإعلان العجز والخضوع لقدرته عند مخاطبته بضمير المخاطَب، وهي منسجمة مع ما يتضمَّنه المقطع من دلالـة، فهو صوت يتكرَّر كثيرًا في دعاء طلب تفريج الهموم والغموم، فقد ورد (٥٩) مرَّة في هذا الدعاء، إذ هو ضمير المُخاطَب، وهو الغالب عليها بطبيعة الحال، فـ«الأصوات المجهورة تمثِّل أربعة أخماس الكلام، وحروف الهمس: التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والطاء والفاء والقاف والكاف والهاء»[١].

ويمكن أن نلحظ تكرار حرف آخر من حروف الهمس، هو(السين) ذو الصفير العالي، في كلمات مثل: «أسألك، باسمك، سبحانك، السماوات، ليس، رسولك، تسليمًا، سيِّدنا»[٢]، في دعائها عليها السلام في العوذة للحمَّى، فجاءت الكلمات بدلالات متقاربة، تحقِّق التوازي للنصِّ، من خلال تكرار الحروف التي تعمل على ترابط الإيقاع الموسيقيّ والدلاليّ، وتجذب انتباه السامع.

وكذلك حرف (الهـاء)، وهو «من الأحرف الرخوة»[٣]، في ألفاظ: «أزمانهم، دقائقهم، شعائرهم، ساعاتهم، أيَّامهم، سنينهم، شهورهم، أشعارهم، سكونهم، حركاتهم، أنفاسهم، يعلمها، يحصيها، يغفرها»[٤]، في دعائها عند الصباح، ودلالة تكرار حرف الهاء تدلُّ على الاهتزاز والاضطراب، والألم والحزن، والضيق والتعب، فهو يخلق تاثيرًا في نفس السامع، وإيحاءً صوتيًّا، ومن حروف الهمس أيضًا حرف (التاء)، وهو من الأحرف الشديدة[٥]، وهو صوت انفجاريّ لثَويّ، يردُ كثيرًا في نهايات الكلمات،

(١) ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريَّة، ط٤، ١٩٧١: ٢٤.
(٢) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ٣٢-٣٣.
(٣) جرس الألفاظ ودلالتها في البلاغة والنقد العربيّ: ١٣٧.
(٤) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ٣٩.
(٥) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البلاغة والنقد العربيّ: ١٣٧.

كما في: «الحفظة، السفرة، الملائكة، شعرة، لفظة، لحظة، النعمة، العظمة، المغفرة، القيامة، التامَّة، العامَّة، الشاملة، الكاملة، الطاهرة، الفاضلة، المباركة، المتعالية، الزاكية، الشريفة»(١)، الذي يعطي جِرسًا(٢) موسيقيًّا يحقِّق إيقاعًا خاصًّا، يجري معه النفس، يعبِّر عن نَغَم متتالي، كما يتبيَّن ورود حرف (الراء) بكثرة، وهو صوت مجهور(٣)، مكرَّر في كلمات مثل: «النور، الأمور، الطور، مسطور، مشكور، محبور، مذكور، مشهور»(٤)، الذي يعطي للنصِّ إيقاعًا مميَّزًا ومدوِّيًا، فإذا «تكرَّر الحرف في الكلام على أبعاد متقاربة، اكتسب تكرار صوته ذلك الكلام، وإيقاعًا مبهجًا يدركه الوجدان السليم حتَّى عن طريق العين، فضلًا عن إدراكه بالأذن»(٥)، كما يتكرَّر حرف (النون) المجهور، وهو من حروف الغنَّة، بدلالته على الحزن والأنين، والانكسار والخضوع والمعاناة، في كلمات مثل: «الجنان، النيران، رضوان، أجمعين، مقرَّبين، مباركين، الراحمين، الكاتبين، الصالحين، العالمين، المهلِّلين، المكبِّرين، القائلين»(٦).

إنَّ تكرار حرف بعينه أكثر من مرَّة له غاية مقصودة في نفس المتكلِّم، وله أثره الصوتيّ في النصِّ، وله تابع متعلِّق بمدى تأثيره في المتلقِّي، وهو ما نلحظه فيما سبق في الأدعية.

---

(١) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ٣٦-٤٠.

(٢) الجرس: النغم، وجرس الحرف نغمته. قال الجاحظ: الصوت آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٧-٩.

(٣) المجهور هو: «الذي يهتزُّ معه الوتران الصوتيَّان». ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريَّة، ط٤، ١٩٧١: ٢٠.

(٤) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ٣٢.

(٥) التكرير بين المثير والتأثير: عزّ الدين عليّ، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦: ٤٥.

(٦) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ٣٤-٣٦.

التكرار اللفظيّ:

إنَّ تكرار لفظةٍ ما تأكيدٌ لأهميَّتها، وعظمة المُشار إليه، وقد تنبَّه القدماء لقيمة التكرار الفنيَّة، إذ إنَّ «الكلمة قد تكرِّرها العرب على التغليظ والتخويف»[1]، وقد تكرَّر تسبيح الله عزَّ وجلَّ في أدعيتها عليها السلام، وحمده وشكره، «**سبحان ذي العز الشامخ المنيف.. سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردَّى بالنور والوقار، سبحان من تواضع كلُّ شيءٍ لعظمته، سبحانك يا ذا الجلال والإكرام**»[2]، فالتسبيح هو تقديس الله، وتنزيه للخالق عن كلِّ نقص، وعن كلِّ سوء، وعن كلِّ ما لا يليق، فهو (تبعيد) عن كلِّما ينقض الحدوث والإمكان، ويُستحبُّ البدء به في الدعاء، وهو مقدَّمٌ على التحميد، وهو ما نجده في أدعية الزَّهراء، وكذلك حمد الله والثناء عليه، كما في «**الحمد لله الذي لا يَنسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيِّب من دعاه، الحمد لله الذي مَن توكَّل عليه كفاه، الحمد لله سامك السماء.. الحمد لله رفيع الدرجات.. الحمد لله على كلِّ حمدٍ وذِكر**»[3]، فهو الثناء الجميل على الخالق، بِنيَّة التحبُّب والتودُّد، وذكر الصفات الإلهيَّة من ابتداع الخلق وذِكر النِّعم، وشكرها، والحمد يزيد الإيمان في القلب، ويستجلب الطمأنينة، لاستشعار المرء أنَّ الله هو المنعم الوحيد (جلَّ وعلا).

كما تردَّد بشكل كبير ذِكر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تعظيمًا لقدره الشريف، وتذكيرًا بدوره العظيم في تنوير الفكر الإنسانيّ، وإخراج الناس من ظلمة الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان، فكان تكرار ذكره الشريف في الأدعية ملمحًا على التفخيم والتعظيم، إذ «إنَّ تكرير اسم الممدوح تنويهٌ به وإشارة بذِكره وتفخيمٌ له في القلوب والأسماع»[4]، وقد تكرَّرت عبارة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد

(١) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠: ٣/ ٢٨٧.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ١٧.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٤-٦٥.
(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانّي (ت٤٥٦هـ) تحقيق: عبد الحميد=

كثيرًا لفضلها وبركتها، وضرورة افتتاح كلّ دعاءٍ بها، كما ورد عن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فـ«**كلُّ دعاءٍ يُدعى الله عزّ وجلّ به محجوب عن السماء حتَّى يُصلَّى على محمَّدٍ وآل محمَّد**»[1]، وقد كانت الصلاة على النبيّ محورًا رئيسًا في دعاء الزَّهراء عليها السلام، «**اللهمَّ صلِّ على محمَّد خاتم النبيِّين، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وأهل بيته المُباركين، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد صلاةً ناميةً دائمة**»[2]، وما يلفت الانتباه أنَّ النصوص تُكرِّر كلمات بعينها لمنح النصِّ قوَّةً وتكثيفًا، وهو ما يكشفُ عن نقاط جوهريَّة وحسَّاسة تعكس اهتمام صاحبة النصِّ باللفظ المكرَّر، فقد تكرَّرت لفظة (اللَّهم)[3] كثيرًا، وكذا عبارة (الحمد لله)[4]، كما كثُر التكرار في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لعدد من الألفاظ والجمل، منها لفظ (ربَّنا) وغايته إظهار التضرُّع والاستعطاف، وخلق جماليَّة نغميَّة من خلال تكرار بعض الكلمات ذات الدلالة المحدَّدة، للتأثير في أذن السامع، ونفسه، كما في دعائها عليها السلام: «**ربَّنا عليك توكَّلنا، ربَّنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، ربَّنا اصرف عنَّا عذاب جهنَّم، ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقِّ، ربَّنا لا تؤاخذنا، ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة**»[5]، فالتكرار في النصِّ لكلمات معيَّنة، يجسِّد القيمة الأسلوبيَّة المهمَّة في بنية النصِّ، فهو ظاهرة لغويَّة متنوِّعة الأساليب، تمحورت في أدعية السيِّدة الزَّهراء حول قيم كبرى مثل تمجيد الخالق، ومدح الرسول، وإظهار الخضوع لله، وطلب المغفرة، والرحمة، والفرج، وعافية الدنيا والآخرة، وهو يكشف عن مشاعر مخبوءة، وهموم محبوسة، تناجي بها الخالق ولا تبوح بها إلَّا لله (جلَّ وعلا).

=هنداوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ٢٠٠٧: ٢/ ٩٣.

(١) الكافي: أبي جعفر محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، دار الكتب الإسلاميَّة، إيران، ١٣٦٥هـ.ش: ٢/ ٤٩٣.

(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٢١.

(٣) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ١٩-٢٤، ٢٩-٣٠.

(٤) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ١٨-١٩، ٣٢، ٤٨، ٥٠، ٥٤، ٥٩، ٦٤.

(٥) ينظر: الصحيفة الفاطميَّة: ٦٨.

أصوات المدِّ

لأصوات المدِّ خاصيَّة الوضوح في السمع، إذا ما قيست بالأصوات الساكنة[1]، فهي تحتاج وقت أطول للنطق بها، قال ابن دريد: تسمَّى حروف المد واللين؛ «إنَّما سمِّيت ليِّنة؛ لأنَّ الصوت يمتدُّ فيها فيقع عليها الترنُّم في القوافي وغير ذلك»[2]، فيمثِّل امتداد صوت الألف مثلًا، تعبيرًا عن الحزن العميق، والزهد في الدنيا وعدم الرغبة فيها، والانقطاع إلى الله عزَّ وجلَّ، وهو ما يتجلَّى في دعائها عليها السلام، إذا أخذت مضجعها: «**حسبي الله وكفى، ما شاء الله قضى، سمع الله لمن دعا..**»[3]، وكذا الحال في ألفاظ «**سُبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح**»[4]، إذ تشعر بالخشوع والتذلُّل للباري جلَّ جلاله، أمَّا حرف الياء فقد جاء ليمنح الخطاب الهدوء والسكينة واستجداء الرحمة من الله: «**اللهمَّ قد ترى مكاني، وتسمع كلامي، وتطَّلع على أمري، وتعلم ما في نفسي، وليس يخفى عليك شيء من أمري، وقد سعيت إليك في طلبَتَين، وطلبت إليك في حاجتي، وتضرَّعت إليك في مسألتي**»[5]. يمكن عبر تتبُّع الأصوات والألفاظ والتراكيب التي تضمُّها النصوص، توقُّع ومقاربة أحاسيس السيِّدة الزَّهراء ومقاصدها منها، كما في ملاحظة الفقرة من دعائها في تعقيب صلاة العصر: «**الحمد لله العليُّ المكان، والرفيع البُنيان، الشديد الأركان، العزيز السلطان، العظيم الشأن، الواضح البرهان، الرحيم الرحمان، المُنعم المنَّان**»[6]، إذ تستشعر الغضب والسَّخط، الذي تعبِّر عنه عليها السلام بألفاظ شديدة وقاسية، تشير إلى عظمة الله وجبروته وكثرة نعمه.

---

(١) ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس: ٣٢.
(٢) جرس الألفاظ ودلالتها في البلاغة والنقد العربيّ: ١٣٧.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٨.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٩.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة ٥٤.
(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٤.

التجنيس

هو «أن يورِد المتكلِّم كلمَتَين تُجانس كلُّ واحدةٍ منهما صاحبتها في تأليف حروفها»[1]، وقد امتازت الأدعية المأثورة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بقيمتها الإيقاعيَّة عبر توظيف البديع كمصدرٍ من مصادر تحقُّق هذا الإيقاع، ومن أحد أنواعه الجناس، فهو يوفِّر «التماثل الذي يحصل بين أجزاء الكلام»[2].

إنَّ «ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلَّا بنصرة المعنى»[3]، كما أنَّه «يضع في أيدينا الفكرة المسيطرة على المؤلِّف، فضلًا عن الانسجام الإيقاعيّ، وقيامه بوظيفة دلاليَّة ثريَّة ضمن سياقات النصِّ التي يرد فيها، كما أنَّ له من الأهميَّة في إحداث الإيقاعات الداخليَّة، فهو ليس سمة سطحيَّة بقدر ما يشكِّل ملمحًا أسلوبيًّا يزيد من ثراء النصِّ»[4]، ومن أمثلة ذلك ما ورد في دعائها عليها السلام في طلب تفريج الهموم: «**يا مَن سدَّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء**»[5]، فالكلمات السابقة متقاربة في تأليف الحروف، كتقاربها في المعنى، فهي تحمل دلالات مكوِّنات الكون (الهواء، الماء، السماء)، يمكن التعرُّف على المهيمنات الصوتيَّة في النصوص التي تؤدِّي أغراضًا وظيفيَّةً من خلال أنواع الجناس الواردة في الأدعية، فأمثلة الجناس التام: «**اللهمَّ بحقِّ الوحي ومن أوحاه، وبحقِّ النبيّ ومَن نبَّاه**»[6]، وجناس الاشتقاق نحو: «اللهم اكفني حسد الحاسدين، وبغيَ

(١) الصناعتَين، لأبي هلال العسكريّ، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٩٨٦م: ٣٢١.

(٢) البديع، عبد الله ابن المعتز، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٩٨٢: ١٤١.

(٣) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمَّد رشيد رضا، دار المطبوعات العربيَّة للطباعة والتوزيع والنشر، (د.ت): ٨.

(٤) شعر الخوارج دراسة أسلوبيَّة: جاسم محمَّد عبَّاس الصميدعيّ، أطروحة دكتوراه، كليَّة التربية، جامعة الأنبار، ٢٠٠٥: ١٧٧.

(٥) الصحيفة الفاطميَّة الجامعة لأدعية بنت رسول الله سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء وشبليها عليهما السلام: ٢٦.

(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ٣٠.

الباغين»[1]، و«**بسم الله الذي يقول للشيء كُن فيكون، قدر مقدور**»[2]، ومن أمثلة الجناس الناقص ما ورد في دعاء طلب الدنيا والآخرة: «.. رزقتني.. أبقيتني.. توفيتني..»[3]، و«.. هديته.. أديته.. أغنيته.. قوَّيته»[4]، فهو يعطي نغمًا إيقاعيًّا للنصِّ، فلا يملُّ القارئ تجاهه، ويشدُّ الداعي للتوجُّه والانقطاع لله سبحانه، ويبقيه محافظًا على حالة الانتباه والتركيز؛ للوصول لغاية الدعاء، وهو التواصل مع الخالق ونيل رضاه.

السَّجع[5]

يُبنى هذا النسق الإيقاعيّ على عدَّة نظم صوتيَّة داخليَّة تمنح النصَّ عذوبة وسلاسة، سأقف على بعضها في نصوص أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومنها ما نجده في دعاء طلب الدنيا والآخرة: «**اللهمَّ قنِّعني بما رزقتني، واسترني وعافني أبدًا ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفَّيتني..**»[6]، إذ تحقِّق السجعات المتطابقة إيقاعًا منتظمًا يعطي وقعًا مؤثِّرًا في نفس المتلقي، فهي تلتزم شرط سكون الأعجاز، موقوفًا عليها، ومنها ما ورد في دعاء طلب الحوائج: «**يا أوَّل الأوَّلين، ويا آخر الآخِرين، ويا خير الأوَّلين والآخِرين، ويا ذا القوَّة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين**»[7]، ويظهر في الفقرة السابقة حُسن توظيف التوازي اللغويّ في الجمل، فلو ركَّزنا في بنية الجمل؛ لوجدنا أنَّها تتكوَّن من: (يا النداء + منادى مضاف + مضاف إليه)، فهي تحمل معاني ودلالات متقاربة مع

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٣١.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٣٣.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٢١.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٢٥-٢٦.
(٥) السجع: ويعني «تواطؤ الفاصلتَين من النثر على حرفٍ واحد». ينظر: فنون بلاغيَّة (البيان-البديع)، أحمد مطلوب، دار البحوث العلميَّة، الكويت، ط١، ١٩٦٢: ١٧.
(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ٢١.
(٧) الصحيفة الفاطميَّة: ٢٨.

بعضها البعض، وتسير في مجرى واحد ضمن سياق الدعاء، عبر آلية اشتغال واحدة، مبنية على الوقف.

ومنها كذلك ما جاء في دعاء الأمر العظيم وكشف الهمِّ: «**يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّد..**»[1]، فالعبارات ذات نسق إيقاعيّ منتظم، تؤلِّف صورة نغميَّة متناسقة، وكذا الحال في دعاء الخلاص من الحبس: «**يا سامع كلِّ صوت، يا جامع كلِّ فوت، يا بارئ النفوس بعد الموت..**»[2].

لقد استعملت السيِّدة الزَّهراء جمل متوازية تحقَّق من خلالها الإيقاع الصوتيّ المتكرِّر، كما منح التنوُّع في إيقاعات الأدعية توازنًا دلاليًّا وصوتيًّا، خصوصًا وأنَّ النصوص مكثَّفة الدلالة باستخدامها للتقنيَّات الصوتيَّة المعبِّرة، فالانتقال من سجع إلى آخر زاد النصوص ثراءً لغويًّا ومتعةً بالنسبة للقارئ، ويمكن تلمُّس التقابل الصوتيّ والتقارب النغميّ في قوافي الجمل الدعويَّة من قبيل: «**بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبِّر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتابٍ مسطور، في رقٍّ منشور، بقدرٍ مقدور، على نبيٍّ محبور، الحمدُ لله الذي هو بالعزِّ مذكور، وبالفخرِ مشهور، وعلى السرَّاء والضرَّاء مشكور**»[3]، والأمر ذاته في النصِّ: «**.. من شرِّ ما يحدث في الليل والنهار، وتأتي به الأقدار، ومن شرِّ ما في النار، ومن شرِّ ما في الأرض والأقطار، والفلوات والقِفار، والبحار والأنهار، ومن شرِّ الفسَّاق والفجَّار، والكُهَّان والسُحَّار، والحُسَّاد والذعَّار، والأشرار..**»[4]. وهنا تتجسَّد بلاغة المتكلِّمة وإمكانيَّاتها اللغويَّة، ومهارتها في استعمال

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٢٩.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٣٠.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٣٢.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٠-٤١.

اللغة، وانسجام إيقاعها، وتوظيف التشابه والتضادِّ في دلالة الكلمات، فالقفار والأنهار متضادَّات؛ في حين تتشابه الفجَّار والسحَّار، كما تميَّز هذا التركيب السجعيّ المتوازي بالتناسق الصوتيّ العالي؛ عِبر صوت الألف والراء، التي تتكرَّر في نهايات الجمل.

المطلب الثاني

المستوى التركيبي

التركيب هو: أحد وسائل إنتاج الدلالة، فهي تستمدُّ وجودها منه، وهو عنصرٌ مهمٌّ وفاعلٌ في عمليَّة إبداع النصِّ وتأليفه، والدراسة الأسلوبيَّة تهتمُّ بالتركيب، مع الاهتمام بمعرفة الأبعاد الدلاليَّة لتلك التراكيب، إذ يتظافر العاملان لتشكيل بنية نسقيَّة جماليَّة، إذ إنَّ «الألفاظ لا تفيد حتَّى تؤلِّف ضربًا خاصًّا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب، فلو أنَّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعدَّدت كلماته عدًّا كيفما جاء واتَّفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجرى، وغيَّرت ترتيبه.. أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان»[1]، وللمؤلِّف الدور الأساس في صناعة الأفكار وصياغتها بأشكال وطرائق متنوِّعة، عبر حُسن النظم وجماليَّة التآلف. وقد تعدَّدت أنساق الجمل التي استعملتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في أدعيتها، فكانت تتباين في الدعاء، وتحصل بالصيغ الآتية:

من الملاحَظ توظيف (الفعل) بصورة كبيرة في دعاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، عبر دلالته في الحدوث والتجدُّد[2]، فكانت الجملة الفعليَّة هي السائدة في نصوص الأدعية، ومن أمثلة ذلك: «**اللهمَّ افتح لنا خزائن رحمتك، وهب لنا اللهمَّ رحمةً لا تعذِّبنا بعدها في الدنيا والآخرة، وارزقنا من فضلك الواسع رزقًا حلالًا طيِّبًا، ولا تحوجنا،**

(١) أسرار البلاغة: ٣.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمَّد شاكر، دار المدني، جدَّة، ط٣، ١٩٩٢: ١٧٤.

ولا تُفقرنا إلى أحدٍ سواك، وزدنا بذلك شكرًا وإليك فقرًا وفاقةً، وبك عمَّن سواك غنىً وتعفُّفًا»[1].

صيغة لا النافية مع الفعل: ومنه ما جاء في دعائها عليها السلام في تعقيب صلاة الظهر: «**لا تُغلق عنِّي باب القبول والإجابة.. وأحيني بالسلامة يا ذا الفضل والكمال، والعزَّة والجلال، ولا تُشمت بي عدوًّا ولا حاسدًا، ولا تسلِّط عليَّ سلطانًا**»[2].

صيغة الدعاء بالجملة الفعليَّة والجملة الاسميَّة: ومنه ما ورد عنها عليها السلام في تعقيب صلاة الظهر: «**اللَّهمَّ اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي..**»[3]، «**سبحانك يا ذا الجلال والإكرام**»[4]، ودعاؤها في تعقيب صلاة العشاء: «**الحمد لله رفيع الدرجات، مُنزِل الآيات، واسع البركات، ساتر العورات، قابل الحسنات، مقيل العثرات، منفِّس الكُربات، منزِّل البركات..**»[5]، ويأتي الدعاء، وهو أحد أساليب الإنشاء الطلبيّ بخروج أساليب الأمر، والنفي، والاستفهام، والطلب، والنداء، لمعنى الدعاء لصدورها من البشر إلى الله جلَّ جلاله.

الأمر: هو أحد أنواع الإنشاء الطلبيّ، ويراد به «**طلب الفعل استعلاءً**»[6]، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصليّ إلى معانٍ بلاغيَّة تُعرف بمعونة السياق وقرائن الأحوال بسطها البلاغيُّون في كتبهم»[7]، ومنها خروج الأمر إلى معنى الدعاء، فـ«الدعاء بأسلوب الأمر بدلًا من الأسلوب الخبريّ للتفاؤل بالاستجابة، وإظهار الحرص

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٧.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٣.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٦.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٠.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٤.
(٦) الإيضاح: الخطيب القزوينيّ، شرح محمَّد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهريَّة للتراث، ط٣، ١٩٩٣: ٣/ ٨١.
(٧) الإيضاح: ٣/ ٨٢-٨٦.

في سرعة استجابته، حتَّى لكأنَّه متحقِّق على الفور»[1]، ومن أمثلة ذلك: «**صلِّ على محمَّدٍ وآله، وامسح ما بي بيمينك الشافية، وانظر إليَّ بعينك الراحمة، وأدخلني في رحمتك الواسعة، وأقبِل إليَّ بوجهك**»[2]، و«**اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّد، وارزقني نصرهم، واشهدني أيَّامهم، واجمع بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، واجعل منك عليهم واقيةً حتَّى لا يخلص إليهم إلَّا بسبيل خير**»[3]، و«**اللهمَّ اجعل أوَّل يومي هذا فلاحًا، وآخره نجاحًا..**»[4]، و«**اللهمَّ اجعل غفلة الناس لنا ذكرًا، واجعل ذكرهم لنا شُكرًا، واجعل صالح ما نقول بألسنتنا نيَّةً في قلوبنا..**»[5]، و«**اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، وركنك الذي لا يُرام**»[6]، و«**اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّد، واغفر ذنبي، واستر عورتي، وآمن روعتي، واجبر مصيبتي، واغنِ فقري، ويسِّر حاجتي، وأقلني عثرتي، واجمع شملي، واكفني ما أهمَّني..**»[7].

المُلاحَظ أنَّ أغلب صيغ الأمر جاءت على وزن (افعلْ)؛ لخفَّتها في النطق، فيما جاءت الصيغة الأخرى (تفعَّل) بعددٍ أقل، ومنها: «**اللهمَّ إنَّك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عنِّي، اللهمَّ أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي..**»[8]، وكذلك صيغة (فعَّل)، التي وردت بعددٍ قليل جدًّا، ومنها: «**اللهمَّ قنِّعني بما رزقتني..**»[9]، «**اللهمَّ شفِّعني فيمن بكى على**

(١) الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبيَّة وصوره البيانيَّة، محمَّد إبراهيم شادي، دار اليقين للنشر، ط١، ١٤٣١هـ: ١٧٤.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٢٥.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٢.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٣.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٤.
(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٤.
(٧) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٥.
(٨) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٦.
(٩) الصحيفة الفاطميَّة: ٢١.

مصيبته»[1] و«اللهم صلّ على محمَّد كما انقذتنا به من شفا حفرةٍ من النار، اللهم بيّض وجهه... وثقّل ميزانه، وعظّم برهانه، وافسح له حتى يرضى»[2]. لقد امتازت أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالخضوع للباري والتصاغر أمامه، والشعور بالذلة أمام عظمة الخالق، وهي تربية ودرس للإنسان بوجوب التصاغر والتواضع عند الدعاء، لتحقيق مرضاة الله، والشعور بتضاؤل وصغر مكانة العبد أمام خالقه، فكان أسلوب الرجاء الطلبي غالبًا على الأدعية، «اللهم صلِ على محمَّدٍ وآل محمَّد، واغفر ذنبي، واستر عورتي، وآمن روعتي، واجبر مصيبتي، وأغنِ فقري، ويسّر حاجتي، وأقلني عثرتي، واجمع شملي، واكفني ما أهمني»[3].

النهي: ورد في حدِّه: «هو طلب الكفِّ عن الفعل استعلاءً، وله صيغة واحدة، وهي لا تفعل»[4]، ويخرج عن معناه في النهيّ إلى الدعاء، على وجه التذلُّل والخضوع لله عزّ وجلّ، وممَّا ورد في الصحيفة الفاطميَّة: «..**لا تعذِّبني وأنا استغفرك، ولا تحرمني وأنا أسألك..**»[5]، و«**يا حيُّ يا قيّوم برحمتك استغيث (فأغثني)، ولا تكلني إلى نفسي طَرفة عينٍ أبدًا، وأصلح لي شأني كُلَّه**»[6]، و«**يا ذا الفضل والكمال، والعزَّة والجلال، لا تشمت بي عدوًّا ولا حاسدًا، ولا تسلِّط عليَّ سُلطانًا عنيدًا، ولا شيطانًا مريدًا**»[7]، و«**اللهمّ لا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّي ولا مبلغ علمي**»[8]، و«**ربِّ**

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٧٩.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٢.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٥.
(٤) مختصر السعد على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينيّ، سعد الدين التفتازانيّ، طبع ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت: ٢/ ٣٢٤.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة: ٢٢.
(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٣.
(٧) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٣.
(٨) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٦.

لا تمنعني فضلك يا منّان، ولا تكلني إلى نفسي مخذولًا يا حنّان»[1]، و«**ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به..**»[2]، فهو توظيف لهذا الأسلوب في تحقيق الخضوع وطلب الحاجة والتقرُّب إلى الله عزّ وجلّ.

الاستفهام: يأتي الدعاء بأسلوب الاستفهام عند خروجه عن معناه الأصليّ المستعمل له، وهو: «طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل»[3]. ومنه ما جاء في دعائها عليها السلام في تعقيب صلاة المغرب: «**ما فعلتَ بالغريب الفقير إذا أتاك مُستجيرًا مُستغيثًا؟ ما فعلتَ بمن أناخ بفنائك وتعرَّضَ لرضاك، وغدا إليك، فجثا بين يديك، يشكو إليك ما لا يخفى عليك؟**»[4]، فهو استفهام مجازيّ لا يُراد منه الجواب، بل يُراد منه إيصال معاني التذلل لله، وإعلان عجز الإنسان أمام قدرة الله.

النداء: هو «دعوة للمخاطَب للانتباه إلى ما يقوله المتكلِّم، وذلك بواسطة أحرف تسمَّى بأحرف النداء»[5]، وتزخر أدعية السيِّدة الزَّهراء بمظاهر هذا الأسلوب وتجلِّياته، إذ كثيرًا ما ترد بدايات الأدعية بحروف النداء (يا)، ومن أمثلتها: «**يا أعزَّ مذكور، يا مَن خصَّ نفسه بالبقاء، يا أوَّل الأوَّلين، يا ربَّ الأوَّلين والآخرين، يا مَن لا يعلم كيف هو إلَّا هو، يا مَن بابه مفتوح لداعيه، يا مشبع البطون الجائعة، يا مَن فاق مدحُ المادحين، يا مَن لم يزل ولا يزال، يا كائن قبل أن يكون شيء**»[6].

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٦١.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٨.
(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطوُّرها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٨٣م: ١/ ١٨١.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٠.
(٥) الممتع في النحو والصَّرف، أحمد سالم الغوج، دار النسخ للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٠م: ٣٥٣.
(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ١٩-٢٠.

لقد وظَّفت السيِّدة الزَّهراء أسلوب النداء في الدعاء بنسبة كبيرة عبر استعمال حرف النداء (يا) لمخاطبة الذات الإلهيَّة، «**يا من بابهُ مفتوحٌ لداعيه.. يا ساتر الأمر القبيح، يا غاية المضطرِّ الفقير، يا أكرم الأكرمين، يا ذا الفضل والكمال، يا أرحم الراحمين**»(١)، كما كثُرت في أدعيتها النداء بـ(اللهمَّ)، ويعود السبب إلى ما في هذا الاسم (الله) من العموم، لشموله على معاني الصفات الإلهيَّة كلَّها، ولهذا السبب كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يستفتح به أكثر دعائه، متقرِّبًا إلى الله بهذا الاسم المفرد، مستحضرًا عظَمة المسمَّى، فهو اسم لا يُطلقُ على غيره، وقد وردت أحاديث تحثُّ على الدعاء به في كبير الأمور وصغيرها»(٢)، ومثال ذلك قولها في دعاء طلب مكارم الأخلاق: «**اللهمَّ إنِّي أسألك كلمة الإخلاص، وخشيتك في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأسالك نعيمًا لا ينفد**»(٣).

أسلوب الشرط

هو «أحد أساليب نظم الجملة، يقوم على تعليق عبارتَين، كثيرًا ما تكون الأولى سببًا للثانية، أو مرتبطة بها على معنىً من المعاني»(٤)، وقد ورد توظيف أسلوب الشرط في الدعاء بشكل قليل، ومن ذلك دعاؤها عليها السلام: «.. **إنَّ ربِّي على صراطٍ مُستقيم، فإن تولُّوا فقل حسبي الله لا إله إلَّا هو عليه توكَّلت وهو ربُّ العرش العظيم**»(٥)، وكذلك دعاؤها: «**صلِّ على محمَّدٍ وآله، واحفظ علينا ما لو حفظه غيرُك ضاع، واستُر علينا ما لو ستره غيرُك شاع**»(٦)، وقولها: «**ثمَّ إذا توفَّيت نفسي وقبضت روحي، فاجعل**

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٣.
(٢) بلاغة الدعاء في الحديث النبويّ (اطروحة دكتوراه)، سلامة جمعة عليّ، جامعة الأزهر، ١٩٩٨: ٢١٣-٢١٤.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٢٣.
(٤) قواعد النحو العربيّ وفق نظرية النظم: سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٣: ٣٥١.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة: ٤١.
(٦) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٤.

روحي في الأرواح الرائحة، واجعل نفسي في الأنفس الصالحة»[1]، وقولها عليها السلام في تعقيب صلاة العصر: «الحمد لله على حجَّته البالغة على جميع من خلق، ممَّن أطاعه وممَّن عصاه، فإن رحم فمن منِّه، وإن عاقبَ فبما قدَّمت أيديهم وما الله بظلَّامٍ للعبيد»[2]، وقولها عليها السلام: «اللهمَّ إذا طال يوم القيامة على المجرمين، فقصَّر ذلك اليوم علينا كما بين الصلاة إلى الصلاة، اللهمَّ إذا أدنيت الشمس من الجماجم، فكان بينها وبين الجماجم مقدار ميل، وزيد في حرِّها حرَّ عشر سنين، فإنَّا نسألك أن تظلنا بالغمام»[3].

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٥١.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٤.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٦١.

المطلب الثالث

المستوى الدلاليّ

الكناية هي فنٌّ من فنون البيان التي تُشعر المتلقِّي بجمال الأسلوب، فهي: «لفظٌ أُريد به لازمُ معناه، مع جواز إرادة معناه»[1]. لقد منح التكثيف الدلاليّ النصَّ ثراءً في التعبير، ممَّا يدعو إلى رصد الانزياحات الأسلوبيَّة التي تضجُّ بها نصوص الأدعية، فهي تمازج التشبيه والاستعارة والكناية، إذا ما لاحظنا بلاغة الكناية في التعبير، فبحسب الجرجانيّ: «الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح»[2]. ومن الأدعية الغنيَّة بهذه الأساليب: «**اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، وركنك الذي لا يُرام، وبأسمائك العظام، وصلِّ على محمَّدٍ وآله، واحفظ علينا ما لو حفظه غيرك ضاع، واستُر علينا ما لو ستره غيرك شاع، واجعل كلَّ ذلك لنا مطواعًا، إنَّك سميع الدعاء، قريبٌ مجيب**»[3]، والقصد بلطفك وعنايتك.

كان لتوظيف الكنايات دور مهمٌّ وفعَّالٌ في خلق صور بلاغيَّة مؤثِّرة، إذ استعملت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الكناية في كثير من الأدعية، منها: «**يا من بابُهُ مفتوح لداعيه، وحجابهُ مرفوعٌ لراجيه، يا ساتر الأمر القبيح، ومداوي القلب الجريح، لا تفضحني في مشهد القيامة بموبقات الآثام، ولا تُعرِض بوجهك الكريم عني من بين الأنام، يا غاية المضطرِّ الفقير، يا جابر العظم الكسير، هب لي موبقات الجرائر، واعفُ عن فاضحات**

(١) الإيضاح، القزوينيّ: ٥/ ١٥٨.
(٢) دلائل الإعجاز: ٧٠.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٤-٤٥.

السرائر، واغسل قلبي من وزر الخطايا، وارزقني حسن الاستعداد لنزول المنايا»[1]، فهي عليها السلام تعبِّر عن رحمة وكرم الله عزّ وجلّ، وتوبته على عباده، واستقباله لدعاء العبد في كلِّ وقت، بالكناية عبر استعمال تعبير الباب المفتوح للداعي، فهو مُرحَّبٌ به دائمًا، وهو من فيض الرحمة الإلهيَّة، فهو بلا حجاب مانع بينه وبين عباده، ساترٌ لكلِّ قبيحٍ يصدر من الإنسان، متجاوزًا عنه ذلك، مداويًا علل مرضاه كطبيبٍ يعرف ما بهم، فهو غايةٌ ومطمحٌ لكلِّ مضطرٍ فقير، يجبر فقره بعطاياه وغناه، ويداوي آلامه وجروحه بكرمه وحنانه، وهَّابٌ لعباده، عافٍ عنهم خطاياهم، إنَّه توظيفٌ مميِّز لهذا الأسلوب البلاغيّ في خلق خطابٍ دعائيٍّ مؤثِّر.

الفصل والوصل

الفصل والوصل: هو علاقات الجمل وما يكون بينها من فصلٍ ووصل، وقد عدَّها الفارسيّ أصل البلاغة، فقد قيل له: «ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل»[2]، والمراد بالوصل: «عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه»[3]، ومن الفصل ما جاء في دعائها عليها السلام في تعقيب صلاة العشاء: «**الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيِّب من دعاه، الحمد لله الذي من توكَّل عليه كفاه.. الحمد لله رفيع الدرجات، مُنزل الآيات، واسع البركات، ساتر العورات، قابل الحسنات، مقيل العثرات، منفِّس الكربات، مُنزِل البركات، مُجيب الدعوات، محيي الأموات، إلهُ مَن في الأرض والسماوات**»[4]. ومن أمثلة الوصل بالفاء، ما ورد في دعائها عليها السلام في تعقيب صلاة العشاء: «**اللهمَّ فأعطه بكلِّ فضيلةٍ من فضائله، ومنقبةٍ من مناقبه..**»[5]، ومنه

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٥٣
(٢) الصناعتَين: ٤٣٨
(٣) الإيضاح، الخطيب القزوينيّ: ٣/ ٩٧.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٤.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٧.

أيضًا: «**ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقِّ وأنت خير الفاتحين، ربَّنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنَّا سيِّئاتنا، وتوفَّنا مع الأبرار**»[1]، ومن الوصل بواو العطف: «ربَّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنَّا يوم القيامة إنَّك لا تُخلف الميعاد»[2].

ردُّ الأعجاز على الصدور

هي ألفاظٌ تأتي جوابًا لألفاظٍ تتقدَّمها، ولا تنتقل عنها إلى غيرها ممَّا هو في معناها[3]، ومنها ما ورد في دعاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في تعقيب صلاة العشاء: «**اللهمَّ إنِّي عائذٌ بك فاعذني، ومُستجيرٌ بك فأجِرني، ومُستعينٌ بك فاعنِّي، ومُستغيثٌ بك فأغثني، ومُستغفرك فاغفر لي، ومُستنصرك فانصرني، ومُستهديك فاهدني، ومُستكفيك فاكفني**»[4]، فهي هنا تطلب اللجوء إلى الله راجية تقبُّل هذا اللجوء، وتستعيذ بالله على أمل موافقة الخالق، وتطلب الاستغاثة آملةً تحصيلها، ومنه أيضًا: «**اللهمَّ اكفِني حسد الحاسدين، وبغي الباغين، وكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحيلة المحتالين، وغيلة المغتالين، وظلم الظالمين، وجور الجائرين، واعتداء المعتدين وسخط المسخطين، وتشحُّب المتشحِّبين، وصولة الصائلين**»[5]، فهذا الأسلوب يُرجِع اللفظة على ما قبلها، فالدعاء بطلب الكفاية من الله تجاه حسد من يمتازون بالحسد، وظلم من يُعرَفون بالظلم، وجَور من تخاف جورهم، واعتداء من تخاف اعتداءهم.

جمع المؤتلف والمختلف

هو: «أن يُجمَع في كلامٍ قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة»[6]، ومنه ما ورد في

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٨.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٨.
(٣) ينظر: الصناعتَين: ٣٨٥.
(٤) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٥.
(٥) الصحيفة الفاطميَّة: ٦٥-٦٦.
(٦) الصناعتين، ٤٠١

دعائها عليها السلام المسمَّى بدعاء الحريق: «**اللهمَّ لك الحمد والثناء، والشكر والمنُّ، والفضل والطول، والخير والحسنى، والنعمة والعظمة، والجبروت والملك والملكوت، والقهر والسلطان والفخر، والسؤدد والامتنان، والكرم والجلال والإكرام، والخير والتوحيد، والتمجيد والتحميد، والتهليل والتكبير، والتقديس والرحمة، والكبرياء والعظمة..**»[1]، ومنه أيضًا: «**بالله وباسمائه التامَّة العامَّة، الشاملة الكاملة، الطاهرة الفاضلة، المباركة المتعالية، الزاكية الشريفة، المنيعة الكريمة، العظيمة المخزونة**»[2]. ومنه كذلك: «**الحمد لله على كلِّ حمدٍ وذِكر، وشكرٍ وصبر، وصلاةٍ وزكاةٍ وقيامٍ وعبادة، وسعادةٍ وبركة، وزيادةٍ ورحمة، ونعمةٍ وكرامةٍ وفريضةٍ وسرَّاء وضرَّاء، وشدَّةٍ ورخاء، ومصيبةٍ وبلاء، وعُسرٍ ويُسر، وغناءٍ وفقر، وعلى كلِّ حال، وفي كلِّ أوانٍ وزمان**»[3]، فهو أسلوب لطيف يمتاز بجمع الألفاظ المتقاربة الدلالة، والمتضادَّات متعاكسة الدلالة، نحو بركة ورحمة، فهما متقاربتان؛ وسرَّاء وضرَّاء، فهما متعاكستان.

(١) الصحيفة الفاطميَّة: ٣٨.
(٢) الصحيفة الفاطميَّة: ٤٠.
(٣) الصحيفة الفاطميَّة: ٣٨.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة، خرج البحث بالنتائج الآتية:

١. كانت السمة المميَّزة لأدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الإيجاز، والابتعاد عن الإطناب.

٢. وظَّفت الزَّهراء عليها السلام الصوت كمؤثِّر مهمٍّ، وتنوَّعت روافد التأثير والإيقاع الصوتيّ، ومنها التكرار والسجع والتوازي والترتيب المنتظم للحروف المتقاربة.

٣. كثرة الأدعية بأسلوب الأمر، وأقل منها بأسلوب النهي والاستفهام والشرط والنفي.

٤. غزارة النداء في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بصيغتي (يا ربِّ)، و(يا إلهي).

٥. امتازت الأدعية بالابتعاد عن التكلُّف وبهرجة القول وتزويقه.

٦. تجمَّلت بعض الأدعية بصور البيان والبديع كالتشبيه والكناية.

في الختام نسأل الله أن يكون ما قمنا به من بحثٍ ودراسةٍ في هذه الورقة البحثيَّة حجَّةً لنا لا علينا، وأن ينفع به سائر المسلمين، ويجعله خالصًا لوجهه، وثوابه لسيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام.

المصادر

١. إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، زين الدين محمَّد عبد الرؤوف المناوي القاهريّ (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع، القاهرة، د.ت.

٢. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمَّد رشيد رضا، دار المطبوعات العربيَّة للطباعة والتوزيع والنشر، د.ت.

٣. الأسلوبيَّة والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربيَّة للكتاب، ط٣، د.ت.

٤. الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريَّة، ط٤، ١٩٧١.

٥. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٦٩م.

٦. الإيضاح، الخطيب القزوينيّ، شرح: محمَّد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهريَّة للتراث، ط٣، ١٩٩٣م.

٧. البديع، عبد الله بن المعتز، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٨. بلاغة الدعاء في الحديث النبويّ (أطروحة دكتوراه)، سلامة جمعة عليّ، جامعة الأزهر، ١٩٩٨.

٩. البيان والتبيين: أبي عمرو الجاحظ، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محي مرتضى الحسينيّ الزبيديّ، تحقيق: عبد العليم الطحاويّ، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م.

١١. تأصيل الأسلوبيَّة في الموروث النقديّ والبلاغيّ، ميس خليل محمَّد عودة، ٢٠٠٦م.

١٢. تحليل الخطاب الشعريّ، نور الدين السد، مجلَّة اللغة ولأدب، الجزائر، العدد ٨، ١٩٩٦م.

١٣. التكرير بين المثير والتأثير، عزّ الدين عليّ، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٤. الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبيَّة وصوره البيانيَّة، محمَّد إبراهيم شادي، دار اليقين للنشر، ط١، ١٤٣١هـ.

١٥. دراسة بلاغيَّة تحليليَّة لأصول الأساليب الأدبيَّة، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصريَّة، مصر، ط٨، ١٩٩١م.

١٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة، ط٣، ١٩٩٢م.

١٧. سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، عليّ موسى الكعبيّ، مؤسَّسة في طريق الحقِّ، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٨. شعر الخوارج دراسة أسلوبيَّة، جاسم محمَّد عبَّاس الصميدعيّ، أطروحة دكتوراه، كليَّة التربية، جامعة الأنبار، ٢٠٠٥م.

١٩. الصحيفة الفاطميَّة الجامعة لأدعية بنت رسول الله سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء وشبليها عليهما السلام، محمَّد باقر مرتضى الموحد الأبطحيّ الأصفهانيّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠. الصناعتَين، لأبي هلال العسكريّ، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٩٨٦م.

٢١. علم الأسلوب، صلاح فضل، دار الآفاق، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٢٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٣. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (مستدرك سيِّدة النساء إلى الإمام الجواد عليه السلام)، عبد الله بن نور الله البحرانيّ الأصفهانيّ، تحقيق وتصحيح: موحد أبطحيّ ومحمَّد باقر الأصفهانيّ، مؤسَّسة الإمام المهدي، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٤. فاطمة الزَّهراء مشكاة الأنوار، عادل العلويّ، مطبعة النهضة، ط١، قم، ١٤٢٦هـ.

٢٥. فنون بلاغية (البيان- البديع)، أحمد مطلوب، دار البحوث العلميَّة، الكويت، ط١، ١٩٦٢م.

٢٦. قواعد النحو العربيّ وفق نظريَّة النظم، سناء حميد البياتيّ، دار وائل للنشر، عمَّان، ٢٠٠٣م.

٢٧. الكافي، أبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ (ت ٣٢٩ هـ)، دار الكتب الإسلاميَّة، إيران، ١٣٦٥هـ.ش.

٢٨. لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم ابن منظور الإفريقيّ، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٩. اللغة العربيَّة معناها ومبناها، تمَّام حسَّان، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، د.ط، ١٩٧٩م.

٣٠. لغة القرآن الكريم في جزء عمَّ: محمود أحمد نحلة، دار النهضة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٣١. مختصر السعد على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينيّ، سعد الدين التفتازانيّ، طبع ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت.

٣٢. معاني القرآن، أبو زكريَّا يحيى بن زياد الفرَّاء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٣٣. معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوُّرها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٨٣م.

٣٤. معجم المصطلحات العربيَّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٣٥. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.

٣٦. الممتع في النحو والصَّرف، أحمد سالم الغوج، دار النسخ للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٠م.

٣٧. مواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربيّ ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت.

٣٨. الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام إسماعيل الأنصاريّ، د.ط، د.ت.

٣٩. النقد الأدبيّ الحديث، محمَّد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د.ت.

الدُّعاءُ الفاطميُّ- فعلًا كلاميًّا قراءةٌ جديدةٌ

أ.م.د. موفَّق مجيد ليلو
المديريَّة العامَّة لتربية مَيسان
أ.م.د. ظافر عبيِّس عناد
جامعة المثنَّى/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

أسَّست الدراسات التداوليَّة، ومنها نظريَّة الفعل الكلاميّ، لمفاهيم جديدة، ونظرة مختلفة عن التفكير الدلاليّ السابق الذي تبنَّاه علم الدلالة، عبر توسيع مجال المعنى؛ ليكون الاستعمال هو الفيصل في تحديده وفهمه، فالاستعمال هو ما يكشف المعنى المقصود للمخاطَب، ويُفصِح عن إرادة المخاطِب.

وفي نظريَّة الفعل الكلاميّ تتحوَّل الأفعال إلى إنجازات، وليست كلمات ملفوظة فحسب، فهي تؤدِّي أعمالًا تترتَّب عليها آثار ونتائج تتقوَّم بها حياة المجتمعات، ويتمُّ التواصل والتفاعل بها.

والدعاء، بطبيعته، يستبطن إنجازًا بما يتضمَّنه من أفعال وأساليب طلبيَّة، سواء أكانت متحقِّقة على المدى البعيد أو القريب، والزَّهراء عليها السلام بوصفها مركز النبوَّة والعصمة، فلا تنطق عن الهوى، فإنَّ كلامها ودعاءها عليها السلام متحقِّقان بحكم الولاية التي تمتلكها عليها السلام، فأدعيتها وكلامها، بوجهٍ أو بآخر، هو امتداد لكلام الله والنبوَّة، وبعبارة

أخرى، فإنَّ الدعاء الفاطميّ بوصفه طلبًا، فهو فعل متحقِّق على المدى القريب أو البعيد.

تسعى هذه القراءة إلى دراسة أدعية الزَّهراء عليها السلام بوصفها فعلًا كلاميًّا، من وجهة نظر عقديَّة، إذ هي عليها السلام التجلِّي الأكمل لميراث النبوَّة، ودوحة الإمامة.

قدَّمت القراءةُ تنظيرًا موجزًا عن نظرية الفعل الكلاميّ بين منظورَين: الغربيّ والعربيّ، ثمَّ ركَّزت على استنطاق نصوص الدعاء الفاطميّ، وبيان تجلِّيات الفعل الكلاميّ، وما فيه من إنجازيَّة وقصد، عِبرَ نصوص مختارة من الصحيفة الفاطميَّة الجامعة.

مقدِّمة

تنطلق نظريَّة الأفعال الكلاميَّة من منطلق أنَّ الكلام يتمثَّل في تبليغ الآخر بعض المعلومات عن الشيء الذي يتمُّ فيه الكلام، ويتمثَّل أيضًا في فعل معيَّن في المخاطب أو العالم المحيط، فعوض عن أن نقابل الكلام بالفعل، كما هو عادة، ينبغي أن نعدَّ القول في حدِّ ذاته شكلًا ووسيلة عمل، فنظريَّة الأفعال الكلاميَّة من أهم مجالات الدرس التداوليّ، بل إنَّ نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلاميَّة، ولها مكانها وموقعها الرائد في الدرس اللسانيّ المعاصر.

وظهرت للباحث ملامح متميِّزة للأفعال الكلاميَّة، وقف عندها وحلَّلها عند اطِّلاعه على الدعاء الفاطميّ، واقتضت طبيعة البحث أن يقسَّم على مبحثَين، جاء الأوَّل بعنوان مقدِّمات ومنطلقات في المفهوم، بحث فيه نشأة وتطوُّر نظريَّة الأفعال الكلاميَّة، وأبرز مؤسِّسيها ومطوِّريها، وحمل المبحث الثاني عنوان الأفعال الكلاميَّة المباشرة، وتناول أهمَّ أنواع الأفعال الكلاميَّة المباشرة التي رصدها الباحث في الدعاء الفاطميّ، بعدها سجَّل الباحث خلاصة النتائج التي وردت في البحث.

المبحث الأوَّل

مقدِّمات ومنطلقات في المفهوم

تُعدُّ نظرية الأفعال الكلاميَّة المفهوم الأساس من مفاهيم النظريَّة التداوليَّة، إذ لا يمكن تجاهلها في تحليل الخطاب، فالتخاطب يتأسَّس على تأدية المتخاطبين لأفعال الكلام، فقد ظهر أثر نظريَّة الاستعمال أو اللعب، أوَّل ما ظهر في مدرسة أكسفورد، وعلى الأخص في أعمال أوستن، ولاحقًا في أعمال تلميذه الفيلسوف جون سيرل صاحب نظريَّة أفعال الكلام.

لقد أحدث أوستن بطريقته الخاصَّة تحوُّلًا في المنعطف اللغويّ، فهو لا يقول بالتقسيم التقليديّ للقضايا والجمل إلى خبريَّة وإنشائيَّة، وبالتالي الاحتكام إلى معيار الصدق والكذب، وإنَّما من موقف جديد، وهو إنَّ كلَّ الجمل والعبارات مهما كانت طبيعتها قابلة ومعدَّة للتواصل، وبالتالي فإنَّ الوحدة الأساسيَّة للغة هي الأفعال الكلاميَّة، وإذا اعتبرنا الأفعال أقوالًا، فإنَّها تسعى إلى أن تحقِّق شيئًا ما، وبالتالي فإنَّ المسألة لا تتعلَّق بالصدق أو الكذب، وإنَّما بالسياق والمناسبة التي تمَّ فيها الفعل أيضًا[1].

فنظريَّة الأفعال الكلاميَّة تنطلق من فرضيَّة أنَّ الكلام يتمثَّل في تبليغ الآخر بعض المعلومات عن الشيء الذي يتمّ الكلام فيه، وهو أيضًا يتمثَّل في فعل معيَّن في المخاطب أو في العالم المحيط، فعوض أن نقابل الكلام بالفعل، كما يقع عادةً، ينبغي أن نعدَّ القول في

(١) ينظر: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغويّ في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغوره: ١٠٤.

حد ذاته شكلًا ووسيلة عمل، فالفعل الكلاميّ هو «كلٌّ ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ، إنجازيّ، تأثيريّ، وفضلًا عن ذلك يعدُّ نشاطًا ماديًّا، نحويًّا، يتوسَّل أفعالًا قوليَّة لتحقيق أغراض إنجازيَّة، وغايات تأثيريَّة تخصُّ ردود فعل المتلقِّي كالرفض والقبول، ومن ثمَّ، فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًّا في المخاطب اجتماعيًّا، أو مؤسَّساتيًّا، ومن ثمَّ إنجاز شيء ما»[1].

وهذا المفهوم يرسم صورة للعمل المنجَز بالكلام من طور التكوين إلى طور الإنجاز، أو الأداء، إذ يشمتل على كلِّ العناصر المكوِّنة للعمل اللغويّ، وإن اختلفت الأنماط، فاختلافها الرئيس في غرضها الإنجازيّ، فاللغة ليست وسيلة للتواصل فقط، وإنَّما هي وسيلة للتأثير في الواقع، وتغيير للسلوك والمواقف[2].

بدأ أوستن أطروحته بمعارضة فلاسفة اللغة الوضعيِّين، أو ما أسماه بالمغالطة الوصفيَّة، فأنكر اقتصار وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفًا يكون إمَّا صادقًا وإمَّا كاذبًا، ورأى أنَّ هناك نوعًا آخر من العبارات الوظيفيَّة في تركيبها، لكنَّها لا تصف وقائع العالم، ولا تُوصف بالصدق أو الكذب، بل النطق بها هو أنشاؤها وإنجازها[3]، وبذلك ينتهي في هذه المرحلة من تفكيره إلى التمييز بين صنفَين من العبارات اللغويَّة: (العبارات الوصفيَّة- التقريرية) التي تصف حدثًا، أو حالة معيَّنة، و(العبارات الإنجازيَّة- الأدائيَّة)، أو كما تسمَّى الإنشائيَّة أو الذاتيَّة، وهي لا تصف ولا تُخبر ولا تثبت أمرًا، لكن التلفُّظ بها يساوي إنجاز فعل كلاميّ في الواقع الخارجيّ[4]، وهذه الأفعال لا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب، بل لمعيار النجاح، أو الفشل.

(١) التداوليَّة عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي: ٤٠.
(٢) ينظر: السياق والنصُّ الشعريّ، عليّ آيت أوشان: ٦٣.
(٣) ينظر: نظريَّة أفعال الكلام العامَّة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، أوستن: ١٧.
(٤) ينظر: التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار: ٣١.

ثمَّ تأمَّل أوستن الأفعال الأدائيَّة فوجدها نوعَين: (أدائيَّات صريحة) نحو: إنِّي أعدك بأنَّي سوف آتيك غدًا، و(أدائيَّات أوليَّة) نحو: سوف آتيك غدًا، فالمثال الأوَّل صريح الدلالة على الوعد، ولا يحتمل غيره، في حين أنَّ المثال الثاني قد يكون وعدًا أو لا يكون(١).

أمَّا المرحلة الثانية عند أوستن، فتمثَّلت في فحص التمييز بين العبارات الوصفيَّة والعبارات الإنجازيَّة، فتبيَّن له أنَّ الحدود بينهما لا تزال غير واضحة، فتساءل عن أمكانيَّة اختزالهما في صنفٍ واحدٍ، مستدلًّا على إمكانيَّة ذلك بأنَّ العبارات المصنَّفة على أنَّها عبارات وصفيَّة ليست في الواقع إلَّا عبارات إنجازيَّة فعلها إنجازيّ غير ظاهر سطحيًّا(٢)، فاكتشف أنَّ لك منطوق بما في ذلك المنطوقات التقريريَّة أو العبارات بعد أدائيًّا، فتمَّ الاختزال، واقترح أن يكون ذلك في إطار نظريَّة شاملة توحِّد كلَّ العبارات اللغويَّة في مصطلح واحد، هو (الفعل الكلاميّ) الذي يمثِّل مرحلة فكريَّة ثالثة عند أوستن، متوصِّلًا بذلك إلى أنَّ تلفُّظًا أو قول كلامٍ ما يعني إنجاز فعل كلاميّ ما، فالأفعال «تُنجِز فعلًا ما بمجرَّد أن ينطق المتكلِّم بها، فالقول هو الفعل، وبذلك فكلُّ الأفعال هي أفعال إنجازيَّة»(٣).

وهكذا توصَّل أوستن إلى تقسيم جديد لفعل الكلام بهذا المعنى، فحسب رأيه ينجز المتكلِّم بأي لغة طبيعيَّة ثلاثة أنواع من الأفعال في آنٍ واحد، وهي:

١. **الفعل اللفظيّ**(٤): ويُراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحويّ سليم وذات دلالة، إذ يتكوَّن من الفعل الصوتيّ، والفعل التركيبيّ، والفعل الدلاليّ.

(١) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامَّة: ٩٣، وآفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: ٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٣، واللسانيَّات الوظيفيَّة مدخل نظريّ، د. أحمد المتوكِّل: ٢٣.

(٣) التداوليَّة وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثُّلات)، د. باسم خيري: ٤٤.

(٤) ينظر: التداوليَّة عند العلماء العرب: ٤١.

٢. **الفعل الإنجازيّ**[١]: وهو ما يؤدِّيه الفعل اللفظيّ من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصليّ.

٣. **الفعل التأثيريّ**[٢]: ويقصد به الأثر الذي يحُدثه الفعل الإنجازيّ في السامع، وهذه النتائج، أو الآثار تعدُّ خارج نطاق اللغة ودراستها خارج دراسة اللغة، وهي ليست نتيجة ضروريَّة ولازمة في كلِّ أفعال كلام لا تتبعها تأثيرات كلاميَّة سوى إدراك المقاصد[٣].

ويصنِّف أوستن الأفعال الكلاميَّة على أساس القيمة الإنجازيَّة إلى خمسة أصناف عامَّة[٤]:

١. **أفعال الأحكام والقرارات:** وهي التي تعبِّر عن حكم حول شيء ما، واقعيًّا كان أم قيمة.

٢. **أفعال الممارسة التشريعيَّة:** وهي التي تتعلَّق بممارسة السلطة والنفوذ.

٣. **الأفعال الإلزاميَّة:** وهي التي يعدُّ المرسل بإنجاز فعل معيَّن يلزم نفسه به.

٤. **الأفعال المتعلِّقة بالسلوك:** وتختصُّ بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، ولكنَّها كلها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعيَّة.

٥. **الأفعال التفسيريَّة:** وتتضمَّن تقديم وجهات النظر وتوصيل الحجَّة وتوضيح الاستعمالات.

إنَّ ما قدَّمه أوستن لم يكن كافيًا لوضع نظريَّة كاملة، ولكنَّ تلميذه جون سيرل أكمل المسيرة، فظهرت على يده نظريَّة منتظمة قائمة على قصديَّة المتكلم بدل تفسير

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: ٤٧.
(٢) ينظر: نظريَّة أفعال الكلام العامَّة: ١٣١.
(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلاميّ، هشام إبراهيم الخليفة: ٩١.
(٤) ينظر: نظريَّة أفعال الكلام العامَّة: ١٨٦، وإستراتيجيَّات الخطاب (مقاربة لغويَّة تداوليَّة)، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ: ١٥٦-١٥٧.

المستمع الـذي اشترطه أوستن لإنجاز الفعل الكلاميّ، وأهـم ما قـام به سيرل، هو[1]:

أوَّلًا. تعديل التقسيم الذي قدَّمه أوستن للأفعال الكلاميَّة، فجعله أربعة أقسام:

١. الفعل النطقيّ (القول): وهو يشمل الجوانب الصوتيَّة والنحويَّة والمعجميَّة.

٢. الفعل القضويّ: الذي يشمل المتحدِّث عنه، أو المرجع، والمتحدِّث به أو الخبر.

٣. الفعل الإنجازيّ: وهو ما يؤدِّيه التلفظ من إنجاز فعل في الواقع.

٤. الفعل التأثيريّ: الذي هو إنجاز الفعل من أثر في متلقِّيه.

ثانيًا. الفعل الكلاميّ عند سيرل أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلِّم، بل هو مرتبط أيضًا بالعُرف اللغويّ، والاجتماعيّ[2].

ثالثًا. تطوير شروط الملاءمة، فجعلها أربعة شروط، هي[3]:

١. شروط المحتوى القضويّ: ويتحقَّق بأن يكون للكلام معنًى قضويّ (نسبة إلى القضيَّة).

٢. الشرط التمهيديّ: ويتحقَّق إذا كان المتكلِّم قادرًا على إنجاز الفعل.

٣. شرط الإخلاص: ويتحقَّق حين يكون المتكلِّم مخلصًا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنَّه قادر على فعل ما لا يستطيع.

٤. الشرط الأساسيّ: ويتحقَّق حين يحاول المتكلِّم التأثير في السامع لينجز الفعل.

رابعًا. أعـاد سيرل النظر في تصنيف أوستن للأفعال الإنجازيَّة، فبيَّن أوجه

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: ٧٤-٧٥، والتداوليَّة وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثُّلات): ٤٩.

(٢) ينظر: نظريَّة المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل: ٥٣.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: ٤٩-٥٠.

الضعف، فقدَّم تصنيفه البديل على أسس منهجيَّة ثلاثة (الغرض الإنجازيّ، واتِّجاه المطابقة، وشروط الإخلاص)، وجعلها خمسة أصناف على النحو الآتي[1]:

١. الإخباريَّات: والغرض الإنجازيّ فيها هو نقل المتكلِّم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضيَّة يعبِّر بها عن هذه الواقعة، والإخباريَّات تحتمل إحدى قيمَتَي الصدق والكذب، واتِّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، أمَّا الحالة النفسيَّة لها، فهي الاعتقاد.

٢. التوجيهيَّات: وغرضها الإنجازيّ محاولة المتكلِّم توجيه المخاطَب إلى فعل شيء ما، واتِّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثَّل بالإرادة والرغبة الصادقة، والمحتوى القضويّ فيها دائمًا هو فعل السامع شيئًا في المستقبل.

٣. الالتزاميَّات: وغرضها الإنجازيّ هو التزام المتكلمِّ بفعل شيء ما في المستقبل، واتِّجاه المطابقة في هذه الأفعال فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو النيَّة أو القصد، والمحتوى القضويّ فيها دائمًا فعل المتكلِّم شيئًا في المستقبل.

٤. ٤- التعبيريات: وغرضها الإنجازيّ التعبير عن الموقف النفسيّ تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتِّجاه مطابقة.

٥. الإعلانيَّات: والسمة المميِّزة لهذا الصنف من الأفعال أنَّ أداءها الناجح يتمثَّل في مطابقة محتواها القضويّ للعالم الخارجيّ، وأنَّها تُحدث تغيُّرًا في الوضع القائم، فضلًا على أنَّه تقتضي عرفًا غير لغويّ، واتِّجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص.

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: ٧٨-٨١، والمقاربة التداوليَّة، فرانسوز ارمينكو: ٦٦-٦٩.

خامسًا. كان أوستن قد فرَّق بين الأفعال الإنجازيَّة الصريحة والأوليَّة، ثمَّ جاء سيرل فخطا في هذا الاتِّجاه خطوة واسعة تتمثَّل في التمييز بين ما أسماه الأفعال الإنجازيَّة المباشرة وغير المباشرة، والأفعال المباشرة عنده هي: التي تطابق قوَّتها الإنجازيَّة مراد المتكلِّم، أمَّا غير المباشرة فهي التي تخالف قوَّتها الإنجازيَّة مراد المتكلِّم، وسيقتصر البحث على النوع الأوَّل؛ اختصارًا للبحث.

في ماهيَّة الدعاء

الدعاء نصٌّ إقناعيّ إنجازيّ أم تأثيريّ انفعاليّ، يستدرُّ الدموع، ويحفِّز الإنسان للتوبة والرجوع إلى الخالق.

يرى بعض الباحثين أنَّ النص بطبعه يحمل بين طيَّاته نزعة إقناعيَّة وإنجازيَّة تختلف في درجاتها حسب نوع النصّ، فالخطابة والمناظرة والإعلان ربَّما تكون أكثر إقناعًا؛ لأنَّها وضِعت لهذا الغرض، بينما ترى الشعر أو بعض الفنون النثريَّة الأخرى تستهدف تحقيق الإمتاع والتأثير في المتلقِّي، ثمَّ يأتي الإقناع.

قيل في معنى الدعاء: «الدعاء كالنداء، إلَّا أنَّ النداء قد يُقال بيا أو أيا، ونحو ذلك، من غير أنْ يضمَّ إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يُقال الَّا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلٌّ واحد منهما موضع الآخر»[1]، وفي التفريق بين الدعاء والنداء، يقول أبو هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ): «النداء هو رفع الصوت بما له معنى، والعربيّ يقول لصاحبه: نادِ معي ليكون ذلك أندى لصوتنا، أي أبعد له. والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يُقال ناديته في نفسي، وأصل الدعاء طلب الفعل: دعا يدعو»[2].

ويرى السيِّد الطباطبائيّ أنَّ: «الدعاء والدعوة، عطف نظر المدعو إلى ما يُدعى إليه،

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٩-١٧٠.

(٢) الفروق اللغويَّة: ٤٩-٥٠.

وجلب توجُّهه، وهو أعمُّ من النداء، فإنَّ النداء يختصُّ بباب اللفظ والصوت، والدعاء يكون باللفظ والإشارة وغيرهما، والنداء إنَّما يكون بالجهر ولا يقيَّد بالدعاء»[1].

الدعاء خطابًا أدبيًا

يمكن القول: إنَّ الدعاء منجزٌ أدبيّ إسلاميّ بامتياز، وهو نصٌّ أدبيٌّ متميِّز يستدعي كلَّ مقوِّمات النصيَّة الإبداعيَّة، ولذا نراه ينال اهتمامًا كبيرًا لدى المعصوم نفسه، أو العلماء الذين رفعوه إلى منزلةٍ دون القرآن الكريم وكلام النبيّ صلى الله عليه وآله، نعم هو من كلام المعصوم، ولكنَّه يرتقي عن الخطاب الأدبيّ بأسلوبه الساحر، حتَّى يمكن أن نعدُّه جنسًا أدبيًّا مستقلًّا مثلما هي الخطابة أو القصَّة أو فنون النثر الأخرى.

والذي يميِّز أدعية الأئمَّة عليهم السلام تلك السمة القرآنيَّة المهيمنة عليه، فهو يفسِّر النصَّ القرآنيّ، ويستدلُّ على حقائقه، ويقدِّمها إليه بلغة استدلاليَّة إقناعيَّة موجَّهة للمتلقِّي، مع استحضار السياقَين اللفظيّ وغير اللفظيّ، من خلال هيأة الداعي وملابسات الدعاء والظروف المحيطة. ليس الدعاء نصًّا من فائض المعنى أو النافلة، بل هو سلاح إقناعيّ وتراث إبداعيّ، فضلًا عن العلوم والمعارف التي يتضمَّنها، والتي تؤسِّس لمنظومة معرفيَّة متكاملة في العقائد والعبادات والمعاملات، تبيِّن ما اختلفت فيه الأمم، وهو ينبع من عقيدة راسخة تتجلَّى فيها تلك المعرفة العظيمة لأهل بيت النبوَّة لربِّ الأرباب سبحانه. إنَّنا من خلال مبدع النصِّ يمكن أنَّ نستدلَّ على معرفته ومعرفة خالقه.

وما يميَّز الدعاء ما يأتي:

١. انتماؤه إلى ساحة العصمة المقدَّسة، فهو صنو القرآن الكريم، ومصداق من مصاديق الثقل الأصغر.

٢. أنَّه منجز أدبيّ إبداعيّ إسلاميّ.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٨.

٣. إنَّه منجز معرفيّ عقديّ اجتماعيّ، يمكن أن يكون (نمط حياة)، ومنهاج للارتقاء بالفرد والمجتمع من خلال تنظيم مثلَّث العلاقة بين العبد ونفسه وخالقه ومجتمعه.

٤. يمكن أن يعدّ موجِّهًا حجاجيًّا ينتمي إلى النصوص الاقناعيَّة من الطراز الأوَّل، من خلال اتِّكائه على أدوات لفظيَّة وسياقيَّة تستحضر الصور الاقناعيَّة بكلِّ تجلِّياتها.

٥. يقتضي الدعاء الاستجابة، فهو بذلك يشكِّل فعلًا إنجازيًّا بقدر ما هو ملفوظ لسانيّ.

المبحث الثاني

الدعاء الفاطميّ في ضوء نظريَّة الفعل الكلاميّ

الدعاء بالأسماء الإلهيَّة

من سمات الدعاء الفاطميّ تركيزه على الدعاء بالأسماء الإلهيَّة، ومن هنا لا بدَّ أن نوضِّح دلالة الاسم في أدبيَّات الدعاء، فالاسم هو عين المسمَّى؛ لأنَّ أسماءه وصفاته عين ذاته، ولذا فنحن نحتاج أن نقف على معنى الاسم في المدوَّنة العقديَّة.

الاسم واسم الاسم، والاسم الأعظم

الاسم في اللغة «ما يعرف به ذات الشيء، وأصله سمو بدلالة قولهم: أسماء وسُميٌّ، وأصله من السمو، وهو الذي به رفع ذكر المسمَّى»[1]، واختلف أهل اللغة في اشتقاقه من الوسم، وهو رأي الكوفيِّين، أو من السمة، وهو قول البصريِّين[2].

والاسم في اصطلاح أهل العقيدة والمعرفة ليس اللفظ فقط، بل «هو ذات المسمَّى باعتبار صفة وجوديَّة كالعليم والقدير، وعدميَّة كالقدُّوس والسلام»[3].

ويفرِّق العرفاء بين الاسم واسم الاسم؛ لأنَّ الاسم عند أهل الحقيقة «هو وجوده بتعين إمَّا بمقتضى ذاته كقولك: إنسان، أو من حيث وصف أوصافه كقولك: ضاحك»[4]، وأمَّا اللفظ فهو اسم الاسم، أي إنَّ الملفوظ هو اسم المسمَّى؛ لأنَّ المسمَّى

(١) المفردات: ٢٤٤.
(٢) ينظر: الخلاف في اشتقاق الاسم في الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٨، مسألة (١).
(٣) اصطلاحات الصوفيَّة: ١٢، وينظر: مواهب الرحمن: ١/ ١٠.
(٤) لطائف الإعلام: ٦٣.

هو الاسم الحقيقيّ المقيَّد بتعيُّن معنى أو صفة ما، وإلَّا فلا جدوى من اللفظ وحده لو لم يُضمر تحته الموجود والمسمَّى.

ويذهب الغزاليّ[1] إلى كون الاسم والمسمَّى والتسمية متباينة، فالاسم اللفظيّ يختلف عن الاسم الخارجيّ، فالأخير يأتي «بمعنى الذات مأخوذًا بوصف من أوصافه، فهو من الأعيان لا من الألفاظ»[2]، وأسماء الله سبحانه على هذا النحو.

وأمَّا الابتداء بـ(بسم الله) في أوَّل الكلام، ففيه وجوه، فقيل: للتبرُّك والتيمُّن، أو كما قيل: إنَّ لله سبحانه الأسماء الحسنى، ولكلِّ اسم صفة، وإطلاق الاسم المطلق الله شامل لكلِّ الأسماء والصفات، فجاء الابتداء بما يدلُّ على كلِّ اسمٍ وصفة[3].

ويتفرَّع على الحديث عن الاسم ودلالته العرفانيَّة والتفسيريَّة الحديث عن الاسم الأعظم وحقيقته وتجلِّياته، ويختلف الباحثون في عدد الأسماء الإلهيَّة من المائة وحتَّى الألف أو أكثر، كما ورد في دعاء الجوشن الكبير، والمذكور منها في القرآن الكريم (١٢٧) اسما[4]، وهي التي يُدار من خلالها عالم الإمكان.

وتتمايز سعةً وضيقًا من حيث آثارها، وهذا من الناحية الوجوديَّة الحقيقيَّة لا الناحية اللفظيَّة، يقول العلَّامة الطباطبائيّ: «وأمَّا الاسم بمعنى الذات مأخوذًا بوصفٍ من أوصافه، فهو من الأعيان لا من الألفاظ»[5]؛ لأنَّ النظر إلى الأسماء الإلهيَّة يكون بمعنى الذات الإلهيَّة مأخوذة بحيثيَّة أو صفة أو معنى من المعاني الكماليَّة كالرحمن والملك والقدُّوس والرزَّاق الوهَّاب.. ولكن «بشرط أن لا يكون في هذا الاسم رائحة نقص أو عيب أو تحديد»[6].

(١) ينظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ٢٢.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٧.
(٣) ينظر: المحيط الأعظم: ٥/ ٦٨.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٥٧.
(٥) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٧.
(٦) الاسم الأعظم حقيقته ومظاهره: ٢١.

ومن هنا يتَّضح سرُّ تذييل الآية بالأسماء الإلهيَّة المناسبة لمضمونها، بحيث يكون ذيل الآية وختامها بالاسم المناسب، مفتاحًا وعلَّة لما قبلها، «والقرآن الكريم هو الكتاب السماويّ الوحيد الذي يستعمل الأسماء الإلهيَّة في تقرير مقاصده، ويعلِّمنا علم الأسماء من بين ما بلغنا من الكتب السماويَّة المنسوبة إلى الوحي»[1].

وهنا يشير العرفاء إلى أنَّ الأسماء الإلهيَّة تختلف سعةً وضيقًا في آثارها، واندراج بعضها تحت بعض، فالحياة يندرج تحتها، مثلًا، السمع والبصر والعلم، وهكذا حتَّى تنتهي إلى الاسم الأعظم الذي يضمُّ جميع حقائق الأسماء الإلهيَّة.

وتُشير كتب التفسير والروايات إلى أنَّ الاسم الأعظم يتكوَّن من ثلاثة وسبعين حرفًا، وأنَّ من يعلمه تكون له ولاية تكوينيَّة، أو أنَّ من يدعو به الله سبحانه، فإنَّه مجاب بإذن الله، وهذا الأمر لا يمكن أن يُحمل على نحو الوجود اللفظيّ؛ لأنَّ ذلك من خصيصة الوجود الحقيقيّ[2].

ومن هنا نجد أهميَّة الدعاء بالأسماء الإلهيَّة والاسم الأعظم، وارتباطها بفكرة الإنجاز والتحقُّق، فعبر السؤال بالاسم الإلهيّ المناسب للمطلب المناسب، وباستعمال الأسماء الإلهيَّة وتوظيفها في الدعاء تتحقَّق الاستجابة (الإنجاز).

وثمَّة أمر يتعلَّق بمقدار اتِّصاف العبد بالاسم الإلهيّ، فإنَّ دعاءه يكون أقرب إلى الاستجابة والتحقُّق.

ومن الأدعية الفاطميَّة التي تعلَّقت بالأسماء الإلهيَّة قولها عليها السلام:

«اللهمَّ إنِّي أتوجه إليك بهم.. وبأسمائك الحسنى وكلماتك التامَّات التي أمرتني أن أدعوك بها، وأسألك باسم العظيم الذي أمرت إبراهيم عليه السلام أن يدعو به الطير فأجابته، وباسمك العظيم الذي قلت للنار كوني بردًا وسلامًا على ابراهيم فكانت، وبأحبِّ

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٥٣.

(٢) ينظر: الاسم الأعظم حقيقته ومظاهره: ٢٨.

أسمائك إليك، وأشرفها عندك، وأعظمها لديك، وأسرعها إجابة، وأنجحها طلبة.. وأسألك بكتبك.. فإنَّ فيها اسمك الأعظم، وبما فيها من أسمائك العظمى أتقرَّب اليك.. واختار لنفسه أحسن الاسماء، يا مَن سمَّى نفسه بالاسم الذي تُقضى حاجة كلِّ طالب يدعوه به، وأسألك بذلك الاسم، فلا شفيع أقوى لي منه، وبحقِّ محمَّد وآل محمَّد، أسألك أن تصلِّي على محمَّد وآل محمَّد، وأن تقضي لي حوائجي..»[1].

تتَّضح مركزيَّة الاسم في الدعاء وبوصفه فعلًا وتحقُّقًا يفرض أهميَّة الدعاء بالاسم، بحيث يجعله الدعاء (أقوى شفيع، ويقرنه بمحمَّد وآله)، وقد أشار الدعاء إلى الأثار الواقعيَّة للدعاء بالاسم بالنسبة لنبيِّ الله إبراهيم عليه السلام، فبهِ كانت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام، وبها يتحقَّق التقرُّب، وتُقضى الحوائج، فالنطق بالفعل، وهو الفعل اللفظيّ أو القوليِّ، يحقِّق فعلًا إنجازيًّا واقعًا، أي هو القول الفعل، وهو ما يظهر من الدعاء.

وأمَّا الفعل التأثيريّ، وهو أثر الفعل في المتلقِّي، فإنَّنا لا يمكن أن نجوِّز فكرة التأثير على الذات الإلهيَّة بالمعنى المعروف، غير أنَّه سبحانه كتب على نفسه أن يستجيبَ لمن يدعوه، كما يشير الدعاء، بهذه الأسماء ومتعلَّقاتها، فهو ليس تأثيرًا بمعنى الانفعال الذي يستحيل عليه سبحانه، بل هو مورد من موارد الرحمة الإلهيَّة للذات المقدَّسة التي وصفت نفسها بقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام، من الآية ١٢).

فالأسماء توقيفيَّة، وهو سبحانه من سمَّى نفسه بها، وندب عباده إلى أن يدعوه بها قائلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف ١٨٠).

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ١١٠).

(١) الصحيفة الفاطميَّة الجامعة: ٢٤- ٢٦

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الحشر ٢٤).

وفي دعاء آخر تقول عليها السلام: «أسألك بالأسماء التي يدعوك بها حملة عرشك..

وبالأسماء التي يدعوك بها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل إلَّا أجبتني..

يا من فعله قول، وقوله أمر، وأمره ماضٍ على ما يشاء..

أسألك بالاسم الذي دعاك به إبراهيم خليلك حين أُلقي به في النار؛ فاستجبت له وقلت: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء ٦٩).

وبالاسم الذي دعاك به موسى عليه السلام من جانب الطور الأيمن؛ فاستجبت له..

وبالاسم الذي خلقت به عيسى عليه السلام من روح القدس..

وبالاسم الذي تبت به على داوود عليه السلام..

وبالاسم الذي وهبت به لزكريَّا يحيى عليه السلام..

وبالاسم الذي كشفت به عن أيُّوب الضرَّ، وتبت به على داوود، وسخَّرت به لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره..

وبالاسم الذي خلقت به العرش..

وبالاسم الذي خلقت به الكرسيّ..

وبالاسم الذي خلقت به الروحانيِّين..

وبالاسم الذي خلقت به الجنَّ والإنس..

وبالاسم الذي خلقت به جميع الخلق..

وبالاسم الذي خلقت به جميع ما أردت من شيء..

وبالاسم الذي قدرت به على كلِّ شيء..

أسألك بحقِّ هذه الاسماء إلّا ما أعطيتني سؤلي..»[1].

ثمَّة تركيز واضح على أهميَّة الاسم في الاستجابة، مع إشارات صريحة إلى مظاهر هذه الاستجابة في حياة الأنبياء عليهم السلام، فكلُّهم عليهم السلام دعوه سبحانه بالاسم، ونال مبتغاه واستُجِيب به، وعليه فإنَّ التحقُّق والاستجابة لا شكَّ فيها بعد كلِّ ما بدر من استجابة الدُّعاء للأنبياء. ونلحظ الضمير العائد على الاسم مقترنا بحرف الجرِّ الباء الذي يفيد، من خلال السياق، الاستعانة، فبالاسم يتحقَّق المراد والتأثير الواقعيّ والإنجاز الفعليّ، فهو قولٌ إنجازيّ بكلِّ ما يحمل من ملفوظيَّة.

الصلاة فعلًا كلاميًّا

ورد في معنى الصلاة: «الدعاء والتبريك والتمجيد.. وصلوات الرسول وصلاة الله للمسلمين، هو في التحقيق تزكيته إيَّاهم.. ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار كما هي من الناس، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء، وسمِّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمَّنه..»[2].

تتصدَّر أكثر الأدعية والمناجيات بالصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وكذلك في ختام الدعاء، ومن ثمَّ فإنَّ الدعاء يأتي بين صلاتَين، والصلاة على محمَّد وآله ضمان لاستجابة الدعاء، كما ورد في الروايات، ذلك أنَّه سبحانه أكرم من أنْ يقبل دعاءَين، ولا يقبل ما بينهما، «والسِّرُّ في قبول الدعاء إذا اقترن بالصلاة أمران:

الأوَّل: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليهم السلام وسائط بين الله سبحانه وبين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم، وهم أبواب معرفته عزَّ وجلَّ، فلا بدَّ من التوسُّل بذِكرهم في عرض الدعاء عليه.

(١) الصحيفة الفاطميَّة الجامعة: ٢٧-٢٨.

(٢) المفردات: ٢٨٥.

الثاني: إذا ضمَّ العبد الصلاة مع دعائه، وعرض المجموع على الله تعالى، والصلاة غير محجوبة، فالدعاء غير محجوب؛ لأنَّه تعالى أكرم من أنْ يقبل الصلاة ويردَّ الدعاء، ولا يمكن أنْ يردَّ الجميع، لكرامته صلى الله عليه وآله، فلم يبقَ إلَّا قبول الكلِّ، وهو المطلوب»[1].

وبناءً على هذا، فإنَّ الصلاة على محمَّد وآله في الأصل هي فعل تزكية ودعاء واستغفار، ومن هنا نفهم سرَّ تصدُّر أكثر الأدعية بها، كما أشرنا، فالصلاة تُنجِز فعلًا، وترفع الدعاء وتعزِّزه، وهو ما يحقِّق إنجازيَّة الفعل الكلاميّ وتأثيره، في ضوء ما أشرنا إليه من قاعدة (اللطف الإلهيّ) التي تستلزم الرحمة واللطف بالعبد إذا تحقَّق بشروط معيَّنة، وتخلَّق بأدبٍ خاصٍّ.

فمن بين تلك الأدعية التي تمركزت حول الصلاة على محمَّد وآله، بحيث شكَّلت بؤرة مركزيَّة في الخطاب، تلاها اقتران الصلاة على محمَّد وآله بالمطالب المرجوَّة من الداعي، قولها عليها السلام:

«اللهمَّ إنِّي أصبحت أُشهدك وكفى بك شهيدًا.. اللهمَّ صلِّ على محمَّد وأهل بيته المباركين، وصلِّ على جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وحملة عرشك أجمعين، والملائكة المقرَّبين، اللهمَّ صلِّ عليهم جميعا.. اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد كما أمرتنا أن نصلِّي عليه.

اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد كما ينبغي لنا أن نصلِّي عليه..

اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد بعدد مَن صلَّى عليه..

اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد بعدد مَن لم يصلِّ عيه..

اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد بعدد كلِّ حرفٍ في صلاةٍ صُلِّيت عليه..

اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد بعدد كلِّ شعرةٍ ولفظةٍ ولحظةٍ ونفسٍ وصفةٍ وسكونٍ وحركةٍ ممَّن صلَّى عليه، وممَّن لم يصلِّ عليه، وبعدد ساعاتهم ودقائقهم

(١) المناجاة الشعبانيَّة علوم الأدب مع الله: ٥٦، نقلًا عن: رياض السالكين.

وسكونهم وحركاتهم وحقايقهم وميقاتهم وصفاتهم وأيّامهم وشهورهم وسنينهم وأشعارهم وأبشارهم، وبعدد زنة ذر ما عملوا أو يعملن أو بلغهم أو رأوا أو ظنُّوا أو كان منهم أو يكون إلى يوم القيامة، وكأضعاف ذلك أضعافًا مضاعفة إلى يوم القيامة يا أرحم الراحمين..»[1].

وردت الصلاة ما يقارب الثلاثين مرَّة في هذا الدعاء وحده، وفيها تكرار واضح لهذا الفعل الذي يجمع بين النداء والدعاء بصوره، وكما أشرنا، فإنَّ هذه الصلاة من الله سبحانه تزكية للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، فاللفظ هو فعل القول، والمعنى هو التزكية، وفعل التأثير كما يسمَّى، هو تحقُّق التزكية التي تقترن بالصلاة على محمَّد وآله.

التسبيح فعلًا كلاميًا

التسبيح هو الآخر يحضر بشكلِ فعل في الدعاء الفاطميّ، بحيث يشكِّل ظاهرة واضحة، وهو يتحقَّق بالمفعول المطلق لفعل محذوف تقديره (أُسبِّح)، والتسبيح في اللغة هو:

التسبيح: تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع فى عبادة الله تعالى، وجعل ذلك فى فعل الخير، كما جعل الإبعاد في الشرِّ، فقيل أبعده الله، وجعل التسبيح عامًّا فى العبادات، قولًا كان أو فعلًا أو نيَّة، قال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾، قيل من المصلِّين، والأولى أن يحمل على ثلاثتها، قال: (ونحن نسبِّح بحمدك، وسبِّح بالعشى فسبِّحه، وأدبار السجود لولا تسبِّحون) أى هلا تعبدونه وتشكرونه»[2].

التنزيه هو نفي كلِّ ما لا يليق به سبحانه، فالفعل القوليّ هو سبحان، والفعل الإنجازيّ هو التنزيه والترفُّع عن كلِّ ما لا يليق به سبحانه من مختصَّات المخلوقِين، والتأثير هو تحقُّق الإيماء الحقيقيّ للعبد الذي لا يكون إلَّا بتنزيه الله عمَّا لا يليق.

(١) الصحيفة الجامعة: ٣٤-٤٢.

(٢) المفردات: ٢٩٠.

وما تذكره كتب الأذكار والأدعية من تأثير التسبيح وفضله، يرتكز من استدرار الرزق والخير ما لا يتَّسع له هذا البحث، ولكن يمكن الإشارة بشكلٍ عامٍّ إلى أنَّ ترديد هذا الذِّكر (سبحان الله) يُنجِز فعلًا كلاميًّا، ويحقِّق أثرًا واقعيًّا، فالتسبيح يحقِّق آثارًا وضعيَّة للإنسان، لكن مع استحضار شرط النيَّة (الإخلاص) الذي يتطلَّبه الفعل الكلاميّ.

ومن ذلك قولها عليها السلام: «**سبحان ذي العزِّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي الملك الفاخر القديم، والحمد لله الذي بنعمته بلغتُ ما بلغت من العلم به والعمل له والرغبة إليه والطاعة لأمره..**»[1].

نلحظ تقدُّم التسبيح على التحميد لله سبحانه، فبالمعرفة المتحقِّقة يكون التنزيه، الذي يكون طريقًا للحمد؛ لأنَّ الحمد هو الثناء، وهو ما يكون بعد المعرفة التي والتنزيه، وكثيرًا ما اقترن التسبيح بالحمد، كما في التسبيح الوارد عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المسمَّى باسمها.

فالتسبيح يصنع الواقع، ويؤثِّر في تغييره، ويسبغ الروح في الكلمات الجامدة بحيث تغدو فاعلة ومؤثِّرة، عبر تكرارها واقترانها مع بعضها.

ومن ذلك أيضًا قولها عليها السلام في تسبيح الله تعالى:

«**سبحان من استنار بالحول والقوَّة..**

سبحان من احتجب في سبع سموات فلا عين تراه..

سبحان من أذلَّ الخلائق بالموت، وأعز نفسه بالحياة..

سبحان من يبقى ويفنى كلَّ شيء سواه..

سبحان من استخلص الحمد لنفسه وارتضاه..

سبحان الحي العليم..

(١) الصحيفة الفاطميَّة الجامعة: ٤٩.

سبحان الحليم الكريم..

سبحان الملك القدوس..

سبحان العلي العظيم..

سبحان الله وبحمده»[1].

فنرى التسبيحات جاءت مقترنة بالأسماء والأوصاف التي اتَّصفت بها الذات الإلهيَّة، أو وصفت نفسها بها في محكم الكتاب العزيز، وهو اقتران يناسب التنزيه والتقديس، في تسلسل وترتيب، من الاستنارة إلى الاحتجاب، ثمَّ إذلال الخلائق بالموت، ثمَّ البقاء وفناء كلِّ شيء، ثمَّ اقتران ذلك بالحمد.

وبعدها الوصف بالأسماء الإلهيَّة، وختام ذلك بالحمد أيضًا، فثمَّة رابطة جليَّة بين التسبيح والتحميد، كما أشرنا، تتجلَّى في الدعاء الفاطميّ كظاهرة.

(١) الصحيفة الفاطميَّة الجامعة: ١٨.

الخاتمة

١. الدعاء ليس ألفاظًا جامدة أو طقوس فارغة، بل هو نمط حياة ووسيلة لتعديل الواقع وتغييره في العقيدة الإسلاميَّة.

٢. «**يا من فعله قولٌ، وقوله أمرٌ، وأمره ماضٍ**»[١]، هذا تأسيس لقاعدة ونظريَّة عقديَّة وفعل- كلاميَّة، وهي ترتكز على رؤية المعصوم عليه السلام الذي يجعل القول هو نفس الفعل، وهو الإنجاز، وهو باختصار جوهر نظريَّة الفعل الكلاميّ، فالفعل قول، والقول أمر، والأمر متحقِّقٌ وماضٍ.

٣. ترتكز بنية الدعاء على مرتكزات شبه ثابتة، كالتحميد والتسبيح والصلاة على النبيِّ وآله، وهي أفعال إنجازيَّة بقدر ما تحمله من سمة تهذيبيَّة.

٤. ثمَّة مركزية لبعض الأفعال، مثل السؤال أو الدعاء بالأسماء الحسنى أو الاسم الأعظم؛ لما يقتضيه من التحقُّق والاستجابة أو الإنجازيَّة التي ترتبط به، وكذلك الصلاة على محمَّد وآله، التي تقتضي أيضًا الاستجابة في ضوء قاعدة (اللطف الإلهيّ) التي كتبها سبحانه على نفسه.

٥. يحقِّق التسبيح بوصفه فعلًا كلاميًّا هو الآخر منجزًا يسهم في صناعة الواقع وإعادة تشكيله، من خلال إنجازه لفعل كلاميّ، شرط توفُّر (شرط الإخلاص).

---

(١) الصحيفة الفاطميَّة الجامعة: ٢٧.

المصادر والمراجع

١. إستراتيجيَّات الخطاب، مقاربة لغويَّة تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، ط١، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
٢. الاسم الأعظم حقيقته ومظاهره، السيِّد كمال الحيدريّ، مكتبة فاران، بغداد، (د.ت).
٣. اصطلاحات الصوفيَّة، عبد الرزاق بن أحمد بن محمَّد القاشاني (ت٧٣٠هـ)، ضبطه وصححه: د. عاصم إبراهيم الكيَّالي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٤. آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
٥. الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويِّين البصريِّين والكوفيِّين، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمَّد بن أبي سعيد الأنباريّ (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، ط١، ٢٠٠٦م.
٦. التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، د. محمَّد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، ط١، المنظَّمة العربيَّة للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
٧. التداوليَّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللساني العربيّ، د. مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٨. التداوليَّة وتحليل الخطاب (الرؤى والتمثُّلات)، د. باسم خيري خضير، ط١، الشركة العربيَّة المتَّحدة، القاهرة، ٢٠١٦.
٩. السياق والنص الشعريّ من البنية القراءة، عليّ آيت أوشان، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب العربيّ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٠. الصحيفة الجامعة لأدعية سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء وشبليها عليهم السلام، السيِّد محمَّد باقر مرتضى الموحِّد الأبطحيّ الاصفهانيّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، قم المقدَّسة، مطبعة اعتماد، ١٤٢١هـ.
١١. الفروق اللغويَّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ (ت٤٠٠هـ)، علَّق عليه: محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، ط٢، بيروت، ٢٠١٠م.
١٢. الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغويّ في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغوره، ط١، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
١٣. اللسانيَّات الوظيفيَّة مدخل نظري، د. أحمد المتوكِّل، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠١٠م.
١٤. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، الشيخ عبد الرزاق القاشانيّ (ت٧٣٠هـ)، ضبطه وصحَّحه: د. عاصم إبراهيم الكيَّالي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
١٥. المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيِّد حيدر الآمليّ (ت٧٨٧هـ)، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه: السيِّد محسن الموسويّ التبريزيّ، ط٥، مطبعة أسوة، إيران، ١٤٣١هـ.
١٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمَّد سيِّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٧. المقاربة التداوليَّة، فرانسوز ارمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، ط١، مركز الإنماء القوميّ، الرباط، ١٩٨٦م.

١٨. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، حجَّة الإسلام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزاليّ (ت٥٠٥هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: الشيخ قاسم محمَّد النوريّ، مكتبة دار الفجر، دمشق، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٩. المناجاة الشعبانيَّة، علوم الأدب مع الله، الشيخ حسين كوراني، كتاب شعائر (٢)، المركز الإسلاميّ في بيروت، تموز ٢٠١١م.

٢٠. مواهب الرحمن، السيِّد عبد الأعلى الموسويّ السبزواريّ، دار التفسير، قم، مطبعة نكين، ط٥، ٢٠١٠م.

٢١. الميزان في تفسير القرآن، العلَّامة محمَّد حسين الطباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ)، مطبوعات دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

٢٢. نظرية أفعال الكلام العامَّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستن، ترجمة: عبد القاهر قينيني، ط٢، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨م.

٢٣. نظرية الفعل الكلاميّ بين الفعل الكلاميّ والمباحث اللغويَّة في التراث العربيّ الإسلاميّ، هاشم إبراهيم الخليفة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٤. نظريَّة المعنى في فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، ط١، الدار المصريَّة، السعوديَّة- القاهرة، ٢٠٠٥م.

السَّبكُ النَّحويُّ وأثرُهُ في بناءِ النَّص الخطبَةُ الفَدَكيَّةُ اختيَّارًا

أحمد موفَّق مهدي

مُلخَّصُ البَحث

هذا بحثٌ يتناولُ السَّبكُ النَّحوِيّ وَأَثَرُهُ فِي بِنَاءِ النَّصِّ الخطبَةُ الفَـدَكِيةُ مِثَالًا، وقد اقتضت خطَّةُ البحثِ أَن يكون في ثلاثةِ مباحث، هي: السَّبكُ فِي المُعجَّمِ وَالاصطِلَاحِ وَالوَظِيفَةِ، والحَذفُ، المَعَانِي التِيّ يُحَقِّقهَا الرَّبطُ.

وقد بيَّنَ البحث قدرة السَّيدة الزَّهراءعليها السلام على الإبـداعِ الذي تحقَّق في السَّبكِ النَّحوِيّ للخطبةِ الشَّريفةِ، فجاءت مقاطع الخطبة متماسكة ومتلاحمة بواسطة ركونها إلى أدوات تركيبيَّة استطاعتعليها السلام في ضوئها أن تجعلَ النَّصَّ مرتبطًا في جُمَلِهُ ومقاطعه، كما أنَّ السيِّدة الزَّهراءعليها السلام اختارت اللفظ المُعَبِّر الموحِي ببلاغة عالية صادرة عن وعيٍ وفكرٍ قلَّ نظيرهما ومثيلهما إلَّا عند نبيِّنا الأكرم محمَّدصلى الله عليه وآله، وأمير البلاغة والفصاحة والبيان الإمام عليّعليه السلام، فارتقتْ بأساليبها وفصاحتها إلى درجة البلغاء؛ إذ جعلت الألفاظ ناطقة معبرِّة، على الرغم من الموقف الذي ينأى فيه العقل عن التعقُّل والتدبُّر، فجاءت بجملٍ وعباراتٍ قمَّة بالحكمة والعلم.

وأظهرت الدِّراسة أنَّ الجانبُ الدِّلاليّ يتكاملُ معَ الجانبِ الشِّكلي في تحديدِ المعنى المُراد مِن النَّصِ، كما يقومُ الحذفُ بإيقادِ ذهن القارئ، لمعرفةِ المحذوف، وملء تلكَ الثَّغرة التي خلَّفها الحذف، وهي تشبهُ في ذلكَ الإحالةُ المقاميَّة؛ لذا يعدُّ كلًّا مِنْ الحذفِ

والإحالةِ المقاميَّة مِن أقربِ وسائل الاتساق الشِّكلي إلى الانسجامِ؛ ولأنَّهما يصبانِ في قالبِهِ.

الكلمات المفتاحيَّة: السَّبكُ، الحَـذفُ، المَعَانِي التِي يُـحقِّقها الرَّبطُ، الخـطبَةُ الفَـدَكيَّةُ

المُقَدَّمَـةُ

الحمدُ للهِ جلَّت أسماؤُه، وسمتْ أوصافُه، الذي علَّم الإنسانَ، وشرَّف العربيَّةَ بنزولِ القرآن، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على النَّبيِّ الأمينِ، الذي فتحَ أبوابَ العلمِ والرحمةِ للعالمينَ، وعلى غصنِ دوحتهِ، وأوَّل مَنْ صَدَّقَ برسالتهِ، وعلى الصدِّيقةِ الزَّهراءِ البتولِ، وعلى الذريّة الطاهرة، مِنْ ولدِهم أجمعينَ.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ المتأمِّلَ في الدَّارساتِ اللسانيةِ الحديثةِ يجد أنَّها أسهمتْ بولادةِ علمٍ جديدٍ يُعرَفُ بـ(نحوِ النَّصِ)، إذ يقومُ هذا العلمُ على تجاوزِ الرَّبطِ بيّن أجزاء الجملة الواحدة، إلى الربطِ بيّن مجموعة من الجملِ، فهو ينبثقُ من النَّظرةِ الكليةِ للنَّصِ مِنْ دُونِ الفصلِ بيّن أجزائهِ، ليُظهر أعني النَّص نسيجًا واحدًا، وبنيةً متكامةً، ومِنْ ثَمَّ الحكم على جودةِ النَّصِ.

لقد عُنِيَ البحثُ بالخطبةِ الفدكيةِ للسَّيدةِ الزَّكيَّةِ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بنت الرَّسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله، للكشفِ عن الجوانبِ النَّصيَّةِ في النَّصِ، مستفيدًا ممَّا قدَّمته الدَّارسات الغربية في هذا المجال، تلك التي اعتمدت على مجموعة من المعايير التي حُدِّدتْ بسبعةِ معايير في ضوئها يكون الحكم على نصيةِ النَّصِ، وهي: السَّبك، والحبك، والقصد، والقبول، والتناص، ورعاية الموقف، والإعلام، وقد وقع الاختيار على معيارٍ واحدٍ مِنْ هذهِ المعايير، وهو(السَّبك) دراسًا إياه دراسةً نحويَّة تطبيقةً على نصٍ لطالما تَرَدَدَ على لسانِ محبي أهلِ البيتِ، وأقتبسه أغلب أهلُ العلمِ والفضلِ في خطبهم، أو الدفاع عن

حقِّهم، فخطبةِ سيّدةِ النِّساءِ عليها السلام اختصرتْ ما جرى بعد رحيلِ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، في نصٍّ مُعَدٍّ أفضل إعدادٍ، ومنظَّم أحسنَ تنظيمٍ، لوقائعٍ جرت في مجتمعِ المسلمينَ الأوَّل، ثبّتتْ فيه اعتراض بيتِ النبوَّةِ.

وكان لهذهِ الخطبةِ أهميَّةٌ كبيرةٌ؛ لأنَّها صدرتْ مِنْ بيتِ النبوّةِ في لحظةٍ تأريخيَّةٍ فاصلةٍ، لحظة الإحساس بالانعطافِ الكبير بعد رحيله صلى الله عليه وآله، لحظة تصرُّف صحابتهِ، وأقرب النَّاس إليه، وهذا واضحٌ، في قول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «**أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، فَتِلْكِ وَالله النَّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ.. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾**[1]»[2].

إذ تفصح الخطبةُ وما يحيطُ بها عن محنةِ التغيير، وشدَّةِ التداخل والاختلاف، فتعترضُ السَّيدةُ الزَّهراءِ عليها السلام على آفاق المنهج الجديد الذي بدتْ ملامحُ تأسيسهِ تتَّضِحُ، وأخذ يفرض وجوده السياسي والإعلاميّ والاقتصاديّ مدعومًا بجهدِ الدولةِ الجديدة التي صارت تنحاز إلى غير العترة الطاهرة.

إنَّ العناية اللغويَّة والأدبيَّة والنقديَّة بهذه الخطبة مهمَّة على مستوى التحليل النَّصيّ والاستشهاد الثقافيّ والاجتماعيّ، إذ بفهم هذه الخطبة حاجة إلى إعادة نظر من زوايا جديدة، وأدوات معرفيَّة مختلفة، تكشف عن منطقها وأسرارها وتأويلها وفهمها؛ لذا نجد الكثير من العلماء القدامى قد اهتمَّ بدراستها وشرحها وبيان مفرداتها[3]،

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) الاحتجاج، الشيخ أبو منصور الطبرسيّ: ١/ ١٠٢.

(٣) ينظر: اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد عليّ بن أحمد الأنساريّ القراجة داغي التبريزيّ الأنصاريّ، وكشف المحجَّة في شرح خطبة اللمَّة، السيِّد عبدالله شبَّر، والزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك، للعلَّامة محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ، والدرَّة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، العلَّامة السيِّد هادي الحسينيّ الصائغ، وشرح خطبة الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام =

فضلًا عن الدِّراسات الحديثة التي درسات هذا الخطبة بمستوياتٍ مختلفةٍ، وبأساليبٍ متعددةٍ[1]؛ لأنَّ خطبتها عليها السلام امتازت بعمقِ معانيها، ودقَّةِ البيان فيها، وفصاحةِ ألفاظها، وقوَّةِ تركيبها، وجمالِ أسلوبها، وحُسنِ أدائها، مفصحةٌ عن بلاغةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وفصاحتهِ، ومنطقُ عليٍّ عليه السلام وخطابهِ.

وحاولت جاهدًا في هذا البحثِ تطبيق معيار السَّبك النَّحويّ على الخطبةِ الفدكيَّةِ، مستهلًّا البحث بمقدِّمةٍ، وَمِنْ ثَمَّ لحقتها ثلاثةِ مباحث، وخاتمةٍ.

وأمَّا المبحث الأوَّل فقد تناولتُ فيهِ السَّبْكُ فِي الْمُعْجَمِ وَالاصطِلَاْحِ وَالْوَظِيْفَةِ، واشتمل المبحثُ الثَّاني على الحَذْفِ فِيْ الْخطْبَةِ الْفَـدَكِيَّةِ، وعرضتُ في المبحثِ الثَّالث: المَعَاْنِي التِي يُحَقِّقهَا الرَّبْطُ فِيْ الْخطْبَةِ الْفَـدَكِيَّةِ.

ولا بُدَّ مِنْ الاشارةِ إلى أنَّ الباحثَ اعتمد منهجَ التطبيقِ أكثرَ مِنْ التَّنظيرِ؛ لأَنَّ طبيعةَ الدِّراسة تتطلَّب ذلك، فهي دراسةٌ تقوم على إظهار السَّبْكُ النَّحويّ وَبيَّان أَثَرُهُ فِيْ بِنَاْءِ الْنَّصِ، وترابط أجزائهِ، وإبرازهِ بوصفهِ وحدة متكاملة، ولا ريب في أنَّ ذلك يتعلَّق بتطبيقِ هذا المعيار على النَّصِّ.

=للشيخ محمَّد طاهر الخاقانيّ، والزَّهراء عليها السلام خير نساء العالمين، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، وفاطمة من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، وغيرها الكثير.

(١) ينظر: البنى التركيبيَّة في خطبة الزَّهراء عليها السلام، والإيحاء والتصوير في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة في البنى الأسلوبيَّة، الدكتور جنان محمَّد مهدي، والبنى الصرفيَّة في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور بان صالح مهدي الخفاجيّ، والخصائص الأسلوبيَّة في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور طلال خليفة سلمان، وخطبة الزَّهراء عليها السلام الكبرى دراسة في الأسلوب والفنِّ، الدكتور حسين لفتة حافظ وعوَّاد كاظم لفتة، وخطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة دلاليَّة، المدرِّس المساعد رُسل عبَّاس محمَّد شيروزة، والصيغ الصرفيَّة وأثرها الدلاليّ في خطبة الزَّهراء عليها السلام، المدرِّس المساعد محمَّد فيصل حسن الموسويّ، وكسر أفق التوقُّع في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور طلال خليفة سلمان، وغيرها الكثير جدًّا.

المبحثُ الأوَّلُ

السَّبْكُ فِي المُعْجَمِ وَالاصطِلَاْحِ وَالْوَظِيْفَةِ

السَّبكُ فِيْ المُعْجَمِ الْعَرَبِيّ

السَّبكُ لُغَةً: السَّبكُ فِيْ اللُّغَةِ هو: تَسْبِيْكُ السَّبيكةِ أي هو عمليةُ إِذَابَةِ الذَّهَبِ، أو الفضةِ، ووضعها فِيْ قالبٍ من حديدٍ؛ حتى تَخْرُجُ مُتَماسكةً متلاصقةً، وتُسمَّى حينئذٍ سَبِيْكَةً[1]، وقد اسْتُعمِلَ المصطلح للدَّلالةِ عَلَىَ الكلامِ مِنْ بَابِ المجازِ، قال الزمخشريّ: «وَمِنْ المَجَازِ: هذا كلامٌ لا يُثبتُ عَلَى السَّبكِ، وهو سبَّاكٌ للكلامِ»[2]. وفي ضوءِ ما تقدَّم يَتَبيَّنُ وجودُ علاقةٍ بين المعنَيين المعجميّ والمجازيّ الذي انتقلتْ إليه دلالة اللفظة، وذلك لإنَّ المتكلِّم يقومُ بجمعِ ألفاظٍ من شتاتٍ، فيجمعها في ذِهْنِهِ فتخرجُ متماسكةً، وقد يُخطئ سبَّاكُ الذَّهب، فتخرجُ السبيكةُ مشوَّهةِ المظهرِ، كذلك يخرجُ الكلامُ من فمِّ المتكلمِ،إمَّا حسُنُ السَّبكِ لإجادةِ المتكلم الصياغة، أو رديء السَّبكِ فتمُجُّهُ الأذنُ لعيٍّ صاحبِهِ.

السَّبكُ اصطِلَاْحًا: هو المعيارُ الذي يهتمُّ بشكلِ النَّصِ، ويدرسُ الوسائلُ التي تُتحققُ بها خاصيةُ الأستمرار اللفظي، فهو يترتبُ على إجراءاتٍ تبدو بها

(١) ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادَّة (سبك): ٢/ ٢١٤، ولسان العرب، لابن منظور مادَّة (سبك): ١٠/ ٤٣٨، وتاج العروس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزاق الحسينيّ الملقَّب بـ(مرتضى الزبيديّ)، مادَّة (سبك): ١/ ٦٧١٤، ومختار الصِّحاح، محمَّد بن أبي بكر الرازي، مادَّة (سبك): ١٥٣.

(٢) أساس البلاغة، للزمخشريّ: ١/ ٤٣٦.

العناصر على صورةِ وقائع يؤدِّي السَّابق منها إلى اللاحق، حتَّى يتحقَّقَ لها الترابط الرصفيّ[1].

وعَرَّفَهُ الدكتور تمَّام حسَّان بقولهِ: «السَّبكُ إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجميَّة من جهة، وقرينة الربط النحويّ من جهة أُخرى، واستصحاب الرتب النحويّ إلَّا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبيّ، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب جملي»[2].

وظيفةُ السَّبكِ النَّصيّ: يَعدُّ السَّبكُ العنصر الجوهري في تشكيلِ النَّصِّ وتفسيره، فيعملُ السَّبكُ على جعلِ الكلامِ مُفيدًا، ويعملُ على استقرار النَّصِّ وثباتهِ، بعدم تشتت الدَّلالة الواردة في النَّصِّ، وتنظيم بنية المعلومات داخل النَّصِّ. هذا كُلُّهُ يساعدُ القارئَ على فهمِ النَّصِّ عن طريق متابعة خيوط التَّرابط المتحركة عبرَ النَّصِّ التي تُمكنهُ مِنْ ملءِ الفجوات، أو معلومات ما بين السُّطور التي لا تظهر في النَّصِّ ولكنَّها ضروريَّـة[3]، ويرى (فان دايك) أنَّ السِّماتَ الشَّكليَّة في النَّصِّ تحدِّد بنيته الدَّلاليَّة[4].

وتُؤدِّي أدوات السَّبكِ وظيفتها بالنَّصِّ زيادة على كونها وحدات نحويَّة تربطُ بين الجمل بعضها ببعضها الآخر، فهي وحداتٌ وظيفيَّة تؤدِّي دورًا في تكوينِ النَّصِّ، وهذا يبدو واضحًا في تعريفِ (هاليداي) للسَّبكِ، إذ يرى أنَّ مفهومَ السَّبكِ «مفهومٌ دلاليٌّ، ويقصدُ بهِ العلاقات المعنويَّة الموجودة داخل النَّصِّ، والتي تعرفه كنصٍّ»[5]، فينظَرُ للسَّبكِ بأَنَّهُ مجموعة مِنْ البِنى الدَّلاليَّة والتَّركيبيَّة التي تربطُ الجمل على نحو

(١) ينظر: النَّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند:١٠٣.
(٢) مقالات في اللغة والأدب، تمَّام حسَّان: ٢/ ٢٥٦.
(٣) ينظر: علم اللغة النصِّيّ بين النظريَّة والتطبيق دراسة تطبيقيَّة على السور المكيَّة، صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٧٤.
(٤) ينظر: علم النصِّ مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٢٧٥.
(٥) الإحالة دراسة نظريَّة، هالدي ورقية حسن: ٧٥.

مباشر بعضها ببعض مِنْ دونِ الرُّجوع إلى المستوى الأعلى للتحليل، أي: مستوى البنية الكُبرى، فيتحقَّقُ الرَّبطُ بوساطة علاقات دلاليَّة أساسيَّة؛ إذ يعتمدُ تفسير أحد العناصر في النَّصِّ على العنصر الآخر؛ لذا قد يقعُ الرَّبطُ داخل الجملةِ أو بين الجمل(١). والسَّبكُ خاصيَّة دلاليَّة للنصِّ، يعتمدُ على فهمِ كُلِّ جملة مكونة للنصِّ في علاقتها بما يُفهمُ مِنْ الجملِ الأخرى، وتقومُ أدواتـهِ بوظيفةِ إبراز ترابط العلاقات السببيَّة بين العناصر المُكونة للنَّصِّ في مستواه الخطي المباشر(٢)، ويمثلُ السَّبكُ انطلاقًا مِنْ الشَّكل إلى الدَّلالة، إذ إنَّ الرَّوابطَ التي تربطُ ظاهر النَّصِّ تحتوي على قدرٍ مِنْ الدَّلالةِ تمَّ الرَّبطُ على وفقهِ(٣).

فالإحالةُ مثلًا تخضعُ لقيدٍ دلاليّ، وهو وجوبُ تطابق الخصائص الدِّلاليَّة للعنصرِ المحيل والعنصر المحال عليهِ(٤)، ويمثلُ الحذفُ جزءًا لا يتجزأ مِنْ عمليَّةِ فهم النَّصِّ وتفسيرهِ، بل هو جزءٌ مِنْ عمليَّة تفاعل النَّصِّ بين الباثِّ والمتلقِّي، ممَّا يجعلُ له أثرٌ بارزٌ في الكشفِ عن تماسكِ النَّصِّ وخصوصيَّتِهِ(٥)، أمَّا التِّكرار فإنَّهُ يُوظَّفُ مِنْ أجلِ تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكوِّنة للنَّصِّ، وشرط هذا التَّوظيف أن يكون للعنصرِ المُكرَّر ذكرٌ بنسبةٍ عاليَّةٍ تميزهُ عن نظائرهِ، وأن يعملَ رصدهُ على معرفةِ معاني ودلالات النَّصِّ، ويحملُ طاقةً وظيفيَّةً تتمثلُ في الدَّعمِ الدَّلالي لمفرداتٍ محدَّدةٍ في النَّصِّ، وإبقاءها بارزة للمتلقِّي، وتكرار هذهِ المفردات بعينها مِنْ دونِ غيرها يؤكِّدُ فائدتها في بناءِ المعنى(٦).

السَّبْكُ فِيْ مَنْظُوْرِ عِلْمِ النَّصِّ: السّبْكُ يُرادُ بِهِ: الرَّبطُ اللفظيّ، وهو التَّتابعُ في

(١) ينظر: علم لغة النصِّ، النظريَّة والتطبيق، عزَّة شبل محمَّد: ٩٠.
(٢) ينظر: علم لغة النصِّ، المفاهيم والاتجّاهات، د. سعيد حسن بحيري: ١٢٣.
(٣) ينظر: إشكالات النصِّ دراسة لسانيَّة نصيَّة، جمعان بن عبد الكريم: ٢٢٢.
(٤) ينظر: نظريَّة علم النصِّ رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ، د. حسام أحمد فرج: ٨٤.
(٥) ينظر: علم لغة النصِّ بين النظريَّة والتطبيق: ١١٧.
(٦) ينظر: نظريَّة علم النص: ١٠٧-١٠٨.

البناءِ الظَّاهر للنصِّ عن طريقِ استخدام وسائل الرَّبط اللغويَّة والقاعديَّة المختلفة[١].
ويختصُّ معيار السَّبك برصدِ الاستمراريَّة[٢] المتحقِّقة في سطح النَّص (ظاهر النَّص) (Surface Text)[٣]، وهذا المعيار يهتمُّ بظاهرِ النَّص، ودراسة الوسائل التي تُحقِّقُ بها خاصيَّة الاستمرار اللفظيّ، وهو يترتَّبُ على إجراءات تبدو بها العناصر السَّطحيَّة على صورة وقائع يؤدي السَّابق منها إلى اللاحق[٤]، فالسَّبكُ يهتمُ بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وبين جمل النَّص وفقراتهِ، وبين النُّصوص المكونة للكتابِ، ومِنْ ثَمَّ يُحيطُ السَّبكُ بالنَّصِ كاملًا داخليًّا وخارجيًّا[٥].

وتبرزُ أهميَّةُ السَّبك عند علماء لغة النَّصِّ بوصفهِ مِنْ أهمِّ المعايير النَّصيَّة؛ فهو عنصر جوهريّ في تشكيل النَّصِّ وتفسيرهُ، وإذا أصبح الكلام خاليًا مِنْ عنصر السَّبك صار غير واضح ويشوبهُ الغموض[٦]، ويعدَّهُ (دي بوجراند) عاملاً مهمًّا في تحقيقِ الكفاءة النَّصيَّة بقولهِ: «وتعدُّ هذهِ البدائل، كما هو واضح، مساهمة مهمَّة في إيجاد الكفاءة النَّصيَّة، وهي صياغة أكبر كمية مِنْ المعلومات بإنفاق أقلِّ قدر مِنْ الوسائلِ[٧]، فهو بذلكَ يلعبُ دورًا مهمًّا في عمليةِ بناء النَّص، وتنظيم بنية المعلومات، ولكون السَّبك يُحقِّقُ استمراريَّة الوقائع في النِّص، فهذا يُساعد القارئ أو المتلقِّي في متابعةِ خيوط التَّرابط المتحرِّكة عبرَ النَّص التي تمكنهُ مِنْ فهمَ النَّصِّ وتفسيره[٨].

---

(١) ينظر: علاقة النحو العربيّ بنحو النصِّ، أ.د. عبد السلام حامد (بحث): ٨.
(٢) الاستمرارية (Continuity) صفة تعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكوِّنة للنصِّ.
(٣) ينظر: بلاغة النصّ، مدخل نظريّ ودراسة تطبيقيَّة، د. جميل عبد المجيد: ١٧.
(٤) ينظر: نحو النَّص، اتِّجاه جديد في الدرس النحويّ، أحمد عفيفي: ٩٠.
(٥) ينظر: علم اللغة النصِّيّ بين النظريَّة والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٩٦-٩٧.
(٦) ينظر: علم النصِّ رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثري، حسام أحمد فرج: ٨٠.
(٧) النَّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوكراند: ٢٩٩.
(٨) ينظر: علم لغة النصِّ النظريَّة والتطبيق، د. عزَّة شبل محمَّد: ٩٩.

وتخلقُ عناصر سبك أجزاء النَّصِّ تواصلًا بين أجزاء السياق[1]، ويخلقُ كذلكَ استعمال الكاتب لهذه العناصر إحساسًا بالانفرادِ بالنَّصِّ، وتغدو هذه العناصر مرآة لثقافةِ الكاتب التي هي جزء مِنْ ثقافةِ عصرهِ وجزء مِنْ علاقتهِ بالمتلقِّي؛ ممَّا يُؤدِّي إلى وجودِ إحساسٍ مستمرٍ بالألفةِ تجاه لغة النَّصِّ وصياغتهِ، والانفراد النَّفسي بها[2].

ودُرسَ السَّبكُ مِنْ جهةِ التَّطبيق عند جملة مِنْ الباحثينَ النَّصيِّينَ[3]، على وفق تقسيمات (هاليداي ورقيَّة حسن)؛ إذ قَسَّما السَّبك على السَّبكِ النَّحويّ، والسَّبكِ المعجميّ، بينما نجدُ مِنْ الباحثينَ مَنْ انطلق مِنْ فكرةِ (دي بوجراند) وزميلهُ (دريسلر) في كتابهما مدخل إلى علم لغة النَّص سنة (١٩٨٣م)، والتَّوقُّفِ إزاء مصطلح (التَّنغيم)، واعتبرَهُ مِنْ المحاورِ الصَّوتيَّة الرَّئيسة لمصطلح (الاتِّساق)؛ وجعل للربطِ، أو السَّبكِ ثلاثة عناصر[4]: السَّبكُ الصَّوتيُّ، والسَّبكُ المعجميُّ، والسَّبكُ النَّحويُّ، والباحثُ يقبَلُ هذا التَّقسيم.

(١) ينظر: اجتهادات لغويَّة، تمَّام حسَّان: ٣٦٦.
(٢) ينظر: علم النصِّ رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ، حسام أحمد فرج: ٧١.
(٣) ينظر: علم لغة النصِّ بين النظريَّة والتطبيق: ١٠٤-١٠٥، وينظر: السبك في العربيَّة المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، د. محمَّدسالم أبو عفرة: ١٧١.
(٤) ينظر: علم النصِّ، رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ، حسام أحمد فرج: ٨٣.

المَبْحَثُ الثَّاني

الحَذْفُ فِيْ الْخطْبَةِ الْفَدَكِيَّةِ

إنَّ وجودَ بعض الظواهرِ النَّحويَّةِ والبلاغيَّةِ في النُّصوصِ يجعلُ منها نصوصًا حسنة الصِّياغةِ، وبليغة الأداءِ. كذلكَ اختفاء أجزاء مِنْ النَّصِ يزيدُ مِنْ جمالها ورونقها، ويغرسُ عنصرَ الجذبِ والتَّشويقِ لمعرفةِ المجهولِ؛ ليصبحَ الحذفُ في بعضِ الأحيانِ في النَّصِّ أبلغُ وأكملُ مِنْ الإضافةِ إليهِ؛ ولاسيما في الأحداثِ والقصصِ المطوَّلةِ التي تحتاجُ إلى سردٍ المفصَّلٍ، ولـمَّا كانت اللغةُ العربيَّة تميلُ إلى الاختصارِ، فإنَّ الحذفَ فيها تكمنُ فيهِ جُمَلًا ثانويَّةً يُمكِنُ الاستغناء عن حدثٍ ما في التعبير دون تغييرٍ في المعنى، لوجود ما يُغني عن وجودها، فلا بدَّ مِنْ دليلٍ مقاليٍّ أو مقاميٍّ يدلُ عليها عند حذفها.

ويعدُّ الحذفُ ظاهرةً لغويَّةً عامَّةً تشتركُ فيها اللغاتُ الإنسانيَّةُ، وأنَّ مِنْ الأهميَّةِ ما لا يُستغنى عنهُ في النُّصوصِ بأنواعها؛ وذلك لا يكونُ إلَّا إذا كانَ الباقي في بناءِ الجملةِ بعدَ الحذف مُغنيًا في الدَّلالةِ كافيًا في أداءِ المعنى، وقد يُحذفُ أحدُ العناصرَ المكوِّنةِ لهذا البناءِ، لوجود قرآئن معنويَّة أو مقاليَّة تدلُّ عليه، ويتحقَّقُ في حذفهِ معنى غير متحقِّقٍ في ذكرهِ[1]، فما ليسَ لهُ وظيفة رئيسيَّة في النَّصِ، ولا يُعَدُّ فرضًا تترتَّبُ عليهِ نتائج حتَّى نهاية النَّصِ، فإنَّهُ يُمكِنُ حذفهُ مِنْ النَّصِّ ببساطةٍ[2].

والحـذفُ هو أن تحـذفَ شيئًا مِـنْ الكلامِ، فالحذفُ في كـلامِ العربِ أسلوبٌ

(١) ينظر: بناء الجملة العربيَّة، محمَّد حماسة عبد اللطيف: ٢٥٩.

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النصِّ، د. صلاح فضل: ٢٣٨.

معهودٌ ومسلكٌ معروفٌ، يعمدُ إليهِ المتكلمُ، لتحقيق أغراضٍ بلاغيَّةٍ معيَّنةٍ تفيدُ في تقويةِ الكلامِ، وإخراجهِ على الأسلوبِ الأمثلِ، باعتبار ظاهرةُ الحذفِ مِنْ الظواهرِ الأسلوبيَّةِ الواضحةِ في التركيبِ اللغويّ التي يميلُ إليها المتكلِّمُ، للإيجازِ والاختصارِ، فيختزلُ أجزاءً مِنْ الكلامِ إذا وجد ما يدلُّ عليها مِنْ القرائنِ[1]؛ لأنَّ وراءَ الحذف أسرارًا ومزايا، ولا يدركُ هذهِ الأسرار والمزايا إلَّا الخبير بأساليبِ الكلامِ، والذي لهُ معرفة بطرائقِ القولِ، فالمتكلِّمُ يُسقطُ جزءًا مِنْ أجزاءِ الكلامِ، ولا يختلُ المعنى بهذا الإسقاط، بل يزيده حُسنًا وجمالًا ورونقًا، وتكثرُ فوائدهُ ومزاياهُ[2]، ومِنْ هذهِ الفوائد كأن يكونَ الحذفُ بقصدِ التَّفخيمِ والتَّعظيمِ أو زيادة في الكلامِ في ضوءِ استنباط الحرف المحذوف، أوطلبًا للإيجازِ والاختصارِ أو غير ذلك مِنْ الفوائدِ البلاغيَّةِ[3]، ولـمَّا كانت اللغةُ العربيَّة لغةَ الاختصارِ، فالمتكلِّمُ يحاولُ أن يُوصِلَ ما يريدهُ مِنْ أفكارهِ بأقلِّ ما يمكنُ من الكلماتِ شرطَ أن يكونَ هذا الاقتصاد في القولِ غيرَ مُخِلٍّ بالمعنى.

وَذَكَرَ ابن هشام الأنصاريّ الحذفَ باستفاضةٍ، إذ بدأ بشروطِ الحذفِ الثَّمانيةِ، وهي: الأوَّلُ: وجودُ دليل على المحذوفِ، الثاني: ألَّا يكونَ ما يُحذَفُ كالجزءِ الفاعل ونائبه وشبهه، الثالثُ: ألَّا يكونَ مُؤكدًا، الرابعُ: ألَّا يؤدي حذفهُ إلى اختصارِ المختصرِ، الخامسُ: ألَّا يكونَ عاملًا ضعيفًا، السادسُ: ألَّا يكونَ عُوضًا عن شيء، السابعُ والثَّامنُ: ألَّا يؤدي حذفهُ إلى تهيئةِ العامل وقطعه عنهُ.

ثمَّ تناولُ الحذفَ بكلِّ جوانبهِ وما يُحذفُ مِنْ الكلامِ، وتناولُ أيضًا أنَّ الحذفَ يتمُّ في الجملةِ الثَّانيةِ، ويدلُّ عليهِ دليلٌ في الجملةِ الأولى[4].

(١) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحويَّة، الدكتور كريم حسين ناصح: ٢٩٨.
(٢) ينظر: تجلِّيات التعبير اللغويّ في النصِّ القرآني، د. فاخر الياسريّ: ١١٤.
(٣) ينظر: ما وراء اللغة، عبد السلام المسدي: ٥٤-٥٥.
(٤) ينظر: مغني المبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريّ: ٢/ ٦٩٢-٧٤٧.

شُرُوْطُ الحَذْفِ: ويُمكِنُ إجمال شروطُ الحذفِ فيما يأتي[١]:

١. أمنُ اللبس على المستوى اللفظيّ والمعنويّ بعدَ عمليَّةِ الحذفِ؛ فلا تختلطُ المعاني ببعضها، أو تختلطُ الألفاظ؛ فيكونُ اللبس.

٢. ألَّا يؤدِّي الحذفُ إلى غموضٍ في تحديدِ المعنى المُراد، وإذا حدثَ الغموض فلا حذف.

٣. ألَّا يكونَ المحذف مُؤكَّدًا؛ فلا يجوزُ توكيد الشيء المحذوفِ.

٤. ألَّا يؤدِّي الحذف إلى ثقلٍ آخر أشدُّ على الجهازِ النُّطقي مِنْ الثقلِ الأوَّلِ، كأن يؤدِّي حذف التنوين مثلًا إلى إلتقاءِ ساكنَينِ.

وممَّا تقدَّم أصبحَ مِنْ الضروريّ تقدير المحذوف؛ حتَّى لا يُؤخذُ الكلامُ بحسب مقتضى الظاهر، أي ما يقومُ بهِ الحذفُ مِنْ دورٍ في تنشيط خيال المتلقِّي وإثراء دلالات النَّصِّ، للوصولِ إلى المعنى في ضوءِ المعرفة المسبقة للقارئ، ووجود قرآئن تدلُّ على المحذوفِ، وتساعدُ القارئَ على ملءِ الفجوات في النَّصِ[٢].

أنواع الحذف: يقع الحذف عند هاليداي ورقيَّة حسن تحت ثلاثة أنواع[٣]:

١. الحذف الاسميّ (Nominal Ellipsis).

٢. الحذف الفعليّ (Verbal Ellipsis).

٣. الحذف الجمليّ (Clausal Ellipsis).

١. **الحذف الاسميّ (Nominal Ellipsis)**: ويعني حذف اسم داخل المركَّب الاسميّ، ويقرِّرُ الباحثان هاليداي ورقيَّة حسن؛ أنَّ الحذفَ الاسميّ لا يقعُ إلَّا في الأسماءِ[٤]، وحذفُ الاسم ورد في مواضعٍ متعدِّدةٍ في خطبة السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام،

(١) ينظر: ظاهرة التخفيف في النحو العربيّ، أحمد عفيفي: ٢٧٦-٢٧٩.

(٢) ينظر: علم لغة النصِّ، النظريَّة والتطبيق، د. عزَّة شبل محمَّد: ١٧٥.

(٣) ينظر: م.ن: ١١٨.

(٤) ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، د.محمَّد خطابي: ٢٢.

ومِنْ نماذجهِ ما وَرَدَ في خطبتها عليها السلام: «**اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلَّا تَثْبيتًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهًا عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ**»[1]. مِنْ المُلاحظِ في هذا النصِّ الشرَّيفِ أَنَّ السَّيدةَ الزَّهراءِ عليها السلام لم تذكر الفاعل في كلِّ هذهِ الجُملِ؛ لأَنَّهُ معلوم ولا توجد حاجة إلى ذكرهِ وهو (لفظ الجلالة الله)، فهو عزّ وجلّ الذي يُكوِّنُ الأشياءَ بقدرتهِ، وهو الذي يضعُ العقابَ والحسابَ، ويبتدعُ الأشياءَ مِنْ العدمِ لا مِنْ شيءٍ كانِ قبلها، فضلًا عن أنَّ تكرارَ الاسمِ يؤدي إلى المللِ لدى السَّامعِ، ناهيك عن موقف الخطبةِ الذي لا يسمحُ بهذا التِّكرارِ إذ أرادتْ عليها السلام أن تحملَ أكبرَ قدرٍ من المعاني التي أفصحت عنها، وإنَّ هذا الإيجار لم يكن الغايةَ الوحيدة للحذفِ، فثمَّة معانٍ أخرى حقَّقها الحذف غير الإيجاز، كتسهيلِ الحفظِ، وتقريبِ الفهمِ، ولعلَّ الحذف في هذا المقطع واقع عن قصدٍ مِنْ قبل السَّيدة الزَّهراء عليها السلام، أي لعلها عليها السلام تعمَّدتْ عدم الإفصاح عن المحذوفِ؛ لأنَّ في ذِكرهِ معنى غير الذي يكون في حذفهِ[2].

وبذلك يُسهِمُ الحذفُ في التَّماسكِ النَّصيّ على المستوى السطحيّ والدَّلاليّ[3].

وتقولُ السَّيدةُ الزَّهراء عليها السلام في نصٍّ آخرٍ: «**أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ**»[4]. أنَّ (عِبادَ) منادى مضاف حُذف منهُ حرف النِّداء، وعندما حُذفَ حرف

(١) الاحتجاج، الشيخ أبو منصور الطبرسيّ: ١/ ١١٣.
(٢) ينظر: البنى التركيبيَّة في خطبة الزَّهراء عليها السلام، أ.م.د. حيدر عبد الزهرة و أ.م.د. محمَّد قاسم لعيبي: ١٩١.
(٣) ينظر: علم اللغة النصِّيّ بين النظريَّة والتطبيق: ٢/ ٢٠٧.
(٤) الاحتجاج: ١/ ١١٣.

النِّداء حقق إيجازًا في القولِ، إذ إنَّ مِنْ دواعي الحذف هو الإسراعُ والعجلةُ حتَّى يفرغُ المتكلمُ مِنْ كلامهِ بأقلِ وقتٍ ممكنٍ، أو يُرادُ بهِ الإيجازُ إذ كانَ المقامُ يقتضي ذلكَ[1]، فحذفُ حرفُ النِّداءِ إشارةٌ إلى الحرصِ على التنبيهِ، فإنَّ المطلبَ الذي أُلقي إليهم أمر خطير لا بُدَّ أنَّ يُنبه المخاطب عليهِ، لئلا يذهبُ عليهِ ويفوتَ عنهُ من جهةِ الاشتباهِ والغفلةِ هذا مِنْ جهةٍ، ومِنْ جهةٍ أخرى حذف حرف النِّداءِ تنبيهًا على أنَّ المطلبَ مهمٌّ فيلاحظُ حتَّى لا يفوت بطولِ النِّداءِ، وهذهِ النُّكتة اعتبرت في لفظِ (عباد الله) بخصوصهِ غالبًا في الخُطبِ الواردةِ عن الأئمَّةِ الطاهرةِ (عليهم جميعًا سلامُ الله)[2].

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ: «**أَيُّها النَّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ** صلى الله عليه وآله»[3]. إنَّ (أيُّها) منادى حُذِفَ منهُ حرف النِّداءِ؛ وذلكَ بسبب كثرة الأستعمال، وقد حقَّقَ هذا الحذفُ إيجازًا في القولِ، فإذا أُريدَ المبالغةُ في التَّنبهِ ذُكر حرف النِّداءِ فيقالُ: يا أيُّها النَّاسُ، وإذا أُريدَ الإشارة إلى الاستعجالِ وضيقُ المجال ولو مِنْ حيث الإبهام إلى ضيقهِ مِنْ حيث الإهتمام لذكرِ المطلوب الأهم حُذِفَ حرفُ النِّداءِ، إذ إنَّ مِنْ دواعي حذف حرف النِّداء الإسراعُ والعجلةُ بقصدِ الفراغِ مِنْ الكلامِ بسرعةٍ، أو للإيجازِ إذا كانَ المقامُ مقام إيجاز واختصار[4]، وأصل المنادى في هذا المقطع واقعًا هو (النَّاس)، وظاهرًا هو أيُّـها، والناس بدل أو صفة أو عطف بيان، فإنَّ تعليل حذف حرف النِّداء، لغرض الإيجاز والاقتصاد أمر دقيق وليس عليه غبار، إلَّا أنَّ الزمخشريّ يرى أنَّ الحذفَ لهُ نكتةً أخرى، وهي تقريبُ المنادى مِنْ المتكلِّمِ، وتلطيفٌ لمحلِّه عنده[5].

(١) ينظر: نظريَّة علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٩٠.
(٢) ينظر: اللمعة البيضاء، محمَّد عليّ بن أحمد القراچه داغي التبريزيّ الأنصاريّ: ٤٩٧.
(٣) الاحتجاج: ١/ ٩٩.
(٤) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرَّائيّ: ٤/ ٢١٨.
(٥) ينظر: اللمعة البيضاء: ٥٨٦، والكشَّاف، الزمخشريّ: ٢/ ٣١٥.

وتقول عليها السلام في نصٍّ آخرٍ من خطبتها الذي اقتبستهُ مِنْ القرآنِ الكريمِ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]، «أي منصوب على أنَّهُ صفة مصدر محذوف، والعاملُ فيهِ ينقلبونَ؛ لأنَّ ما قبل الاستفهام لا يعملُ فيهِ، وإنَّما يعملُ فيهِ ما بعده، التقدير سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلابًا أيّ انقلاب؟»[2].

٢. الحذف الفعليّ (Verbal Ellipsis): وهو حذفُ عنصر فعليّ مِنْ التَّركيبِ[3]. وحذفُ الفعلِ مِنْ السِّياقِ وَرَدَ في خطبةِ السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام كَمَا في قولها: «**وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ**»[4].

جاءَ الفعلُ الماضي (أرى) محذوفًا، وقد دلَّتْ عليه قرينةُ الحالِ، هي الجملة التي سبقتها إذ تقولُ عليها السلام فيها: «**أَلا قَدْ أرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ**»[5]، فحُذِفَ الفعلُ (أرى)؛ لوجودهِ في الجملةِ الأولى، وتقديرُ الجملةِ الثَّانية: «**أرى أَنْ أَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ**»، فـ«مِنْ عادةِ العربِ الإيجازُ والاختصارُ، والحذفُ طلبًا لتقصيرِ الكلامِ واطِّراحِ فضولهِ، والاستغناءُ بقليلهِ عن كثيرهِ، ويُعَدُّ ذلكَ فصاحةً وبلاغةً[6]، وتقديرُهُ مؤخرًا أولى؛ لأنَّ المتكلِّمَ، أعني السَّيدة الزَّهراء عليها السلام، عالمٌ بما تؤولُ إليهِ الأمورُ، وأنَّ الاهتمامَ منصبٌّ على الغايةِ الحقيقيَّةِ، وهي الاحتجاجُ على أبعادِ مَنْ هو أحقُّ بخلافةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وآله، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام كانتْ متوقِّعة منهم المَلَل والركون إلى الراحةِ والخمولِ، وإبعاد صاحب الحقِّ عن حَقِّهِ، مع علمهم بأنَّهُ أحقُّ مِمَّنْ سواه؛ لأنَّهُ الأفضلَ والأقدرَ والأجدرَ والأكملَ في كُلِّ وجهٍ مِنْ وجوهِ

(١) سورة الشعراء ٢٢٧، الاحتجاج: ١/ ١٠٣.
(٢) شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام: ٣٩٧.
(٣) ينظر: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢.
(٤) الاحتجاج: ١/ ١٠٤.
(٥) م.ن: ١/ ١٠٤.
(٦) أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم: ٢/ ٢٦٥.

القيادةِ والزَّعامةِ[1].

وقد ساعدَ الحذفُ على حفظِ المعنى مستمرًّا، ومتواصلًا في ذاكرةِ المتلقِّي؛ دونَ الحاجة إلى تكرارِ الفعلِ[2]؛ وتظهرُ ملائمةُ الحذفِ، لتعيين مدى إسهامهِ في سبكِ النَّصِ دُونَ إلحاق العُسْرِ بعنصرِ الفهمِ، ويمكنُ إدراج أغراضُ الحذفِ القائمة على مفهوم القصدية مِنْ قبيلِ التَّعظيمِ والاهتمامِ، وهذا ما يشيرُ إليهِ السياقُ[3].

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ من خطبتها: «**لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقِيلًا، وَغِبَّهُ وَبِيلًا إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ**»[4].

حُذِفَ الفعلُ (لَتَجِدَنَّ) المقترن بلامِ الأمرِ مِنْ الجملةِ الثَّانيةِ (غِبَّهُ وَبيلًا)؛ لوجودهِ في الجملةِ الأولى، وتقديرُ الجملةِ الثَّانية: (لَتَجِدَنَّ غِبَّهُ وَبيلًا)، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام عندما حذفتْ الفعلَ (لَتَجِدَنَّ) مِنْ الجملةِ الثَّانيةِ حتَّى تكثِّف الكلام وتختصره؛ لأنَّ اختصارَ الكلامِ مِنْ سُننِ العربِ، كما ألمعتُ سابقًا، فضلًا عن أنَّ خطابها عليها السلام في هذا المقطع الشَّريفِ فيهِ تهديدٌ ووعيدٌ إنذارٌ مِنْ عاقبةِ ما فعلوهُ، فهم الآنَ يستسهلونَ الموقفَ، ولا يجدونَ فيهِ أي محذورٍ، بينما آثارهُ وخيمة، ونتائجه وبيلة في الدنيا وثقيلة في الآخرةِ، لا يشعرونَ بنتائجهِ الآن وإنَّما إذا ظهرتْ النتائجُ، وعندها ينكشفُ الغطاءُ، فيرى الإنسانُ هناكَ ما لم يره هنا[5].

وفي ضوءِ ما تقدَّم نجدُ أنَّ حذفَ الفعل ساهمَ في سبكِ النَّصِ، وربطِ أجزائِهِ سطحيًّا ودلاليًّا؛ محقِّقًا بذلكَ تماسكًا نصيًّا، وأدَّى إلى خلقِ جانبٍ موسيقيٍّ في ضوءِ

(١) ينظر: إشراقات فكريَّة من أنوار الخطبة الفدكيَّة، الشيخ حبيب الهديبيّ: ٢/ ١٣٨.
(٢) ينظر: لسانيَّات النصِّ، النظرية والتطبيق، مقامات الهمذانّي أنموذجًا، ليندة قياس، تقديم: د. عبد الوهاب شعلان: ١٢١.
(٣) ينظر: نظريَّة علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٨٩.
(٤) الاحتجاج: ١/ ١٠٦.
(٥) ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: ٢٩٨.

السَّجعِ والتوازي الذي يرسمُ بدورهِ صورةً مؤثِّرَةً في المتلقّي، ممَّا يدفعهُ إلى الاستمتاعِ باستمرارِ القراءةِ والإصغاءِ دونَ عناءٍ ومللٍ.

٣. الحذف الجمليّ (Clausal Ellipsis): هو حذفُ جملة اسميَّة، أو جملة فعليَّة، أو شبه جملة مِنْ النَّصِ.

تقولُ السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام في خطبةِ التي تُبينُ فيها عظم مصيبةُ فقدُ الأمَّةِ لنبيها صلى الله عليه وآله: «**فَتِلْكِ وَاللهِ النَّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى**»(١)، حُذِفَتْ الجملةُ الاسميَّةُ مِنْ الجملةِ، إذ تقدَّمَ ما يدُلُّ عليها، والتَّقديرُ: (مَوتُ مُحَمَّدٌ وَاللهِ النَّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى)، فالزَّهراءُ عليها السلام تُخبرُ القومَ بمأساةِ الأمَّةِ، وتذكِّرهم بعظمِ المصيبةِ التي حلَّت بهم، وهي مصيبةُ وفاة العظماءِ، فوفاتهم تكونُ عظيمةً، فَكُلَّمَا كانتْ عظمةُ المتوفَّى أعظم وأكثر، كانت مصيبةُ وفاتهِ أفجع وأعظم، إذ كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أعظم، وأشرف، وأكمل، وأحسن مخلوقٍ، وأطهرُ كائنٍ عرفتهُ الإنسانيَّة، فَمِنْ الطبيعيّ أن تكونُ وفاتهِ صلى الله عليه وآله نازلةٌ كبرى، ومصيبةٌ عظمى، فلا توجدُ في العالمِ مصيبة أكبرُ وأعظمُ وأفجعُ مِنْ مصيبةِ وفاة الرَّسولِ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّهُ لا يوجدُ في الكونِ مخلوقٍ كرسولِ الله صلى الله عليه وآله، فحتمًا تكون مِنْ أشدُّ المآسي على السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام، وأهلُ بيتِ الرَّسول صلى الله عليه وآله، فالحذفُ يُعطي مثالًا واضحًا على الموازنةِ بين (الإيجازِ والوضوحِ)، فعدمُ الحذفِ يتعارضُ ومبدأُ الاقتصاد اللغويّ الذي تتَّسمُ بهِ النُّصوصُ البليغةُ، كما يصيبُ القارئ بالملل مِنْ كثرةِ التّكرارِ(٢).

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ من خطبتها: «**فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدِّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ**»(٣) حُذِفَ الفعلُ

(١) الاحتجاج: ١/ ١٠٣.
(٢) ينظر: نظرية علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٨٩.
(٣) الاحتجاج: ١/ ٩٩.

والفاعلُ(جَعَلَ اللهُ) من الجملةِ الثَّانيةِ، والثَّالثةِ، والرَّابعةِ، والخامسةِ، لوجودهِ في الجملةِ الأولى، فالحذفُ خَلَقَ إيقاعًا في الكلامِ، ويأتي هذا الإيقاعُ أحيانًا مِنْ تسجيعِ الفقراتِ بالحذفِ؛ لإيناسُ أذُنُ المتلقِّيّ[1]، وَيخَلِقُ الحذفُ المستمرَ حافزًا ودفعًا للقارئِ إلى إعمالِ عقلهِ؛ لاكتشافِ الجملِ المحذوفةِ، وسدِّ الفجوات لاستكمالِ عناصر النَّصِّ الغائبةِ والوصول إلى درجةِ الفهمِ القصوى[2]، وبذلكَ يتحققُ التَّماسكُ النَّصيُّ؛ لمعاملةِ المحذوفِ مِنْ ناحيةِ الدَّلالةِ معاملة المذكور[3].

وممَّا سبقَ تتَّضحُ أهميَّةُ وجود دليلٍ على المحذوفِ، ووجود هذا الدليل على مستوى أكثر مِنْ جملةٍ؛ فاذا كانَ المحذوفُ في جملةٍ، وكان الدَّالُ عليهِ مذكورًا في جملةٍ أخرى، بشرطِ أنْ تُتحققَ المرجعيَّةُ بين المذكورِ والمحذوفِ في أكثرِ من جملةٍ، فإنَّ هذا يُسْهِمُ في تحقيقِ السَّبكِ النَّصيِّ بين الجملتَينِ، خاصَّةً إذا كانَ المحذوفُ مِنْ لفظِ المذكورِ، أو مرادفهِ[4].

ونسوقُ مثالًا آخرًا على حذفِ شبهِ الجملةِ متمثِّلًا في قولهاعليها السلام: «**عِلْمًا مِنَ الله تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ المَقْدُورِ**»[5]، حُذِفَ شبه الجملة (مِنَ الله) مِنْ الجملةِ الثَّانيةِ، والثَّالثةِ، لوجودهِ في الجملةِ الأولى، أي إنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى اختار النَّبيَّ الأعظم مُحَمَّدٍصلى الله عليه وآله، واصطفاهُ واجتباهُ قبلَ خلقَ المخلوقاتِ، أي إنَّ المخلوقات لازالتْ في غيبِ العدمِ مستورة ومحجوبة بأهاويلِ ظلمتهِ، فالغيبُ هو مِنْ معاني النَّسبة قد يكونُ هناكَ غيبٍ لجاهلٍ، ولكن تقابله مشاهدة

(١) ينظر: خطب سيِّدات البيت العلويّ (عليهنَّ السَّلام)، دراسة في ضوء نحو النصِّ، الطالب مطلق رزيج عطشان، رسالة ماجستير: ٤٤.
(٢) ينظر: نظريَّة علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٩٢.
(٣) ينظر: علم لغة النصِّ، النظريَّة والتطبيق: ١١٦.
(٤) ينظر: علم اللغة النصيِّ بين النظريَّة والتطبيق: ٢/ ٢٠٨.
(٥) الاحتجاج: ١/ ١٠١.

لعالمٍ، فإنَّ البرزخَ والأخرةَ مِنْ عالمِ الغيبِ، فهو تعالى عالمُ الغيبِ والشهادةِ، العزيز الحكيم[1]، وبذلكَ يتَّضحُ مستوى السَّبك النَّصيِّ الذي خلقهُ هذا النَّوع مِنْ الحذفِ.

(١) ينظر: شرح خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١٤٨.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

المَعَانِيّ التي يُحَقِّقهَا الرَّبْطُ في الْخطْبَةِ الْفَدَكِيَّةِ

يُعَدُّ الرَّبطُ إحدى الوسائل الأساسيَّة في السَّبكِ النحويّ، ويتحقَّقُ ذلكَ باستعمالِ بعضَ الكلماتِ والعباراتِ للربطِ بينَ الأجزاءِ المختلفةِ في النَّصِ، ويُطلقُ على مثلِ هذهِ الكلماتِ والعباراتِ: الروابطُ (أدوات ربط)، ومعَ تلكَ الأدواتِ يكونُ الرَّبطُ بينَ جُزْءَي النَّص ربطًا معنويًا[1]، وتختلفُ طبيعةُ الرَّبط بالأداةِ عن علاقاتِ الرَّبط الأخرى مثل (الإحالة والحذف)، فهي ليست علاقةٌ إحاليَّةٌ[2]، وإنَّما تُعَبِّرُ عن معانٍ معيَّنةٍ تفترضُ وجودَ مكوِّناتٍ أخرى، ومع أدوات الربط ننتقل داخل أنواع مختلفة من العلاقات الدلاليَّة[3]، فالروابطُ تلعبُ دورًا وظيفيًّا بوصفها وحداتٍ وظيفيَّةً لها دورٌ في تكوينِ النَّصِ كوحدةٍ دلاليَّةٍ، فضلًا عن كونها روابط بينَ الجملِ[4]، وللروابطِ أهميَّةٌ في إبرازِ العلاقاتِ النَّحويَّة السِّياقيَّة، ومعَ هذا فإنَّ الرَّابطَ يحتلُ المكانَ الأوسطِ بينَ علاقَتينِ على طرفي نقيض، هما الارتباط والانفصال، وهو بهذا يؤدِّي وظيفتَهُ التَّركيبيَّة المهمَّة في بناءِ الجملةِ والنَّصِّ[5]، وأدواتهُ على أنواعٍ حسبَ العلاقةُ القائمةُ بينَ الجملِ، وبها تتماسكُ الجملُ، وتُبينُ مفاصلُ النَّظامَ الذي يقومُ

(١) ينظر: علم لغة النصِّ، النظريَّة والتطبيق: ١١٠.
(٢) ينظر: نظريَّة علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٩٤.
(٣) ينظر: علم لغة النصِّ، النظريَّة والتطبيق: ١١٠.
(٤) ينظر: نظريَّة علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٨٢.
(٥) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيَّة، د. مصطفى حميدة: ١٠٨.

عليهِ النَّصُ[1].

وقد حددَ هاليداي ورقيَّة حسن؛ أربعةَ معانٍ تُحقِّقها هذهِ الأدواتِ[2]:

١. الرَّبطُ الإضافيّ.

٢. الرَّبطُ الزَّمنيّ.

٣. الرَّبطُ السَّببيّ.

٤. الرَّبطُ الشَّرطيّ.

١. **الرَّبطُ الإضافي**: هو الرَّبطُ الذي يقومُ على الجمعِ بينَ الجملِ اللاحقةِ عبرَ إضافة معنىً جديدٍ للجملِ السَّابقةِ[3]، وفي ضوءِ أدواتٍ منها (الواو، الفاء، أو)، ويسهمُ الرَّبطُ الإضافي في ربطِ أجزاءِ النَّصِّ في خطبةِ السَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام، وَمِنْ ذلكَ قولها: «**أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ؟ فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضيعَ الحَرِيمُ، وَاُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى**»[4]، فقد تَمَّ الربطُ في ضوءِ الأداة (الواو) في البنيةِ السَّطحيَّة، وهو رابطٌ بينَ المحمولاتِ حافظٌ للرتبةِ[5]، فضلًا عن الرَّبطِ الدَّلالي بجعلِهِ النَّصَّ متماسكًا، فالأداةُ (الواو)، قامتْ بالرَّبطِ بينَ الجملِ في هذا المقطعِ مِنْ الخطبةِ الشَّريفةِ، فضلًا عن قيامها بترتيبِ الجملِ بالشَّكلِ الذي يضمنُ تقويةَ النَّتيجةِ المطروحةِ ودعمها، وهي ماتُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، (فَخَطْبٌ جَليلٌ) عملَ على حصولِ التَّرادفية في النَّتيجةِ الواحدةِ، وقد أضفتْ هذهِ الأداةُ تدرُّجًا

(١) ينظر: نسيج النصِّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد: ٣٧.

(٢) ينظر: الاتِّساق والانسجام في القرآن، الطالب مفتاح بن عروس، أطروحة (دكتوراه) في لسانيَّات النصِّ، كليَّة الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨: ١٨٨.

(٣) ينظر: نسيج النصِّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد: ٣٧.

(٤) الاحتجاج: ١/ ١٠٣.

(٥) ينظر: علم لغة النصِّ، المفاهيم والاتِّجاهات، د. سعيد حسن بحيري: ٢٢٥.

في ترتيبِ الجملِ وعرضها بصورةٍ مُرتَّبةٍ ومتدرِّجةٍ؛ لتعطي نتيجةً واحدةً، وهي موتُ الحبيبُ المصطفى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وهذا يؤدِّي إلى أمرٍ عظيمٍ شديدٍ؛ لأنَّ موتَ العظماءِ عظيمٌ، وفي ضوءِ هذا الرَّبطِ تكونُ الوحدةَ دلاليَّة متوازنة، ومجموع العناصر التي يُعطَفُ بعضُها على بعضِها الآخَر تأخذُ دورَ العنصرِ الواحدِ مِنْ ناحيةِ البنيةِ، وبهذا يمكنُ أَنْ تتمَّ عمليَّة التعميم دونَ أن يتغيَّرَ مِنْ البنيةِ شيءٌ[1].

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ مِنْ خطبتها: «**كِتابُ الله النَّاطِقُ، والقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللَّامِعُ.. وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ، فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق..**»[2]، فقد ربطتْ الأداةُ (الفاء) الجملةَ (جَعَلَ اللهُ...) بالجملةِ التي قبلها مِنْ دونِ مهلةٍ أو تراخٍ، لأنَّها تفيدُ دلالةَ التَّرتيبِ والتَّعقيبِ دونَ إهمالٍ أو تراخٍ[3]، إذ أفادتْ التعقيبَ مباشرةً خلافًا لما تفيدهُ أداة الرَّبطِ (ثُمَّ) التي تفيدُ الترتيبَ معَ التَّراخي في الزَّمنِ[4]، وهي تختلفُ عن(ثمَّ)، فالمهلةُ هنا أطول وفيها تراخٍ، فَرُبِطَ ما قبلها عِلةً وسببًا لِـمَا بعدها.

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ مِنْ خطبتها: «**فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[5]، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ**»[6]، ففيهِ وردتْ

(١) ينظر: الاتِّساق والانسجام في القرآن: ١٨٧.
(٢) الاحتجاج: ١/ ٩٩.
(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم: ٦١.
(٤) ينظر:شرح ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ المصريّ: ٣/ ١٠٦.
(٥) سورة المائدة: ٦٤.
(٦) الاحتجاج: ١/ ١٠٠.

الأداةُ (أو)، وهي أحدُ الأدوات التي تفيدُ التَّشريكُ في اللفظِ والمعنى مقيَّد، «ويربطُ التَّخييرُ صورَتينِ أو أكثر مِنْ المعلوماتِ على سبيلِ الاختيارِ، إذ تكونان متَّحدَتينِ مِنْ حيث البيئة، أو متشابهتَينِ إذا كانت المحتويات جميعًا عن مطلقِ الجمعِ صادقة في عالمِ النَّصِّ، فإنَّ الصِّدقَ لا يتناولُ إلَّا محتوى واحدًا في حالةِ التَّخييرِ»[1]، فضلًا عن أنَّها تفيدُ التَّشريكُ بالحكمِ واللفظِ ولهُ مجموعةُ معانٍ منها: التَّخيِّرُ، والإباحةُ، والفرقُ بينَ التَّخيِّرِ والإباحةِ، بيدَ أنَّ الإباحةَ لا تمنعُ الجميع، والتَّخيِّرُ يمنعهُ، ويفيدُ التَّقسيمُ، والإلهام، والشَّكِّ، وغيرها[2]، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام في هذا المقطع تريدُ بيانَ أمرٍ انفردَ بهِ الإمامُ عليّ عليه السلام، وهو تصدِّيهِ لأعداءِ الإسلامِ، أي إنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وآله كانَ يأمرُ عليًّا عليه السلام أن يردَّ عنه كتائب المشركينَ، وعصابات المنافقينَ فكانَ عليٌّ عليه السلام يخاطرُ بحياتهِ، ويغامرُ بنفسهِ، إذ كانَ يُقاتلُ الذئابَ المفترسةَ وحدهُ، ويغامرُ في الحربِ، ويمكنُ القول «**قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها**»: في فمِ الموتِ بينَ أنياب السِّباع تحت سيوف الأعداء، والرِّماح الشَّارعة والسِّهام الجارحة، فلا يرجعُ عليه السلام من ساحاتِ القتالِ حتَّى يسحقُ روؤسَ الأعداءِ، ويدوسُ هاماتِ الرُّوؤسِ بباطنِ قدمهِ، وهكذا كلَّ مَنْ يُريدُ بالإسلامِ سوءًا يجدُ سيفَ علي بن أبي طالب عليه السلام بالمرصادِ، ليجذه ويقطعهُ مِنْ أصلهِ، فدَّلتْ (أو) على تعدد الصور التي يظهر فيها أعداد الإسلام، فهي مُخيَّرة بأي مظهر تظهرُ، ولأيِّ قناع تلبسُ، إلَّا أنَّها معَ ذلكَ يصيبها الخزي والذُّل بسيفِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام، وفي ضوءِ هذا الرَّبط بأداة الرَّبطِ (أو) ظهر لنا الدور الريادي الذي يحملهُ الإمام عليه السلام في جميعِ الغزواتِ التي قامَ بها المسلمونَ.

٢. **الرَّبطُ الزَّمنيّ**: وهو الرَّبطُ بينَ أجزاءِ النَّصوص المتعدِّدة بعلاقةٍ بينَ جملتينِ متتابعتينِ زمنيًا، أبسطَ تعبيرٌ يمثلها في اللغةِ الإنكليزيَّةِ (Then)، وفي اللغةِ العربيةِ تمثلها أدوات منها: (ثُمَّ، بعد)، وَمِنْ أمثلةِ الرَّبطِ الزَّمنيّ في الخطبةِ الفدكيَّةِ: «**اِبْتَدَعَ**

(١) النصُّ والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١٠٥.

الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ.. وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإِعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيتَهِ»(١).

إِنَّ الجملَ التي ساقتها السَّيدة الزَّهراء عليها السلام في هذا المقطعِ متتاليةٌ ومُرتَّبةٌ تتَّسقُ وتنسجمُ معَ ما ينبغي أن يكونَ عليهِ العبدُ في اللقاءِ الأخروي، وحقيقةُ (ثمَّ) هنا دالَّة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه،إذ إنَّها تفيدُ الترتيبَ معَ التراخي في الزَّمنِ(٢)، وهذهِ المهلةُ مرتبطةٌ بالزَّمنِ الحقيقيّ الفعلّي مقترنًا بزمنٍ نفسي مفعم بالأحاسيسِ التي تُركزُ على الوعدِ والبشارةِ بالجنّةِ والجزاءِ الأخروي

وفي ضوءِ ما تقدم تبيَّنَ أنَّ الرَّبطَ بـ(ثُمَّ) يتخللهُ مهلةٌ فيكونُ ما بعدها متأخِّرًا عمَّا قبلها بفترةٍ زمنيَّةٍ، وبذلكَ فقد حقَّقتْ تلكَ الأداةُ الرَّبطَ السَّطحيّ والرَّبط الدَّلاليّ بوصفها المراحل التي يُكوّنُ اللهُ الأشياءَ فيها بقدرتهِ، والتي يضعُ العقابَ والحسابَ، ويبتدعُ الأشياءَ مِنْ العدمِ لا مِنْ شيءٍ كانِ قبلها بقدرتهِ، وبهذا أسهمتْ تلكَ الأداةُ (ثُمَّ) في نسجِ الخيوطِ التي يتوصلُ بها الفكرُ إلى تنظيمِ العناصرِ المكوِّنةِ لهذه الخطبةِ، مع إعطاءِ معانٍ لإدراكِ الغرض منهُ.

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ مِنْ خطبتها: «**فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللُّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ**»(٣). (بعد) ظرفُ زمانٍ؛ فالأداةُ ربطتْ الجملَ المتفاوتة زمنيًا، وكذا تربط (بعد) بذاتِ الرَّسول صلى الله عليه وآله؛ لأنَّهُ المنقذُ الأعظمُ، والمصلحُ الأكبرُ الذي أنقذَ العبادَ مِنْ تلكَ الحياة التي كانت تشبه الجحيم، وأصلحَ البلادَ مِنْ تلكَ المفاسدِ والويلاتِ والمصائبِ، فضلًا عن إنَّهُ صلى الله عليه وآله أحدثَ انقلابًا في العقائدِ والنُّفوسِ والأخلاقِ والعاداتِ، ولم تتحقَّق أهدافهُ إلَّا بعدَ

(١) الاحتجاج: ١/ ٩٨.
(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١٠٦.
(٣) الاحتجاج: ١/ ١٠٠.

شقِّ الأنفس، بعدَ أن تحمَّلَ المشاكلَ وأنواع الأذى، بعدَ الكبت والضَّغط والإضطهاد، وهنا جاءَ التعبيرُ دقيقًا مِنْ السَّيدةِ فاطمة عليها السلام، فجعلتْ الجملَ المتوالية مترابطةً ومتماسكةً.

٣. **الرَّبطُ السَّببيّ**: وهي العلاقةُ التي تتمُّ بأدواتٍ تربطُ بينَ عنصرَينِ يعتمدُ أحدهما على وجودِ الآخرِ. وتمثِّلُ تلكَ الأدواتُ أنواع عدَّة، كالسَّببِ والنَّتيجةِ[١]، وَمِنْ تلكَ الأدوات: (حتَّى، بل، أم). تقولُ السَّيدةُ الزَّهراء عليها السلام في خطبتها: «**حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنَّى حُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإيمانِ**»[٢]، فالسَّيدة الزَّهراء عليها السلام هنا تخاطب الأنصار، وهي تُوازِنُ بينَ نسقينِ لهما يُمثِّلانِ واقعَينِ متغايرَينِ، الأوَّلُ: يُمثِّلُ بداية الدَّعوة الإسلاميَّة، والسعي لتثبيت أركان الدين، وكانوا فيها مطيعينَ للرسولِ صلى الله عليه وآله، والثَّاني: بعد الإستقرار الدِّيني، فالسَّيدةُ الزَّهراء عليها السلام تُوردُ مجموعةً مِنْ الجملِ قبلَ أداة الرَّبط (حتَّى) ؛ لكي تُعطي نتيجةً متوقَّعةً وهي تثبيتُ عُرى الدِّين التي اتَّضحت في مجموعةٍ مِنْ الجملِ بعدَ أداة الرَّبط (حتَّى)، وما قبل أداة الرَّبط وبعده يخدمان نتيجةً واحدةً، وهي نكوصُ الأنصارِ وخذلانهم للسيِّدةِ الزَّهراءِ عليها السلام.

وفي ضوءِ ما تقدَّم نجدُ حضور الأداة (حتَّى) الدَّالة على التعليلِ، وعطفها اللاحق مِنْ الجملِ على السَّابقِ كانَ لهُ دورٌ في تماسكِ النَّصِّ.

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ مِنْ خطبتها: «**سُبْحانَ الله! ما كانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله عَنْ كِتابِ الله صادِفًا، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفًا، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ**

(١) ينظر: نظريَّة علم النصِّ- رؤية منهجيَّة في بناء النصِّ النثريّ: ٩٥.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٠٣.

اْعتِلالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ»[1]، ففي هذا المقطعِ وَرَدَ موضع لعنصِر الرَّبطِ (بل) الذي يدلُّ على الإضرابِ وتشريك المعطوف مع المعطوفِ عليهِ لفظًا لا معنًى[2]، وهذا المعنى يتناسبُ مع ما تريدهُ السَّيدة الزَّهراء عليها السلام، إذ هي في معرضِ ردِّ القوم الذينَ ادَّعوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله لا يورثُ ابنتهُ فاطمة عليها السلام، وما تركهُ صدقةً، فكأنَّها تقولُ: أمَّا استفهامًا أو استعظامًا مِنْ الكلماتِ التي سبقت هذا المقطع التي تكلِّمُ بها الحاكمَ، فتقولُ عليها السلام: أبي لم يكن مُعرِضًا أو مجافيًا لكتابِ الله وشرائعهِ وأحكامهِ، وحاشاهُ، كي يأتيَ بما يخالفُ صريحَ نصِّ القرآن فـ(نحن معاشر الأنبياء لا نُوَّرث)، هذا يخالفُ كتابَ الله وينافيه في مواضع عدَّةٌ مِنْ آياتهِ، كقولهِ تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ**﴾[3]، وأيضًا كقولهِ تعالى: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾[4]، وغيرها من آياتِ الميراثِ للأنبياءِ التي تدلُّ على أنَّهم يُورَّثونَ ويَرِثونَ، أو الآياتِ التي تعمِّم توريث الأب للابنِ، فعندها كيفَ يخالفُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله آيات الله وأحكامه؟ أليس هو الذي بُعثُ هاديًا وبشيرًا وسراجًا منيرًا؟ فأبي صلى الله عليه وآله كانَ يسير على النَّهجِ الذي رسمهُ الله لهُ، بل هو أحرصُ الكائنات والمخلوقات على تطبيق آيات القرآن، واقتفاء أثرها قولًا وفعلًا، فأداةُ الرَّبطِ (بل) أكدَّت على إبطالِ دلالة الجملة المعطوف عليها بما تفيده أداة الوصل من معنى الإضرابِ عن المدلولِ السَّابق وإثبات اللاحق.

وتقولُ عليها السلام في نصٍّ آخرٍ مِنْ خطبتها: «**أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟**»[5]، في هذا المقطعِ وَرَدَ موضعانِ لعنصِر

(١) الاحتجاج: ١/ ١٠٦.
(٢) ينظر: مغني اللبيب: ٢/ ١٨٤.
(٣) سورة النمل: ١٦.
(٤) سورة مريم: ٦.
(٥) الاحتجاج: ١/ ١٠٢.

الوصلِ (أم) عملتْ على تشريكِ المعطوف (هَلْ تَقُولونَ..) مع المعطوفِ عليهِ (أَفَخَصَّكُمُ اللهُ..) في الحكمِ، وذلكَ أنَّ الزَّهراءَ عليها السلام تستدلُّ على بطلانِ قول القومِ وادِّعائهم بعدمِ إرثها مِنْ أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنَّها تقولُ لهم: إنَّ ادِّعائكم هذا لا يخلو مِنْ أمرَينِ حتَّى يكون هذا الادِّعاء تامًّا: إمَّا أن تكونُ هناكَ آيات للإرث عامَّة وشاملة لجميعِ المسلمينَ، وهذهِ الآيات استثنت أبي مِنْ الإرثِ، فلا وراثة بين النَّبيّ وأهله، أو أن تقولوا إنَّ الرَّسولَ محمَّد صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام لا يتوارثان؛ لأنَّهما من مِلَّتينِ مختلفَتَينِ، فالمسلمُ لا يُورِّثُ ابنه الكافر، وكِلَا الأمرَينِ لا وجود لهُ، فكيف تمنعاني مِنْ أن أرثَ أبي محمَّد صلى الله عليه وآله؟ فأداة الرَّبط (أم) وصلت حكم المعطوف مع المعطوف عليه، وبذلكَ أكَّدت عليها السلام بطلان قول القوم وافترائهم على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمَّا الموضع الثَّاني مِنْ أداةِ الرَّبطِ (أم)، فهو لا يختلفُ كثيرًا عن الوضع الأوَّل، فلذا لا أُكرر الكلام، واعتمد على الموضع الأوَّل.

٤. **الرَّبطُ الشَّرطيّ**: وهو الرَّبطُ الذي يُعبِّرُ عنهُ بالأدواتِ التي تُسهمُ في الرَّبطِ بينَ جملَتَينِ متعاقبَتَينِ، ومِنْ الأدواتِ التي تمثلهُ (إذا، إنْ، لَـمَّا)، ويُعَدُّ أحدَ أنواع الرَّبطِ المستعملة في النَّصِ لبناءِ خطبة السَّيدة الزَّهراء عليها السلام، ومنه قولها: «**لَتَجِدَنَّ وَالله مَحْمِلَهُ ثَقيلًا، وَغِبَّهُ وَبيلًا إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ**»[1]، فالرَّبطُ جاءَ بـ(إذا)، فلولا وجود هذه الأداة (إذا) قد يكونُ الكلامَ ناقصًا عندما يبتدأ بالفعلِ مباشرةً المتمثِّل بـ(كُشِفَ)، فأسهمتْ تلكَ الأداةُ في ترابطِ أجزاء النَّصِ.

ومثَّلَتْ أدواتُ الشَّرطِ رابطًا أساسيًّا، وشكَّلَ تكرارَ الرَّوابطِ عناقيد للرَّبطِ، ومِنْ الجديرِ بالذِّكرِ أَنَّهُ مع الرَّبطِ الشَّرطي يتسعُ مدى الرَّبط بينَ الجملِ، فلا يقتصرُ الرَّبطُ على الجملِ المتعاقبةِ، بل يتعدَّاهُ إلى الجملِ غير المتعاقبة[2].

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٠٦.

(٢) ينظر: علم لغة النصِّ، النظريَّة والتطبيق: ١٦٦-١٦٧.

وَمِنْ نماذجِ الرَّبطِ الشَّرطيّ أيضًا مَا جاءَ في خطبةِ السَّيدة الزَّهراء عليها السلام: «**فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ**»[1]، جملتا الشرَّط (لَمَّا يَنْدَمِلْ)، و(لَمَّا يُقْبَر)، قد أحدثتْ أداةُ الشَّرطِ (لَمَّا) في كلتا الجملتَينِ ربطًا بجملةِ الجوابِ لوضوحِ المعنى، فضلًا عن بدايةِ النَّصِّ في الزَّمنِ الماضي، وذلكَ بدخول (لـمَّا) على الفعلِ المضارعِ، فالمضارعُ بدلالتهِ الزَّمنيَّة على الحالِ والاستقبالِ قد يَتحوَّلُ إلى الماضي غير المنقطع بدخولِ (لـمَّا) عليهِ، وفي ضوء هذا نستطيعُ القولَ إنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وآله لم يُقبَر والجُرح لم يندمل، والذين تآمروا على الرَّسولِ صلى الله عليه وآله في سقيفةِ بني ساعدة، بادروا للاجتماعِ لإبرامِ الأمر الذي يريدونهُ، والرَّسولُ صلى الله عليه وآله لا يزالُ جثمانهُ الشَّريف مُسجَّى بعد لم يُدفَن، فيبقى بسببِ فعلهم الشَّنيع الجرحُ واسعًا، ولم يندمل بسبب ما فعلوه وماعملوه بالسَّيدةِ الزَّهراءِ عليها السلام.

وفي ضوء ما تَقدَّم، يَفهمُ المتلقِّي أنَّ وقوع الحدث لا يزالُ احتمال حدوثهُ قائمًا، وبذلكَ يحققُ التَّماسك النَّصيّ مِنْ الجانبِ السَّطحيّ، وكذلكَ الرَّبط الدِّلالي.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٠١.

الخَاتِمَةُ وَنَتَائِجُ الْبَحْثِ

الحمدُ لله، والثناءُ عليهِ، فإنَّهُ يُخْلَصُ مِنْ هذا البحثِ، بعضُ النَّتائجِ، التي يجدرُ بالباحثِ أن يوليها الالتفات، والانتباه، وهي كالآتي:

١. توصلتْ الدِّراسةُ إلى أنَّ التُّراثَ العربي قد تناولَ ظاهرة السَّبك في مجالاتهِ النَّحوية والمعجمية والصَّوتية في كثير مِنْ المواضعِ في كتبهِ.
٢. يتكاملُ الجانبُ الدِّلالي معَ الجانبِ الشِّكلي في تحديدِ المعنى المُراد مِنْ النَّصِ.
٣. يقومُ الحذفُ بإيقادِ ذهن القارئ، لمعرفةِ المحذوف وملء تلكَ الثَّغرة التي خلَّفها الحذف، وهي تشبهُ في ذلكَ الإحالةُ المقامية؛ لذا يعدُّ كلًا مِنْ الحذفِ والإحالةِ المقامية مِنْ أقربِ وسائل الاتساق الشِّكلي إلى الانسجامِ؛ ولأنَّهما يصبانِ في قالبهِ.
٤. يعتمدُ السَّبكُ النَّحوي على الأدواتِ الشِّكلية، في حين يعتمدُ السَّبكُ المعجمي على المفردةِ، وكلاهما لا يستغني عن الدِّلالة في توضيحِ المعني.
٥. بيَّنَ البحث قدرة السَّيدة الزَّهراء عليها السلام على الإبداعِ الذي تحقق في السَّبكِ النَّحْوِي للخطبةِ الشَّريفةِ، فجاءت مقاطع الخطبة متماسكة ومتلاحمة بواسطة ركونها إلى أدوات تركيبيَّة استطاعت عليها السلام في ضوئها أن تجعلَ النَّصَّ مرتبطًا في جُمَلِهِ ومقاطعهِ.
٦. أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام اختارت اللفظ المُعَبر الموحي ببلاغة عاليَّة صادرة عن وعي وفكر قل نظيرهما ومثيلهما إلَّا عند النَّبي الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمير

البلاغة والفصاحة والبيان الإمام علي عليه السلام، فارتقتْ بأساليبها وفصاحتها إلى درجة البلغاء؛ إذ جعلت الألفاظ ناطقة معبرة على الرَّغم مِنْ الموقف الذي ينأى فيهِ العقل عن التَّعقل والتَّدبر، فجاءت بجملٍ وعباراتٍ قمة بالحكمة والعلمِ.

وَأَمَلِي كُلُّهُ أن يكونَ هذا الجهدِ مؤهلًا للالتحاقِ في مسيرةِ البحثِ الأكاديميّ، ليُضيءَ إضاءةً بسيطةً في ميدانهِ، ويفيدُ باحثًا أو طالبَ علمٍ، واللهُ مِنْ وراءِ القصدِ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الخلقِ والأنبياءِ والمرسلينَ، حبيبِ إلهِ العالمينَ أبي القاسمِ المصطفى محمَّد صلى الله عليه وآله، وعلى أهلِ بيتهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، وصحبهِ المنتجبينَ المُخْلَصِيْنَ، وَمِنْ تبعهم بإحسانٍ إلى قيامِ يومِ الدِّينِ.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

أَوَّلًا: الْكُتُبُ

* القــرآن الكـــريم.

١. اجتهادات لغويَّة، تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٩٩م.

٢. الاحتجاج، الشيخ أبـو منصور الـطبرسيّ، دار المرتضى، بـيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٣. أسـاس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤. إشراقات فكريَّة من أنوار الخطبة الفدكيَّة، الشيخ حبيب الهديبيّ، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥. إشكالات النصِّ دراسة لسانيَّة نصيَّة، جمعان بن عبد الكريم، المركز الثقافيّ العربيّ، النادي الأدبيّ، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

٦. أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسويّ العلويّ، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربيَّة، ط١، ١٩٥٤م.

٧. بلاغة الخطاب وعلم الـنصِّ، صـلاح فضل، عـالم المعرفة، عـدد ١٦٤، ١٩٩٢م.

٨. بناء الجملة العربيَّة، د. محمَّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، د.ت.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، السيِّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحقِّقين، مؤسَّسة الكويت للتقدُّم العلميّ، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠. تجلِّيات التعبير اللغويّ في النصِّ القرآنيّ، الدكتور فاخر هاشم الياسريّ، مؤسَّسة دار الصادق الثقافيَّة، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

١١. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المراديّ المعروف بـ(ابن أمِّ القاسم)، تحقيق د. فخرالدين قباوة، والأستاذ محمَّد نديم فضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٢. الزَّهراء عليها السلام خير نساء العالمين، الشيخ مكارم الشيرازيّ، مكتبة الكوثر، بغداد، مدينة الصدر، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

١٣. الزَّهراء عليها السلام وخطبة فدك، العلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ، تعليق الشيخ محمَّد تقي شريعتمداري، دار كلستان كوثر للنشر، طهران، إيران، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٤. شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، محمَّد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الهداية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

١٥. شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، العلَّامة المجلسيّ، القاضي النعمان المغربيّ الأنصاريّ التبريزيّ، تحقيق وإعداد السيِّد باقر الكيشوان الموسويّ، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٦. شرح خطبة الصديقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لسماحة الشيخ محمَّد طاهر آل شبير الخاقانيّ، تقديم محمَّد كاظم الخاقانيّ، منشورات أنوار الهدى، إيران، قم، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧١ش.

١٧. ظاهرة التخفيف في النحو العربيّ، أحمد عفيفي، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، القاهرة ط١، ١٩٩٦م.
١٨. علم اللغة النصِّيّ بين النظريَّة والتطبيق دراسة تطبيقيَّة على السور المكيَّة، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٩. علم النصِّ مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة: سعيد بحيري، دارالقاهرة للكتاب، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. علم لغة النصِّ، المفاهيم والاتِّجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسَّسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢١. علم لغة النصِّ،النظريَّة والتطبيق، عزَّة شبل محمَّد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٢٢. العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرَّائيّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٣. فاطمة من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٢٤. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.
٢٥. كشف المحجَّة في شرح خطبة اللمة، العلَّامة السيِّد عبد الله شبَّر، تحقيق الشيخ عليّ الأسديّ، مكتبة فدك لأحياء التراث، إيران، قم، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٦. لسان العرب، جمال الدين أبو عبد الله محمَّد بن مكرَّم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيِّد، المكتبة التوفيقيَّة، مصر، د.ت.

٢٧. لسانيات النصِّ، النظريَّة والتطبيق، مقامات الهمذانيّ أنموذجًا، ليندة قياس، تقديم د. عبد الوهاب شعلان، ط ١، مكتبة الآداب، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٨. لسانيَّات النَّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمَّد خطابي، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢٩. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، المولى محمَّد عليّ بن أحمد القرجة داغي التبريزيّ الأنصاريّ (ت١٣١٠هـ)، تحقيق السيِّد هاشم الميلانيّ، دار التبليغ الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٣٠. ما وراء اللغة بحث في الخلفيَّات المعرفيَّة، د. عبد السلام المسدي، مؤسَّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، د.ت.

٣١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة، الدار النموذجيَّة، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٢. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرَّائيّ، دار الفكر، عمَّان، الأردن، ط٥، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٣٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمَّد عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاريّ المصريّ (ت٧٦١هـ)، خرَّج آياته وعلَّق عليه أبو عبد الله عليّ عاشور الجنوبيّ، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٤. مقالات في اللغة والأدب، تمَّام حسَّان، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٦.
٣٥. نحو النَّص، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٦. نسيج النَّص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ١٩٩٣م.
٣٧. النَّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوكراند، ترجمة: د. تمَّام حسَّان، ط١، عالم الكتب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٨. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيَّة، د. مصطفى حميده، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٧م.
٣٩. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيَّة، د. مصطفى حميده، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٧م.
٤٠. نظريَّة المعنى في الدراسات النحويَّة، د. كريم حسين ناصح، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.
٤١. نظريَّة علم النّص رؤية منهجيَّة في بناء النّص النثريّ، د. حسام أحمد فرج، تقديم أ.د. سليمان العطَّار، أ.د. محمود فهمي حجازي، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ثَانِيًا: الأَطَارِيْحُ وَالرَّسَائِلُ الجَامِعِيَّةِ

٤٢. الإحالة دراسة نظريَّة، شريفة بلحوت، رسالة (ماجستير) في لسانيَّات النصِّ، كليَّة الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.
٤٣. الاتِّساق والانسجام في القرآن، الطالب مفتاح بن عروس، أطروحة (دكتوراه) في لسانيَّات النصِّ، كليَّة الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م.

ثَالِثًا: الْبُحُوْثُ

٤٤. خطب سيِّدات البيت العلويّ (عليهنَّ السلام) دراسة في ضوء نحو النّص، رسالة ماجستير، الطالب مطلق رزيج عطشان، كليَّة الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٣م.

٤٥. الاتِّساق الفكريّ وجماليَّات اللغة في خطب الزَّهراء عليها السلام، د. حامد ناصر الظالميّ، البحوث الفائزة في المسابقة البحثيَّة الفاطميَّة الثانية، مؤسَّسة البصرة للطباعة والنشر، العراق، البصرة، ط١، ٢٠١٨م.

٤٦. أسلوب الاستفهام في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة بلاغيَّة دلاليَّة، د. عبد الحسن عليّ الناصر، مجلَّة البضعة، العدد (١)، ٢٠١٥م.

٤٧. الإمتاع والمؤانسة في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، د. سجا جاسم محمَّد، د. أنوار مجيد سرحان، مركز الدراسات الفاطميَّة في البصرة، العدد (٦)، ٢٠١٨م.

٤٨. الإيحاء والتصوير في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة في البنى الأسلوبيَّة، الدكتور جنان محمَّد مهدي، موسوعة الموسم، أكاديميَّة الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلد٢، السنة (٢٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٤٩. البنى التركيبيَّة في خطبة الزَّهراء عليها السلام، أ.م.د. حيدر عبد الزهرة، أ.م.د. محمَّد قاسم لعيبي، مجلَّة كليَّة التربية (ابن رشد)، العدد الثاني، ٢٠١٠م.

٥٠. البنى الصرفيَّة في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور بان صالح مهدي الخفاجيّ، موسوعة الموسم، أكاديميَّة الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلد٢، السنة (٢٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٥١. التماسك النصِّيّ في خطب السيِّدة الزَّهراء وابنتها زينب عليها السلام، الدكتور إنسية خزعلي، مجلَّة العميد، العدد الرابع، ٢٠١٥م.

٥٢. الخصائص الأسلوبيَّة في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور طلال خليفة سلمان، موسوعة الموسم، أكاديميَّة الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلَّد٢، السنة (٢٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٥٣. خطبة الزَّهراء عليها السلام الكبرى دراسة بلاغيَّة، د. حسين لفته حافظ، مجلَّة كليَّة الفقه، جامعة الكوفة، العدد ١٨، ٢٠١٤م.

٥٤. خطبة الزَّهراء عليها السلام الكبرى دراسة في الأسلوب والفن، الدكتور حسين لفتة حافظ والدكتور عوَّاد كاظم لفتة، مجلَّة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، النجف الأشرف، العدد (٢٠)، الجزء الأوَّل، السنة ٢٠١٣م.

٥٥. خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في نساء المهاجرين والأنصار، دراسة وتحقيق د. زينب عبدالله كاظم الموسويّ، مجلَّة البضعة، العدد (١)، ٢٠١٦م.

٥٦. الخطبة الصغرى لفاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة وفن، د. عبد الإله عبد الوهاب العرداويّ، مجلَّة ينابيع، العدد (١٨)، ١٤٢٨هـ.

٥٧. الخطبة الغرَّاء للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة موضوعيَّة فنيَّة، د. سهام كاظم نجم، مجلَّة الباحث، العدد١٥، ٢٠١٥م.

٥٨. خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة دلاليَّة، م.م. رسل عباس محمَّد شيروزة، مجلَّة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، النجف الأشرف، العدد (٢٠)، الجزء الأوَّل، السنة ٢٠١٣م.

٥٩. الخطبة الفاطميَّة الكبرى نموذج لدقَّة الإحالة النصيَّة، د. عبَّاس إسماعيل سيلان، مجلَّة البضعة، العدد (١)، ٢٠١٦م.

٦٠. الدُرَّة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام، مجلَّة تراثنا، مؤسَّسة أهل البيت لإحياء التراث، العددان ٣ و٤، ١٤٣٢هـ.

٦١. الروابط الحجاجيَّة في الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور عبد الإله عبد الحميد، مجلَّة البضعة، العدد (٢)، ٢٠١٦م.

٦٢. السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قراءة في ضوء المناهج المعاصرة، الشيخ حسن كريم ماجد الربيعيّ، مجلَّة العقيدة، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، العدد(٤)، السنة ١٠١٥م.

٦٣. الصيغ الصرفيَّة وأثرها الدلاليّ في خطبة الزَّهراء عليها السلام، م.م. محمَّد فيصل حسن الموسويّ، مجلَّة العميد، العدد الرابع، ٢٠١٥م.

٦٤. القصديَّة في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، د. كريم حسين ناصح الخالديّ، مجلَّة العميد، العدد الرابع، ٢٠١٥م.

٦٥. كسر أفق التوقُّع في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، د. طلال خليفة سلمان، مجلَّة العميد، العدد الرابع، ٢٠١٥م.

٦٦. وظيفة الفصل والوصل في اتِّساق النصِّ كلام الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا، م.م. محمَّد منصور البياتيّ، مجلَّة تسليم، العتبة العبَّاسيَّة، السنة الأولى، المجلد الأول، العددان الأوَّل والثاني، ٢٠١٧م.

٦٧. أسولبيَّة البناء في خطبة الزَّهراء عليها السلام الخطبة الكبرى مثالًا، أ.م.د. عوَّاد كاظم لفتة الغزِّيّ، أ.م.د. عليّ حسين جلود الزيديّ، موسوعة الموسم، أكاديميَّة الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلد٢، السنة (٢٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٦٨. خطبة الزَّهراء عليها السلام في المسجد النبويّ الشريف (لـمَّا مُنِعَتْ فَدَكًا)، الدكتور حسن عبد المجيد عبَّاس الشاعر، موسوعة الموسم، أكاديميَّة الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلَّد٢، السنة (٢٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٦٩. مظاهر من التماسك النَّصيّ في خطبة الزَّهراء عليها السلام الفدكيَّة، أ.م.د مجيد مطشَّر العامر، أ.م.د. كاظم فاخر الخفاجيّ، موسوعة الموسم، أكاديميَّة الكوفة في هولندا، العدد ١٠٩، المجلَّد٢، السنة (٢٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٧٠. علاقة النحو العربيّ بنحو النصِّ، أ.د. عبد السلام حامد، بحث منشور في موقع رابطة أدباء الشام: www.odabasham.net

القَصَصُ الأمين في خلْقِ الزَّهراء سيِّدَةِ نِسَاءِ العالمين عليها السلام

الباحث الدكتور أكسم فيَّاض[1]

ملخَّص البحث

تعدُّ الأُسطورة مكوِّنًا أساسيًّا من مكوِّنات الفكر الإنسانيّ، ومرجعًا ثقافيًّا غنيًّا تنهلُ منه الكثير من الدراسات الاجتماعيَّة والدينيَّة والفكريَّة والتاريخيَّة والفلسفيَّة والفلكلوريَّة، ولها دور كبير في البناء المعرفيّ والعلميّ والاجتماعيّ، وتطوُّر الحضارة الإنسانيَّة، وتعاظمَ دورها لتكون نواةً يتشكَّل حولها نسيجُ النظام الاجتماعيّ والدينيّ والثقافيّ والسياسيّ، بوصفها تحمل طابعًا تفسيريًّا يرتبط بالمقدَّس الذي يروي القصص عن النشأة الأولى، والظواهر المرتبطة به، وعوالم السماء والأرض، والخوارق المنبثقة عن كلِّ ذلك، وقد درج التراث الإسلاميّ على تسمية جزء منها بالقصص.

وكان لنا في سِيَر الأنبياء وكراماتهم مرجعًا غنيًّا يمدُّ الدراسات الميثولوجيَّة بأرقى القصص التي تفسِّر الخلق والأكوان، وتعطي العِبرة للناس جميعًا على امتداد عصور الحضارة الإنسانيَّة، فمنها خوارق أرضيَّة، كقصة سيِّدنا إبراهيم عليه السلام يوم عُرِض على النار، ويونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت، والبحر الذي انشقَّ لموسى عليه السلام، وأصحاب الكهف عليهم السلام وغيرهم، ومنها المحمَّلُ ببعدٍ سماويٍّ نورانيّ يتَّصل بالمقدَّس الأرضيّ،

(١) د. أكسم فيَّاض: باحث سوريّ، اختصاص لغة عربيَّة- علم اللغة واللسانيَّات «تحليل الخطاب من منطلق الدراسات البينيَّة العابرة للتخصُّصات»، له عدد من البحوث والمقالات المنشورة، ومشاركات في عدد من المؤتمرات والندوات المحليَّة والدوليَّة، يعمل مدرِّسًا لمادَّة اللغة العربيَّة في مديريَّة تربية اللاذقيَّة وجامعة تشرين. هاتف واتس تيلغرام: ٠٠٩٦٣٩٩٣٢٦٤٦٠٢.

المرتبط برسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام.

وتأسيسًا على ذلك، يحاول بحثنا مناقشة البعد الميثولوجي في خلق السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومناقشة البُعد السماويّ في نزول النور الإلهيّ في الصورة البشريَّة الطاهرة، حجَّةً للعالمين، وتخفيفًا علينا في تواصل النور الإلهيّ مع ذواتنا البشريَّة القاصرة.

يبدأ البحث التعريف بالأسطورة وموقعها في الفكر الإنسانيّ، ودورها في البناء الحضاريّ للإنسانيَّة، وعلاقتها بالدين، ثمَّ ننتقل لمناقشة خلق السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وموقعها السماويّ، ونزولها في الصورة البشريَّة، واجتماعها وآل بيتها مع الوحي جبرائيل عليه السلام في الكساء.

ولعلَّ المنهجَ الوصفيَّ المشفوعَ بالتحليل يكون الأمثلَ في مقاربة ميثولوجيا القَصص المقدَّس في سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، والاستعانة بالمنهج التاريخيّ؛ لتتبُّع بعض التواريخ التي ترتبط بسيرتها عليها السلام.

الكلمات المفتاحيَّة: السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، السيرة النبويَّة، حديث الكساء، الميثولوجيا (الأسطورة).

مقدِّمة

يعدُّ التراث مصدرًا ثريًّا من مصادر الإبداع الإنسانيّ والنشاط الفكريّ والحضاريّ في الحياة الإنسانيَّة، كما يعدُّ من الروابط المهمَّة التي تربط الإنسان بالكنوز التي تركها أسلافه، والتي تجسِّد هويَّته القوميَّة والوطنيَّة، ولا يتكوِّن كيان الأمم من دون التواصل مع تراثها بصورة أو بأخرى، بوصفه من القيم الثابتة المنجزة حضاريًّا وعلى كافَّة الأصعدة، وتمثِّل الأسطورة والحكايا الشعبيَّة والأغاني والفنون الأخرى إحدى هذه القيم المنجزة على مرِّ التاريخ، والتي يعدُّ إحياؤها شكلًا تواصليًّا خلَّاقًا مع هذا التراث، ولعلَّ ذلك ما جعل الأسطورة كائنًا حيًّا ينتشر عبر الثقافات المختلفة، ويأخذُ أشكالًا تناسب مضامينُها عناصرَ التمثيل الثقافيّ للأمم، وارتباطها بالمقدَّس، ودخول عدد من الأساطير في صلب العقائد والأديان منذ فجر التاريخ وخلق الأكوان.

فما هي الأسطورة؟ وما علاقتها بالدين؟ وما رأي القرآن الكريم فيها؟ وما هي قصص الميثولوجيا في خلْق السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؟.

تلك أسئلة يحاول البحث الإجابة عنها ومناقشتها، بعد الاستئذان من السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، أنْ تشفعَ لنا لمحاولتنا، ونحن البشر القاصرون، أنْ نبحثَ في القصص الأمين لخلقها عليها السلام، ومقامها القدوة لنساء العالَمين في السماء والأرض، محاولين الإجابة عن بعض متعلِّقاتها، لعلَّنا نوفَّق في تقديم إضاءة لخصوصيَّة دورها النورانيّ في الولاية التكوينيَّة، والأرضيّ في الولاية التشريعيَّة التي ما زلنا نهتدي بتوجيهاتها وآل بيتها المقدَّس عليهم السلام إلى يومنا هذا.

أولًا: التعريف بالأسطورة في اللغة والاصطلاح

الأسطورة لغةً: نجدها في لسان العرب في الجذر (سطر) «سطر: السَّطْرُ والسَّطَرُ: الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها.. والجمعُ من كلِّ ذلك أَسْطُرٌ وأَسْطارٌ وأَساطِيرُ.. وقال الزجَّاج في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سورة النحل ٢٤؛ خَبَرٌ لابتداءٍ محذوف، المعنى: وقالوا الذي جاء به أَساطير الأَولين، معناه سَطَّرَهُ الأَوَّلون، وواحدُ الأَساطير أُسْطُورَةٌ، كما قالوا أُحْدُوثَةٌ وأَحاديث. وسَطَرَ بَسْطُرُ إِذا كتب؛ قال الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ سورة القلم١؛ أَي وما تكتب الملائكة؛ وقد سَطَرَ الكتابَ يَسْطُرُه سَطْرًا وسَطَّرَه واسْتَطَرَه. وفي التنزيل: وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَرٌ. وسَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا: كتب»[1]. وجاء في معجم الصحاح أنَّ الأساطير هي الأباطيل[2]، ولذلك فهي حكاية لا أصل واقعيّ لها، وهي من الفعل (سطَّر) على وزن (فعَّل) بمعنى دوَّن أو ألَّف الخبر العجيب، وعلى ذلك الأسطورة لغة تحمل سمة العجائبيَّة.

الأسطورة اصطلاحًا: الأسطورة لفظة غير عربيَّة تدلُّ على الخرافة، أي القول الذي لا صلة له بالواقع، ويقابلها في الإنكليزيَّة والفرنسيَّة لفظة Myth، وهي من الجذر اليوناني Muthos الذي يعني حكاية شعبيَّة أو أدبيَّة تضمُّ كائنات خارقة، وإجراءات

(١) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، د. ط، ٢٠٠٣. مادَّة (سطر).

(٢) مختار الصِّحاح، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازي (ت٦٦٦هـ)، المكتبة العصريَّة الدار النموذجيَّة، بيروت، صيدا، ط٥، ١٩٩٩، مادَّة (سطر).

خياليَّة، والتي تنقل الأحداث التاريخيَّة[١]، وهي قصَّة شعريَّة أو خرافيَّة، يسودها الخيال، وتبرز قوى الطبيعة في صورة كائنات حيَّة ذات شخصيَّات ممتازة يُبنى عليها الأدب الشعبيّ[٢]، ويعرِّفها (جميل صليبا) في معجمه بأنهَّا قصَّة خياليَّة ذات أصل شعبيّ، تمثَّل فيها قوى الطبيعة كأشخاص يكون لأفعالهم ومغامراتهم معانٍ رمزيَّة؛ لأنَّ الأسطورة واقع مُعاش كان يعتقده الإنسان البدائيّ، وليس نتاج خيال[٣]. وكان «أفلاطون أوَّل من استخدم تعبير Muthologia بمعنى (القول عن) أو (الإخبار عن) أو بمعنى (القصص)»[٤]، ومنه جاء تعبير Muthologia المستخدَم في اللغات الأوروبيَّة، ولذلك يجب التمييز بين مصطلح الميثولوجيا ومصطلح الأسطورة Myth، فالمثيولوجيا تعني الدراسة العلميَّة المنظَّمة للأسطورة ذاتها، ومجموع الأساطير التي تميِّز حضارة ما، كالميثولوجيا الإغريقيَّة واليونانيَّة والمصريَّة.. في حين أنَّ الأسطورة تعني دراسة أسطورة بعينها، مثل أسطورة عشتار، أو جلجامش، وغيرها[٥].

(1) Petit Larousse en Couleurs-Libraire Larousse, 1980, P. 614.

(٢) المعجم الفلسفيّ، صدر عن مجمع اللغة العربيَّة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٣.

(٣) المعجم الفلسفيّ، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ج١، ص٧٩.

(٤) أفلاطون والأسطورة، محمَّد عبَّاس، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٨، ص١١.

(٥) الأسطورة والمعنى، فراس السوَّاح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص٨.

ثانيًا: دور الأسطورة في الحضارة الإنسانيَّة وعلاقتها بالدين

تعدُّ الأسطورة مكوِّنًا جوهريًّا وركنًا أساسيًّا في البناء الحضاريّ للإنسانيَّة منذ فجر التاريخ، بوصفها حقيقة قائمة ترجمتها الشعوب طقوسًا وعبادات، بنوا من أجلها المعابد والقصور، ويلجأ إليها الإنسان لتُعينه على كشف معنى كثير من الأعمال التي يؤدِّيها على مستوى شؤون الحكم والتعاملات الأخلاقيَّة، والتواصل بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض، ومع الأقوام الأخرى، فتبيِّن لهم طبيعة الأسلوب الذي يجب التعامل فيه.

وبناءً عليه تعدُّ الأسطورة ظاهرة دينيَّة إنسانيَّة، نشأت لدى الشعوب في عصر ما قبل التاريخ، ولا زالت موجودة في عصرنا الحالي لدى بعض القبائل البدائيَّة التي ليس لها تاريخ حقيقيّ، كما أنَّها محاولة لفهم الكون أو العالم بشتَّى ظواهره، وتقديم تفسيرات له، وهي لا تخلو من منطق معيَّن، ومن رؤية أوليَّة تطوَّر عنها العلم والفلسفة فيما بعد، حيث حاول الإنسان أنْ يضفي عن طريق الأسطورة طابعًا فكريًّا على تجربته، وأنْ يخلعَ على حقائق الحياة العاديَّة معنًى فلسفيًّا أكثر عمقًا، فهي نظريَّة في اللغة والمعرفة، وليست مجرَّد تاريخ فحسب[1].

وقد بيَّن بعض الباحثين وظيفتها انطلاقًا من كونها أحداثًا تاريخيَّة حدثت في الأزمان الغابرة، «فالأسطورة تروي تاريخًا مقدَّسًا، تروي حدثًا جرى في الزمن البدائيّ، الزمن

(١) ينظر، جدليَّة العلاقة بين الدين والأسطورة، د. عليّ حسن قاسم، حولية كليَّة الآداب، ج بني سويف، مج٥، ج١، ٢٠١٦، ص١٣.

الخياليّ، هو زمن البدايات، وتحكي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كليَّة كالكون، أو جزئيَّة كأن تكون جزيرة أو نوعًا من النبات، أو مسلكًا يسلكه الإنسان»[1]، وبذلك تؤسِّس لوعي تاريخيّ يحاول تفسير البدايات عبر أشخاص من عوالم فوق بشريَّة، أي كائنات عليا سمَّتها بعض الديانات (آلهة)، من هنا تأتي أهميَّتها في أديان الشعوب، وبخاصَّة أسطورة الخلق والتكوين، ومثالها أسطورة التكوين البابليَّة التي علا شأنها في النظم الميثولوجيَّة للأمم السابقة المندرجة في تلك الثقافة، والتي جاء فيها: «لم يكن هناك سماء في الأعالي، ولم يكن هنالك أرضٌ في الأسفل، لم يكن هناك سوى آلهة العماء القابعة وراء الزمن، والمعارضة لأيَّة حركة أو فعل، ثمَّ جاء الإله (مردوخ) ليبتدئ سيرة حياته مع سيرة حياة الكون الذي أخرجه من لجَّة العماء البدائيّ»[2]، ومن جانب الديانات السماويَّة، نرى أسطورة التكوين التوراتيَّة قد تصدَّرت افتتاح كتب العهد القديم «ففي البدء خلق السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، على وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرفرف فوق وجه المياه»[3].

وقد لخَّص الدكتور خليل أحمد خليل تلك الرؤية في قوله: «إنَّ الردود الأسطوريَّة بكلِّ صورها شكَّلت مرتكزًا للفكر الغيبيّ، وكوَّنت نوعًا من العقيدة الكونيَّة، ومن ميتافيزيقيَّة المطلق، ومن فلسفات مثاليَّة اقترنت بالسياسة والديانات»[4].

وفي ضوء تلك القدسيَّة التي أحيطت بها الأساطير، تشكَّلَ تاريخٌ مقدَّس تناقلته الأجيال، «وأنَّ كلَّ مظهر من مظاهر المقدَّس ذو محصِّلة، فكلُّ طقس وكلُّ أسطورة

(١) ينظر: مظاهر الأسطورة، مرسيا إلياد، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، ١٩٨٧، ص١٠-١١.
(٢) دين الإنسان، فراس السوَّاح، دار علاء الدين للطباعة والنشر والترجمة، دمشق، ص٦٠.
(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) ينظر: مضمون الأسطورة في الفكر العربّي، خليل أحمد خليل، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٨٦، ص٤٨-٤٩.

إلهيَّة تعكس تجربة المقدَّس»[1]، ولذلك أكَّد الباحث (مرسيا إلياد) أنَّه لا يمكن فصل الأساطير عن الدين، ومن هنا جاءت الأهميَّة الرئيسة للأساطير في كلِّ الأديان السابقة على الدين الموسويّ، لأنَّ الأساطير تحكي الإشارات الخاصَّة بالآلهة، وهذه الإشارات تشكِّل النماذج المثاليَّة لكلِّ الحضارات البشريَّة، فبمقدار ما يقلِّد الإنسان المتديِّن إلهه، بمقدار ما يعيش في زمن الأصل أو الزمن الأسطوريّ[2]. وقد أعطى الباحث (إلياد) الأهميَّة الرئيسة لفكرة المركز في الأديان، وأنَّ «لكلِّ دين تصوُّرًا مركزيًّا يبعث الحياة في أطراف ذلك المجموع من أساطير وطقوس ومعتقدات، وهذا الأمر موجود في الديانات السماويَّة الثلاثة، على الرغم من أنَّ التحوُّلات التي دخلت على هذه الديانات مع مرور الزمن تعمل على حجب الصيغة. فالدور المركزيّ الذي يقوم به (عيسى) بوصفه مسيحًا يظلُّ شفافًا، مهما بلغت التفسيرات اللاهوتيَّة والكهنوتيَّة المعاصرة من التعقيد والصنعة قياسًا على المسيحيَّة الأولى»[3]. نعم لقد أدَّت الأسطورة دورًا مهمًّا ومركزيًّا في المسيحيَّة الأولى، وفي الغنوصيَّة، ومن قبلهما في الفكر الهنديّ، خلاصته «أنَّ هنالك تقليدًا يعود إلى أصلٍ شرقيٍّ، يفسِّرُ ولادة اللؤلؤة، وكأنَّها حدثت بفعل وميض البرق النافذ إلى الصَّدَفة البحرية، ولهذا التفسير تتأتَّى اللؤلؤة من الاتِّحاد بين النار والماء، وقد لجأ القدِّيس (إفرام) إلى هذه الأسطورة، لكي يوضِّح فكرة الحبل بلا دنس، ويشرح فكرة الولادة الروحيَّة للمسيح في العماد بالنار»[4]. وفكرة الحبل بلا دنس للسيِّدة مريم

(١) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينيَّة، مرسيا إلياد، ج١، دار مشق للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٦، ص٩.

(٢) المقدَّس والمدنِّس، مرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عبَّاس، دار مشق للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٨، ص١٨.

(٣) البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، مرسيا إلياد، ترجمة وتقديم الدكتور سعيد المولى، المنظَّمة العربيَّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧، ص٦٢.

(٤) صور ورموز، مرسيا إلياد، ترجمة حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨، ص١٩٣.

بنت عمران عليهما السلام، عزَّزها القرآن برؤية نورانيَّة وهبها الله عز وجل الحمْلَ بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ سورة مريم الآية (١٩-٢١).

ثالثًا: القصص الأمين في خلق الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين عليها السلام

تعدُّ سيرُ الأنبياء وكراماتهم مرجعًا غنيًّا يمدُّ الدراسات الميثولوجيَّة بأرقى القصص التي تفسِّر الخلقَ والأكوان، وتعطي العبرة للناس جميعًا على امتداد عصور الحضارة الإنسانيَّة، فمنها خوارق أرضيَّة، كقصَّةِ سيِّدنا إبراهيم عليه السلام يوم عُرِض على النار، ويونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت، والبحر الذي انشقَّ لموسى عليه السلام، وأصحاب الكهف عليهم السلام وغيرهم، ومنها المحمَّلُ ببعدٍ سماويٍّ نورانيٍّ يتَّصلُ بالمقدَّسِ الأرضيّ المرتبط برسالة خاتم الأنبياء وآل بيته عليهم السلام.

وقد اختار بحثنا دراسةَ جزءٍ من سيرة أهل البيت عليهم السلام، بوصفها إحدى المرتكزات الأساسية لسلَّم البناء العقائديّ والفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ الذي أقرَّه الإسلام منهجًا لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك، والسير قدُمًا باتِّجاه حركة التكامل الإنسانيّ المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع، ذلك أنَّ ما خُصُّوا به من فضلٍ عظيمٍ ومكانةٍ متميِّزة في تاريخ الإسلام، يدفعنا نحو استجلاء معالم تلك السيرة العطرة، والتي تحدِّد الرؤية الأسلم والصيغة الأكمل لفهم الإسلام وتجسيِّده بأصوله وأركانه وفروعه، وعلى المستويات كافةً، وقد أكَّد القرآن الكريم منزلتهم (منزلة آل بيت رسول الله عليهم السلام)، وأنَّهم مطهَّرون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٣، وأجمع المسلمون كلُّهم على المنزلة الشريفة المباركة لآل البيت عليهم السلام، ومعلوم لدى الجميع أنَّ الدليل الشرعيّ لقداستهم عليهم السلام موثَّقٌ في مصادر علماء السنَّة والشيعة، ونذكر من ذلك ما جاء في صحيح مسلم، ونصُّه: «عن

زيد بن أرقم قال: ثمَّ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يومًا خطيبًا بماء يدعى خمًّا بين مكَّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: (**أمَّا بعدُ ألا أيُّها الناس فإنَّما أنا بشرٌ يوشَكُ أنْ يأتيَ رسول ربِّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلين أوَّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**. فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثمَّ قال: **وأهل بيتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بيتي..**)»[1]، كما ورد الحديث في سنن الترمذيّ: عن زيد أيضًا قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنِّي تارك فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟**»[2]. إنهَّا وصيَّةٌ واضحة توجِّه المسلمين نحو التمسُّك بما يقرِّبهم إلى رضوان الله تعالى، وهما وصيَّتان متلازمتان لا تنفصلان، أكَّد عليهما رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله، تبينان حرصه صلى الله عليه وآله على السير في طريق الهداية ونجاة البشريَّة وخلاصها.

الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، وبضعة رسولنا المصطفى الأمين صلى الله عليه وآله وسيِّدة أهل البيت المعصومين عليهم السلام، تمثِّل النموذج الأكمل والقدوة والمثل الأعلى الذي أرادته الرسالة الإلهيَّة للمرأة المؤمنة سلوكًا ومنهجًا، سواء على صعيد خلقها النورانيّ، وتجسُّدها في الصورة البشريَّة، أو على صعيد حياتها الشخصيَّة ومواقفها في الحياة، وما تشتمل عليه

(١) صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، النيسابوريّ، مسلم بن الحجَّاج القشيريّ، طبعة مصحَّحة ومقابلة على عدَّة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، القاهرة، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ج٧، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) الترمذيّ، سنن الترمذيّ، دار الفكر، بيروت، ج ٥، ص٣٢٩. كما ذُكِر في مسند أحمد، ج٣، ص١٤-١٧، وفي ج٤، ص٢٦٧-٢٧١، وفي ج٥، ص١٨٢، وفي ج٥، ص١٨٩. وذُكِر في سنن الدارميّ، ج٢، ص٤٣٢. وذُكر في مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٢.وذُكر في المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج٣، ص١١٠-١٤٨. وذُكر في السنن الكبرى للبيهقيّ، ج٢، ص١٤٨، وفي ج٧، ص٢٠، وفي ج١٠، ص١١٤. وذكر في مجمع الزوائد، ج٩، ص١٦٢.

من جهادٍ وصبرٍ مستمدٍّ من قوَّة الإيمان والارتباط النورانيّ لعالم الذرِّ، ومواقفها العظيمة في سعيها للحفاظ على المفهوم الأصيل لقيادة الأمَّة بعد انتقال رسولنا المصطفى صلى الله عليه وآله إلى جوار ربِّه عزَّ وجلَّ.

وبالنظر إلى اختلاف الدلالة القرآنيَّة بين الأسطورة والقصص، إذْ جاءت الأسطورة في السياق القرآنيّ بمعنى الأباطيل، وجاءت القصص بوصفها روايات حقَّة موثَّقة في المتن القرآنيّ، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سورة آل عمران الآية ٦٢، وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ سورة يوسف الآية ٣، ولذلك ارتأينا الاهتداء والاستعانة بما أقرَّه القرآن حول الأسطورة والقصص، ووضع العنوان من خلال توظيف عبارة: (القصص الأمين في خلق الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين عليها السلام).

سيتناول بحثنا دراسة الروايات الموثَّقة في السيرة النبويَّة، وأقوال الأئمَّة المعصومين التي تناولت خَلْقَ الزَّهراء عليها السلام، ونزولها نورًا عظيمًا من عالم الذرِّ إلى الأرض في صورةٍ بشريَّة؛ لتكون حوراء أنسيَّة حملت مهمَّة كبيرة جدًّا في الحفاظ على بيضة الإسلام، وامتداد النبوَّة بالإمامة في نسلها المقدَّس، فما موقعها السماويّ؟ وكيف تجسَّدت في الصورة البشريَّة؟.

الزَّهراء عليها السلام في عالم الذَّرِّ (موقعها السَّماويّ) وعالم الصورة البشريَّة

بيَّن الإمام الصادق عليه السلام فلسفة تسميتها بالزَّهراء حين سُئل: لِـمَ سمِّيت فاطمة الزَّهراء زهراء؟ فقال عليه السلام: «**لأنَّ الله تعالى خلقها من نور عَظَمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرَّت الملائكة ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيِّدنا ما لهذا النور؟ فأوحى الله إليهم هذا نورٌ من نوري، أسكنته في سمائي، خلقته من عَظَمتي، أخرجته من صُلب نبيٍّ من أنبيائي، أفضِّله على جميع الأنبياء، وأخرجت من ذلك النور أئمَّةً يقومون بأمري.. وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي**»[1]، فالزَّهراء عليها السلام نورٌ من عَظَمة الخالق، أرفع شأنًا من الملائكة، إذْ غشيت أبصارهم لرؤيته عليهم السلام.

ولمعرفة كيفيَّة تواصلها النورانيّ بعالم الصورة البشريَّة، لا بدَّ من التذكير بأنَّ التدبير الإلهيّ يوجِب حلول النور الإلهيّ من عالم الذرِّ والملكوت في أصلاب بشريَّة اتَّخذت صورة البشر منذ زمن سيِّدنا آدم عليه السلام، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، سورة الشعراء الآية ٢١٩، تُفسَّر الآية الكريمة بالحديث الشريف الذي قال فيه

(١) الصورة التكامليَّة بين مقام السيِّدة الزَّهراء وفلسفة تسميتها في فكر المعصوم عليه السلام، أ.د حميد سراج جابر، مجلَّة العميد، مجلَّة فصلية محكَّمة تعنى بالأبحاث والدراسات الإنسانيَّة، تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، مركز العميد الدوليّ للبحوث والدراسات، مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، معتمدة لأغراض الترقية العلميَّة، السنة الرابعة، المجلَّد الرابع، العدد الخاص الرابع، ربيع الأوَّل ١٤٣٧هـ/ كانون الأوَّل ٢٠١٥ م، كربلاء، جمهورية العراق، ص٧٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لم يزل الله عزّ وجلّ ينقلني من أصلابٍ طيّبة إلى أرحامٍ طاهرة..**»[1]، وقد ذُكِر هذا الحديث بغير رواية، منها ما أخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عبَّاس في قوله: «**ما زال النبيّ صلى الله عليه وآله يتقلَّب في أصلاب الأنبياء حتَّى ولدته أمُّه**»، كما أخرج ابن مردويه عن ابن عبَّاس، قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: بأبي أنت وأمِّي أنت، أين كنتَ وآدم في الجنَّة؟ فتبسَّم صلى الله عليه وآله حتَّى بانت نواجذه، ثمَّ قال: **إنِّي كنت في صُلبه، وهبط إلى الأرض وأنا في صُلبه، وركبت السفينة في صُلب أبي نوح، وقُذِفت في النار في صُلب أبي إبراهيم، ولم يلتقِ أبواي قطُّ على سفاح، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطيِّبة إلى الأرحام المطهَّرة مصفًّى مهذَّبًا لا تتشعَّب شعبتان، إلَّا كنت في خيرهما، فقد أخذ الله بالنبوَّة ميثاقي، وبالإسلام هداني، وبين التوراة والإنجيل ذِكري، وبين كلَّ شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها، وعلَّمني كتابه، ورقى بي في سمائه، وشقَّ لي من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمَّد، ووعدني أنْ يحبوَني بالحوض، وأعطاني الكوثر، وأنا أوَّل شافع، وأوَّل مشفع، ثمَّ أخرجني في خير قرون أمَّتي، وأمَّتي الحمَّادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**»[2].

ولذلك فإنَّ ترتيبًا سماويًّا لولادة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله من رحم طاهر، يتبعه ترتيب سماويّ للقائه بخديجة الكبرى عليها السلام، التي ولِدت من رحمٍ طاهرٍ، وتكون الطهارة خالصة اسمًا ومعنًى وتجسيدًا، فالطهارة حاضنة للنور المقدَّس الذي سينتقل من الجنَّة إلى الأرض، ويكون مقام خديجة عليها السلام تهيئةً أرضيَّةً لموقع فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الذي هو حلقة الوصل بين عالم النور وعالم الصورة وسطًا بين النبوَّة والإمامة.

(١) ينظر: البرهان في تفسير القرآن، السيِّد هاشم بن سليمان البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، تحقيق مؤسَّسة البعثة، المكتبة المرتضويَّة، طهران، ج٤، ص١٩٣.

(٢) ينظر: زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشانيّ، تحقيق ونشر مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، ج٥، ص٦٣.
وينظر: العقائد الإسلاميَّة، مركز المصطفى للدراسات الإسلاميَّة، ج٣، ص٨٩. ورواه في كنز العمال، ج١٢، ص٢٤٧.

فالسيِّدة خديجة عليها السلام - في المستوى الرمزيّ- هي حاضنة النور المتمثِّل بفاطمة عليها السلام، والتي أرادت المشيئة جعلها خلقًا متفرِّدا ينتقل عبْر تجلِّيات الإسراء والمعراج، ويفصِّل رسولنا الكريم في تلك الرواية القدسيَّة (الميثولوجيَّة)، التي تكرَّس النور العظيم في ثمرة من شجرة قدسيَّة ناوله جبريل عليه السلام إيَّاها، ليأكلها ويحملها أمانةً في صُلبه بين السماء والأرض، ثمَّ يودِعها حين عودته أطهرَ الأرحام، فيقول صلى الله عليه وآله: «**لـمَّا أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنَّة، فناولني منها تفَّاحةً فأكلتها، فصارت نطفة في صُلبي، فلمَّا نزلتُ واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء أنسيَّة، وكلَّما اشتقت إلى الجنَّة قبَّلتُها**»[1]، وفي رواية أخرى: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**لـمَّا أُسري بي إلى السماء أُدخلت الجنَّة، فوقعت على شجرةٍ من أشجار الجنَّة، لم أرَ في الجنَّة أحسن منها، ولا أبيض ورقًا، ولا أطيب ثمرًا، فتناولت ثمرة من ثمراتها فأكلتها، فصارت نطفة، فإذا أنا اشتقت إلى ريح الجنة شممت ريح فاطمة**»[2].

تعدُّ حادثة الإسراء والمعراج من الوقائع المهمة التي شكَّلت منعطفات مصيريَّة في مسارات التاريخ الإسلاميّ، بوصفها معجزة كبرى خالدة، تعزَّز مسؤوليَّة النبيّ صلى الله عليه وآله عبر ولايته التكوينيَّة والتشريعيَّة في قيادة الأمَّة والعالم بأسره، فمُنِحَ الرؤية الواضحة والوعي الأعمق، وانتقل في مقام الاسم الأعظم للصورة البشريَّة من مرحلة التواصل مع الوحي سماعًا وإيحاءً إلى مرحلة التواصل البصريّ واللمس والتجوال في جنَّة الخُلد، ليزيد في المعرفة يقينًا، وفي الإيمان رسوخًا، ولينتقلَ عبر ذلك كلِّه إلى مرحلة من العقد التواصليّ للربط بين عالم الذرِّ النورانيّ وعالم الصورة البشريّ، فكان العقد هو التفَّاحة بصورتها الرمزيَّة التي هي نورٌ عظيمٌ من أنوار الجنَّة، أعظم من نور الملائكة،

(١) الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، ط٤، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥، ج٣، ص١٠.

(٢) ينظر: الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر السيوطيّ (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص٢١٨.

تحقَّقَ بيولوجيًّا حين عاد وواقع خديجة عليها السلام، وحملت بفاطمة عليها السلام، ولذلك كانت خديجة حاضنة النور، فخديجة عليها السلام هي من خصَّها جبريل عليه السلام بالتحية، إذْ «قال للنبيّ صلى الله عليه وآله حين رجوعه: **حاجتي أنْ تقرأ على خديجة من الله ومنِّي السلام**»(١)، ولاسيَّما أنَّه صلى الله عليه وآله قال: «**رجعت إلى خديجة وما تحوَّلت عن جانبها**»(٢).

وبناءً عليه يتبيَّن لنا موقع خديجة عليها السلام، بوصفها حقيقة كبرى في الحكمة الإلهيَّة التي اقتضت نزول فاطمة عليها السلام في صورة بشريَّة من عالم الذرِّ والتكوين إلى عالمنا هذا، فهي حاضنة النور في ولاية التكوين والتشريع، خصَّها الله عزَّ وجلَّ وشرَّفها بحمل تلك الأمانة النورانيَّة المقدَّسة التي تعلو على كلِّ أمانة، وقد ولدت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بمكَّة المشرَّفة قبل النبوَّة على اتِّفاق أغلب المؤرِّخين بخمس سنين عدديَّة، وأنَّ سببَ بروزها من خزائن الغيب إلى الحضرة الشهاديَّة أنَّ الله تعالى أهداها له صلى الله عليه وآله على يد جبريل عليه السلام في صورة تفَّاحة من الجنَّة، فكان صلى الله عليه وآله يشمُّ رائحة الجنة من خديجة عليها السلام إلى أنْ وضعتها طاهرة زكيَّة، وبعد ولادتها عليها السلام يقبِّلها ويشمُّها ويأنس بعرفها ويتهنَّاه(٣). ويروى أنَّه حينما اقَتربت ولادة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بشَّرَ الوحيُ جبريل عليه السلام محمَّدًا صلى الله عليه وآله بقدومها أنثى، ليبادر صلى الله عليه وآله ويبشِّر السيِّدة خديجة عليها السلام، قبل اختراع أجهزة التصوير بأكثر من ألف وثلاثمئة عام، فيقول: «**يا خديجة، هذا جبرئيل يبشرني أنَّها أُنثى، وأنَّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمَّة في الأمَّة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه**»، ووضعت خديجةُ فاطمة عليها السلام طاهرة مطهَّرة(٤).

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج١، ص١٨٠. وينظر بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٨٤.
(٢) بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٨.
(٣) مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها سيِّدة نساء العالمين، أحمد بن محمَّد النصيح (أحمد ابن إدريس)، تحقيق د. طارق أحمد عثمان، هيئة الأعمال الفكريَّة، الخرطوم، ط١، ٢٠٠٦.
(٤) ينظر: الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، مؤسَّسة الزائر في الروضة المقدَّسة لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر، ج١، ص٢٤٣. وينظر: أمالي الصدوق، ص٦٩١، ٩٤٧، والعُدد القويَّة، رضيّ الدين الحِلِّيّ، ج١٥، ص٢٢٣، وبحار الأنوار، ج١٦، ص٨٠.

ويروى أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تحدِّث أمَّها خديجة عليها السلام وهي جنين في بطنها وتصبِّرها.

وهنا يكون البُعد الميثولوجيّ في القصص الأمين لخلق النور المتجسِّد في الزَّهراء عليها السلام، فالملائكة عليهم السلام أنوار من عالم الملكوت تظهر للمختارين من البشر فقط؛ لتتواصل معهم على وفق توصيات إلهيَّة تختلف بحسب الرسالة الموكلة للمختار، ولكنَّ الأمر في خلق الزَّهراء عليها السلام تجلَّى في حلول النور العظيم الذي «خلقه الله تعالى من نور عَظَمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرَّت الملائكة ساجدين، وقالوا: **إلهنا وسيِّدنا ما لهذا النور، فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري أسكنته في سمائي، خلقته من عَظَمتي، أخرجته من صُلب نبيٍّ من أنبيائي..**»، على وفق رواية إمامنا الصادق عليه السلام، في الصورة البشريَّة الخالصة في تواصلها مع البشر جميعهم، سواء أكانوا على الفطرة الإيمانيَّة، أمْ كانوا من الأضداد المفسدين، لتكون حوراءَ أنسيَّة طاهرة معصومة فاهمة غير مفهَّمة، يعلو مقامها جميع المخلوقات في الحضرة السماويَّة، فقد غشيت أبصار الملائكة وسجدوا. وفي التشريع الأرضيّ حين كانت ولادتها البيولوجيَّة من أطيب صُلب لأشرف خلْقِ الله وخاتم الأنبياء، ومن أطهر الأرحام للسيِّدة خديجة عليها السلام، السيِّدة خديجة التي خصَّها الله بالسلام؛ لتكون حاضنة النور الأعظم لفاطر السماوات والأرض سيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، وقد بيَّن رسولنا الكريم ذلك في قوله: «**خير نساء العالمين: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد** صلى الله عليه وآله»[1]، وبسنده عن ابن عباس: خطَّ رسول الله في الأرض أربعة خطوط، قال أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «أفضل نساء أهل الجنَّة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، ومريم بنت عمران،

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عليّ محمَّد معوَّض، عادل أحمد عبد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ج٧، ص٨٠.

وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[1].

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّنا عندما نقف على جوانب من سيرة حياة الزَّهراء عليها السلام، فإنَّما نقف على أوسع مدى لمُثُلِ الإسلام، ولكلِّ صفات الفضيلة والكمال ولجميع قيم الشرف والجلال وسُبُل الهداية والصلاح والرشاد، يقول الأستاذ عبَّاس محمود العقَّاد: «في كلِّ دين صورة للأنوثة الكاملة المقدَّسة، يتخشَّع بتقديسِها المؤمنون، كأنَّما هي آية الله فيما خلق من ذكرٍ وأنثى، فإذا تقدَّست في المسيحيَّة صورة مريم العذراء، ففي الإسلام لا جَرَم (حقٌّ عظيم) أنْ تتقدَّسَ صورةُ فاطمةَ البتول عليها السلام»[2].

لقد جاء خَلْق فاطمة الزَّهراء عليها السلام وولادتها مقدَّسةً نورانيَّةً في صورة بشريَّة؛ لتحقِّق التوازن في كوزمولوجيَّة الهندسة الكونيَّة التي أردها الله سبحانه وتعالى، وفق أبوابٍ ترتبط بمعارج السماء التي يعلم بها من خصَّهم الله تعالى برؤية تواصليَّةٍ فوق أرضيَّةٍ. «وإنَّ ظهور المقدَّس في المكان له قيمة كوزمولوجيَّة، فكلُّ تقديسٍ مكانيٍّ، أو كلُّ تكريسٍ لحيِّز يعادل معرض التشابه كونَ (مسكن- جسد بشري) يؤسِّس للاتصال المتصاعد نحو السماء»[3]. والإبقاء على طاقات العروج النورانيَّة مفتوحةً بين عالم الذرِّ وعالم البشر، وليستمرَّ انتشار النور الذي حمله نسلها المقدَّس بواسطة الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، وما الروضات المقدَّسة لعتباتهم إلَّا بوَّابات للعروج بين العالَمَين، واستمرارها كفيل بالحفاظ على توازن الكون إلى ما يشاء الله سبحانه وتعالى[4].

(١) أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين، حقَّقه وأخرجه حسن الأمين، ج٦، ص٣١٢.

(٢) أهل البيت فاطمة الزَّهراء عليها السلام، توفيق أبو علم، ط٣، دار المعارف، ١٩٧٢، ص١٣٠. وينظر: في رحاب أمَّهات الأئمَّة، مريم نور الدين فضل الله، دار كلمات للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص٩٩.

(٣) المقدَّس والمدنَّس، مرسيَّا إلياد، ترجمة عبد الهادي عبَّاس المحامي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٨، ص١٧. الكوزمولوجيا: علم الكونيَّات.

(٤) ينظر: دور المرأة في بناء الشخصيَّة المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجًا بين الوعد السماويّ والترتيب الأرضي، د. أكسم فيَّاض، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، مولد السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ٢٠٢١.

أعطى رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله أمَّةَ المسلمين وصيَّةً تهديهم وتبقيهم على طريق الحقِّ وجادَّة الصواب، كما جاء في حديث (الثَّقَلين) بضرورة التمسُّك بكتاب الله العزيز وأهل بيته الكرام، ليكون حديثه وصيَّةً وحجَّةً للناس للعمل بمضمون الحديث، ولأنَّه صلى الله عليه وآله يعلم ما سيحصل من فتنة أرضيَّة في الزمن اللاحق لانتقال الرسول صلى الله عليه وآله إلى جوار ربِّه، والتي أكَّدها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية ١٤٤، ولذلك ينبِّه إلى أنَّ أيَّ أذىً لها هو أذى للرسول صلى الله عليه وآله، فهي ابنته الغالية، فيقول: «**إنَّما فاطمة بضعة منِّي، يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها**»(١). ولذلك اجتمعت بسببها عليها السلام الأمَّةُ اجتماع الحقِّ والحقيقة، واختلفت فيها عليها السلام قوى الحقِّ والشرعيَّة مع قوى حادت عنهما، وأرادت حَرفَ الدين عن مساراته التي جاء من أجلها، وقد أجمع فريقا الأمَّة على طهارة ذاتها ونقاء سريرتها وشموخ معارفها وإحاطتها بعلوم زمانها وحوادثه وبُعْد رؤاها، وخصائص العصمة ثابتة في ألق نورها القدسيِّ وأنفاسها الربَّانيَّة، فهي الصدِّيقة الطاهرة التي كرَّمها الله بالغضب لغضبها والرِّضا لرضاها، والتي ما مِن أمرٍ يؤذيها إلَّا وكان أذىً لوالدها نبيِّ الأمَّة ورسولها الكريم، وهي زوجة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وأمُّ السِّبطَين الحسن والحسين عليهما السلام، وقد بيَّن رسول الله بالوحي الأكرم مكانتهم جميعًا في حديث الكساء: عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّها قالت: «**دخل عليَّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيام، فقال: السلام عليك يا فاطمة، فقلت: وعليك السلام يا أبتاه، فقال: إنِّي لأجد في بدني ضعفًا، فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة ائتيني بالكساء اليمانيّ وغطِّيني**

(١) ينظر: إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي نور الله التستري، ج١٠، ص١٩٢-٢٠٩، ج٢٥، ص١٥٥. نقلًا عن: موقع مكتبة الفقاهة(ar.lib.eshia.ir)، وينظر: شرح صحيح مسلم، تحقيق هاني الحاج، وعماد زكي البارودي، دار التوفيقيَّة للنشر، مصر، ٢٠١٠، ج١٥، ص١٥-١٣٣.

به، فأتيته وغطَّيته به، وصرت أنظر إليه، فإذا وجهه يتلألأ كأنَّه البدر في ليلة تمامه وكماله.. فأخذ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله بطرفَي الكساء، وأومى بيده إلى السماء، وقال: «اللهمَّ إنَّ هؤلاء أهلُ بيتي وخاصَّتي وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ومحبٌّ لمن أحبَّهم، وإنَّهم منِّي أنا وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك، ورحمتك وغفرانك ورضوانك عَلَيَّ وعليهم، وأذهِبْ عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيرًا. فقال عز وجل: يا ملائكتي ويا سكَّان سماواتي: إني ما خلقت سماء مبنيَّة، ولا أرضًا مدحيَّة، ولا قمرًا منيرًا وشمسًا مضيئة، ولا فلكًا يدور، ولا بحرًا يجري، ولا فلكًا يسري إلَّا في محبَّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء[1]. فقال الأمين جبرائيل: يا ربِّ ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل: هم أهل بيت النبوَّة ومعدن الرسالة، وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها، فقال جبرائيل: أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادسًا؟ فقال الله عز وجل: قد أذنت لك، فهبط الأمين جبرائيل، وقال لأبي: السلام عليك يا رسول الله، العليُّ الأعلى يقرئك السلام ويخصُّك بالتحيَّة والإكرام، ويقول لك: وعزَّتي وجلالي: إنِّي ما خلقت سماءً مبنيَّة، ولا أرضًا مدحيَّة، ولا قمرًا منيرًا وشمسًا مضيئةً، ولا فلكًا يدور، ولا بحرًا يجري، ولا فلكًا يسري إلَّا لأجلكم ومحبَّتكم، وقد أذنَ لي أنْ أدخلَ معكم، فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال أبي: وعليك السلام يا أمين وحي الله، نعم قد أذنت لك، فدخل جبرائيل تحت الكساء..»[2]. وما أعظمه من موقف قدسيٍّ تلتقي فيه أنوار السماء بأنوار الأرض، وهنا يكون المقدَّس هو «الشكل الأقصى للآخريَّة في أفق البشر..»[3].

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام امتداد للنبوَّة، الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، هيئة محمَّد الأمين، ط٣، ٢٠٠٠، ص١٦.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، العلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة الوفاء بيروت، لبنان، ج٩٧، ص١٠.

(٣) الفلسفة وآداب المقدَّس، فتحي المسكيني، ضمن كتاب جماعي (الفن وتوظيفه)، المنشورات=

إنَّ موقف الكساء صورة للميثولوجيا في أقدس تجلِّياتها، فإذا كان خلق الزَّهراء عليها السلام تمَّ بانتقال الرسول صلى الله عليه وآله إلى عالم الأنوار ودخوله الجنَّة وحَمْلِه للزَّهراء عليها السلام في صُلبه، فإنَّ هبوط الوحي جبرائيل عليه السلام إلى الأرض ودخوله تحت الكساء مع محمَّد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام يعدُّ تواصلًا للنور الأعظم مع أصحاب الكساء عليهم السلام في صورتهم البشريَّة، فهم المقياس الذي من أجله خُلِقت الدنيا والأفلاك، ويمثِّل حجر الزاوية في تأصيل خطِّ الإمامة بكلِّ ما يحمله من مفاهيم وأفكار وأهداف وتوجُّهات وخصائص ومميِّزات، ويعكس الموقف السليم في المستقبل من التغيُّرات الطارئة المستجدَّة في حياة الأمَّة على صعيد العقيدة، وفهم كتاب الله، وإقامة السُّنَّة.

=الجامعية بمنوبة، تونس، ٢٠١٥، ص١٥.

النتائج

توصَّل البحث إلى مجموعة من النتائج، نفصِّلها على وفق الآتي:

١. يعدُّ التراث مصدرًا ثريًّا من مصادر الإبداع الإنسانيّ والنشاط الفكريّ والحضاريّ في الحياة الإنسانيَّة، كما يعدُّ من الروابط المهمَّة التي تربط الإنسان بالكنوز التي تركها أسلافه، والتي تجسِّد هويته القوميَّة والوطنيَّة، ولذلك فإنَّ العودة إلى إحياء التراث ودراسته ضرورة وجوديَّةً للحفاظ على الهوية واستمرارها.

٢. للأسطورة دور كبير في البناء المعرفيّ والعلميّ والاجتماعيّ والدينيّ للحضارة الإنسانيَّة، وتعدُّ سير الأنبياء وكراماتهم مرجعًا غنيًّا يمدُّ الدراسات الميثولوجيَّة بأرقى القصص التي تفسِّر الخلق والأكوان، وتعطي العبرة للناس جميعًا على امتداد عصور الحضارة للإنسانيَّة، ويعدُّ الموروث الإسلاميّ ثريًّا في ما يخصُّ حقل المقدَّس الذي لا جدال فيه، ومنه سيرة رسولنا محمَّد صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار.

٣. إنَّ التمسُّك بأهل البيت عليهم السلام تمسُّك بالثقل الثاني بعد كتاب الله المجيد، فقد قال صلى الله عليه وآله: «**إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا أبدًا، ألا وإنَّهما لنْ يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض**»، والتمسُّك بهم، أي التمسُّك بإمامتهم وبأحاديثهم الشريفة، فهي المصدر التشريعيّ الثاني بعد القرآن الكريم، والمبيِّنة لمجملاته، ولا نكون متمسِّكين بهم عليهم السلام، وبأحاديثهم إلا بأن نتخلَّق بأخلاقهم، ونترجم أقوالَهم منهاجًا نسير عليه في حياتنا اليومية.

٤. إنَّ دراسة سيرة الزَّهراء عليها السلام تُعدُّ إحدى اللبنات الأساسيَّة لسُلَّمِ البناء العقائديّ والفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ الذي ارتضاه الإسلام منهجًا لاستمرار العقيدة وتقويمها وتنظيم السلوك البشريّ، والسير باتِّجاه حركة التكامل الإنسانيّ المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع، فالزَّهراء عليها السلام تمثِّل النموذج الأكمل والمثل الأعلى الذي أرادته الرسالة الإلهيَّة للمرأة المؤمنة سلوكًا ومنهجًا، سواء على صعيد حياتها الشخصيَّة، أو بما تحمله من أسرار العظمة المتجسِّدة في نورانيَّتها وروحانيَّتها وعفَّتها وعبادتها وعلمها، إذْ إنَّ سيرتها عليها السلام مرتبطة بوقائع ثابتة متحقِّقة بين عالم السماء والأرض.

٥. تجلَّى البعد الميثولوجيّ في القصص الأمين لخلق النور المتجسِّد في الزَّهراء عليها السلام في حلول النور العظيم الذي خلقه الله تعالى من نور عظمته في الصورة البشريَّة الخالصة في تواصلها مع البشر جميعهم، وفي قصَّة الكساء، ومواقف أخرى لا يتَّسع البحث لذكرها، ومن هنا يأتي الحفاظ على نقاء سيرتها وإحيائها ضرورة عقائديَّة ملحَّةً تعزِّز الارتباط بتاريخنا المشرق لنستمد منه محدِّدات النجاح في الحاضر والتأسيس لرؤية مستقبليَّة مُستدامة على نهج النبوَّة والإمامة.

مصادر البحث ومراجعه

* القرآن الكريم.

١. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، القاضي نور الله التستري، ج١٠، ج٢٥. نقلًا عن: موقع مكتبة الفقاهة ar.lib.eshia.ir.

٢. أسد الغابة، ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عليّ محمَّد معوَّض، عادل أحمد عبد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ج٧.

٣. الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، مؤسَّسة الزائر في الروضة المقدَّسة لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر، ج١.

٤. الأسطورة والمعنى، فراس السوَّاح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.

٥. أعيان الشيعة، السيِّد محسن الأمين، حقَّقه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج٦.

٦. أفلاطون والأسطورة، محمَّد عبَّاس، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٨.

٧. أهل البيت فاطمة الزَّهراء عليها السلام، توفيق أبو علم، ط٣، دار المعارف، ١٩٧٢.

٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، العلَّامة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ، مؤسَّسة الوفاء بيروت، لبنان، ج١٨، ج٩٧.
٩. البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، مرسيا إلياد، ترجمة وتقديم الدكتور سعيد المولى، المنظمة العربيَّة للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧.
١٠. البرهان في تفسير القرآن، السيِّد هاشم بن سليمان البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، المكتبة المرتضويَّة، طهران، ج٤.
١١. تاريخ المعتقدات والأفكار الدينيَّة، مرسيا إلياد، ج١، دار مشق للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٦.
١٢. جدليَّة العلاقة بين الدين والأسطورة، د. عليّ حسن قاسم، حوليَّة كليَّة الآداب، ج بني سويف، مج٥، ج١، ٢٠١٦.
١٣. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر السيوطيّ (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ج٥.
١٤. دور المرأة في بناء الشخصيَّة المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجًا بين الوعد السماويّ والترتيب الأرضيّ، د. أكسم فيَّاض، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، احتفال مولد السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ٢٠٢١.
١٥. دين الإنسان، فراس السَّواح، دار علاء الدين للطباعة والنشر والترجمة، دمشق.
١٦. زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشانيّ، تحقيق ونشر مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، ج٥.
١٧. سنن الترمذيّ، الترمذيّ، دار الفكر، بيروت، ج٥.
١٨. شرح صحيح مسلم، تحقيق هاني الحاج، وعماد زكي الباروديّ، دار التوفيقيَّة للنشر، مصر، ٢٠١٠، ج١٥.

١٩. صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، النيسابوريّ، مسلم بن الحجَّاج القشيريّ، طبعة مصحَّحة ومقابَلة على عدَّة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق مركز البحوث وتقنيَّة المعلومات، دار التأصيل، القاهرة، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ج٧، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب.

٢٠. الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، ط٤، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥، ج٣.

٢١. صور ورموز، مرسيا إلياد، ترجمة حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨.

٢٢. الصورة التكامليَّة بين مقام السيِّدة الزَّهراء وفلسفة تسميتها في فكر المعصوم عليه السلام، أ.د حميد سراج جابر، مجلَّة العميد، مجلَّة فصليَّة محكَّمة تعنى بالأبحاث والدراسات الإنسانيَّة، تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، معتمدة لأغراض الترقية العلميَّة، السنة الرابعة، المجلَّد الرابع، العدد الخاص الرابع، ربيع الأوَّل ١٤٣٧هـ/ كانون الأوَّل ٢٠١٥ م، كربلاء، جمهورية العراق.

٢٣. العقائد الإسلاميَّة، مركز المصطفى للدراسات الإسلاميَّة، قم، إيران، ج٣.

٢٤. فاطمة الزَّهراء عليها السلام امتداد للنبوَّة، الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، هيئة محمَّد الأمين، ط٣، ٢٠٠٠.

٢٥. الفلسفة وآداب المقدَّس، فتحي المسكيني، ضمن كتاب جماعي (الفن وتوظيفه)، المنشورات الجامعيَّة بمنوبة، تونس، ٢٠١٥.

٢٦. في رحاب أمَّهات الأئمَّة، مريم نور الدين فضل الله، دار كلمات للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

٢٧. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، د.ط، ٢٠٠٣.
٢٨. مختار الصِّحاح، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازي (ت٦٦٦هـ)، المكتبة العصريَّة الدار النموذجيَّة، بيروت، صيدا، ط٥، ١٩٩٩.
٢٩. مضمون الأسطورة في الفكر العربيّ، خليل أحمد خليل، بيروت، دار الطليعة، ط١، ١٩٨٦.
٣٠. مظاهر الأسطورة، مرسيا إلياد، ترجمة نهاد خياطة، دمشق، ١٩٨٧.
٣١. المعجم الفلسفيّ، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ج١.
٣٢. المعجم الفلسفيّ، صدر عن مجمع اللغة العربيَّة، الهيئة العامَّة لشؤون المطابع الأميريَّة، القاهرة، ١٩٨٣.
٣٣. المقدَّس والمدنَّس، مرسيَّا إلياد، ترجمة المحامي عبد الهادي عبَّاس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٨.
٣٤. مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب السرويّ المازندانيّ (ت٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، كربلاء، ج١.
٣٥. مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها سيِّدة نساء العالمين، أحمد بن محمَّد النصيح (أحمد بن إدريس)، تحقيق د. طارق أحمد عثمان، هيئة الأعمال الفكريَّة، الخرطوم، ط١، ٢٠٠٦.

المراجع الأجنبية:

36. Petit Larousse en Couleurs-Libraire Larousse, 1980, P. 614.

خطبةُ الإمام عليّ عليه السلام عند دفن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قراءة تأويليَّة

محمَّد حاكم الگريطي
جامعة الكوفة/ كليَّة التربية للبنات

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي لا يغرُّه المنع ولا يكديه الإعطاء والجود؛ إذ كلُّ معطٍ منتقص سواه، وكلُّ مانعٍ مذموم ما خلاه، هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم، عياله الخلق، نهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه، وليس بما سُئل أجود منه بما لم يُسأل، الأوَّل الذي لم يكن قبل فيكون شيءٌ قبله، والآخر الذي ليس له بعد، فيكون شيء بعده. والصلاة والسلام على أشرف الخلق رسول ربِّ العالمين محمَّد ابن عبد الله وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين، وصحبه المنتجَبين، وبعد.

إنَّ الكتابة عن أهل البيت عليهم السلام، ومنهم السيِّدة الزَّهراء (سلام الله عليها)؛ لم تكن كتابة وافية مهما اجتهد الباحث، واجهد نفسه؛ ليُعطي صورة عنهم؛ ذلك لأنَّهم عليهم السلام أوسع من مدارك الباحث نفسه، فكلَّما زاد وعيًا بحياتهم، صار قريبًا لما أحاط بهم، فهذا القرب أو البُعد يمثِّل الباحث نفسه، ولا يمثل أهل البيت عليهم السلام؛ ولأنَّنا نصدر من هذا اليقين، عزمنا أن نكتب عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فكان عنوان هذه الدراسة (خطبة الإمام عليّ عليه السلام عند دفن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، قراءة تأويليَّة)، والقراءة التأويليَّة لهذا النصّ؛ هي الكشف عن مضمرات المعنى الذي استتر وراء اللغة، فالإمام عليه السلام كان مخاطبًا رسول

الله صلى الله عليه وآله عن صفيَّتِهِ، وهذا الخطاب الموجَّه لرسول الله صلى الله عليه وآله لا بدَّ أن يعطي معاني بعيدة عن تلك المباشرة التي نطَّلع عليها في اللحظة الأولى لقراءة هذه الخطبة، ومن هنا فقد اتَّجهنا إلى تقسيم البحث على مبحثَين، جاء المبحث الأوَّل تحت عنوان (نداء الرسول صلى الله عليه وآله المقرون بذكر الزَّهراء عليها السلام، أمَّا المبحث الثاني، فكان عنوانه (نداء الرسول صلى الله عليه وآله وحده)، فتناولنا في المبحث الأوَّل كلمات الإمام عليه السلام التي كان يخاطب فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يذكر الزَّهراء عليها السلام، وصفاتها، وصبره على عظيم فراقها، متبنِّين القراءة التأويليَّة في الكشف عن مضمرات هذا النصّ، ثمَّ المبحث الثاني الذي جاء فيه خطاب الإمام عليه السلام الذي نادى به رسول الله صلى الله عليه وآله دون ذِكر الزَّهراء عليها السلام، وقد يجمع هذَين الخطابَين معنًى مشترك، وهو الإشارة إلى قرب الإمام عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وعند وفاته.

سبَق هذَين المبحثين تمهيد، تحدَّثنا فيها عن أهميَّة نهج البلاغة، وعن مؤلِّفه الشريف الرضيّ، وتلتهما خاتمة، تحدَّثنا فيها عن أبرز النتائج التي توصَّل اليها البحث، أمَّا الصعوبات التي واجهت البحث فهو نوع الدراسة (القراءة التأويليَّة)؛ لأنَّ مثل هذه الدراسة لا تتعامل مع ظاهر النصِّ، ثمَّ تعمد إلى التحليل من خلال ظاهر النصوص، والربط بين معنييهما، فالتأويل يعتمد المفتاح الأوَّل للغة، وكذلك العكس؛ ولأنَّ اللغة التي كانت في عصر الإمام عليه السلام، ابتعدت كثيرًا عن اللغة التي يتحدَّثها الناس اليوم، فكثير من الانزياحات الدلاليَّة أصابت المعنى؛ لذا فإنَّ الوقوف على المعاني ليس يسيرًا.

التمهيد

نبذة عن نهج البلاغة

لقد كان نهج البلاغة محطَّ اهتمام العلماء، من مؤرِّخين وأدباء، فضلًا عن اهتمام أصحاب الدراسات الدينيَّة والعقائديَّة، لقد قال السيِّد الرضيّ رحمه الله: «ذلك يتضمَّن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربيَّة وثواقب الكلم الدينيَّة والدنيويَّة ممَّا لا يوجد مجتمعًا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب»[1]، فما ذكره الشريف الرضّي يعدُّ وثيقة مهمَّة لوصف نهج البلاغة، فكان ولم يزل هذا السِّفر محطَّ اهتمام الدارسين، وهذا سبب تنوُّع مادَّة النهج نفسها، فانطوائه على مختلف المعارف والعلوم؛ جعل الدارسين يتناسب اهتمامهم مع ما يتوافق مع اختصاصاتهم، إذ نجد فيه إشارات للاقتصاد والسياسة، والتاريخ والعلوم والأدب، وغيرها ما لم يحطه القول، وذلك حقٌّ يقينٌ ليس كلامًا عامًّا نريد من خلاله أن ننسجم مع العقيدة، وإنَّما نتحدَّث عن ذلك بتجرُّد إلى حدٍّ مقبول من تلك الإيديولوجيَّات، لكنَّ النصَّ هو من يفرض ذاته، ثمَّ إنَّ لغة هذا النصِّ ليس لغة تقريريَّة ولا مباشرة، وإنَّما لغة تحمل مختلف الفنون البلاغيَّة، والتي نشأ وتربَّى عليها النص، وهذا ما زاد من نسبة الدراسات حول تلك المادَّة، وقد أثمرت تعدُّد الشروح التي تناولت النهج، فضلًا عن الترجمات التي تُرجَم إليها هذا الكتاب، ومنها: «إلى الفارسيَّة، ثمَّ التركيَّة، ثمَّ الأوردويَّة، ثمَّ الإنجليزيَّة، ثمَّ الألمانيَّة»[2]، وهؤلاء كانوا متقدِّمين، أمَّا من المتأخِّرين حبيب الله الخوئيّ، ومحمَّد نائل المرصفيّ، ومحمَّد تقي

(١) خصائص الأئمَّة: ١٢.
(٢) مسند نهج البلاغة، المجلَّد الأوَّل: ٢.

التستريّ، والسيِّد محمَّد تقي النقويّ، والسيِّد محمَّد حسين الجلاليّ، وآخرون[1]. أمَّا المادَّة الدينيَّة في نهج البلاغة، فهي «سبب رئيس لاهتمام شريحة أخرى من الناس بهذا السِّفر؛ لأنَّه حفظ لهم شؤون دينهم ودنياهم وآخرتهم على السَّواء»[2]، إذ نجده مصدرًا تشريعيًّا مهمًّا، فتعرَّض للكثير من القضايا العقائديَّة التي تمسُّ حياة المسلم، ثمَّ تحدَّث عليه السلام مشرِّعًا بما يتَّصل بحياة الإنسان بوصفه إنسًا ليس إلَّا، بمعنى أنَّ النصَّ لا يقدِّم خدمة لطائفة دون أخرى، بل يتعدَّى ذلك لجميع الطوائف؛ لذا كان أحقُّ بالترجمة، والتي تعدَّدت.

التأويل وحدوده

لا يمكن أن يحدَّد الوقت الحقيقيّ الذي ظهر فيه هذا المصطلح، لكن كما يبدو تزامن ذلك مع الحاجة إلى فهم النصوص الدينيَّة، التي تحتاج إلى وسيط معرفيّ ينقل ما يأتي من الله سبحانه، وطبيعيّ أن يختلف مستوى المتلقِّين وإدراكاتهم، فينتج عن هذا تعدُّدًا في الفهم، ويترتَّب على ذلك إشكال دينيّ، لا يمكن أن يلزم أو يحاسب عليه الإنسان الذي استوعبه وفق مؤهِّلاته الفكريَّة؛ لذا صار لزامًا أن يحضر الوسيط.

نجد هناك مَن راجع لفظة التأويل في القرآن الكريم بدايةً، وقال إنَّها وردت في سبعة عشر موضعًا، وهي تعطي معاني مختلفة في ظاهرها، ثمَّ تعطي معنى الرجوع إلى الحقيقة[3]، وهناك حديث للرسول صلى الله عليه وآله حدَّث فيه الإمام عليّ عليه السلام، قال: «**إنِّي قاتلتهم على تنزيل القرآن، وستقاتل أنت يا عليّ على تأويله**»[4]. يتَّضح من هذا الحديث أنَّ التأويل هو غير الظاهر، ويعني الرجوع إلى البدايات، وأيضًا في هذا المعنى، فقد نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**لو تدبر القرآن شيعتنا لما شكُّوا في فضلنا، أما سمعوا قول الله** عزَّ وجلَّ: ﴿

(١) ينظر: المرجعيَّات الثقافية لحبيب الله الخوئيّ: ٨.
(٢) ردود التستريّ على ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٦.
(٣) ينظر: تأويل النصِّ عند الوفية: ٣٤.
(٤) بحار الأنوار: ١٨/ ٢٥٧.

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ **والله.. إنَّ تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل، وتأويلها فينا**»[1]. من هذه الإشارات السريعة؛ يظهر أنَّ التأويل يتحرَّك بين معنَيين، ربَّما يكونان متقاربَين أو متباعدَين بحسب طبيعة اللغة التي تحمل المعنى، وبحسب الإشارة التي تختفي وراء ذلك المعنى، أمَّا ما يدفع إلى التأويل، وعدم الأخذ باللغة المباشرة، ربَّما ذلك من أصل اللغة التي بدأت تتحرَّك وتتغَّير دلالاتها عِبر الزمن، فالاستعمال يتغيَّر من حين إلى آخر بحسب المؤثِّرات الزمانيَّة والمكانيَّة والجغرافيَّة والثقافيَّة، وكلُّ ما أحاط اللغة من مؤثِّرات؛ لذلك تكون هناك مساحة واسعة للتصرُّف بالمعنى، فإنَّ مثل كلام الإمام عليه السلام لا يمكن أن يُحمَل عادةً على ظاهره، وإنَّما نلجأ إلى اللغة وبعض ما أحاطها من دلائل؛ للكشف عن القصد من وراء ذلك الكلام، خاصَّة في هذه الخطبة التي اختصَّت في دفن الزَّهراء عليها السلام، والكلام موجَّه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأنت تتحرَّك بين سياقَين، نعم إنَّهما متَّصلان ظاهرًا، لكنَّهما مختلفان في المعاني، وأنت تجده عليه السلام يخاطبه عن حال السيِّدة الزَّهراء، ثمَّ يذكر الحال التي كانا عليها هو عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنت تذهب لتتدبَّر وفاة السيِّدة عليها السلام، أم ماذا كان يريد أنَّ يوصله عليه السلام للآخر.

(١) بحار الأنوار: ٥٣/ ٤٢، والآيتان ٥-٦ من سورة القصص.

المبحث الأوَّل

نداء الرسول صلى الله عليه وآله المقرون بذِكر الزَّهراء عليها السلام

في هذا المبحث التفتنا لدراسة كلام الإمام عليّ عليه السلام، الذي نادى به رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفنه للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والذي أراد من خلاله تذكير الناس بالقرابة القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لذا سنجده عليه السلام يرمز لتلك المنزلة الخصيصة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله، ليس في حياتهما الشريفة وحسب، كان ذلك حتَّى في لحظة غسله وتكفينه؛ من هذا يريد أن يُشير إلى أنَّه عليه السلام كان الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

بدأ الإمام عليه السلام خطبته بقوله: «**السلام عليك يا رسول الله عنِّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك**»(١). إنَّ الإمام عليه السلام قد بدأ كلامه الذي خاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله بالتسليم، وهذا الكلام يحيلنا إلى معنى آخر، وهو أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله واحدٌ من أُولي العزم الذين خصَّهم الله تعالى بالقرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿**فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ**﴾(٢)؛ ولأنَّ الحال التي عليها الإمام عليه السلام حال فجيعة، وبحاجة إلى الصبر على ما ألمَّ به من فراق السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ سلَّم على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ القرآن الكريم قد سلَّم على أُولي العزم من الرسل، فجاء قوله تعالى في مواضع عدَّة من القرآن الكريم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾(٤)،

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٢.
(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.
(٣) سورة الصافات: ٧٩.
(٤) سورة الصافات: ١٠٩.

وقال جلَّ وعلا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[2]، فهذا التسليم في القرآن الكريم على أُولي العزم من الرسل؛ ربَّما هو الدافع الذي جعل الإمام عليه السلام أن يسلِّم بدايةً على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنَّ الصبر صفة ملازمة لهم، فالإمام كان متأسِّيًا برسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحال، استنادًا إلى الآية المباركة التي أوصت الرسول صلى الله عليه وآله أنَّ يكون صابرًا كما صبر أولو العزم من الرسل من قبله، ثمَّ قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[3]، قوله عليه السلام: «**وعن ابنتك النازلة في جوارك**»، فهو عليه السلام يشير ضمنًا إلى قرب قبر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من قبر أبيها صلى الله عليه وآله؛ لذلك فإنَّ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة**»[4]، فيه إشارة إلى قبر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّه واقع في هذه الروضة المقدَّسة. أمَّا قوله عليه السلام: «**السريعة اللحاق بك**»، هي اشارة إلى أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أسرع من توفِّي من أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ قال لها أبوها صلى الله عليه وآله: «**إنَّك أوَّل أهل بيتي لحاقًا بي**»[5].

ثمَّ قال عليه السلام: «**قلَّ يا رسول الله عن صفيَّتك صبري**»، قوله عليه السلام: «**قلَّ يا رسول الله**» يصوِّر الصبر الذي كان ملازمًا له، بمعنى أنَّه كان صفة ملازمة له، إذ هو صبور على كلِّ ما ألمَّ به، وقد ذكر في غير واحدة من خطبه كيف كان صابرًا: «**وصبرت من كظم الغيظ على أمرَّ من العلقم، وآلم للقلب من حزِّ الشفار**»[6]، وقال عليه السلام: «**وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم**»[7]، وقال عليه السلام: «**فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي**

(١) سورة الصافات: ١٢٠.
(٢) سورة الصافات: ١٣٠.
(٣) سورة مريم: ٣٣.
(٤) مدارك الاحكام: ٨/ ٢٨٧.
(٥) الأمالي (الصدوق): ٦٩٢.
(٦) نهج البلاغة: ٢/ ٢٠٢.
(٧) م. ن: ٢/ ٨٢.

العين قذى»[1]، وما هذه الموارد الثلاثة إلاَّ نزر يسير لتكون شاهدًا لصبره عليه السلام الذي اعتاده في حياته الشريفة، ثمَّ قوله عليه السلام: «**ورقَّ عنها تجلُّدي**»، جاء في اللغة: «الجَلَد بفتحَتَين الصلابة»[2]، بمعنى أنَّ الإمام عليه السلام تحدَّث عن لينٍ أصابه عند فقدِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، إذ إنَّه هذه المرَّة تحدَّث عن قلَّة الصبر، وعن رقَّة التجلُّد، مقابل ما عُرِف عنه من شدَّة الصبر، وتحدَّث عن رقَّة التجلُّد؛ بمعنى أنَّه عُرِف عنه غير ذلك؛ لذا نجد قولًا له عليه السلام وهو يخاطب أخاه عقيل بن أبي طالب أيَّام حروبه مع معاوية، قال عليه السلام: «**ولا تحسبنَّ ابن ابيك، ولو أسلمه الناس، متضرِّعًا، ولا مقرًّا للضَّيم، واهنًا، ولا سلس الزمام للقائد**»[3]. فرقٌ كبير بين تلك الحالتَين، إذ حتَّى الصفات الشخصيَّة التي عُرِف بها عليه السلام بدأت ليست مختلفة هذا اليوم، أي عند فقدِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ثمَّ يكمل خطبته عليه السلام ويقول: «**وستُنبئك ابنتك بتضافر أمَّتك على هضمها**»[4]، قوله عليه السلام: «ستُنبئك»، ولم يقل «وستُخبرك»، أو غيرها من الألفاظ المرادفة، ربَّما لأنَّ معنى النبأ في اللغة: «لا يقال نبأ إلَّا لخبرٍ فيه خطر»[5]، وخطورة هذا الأمر؛ لأنَّه لم يكن مألوفًا عند الناس، إذ كما قال عليه السلام: «**ولم يطل العهد**»، فما حدث للزَّهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بوقتٍ قصيرٍ جدًّا، فقد تتغيَّر أحوال الناس مع العقائد الدينيَّة عندما يطول بهم العهد على حالٍ واحدة؛ لذا يتَّجهون إلى غيرها، إذ قصَّ علينا القرآن الكريم تلك الأحوال، قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾[6]، والنصُّ القرآنيّ في قوله تعالى ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾، كأنَّه إشارة إلى إخلاف الوعد الذي

(١) نهج البلاغة: ٣٢.
(٢) مختار الصِّحاح: ٥٩.
(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٦٢.
(٤) الكليَّات: ٢٠٠.
(٥) ينظر: ؟؟؟؟؟؟؟؟؟.
(٦) سورة طه: ٨٦.

أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله، عندما قال: «**فاطمة بضعة منِّي، يؤذيني ما يؤذيها**»[1]، ثمَّ إنَّنا أوردنا هذه الآية المباركة شاهدًا يمكن أن يوازي معناها المعنى الذي أراده عليه السلام، من خلال استعماله لبعض الألفاظ القرآنيَّة؛ ذلك لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله عقد مشابهة بينه، بين الإمام عليّ عليه السلام من جانب، وبين موسى وهارون من جانبٍ ثانٍ، إذ قال صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك: «**أنت يا ابن أبي طالب منِّي مكان هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ من بعدي**»[2]، ثمَّ نعود لكلامه عليه السلام، الذي جاء فيه: «**فلقد استُرجِعت الوديعة**»، فالوديعة في اللغة هي: «أمانة تُرِكَت عند الغير للحفظ قصدًا»[3]، وهذا يعني بمعنى استرُجِعت الأمانة التي أودعها رسول الله صلى الله عليه وآله عند أمير المؤمنين عليه السلام، ثمَّ يقول عليه السلام: «**وستُنبئك ابنتك بتضافر أمَّتك على هضمها**»، نلاحظ أنَّ تعبير الإمام عليه السلام قد تغيَّر من حيث إطلاق بعض الألفاظ دون بعضها، ولا شكَّ أن استعمال المفردة دون غيرها في حديث أهل البيت عليهم السلام تعني شيئًا بعينه، ولا تتعدَّد عندهم الألفاظ لمعنًى واحد، بل تتعدَّد بذلك المعاني أيضًا، إذا عدنا إلى بداية الخطبة نجده أنَّه عليه السلام كان مخاطبًا قد نادى رسول الله صلى الله عليه وآله عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بلفظة «**صفيَّتك**»، والآن جاء ليقول لرسول الله صلى الله عليه وآله «**ابنتك**»، ربَّما لأنَّ في مطلع الخطبة والإمام عليه السلام يريد أن يبيِّن عظيم المصيبة، فضلًا عمَّا بيَّنه من قلَّة التَّجلُّد والصبر، فهو يريد أن يبيِّن مكانة الزَّهراء عليها السلام في نَفْس رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ في نفسه عليه السلام؛ لذا اختار ما يتناسب مع هذه المكانة العظيمة، أمَّا عندما قال «**ابنتك**»، عاد إلى الاستعمال القرآنيّ وخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا الخطاب، فعادةً نجد أن القرآن

(١) الحدائق الناظرة: ٢٣/ ٥٢٥.

(٢) خصائص أمير المؤمنين: ٨٣.

(٣) التعريفات: ٢٥١، ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١/ ٢٢٤.

الكريم يستعمل لفظة (بنت) بمشتّقاتها، فجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[2]، وكثر من الآيات القرآنيَّة التي وردت فيها لفظة (بنت)، ونقارن بين استعمال القرآن الكريم لهذه الألفاظ من جهة، وبين استعمال الإمام عليه السلام في خطابه من جهة أخرى؛ لأنَّ الإمام عليه السلام كان قد وظَّف القرآن الكريم في معظم خطابه، إذا لم نقل في جميعه[3]، لأنَّنا كلَّما مارسنا القراءة في كلامه عليه السلام، وجدناه يحُيلنا على نصٍّ قرآنّي، وكلَّما ضاعفنا حجم تلك القراءة، زاد ذلك الكشف، وهذا تناسب طرديّ بين قوله عليه السلام، وبين القرآن الكريم، أمَّا لفظة (الهضم) التي وصف بها الإمام عليه السلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي تعني في اللغة: «هضمه حقَّه واهتضمه إذا ظلمه وكسر عليه حقَّه.. والهضيمة: أن يهضمك القوم شيئًا، أي ظلموك»[4]، بمعنى أنَّ الإمام عليه السلام يُشير إلى ظلم الزَّهراء من قِبَل القوم الذين أشار اليهم، أمَّا قوله «**بتضافر أمَّتك**»، فالتضافر يعني: «تضافر القوم على فلان وتضافروا وتظاهروا بمعنى واحد كلّه، إذا تعاونوا وتجمَّعوا عليه»[5]، وهنا عليه السلام يشير إلى تجمُّع القوم على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ويظهر من ذلك أنَّه كان يشير إلى سبب وفاتها، الذي كان مرتبطًا بهذه الحال، ولو كان هناك فرق بين هذا التجمُّع وبين وفاتها عليها السلام؛ لما قال عليه السلام: «**وستُنبئك ابنتك بتضافر أمَّتك على هضمها**»؛ لأنَّه معلومٌ أنَّ وفاة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بزمن قصير، فمدَّة الهضم الذي أشار إليه عليه السلام كان محصورًا بين وفاة الرسول الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله، وبين وفاتها عليها السلام، وهذه المدَّة لا تتجاوز ستَّة أشهر على أرجح الروايات. فضلًا عن ذلك قوله عليه السلام: «**هذا ولم يطل**

(١) سورة القصص: ٢٧.
(٢) سورة هود: ٧٨.
(٣) ينظر: توظيف الفاظ القرآن ومعانيه في خطب نهج البلاغة: ٨.
(٤) الصِّحاح: ٥/ ٢٠٥٩.
(٥) تاج العروس: ١٢/ ٣٩٩، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٩٣.

العهد، ولم يخل منك الذكر»، وقوله عليه السلام: «**فأحفَّها السؤال**»، على قول ابن أبي الحديد: «أي استقصي في مسألتها واستخبرها الحال، أحفيت في السؤال: استقصيت»[1]، فقد ذهب الشارح إلى ترجمة هذا المعنى، لكن لم يتفرَّع إلى أبعد من ذلك؛ ولأنَّ كلام الإمام عليه السلام الموجَّه لرسول الله صلى الله عليه وآله في أن يحفَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام السؤال؛ وذلك لما لها من منزلة عند أبيها صلى الله عليه وآله، فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّما فاطمة بضعة منِّي، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها**»[2]، فهذا يفسِّر قول أمير المؤمنين عليه السلام؛ نظرًا لما سيلحق النبيّ صلى الله عليه وآله من الأذى الذي تعرَّضت له السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهذا ما جرى عليها بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

ثمَّ يقول عليه السلام: «**والسلام عليكما سلام مودِّعٍ لا قالٍ**»، وهذا السلام الذي سلَّم به الإمام عليه السلام، هو سلام وارد في كثير من الآيات القرآنيَّة، وله دلالات ربَّما ستُترجِم كلام الإمام عليه السلام، والذي نروم الوصول اليه، فمثل هذا (السلام) يُشير عادةً إلى خواتيم الأمور، ونأخذ بعض الآيات القرآنية المباركة التي تشير إلى هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[3]، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[5]، وهذه الآيات المباركات تتحدَّث عن خواتيم الأمور، فهذا التسليم الذي أشار إليه عليه السلام، هو من هذا التسليم القرآنيّ، فأراد عليه السلام أن يفرِّق بين هذا النوع، وبين النوع الآخر من السلام الذي يلحق، أو يسبق ما يكره، وفي ذلك آيات بيِّنات، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٧٠.
(٢) مدارك الأحكام: ٨/ ٢٧٩.
(٣) سورة الرعد: ٢٤.
(٤) سورة مريم: ٣٣.
(٥) سورة النحل: ٣٢.

عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، وهكذا فإنَّ ذهن السامع حتَّى يفرِّق بين نوعَين من التسليم، الأوَّل هو ما أشرنا إليه في الآيات المباركة التي تدلُّ على النهايات، والثاني هو الذي يدلُّ على الإعراض والصَّفح، كما ورد ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

(١) سورة مريم: ٤٧.

(٢) سورة القصص: ٥٥.

المبحث الثاني

نداء الرسول صلى الله عليه وآله وحده

في هذا المبحث نتحدَّث عن نداء الإمام عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، دون الإشارة إلى السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ ومن خلال هذا النداء، فإن الإمام عليه السلام يريد أن يوصِل رسالة إلى مَن كان يسمع كلامه، عن قرابته الوشيجة برسول الله صلى الله عليه وآله في النَّسب، والاتِّباع، وكلُّ هذا لابدَّ أن يترك أثرًا في حياته عليه السلام، وإن تكرَّر كلامه في كثير من المواضع عن تلك المنزلة التي حظي بها عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّنا أخذناه في هذه الخطبة التي اختصَّت بدفن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

في هذه الخطبة يقول عليه السلام: «**فلقد وسَّدتُك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك**»[1]، نجد أنَّ الإمام عليه السلام يقدِّم توسيِّد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في قبره على قوله «**وفاضت بين نحري وصدري نفسك**»، فربَّما يكون هذا؛ لأنَّ ساعة توسيِّده عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله في القبر كانت مشهورة لدى جميع المسلمين، بحكم حال تلك الحادثة التي شهدها جمع غفير من الناس يومئذ، أمَّا قضيَّة وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ربَّما من لم يحضر تلك الوفاة؛ قد يشكَل على الإمام عليه السلام هذا القول؛ لذا قدَّم ما يحقُّ له التقديم لأنه كان ذائعًا مشهورًا؛ لتهيئة نفوس الناس وعقولهم لقبول هذا الكلام الذي جاء بعده، وخالفه في التسلسل الزمنيّ.

أمَّا قوله عليه السلام «فاضت روحه»، فهي تعني الموت، جاء في اللغة: «الفيض الموت،

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٢.

يُقال فاضت نفسه»[1]، ثمَّ قال عليه السلام: «**إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون**»؛ وذلك لعظم المصيبة التي هو فيها، إذ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، وهذه الآية المباركة تشير إلى صبر الإمام عليه السلام، وإن أشار في مطلع هذه الخطبة إلى قلَّة الصبر، لكنَّه لم ينفيه عن نفسه، ومن خلال هذا النصِّ القرآني معنى أنَّ الإمام عليه السلام كان يتصبَّر لذلك الفقد، ثمَّ قال عليه السلام: «**أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمسهَّد**»، إذا أخذنا معنى السرمد في اللغة، نجده يعني الدائم[3]، أمَّا قوله عليه السلام: «**الى أن يختار الله دارك التي أنت مقيم فيها**»، لا يعني بذلك القبر أو الدار الآخرة بشكلٍ عامٍّ، وإنَّما في ذلك إشارة إلى داره ومقامه عند الله تبارك وتعالى في الجنَّة، وتلك الدرجة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فذلك مرتبط بقوله صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام: «**يا عليّ أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الناس منِّي موقفًا يوم القيامة، ومنزلي ومنزلك في الجنَّة متواجهَين كمنزل الأخوَين**»[4]، من هذا نعرف الدار التي أشار إليها عليه السلام، وتأتي مثل هذه الإشارة إضافة توثيقيَّة إلى ما ذكره الإمام عليه السلام من العلاقة الوثيقة برسول الله صلى الله عليه وآله، فهو قد تابع حياتها الشريفة إلى ساعة القبر، ومن ثمَّ الحديث المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يشير إلى ما بعد القبر، وتلك الحياة الآخرة، ومن هذا فهو يعطي علمًا، ويجعل السامع أكثر بصيرة بتلك الحياة، التي جمعت بين عليّ عليه السلام، ورسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمَّ يقول عليه السلام: «**فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقِم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين**»، وكلامه عليه السلام هذا يوثِّق كلامه السابق الذي ذكر فيه «سلام لا قال ولا سئم»، فأراد أن يزيل الوهم من ذهن المتلقِّي، فإنَّه إن ينصرف عن قبر السيِّدة عليها السلام، ذلك ليس

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: ١٠/ ٢٦٥.
(٢) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦
(٣) ينظر: الصِّحاح: ٢/ ٤٨٧
(٤) الخصال: ٤٢٩

من الملل، ولا عن عدم تحمُّل ما لا يطيقه له به، فالانصراف ليس من الجزع، وإنَّما لا بدَّ من الانصراف بعد إقامته على قبر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام. أمَّا إذا بقي مقيمًا، فليس عن سوء ظنٍّ، بمعنى أنَّ تلك الإقامة غير مصحوبة بالجزع والأسى؛ لذا لازم تلك الإقامة بالصبر، فهو يرجو من الله تعالى أن يُثاب بأجر الصَّابرين.

الخاتمة

لقد توصَّل البحث إلى مجموعة من النتائج التي ترتَّبت على المقدِّمات، ومن تلك النتائج نوجز ما يأتي:

١. إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قرن اسم النبيّ صلى الله عليه وآله بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لينقل ذهن السامع إلى ما حدث للسيِّدة عليها السلام من ظلم، ولو كان الحديث مخصَّصا لها وحدها؛ لكان أقلَّ وقعًا وتأثيرًا في نفوس السامعين؛ لذا نجده عليه السلام نادى النبيّ صلى الله عليه وآله مستذكرا الزَّهراء عليها السلام.

٢. تحدَّث الإمام عليه السلام عن الساعة التي توفِّي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن الدَّور الذي تولَّاه عليه السلام من غسلٍ وتجهيزٍ ودفن؛ ليشير بذلك إلى القرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة مع رسوله صلى الله عليه وآله، إذ كان يتبعه اتِّباع الفصيل إثر أمِّه، ليقول بذلك من أحقُّ منه بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣. خاطب الرسول صلى الله عليه وآله بأن يحفَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ وإن كان الرسول صلى الله عليه وآله أعلم بحالها، لكنَّه من خلال ذلك يُرِيد أن يبلِّغ الآخر بالظلم الذي وقع على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وتضافر الظلم عليها؛ ليكون خبرًا عامًّا للناس.

٤. من كلام الإمام عليه السلام يظهر أنَّ هناك عهد بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله، متعلِّقا بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله أودع ابنته عند الإمام عليه السلام؛ لذا فإنَّ خطاب الإمام عليه السلام يوحي بإرجاع تلك الوديعة، وكأنَّه على العهد الذي تعاهدا عليه،

أمَّا ما أصاب الزَّهراء عليها السلام من أسى، فهو من القوم الذين أشار اليهم عليه السلام، وهو يحثُّ النبي صلى الله عليه وآله أن يستخبرها الحال، بعد أن يخفَّها السؤال.

٥. يتبيَّن من خلال كلام الإمام عليه السلام أنَّ قبر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كان مجاورًا لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ذلك من خلال قوله: «**وعلى ابنتك النازلة بجوارك**»، مثلما يؤيِّد الرأي الذي ذهب إلى أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت أسرع من لحِقَت بأبيها صلى الله عليه وآله؛ وذلك إيضًا من خلال قوله عليه السلام في الخطبة ذاتها: «**والسريعة اللحاق بك**».

٦. وإذا تبيَّنت تلك النقاط السالفة، فلا بدَّ أن نتبيَّن أيضًا، ومن خلال شهرة هذه الخطبة، والصوت الصريح والواضح له عليه السلام، وهو يخاطب الرسول صلى الله عليه وآله عن ابنته عليها السلام، أنَّ وفاة السيِّدة لا بدَّ أن لا يختلف عليه، وحريٌّ كان أن لا يختلف فيه؛ لأنَّه لم يكن حدثًا سهلًا، والخطبة ذاتها كانت ملازمة مترتِّبة على تلك الحال، فكيف حفظت الخطبة، ولم يحفظ هذا التاريخ، وتعدَّدت فيه الروايات.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. بحار الأنوار، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١هـ)، مؤسَّسة الوفاء بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٧م.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسينيّ أبو الفيض (ت ١٢٥هـ)، دار الهداية.

٣. التعريفات، الجرجانيّ عليّ بن محمَّد بن عليّ الشريف (ت ٨١٦هـ)، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤. توظيف ألفاظ القرآن ومعانيه في خطب نهج البلاغة، محمَّد حاكم الكريطيّ، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، مطبعة الكفيل، ٢٠١٨.

٥. التوقيف على مهمَّات التعاريف، زين الدين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن عليّ بن زين العابدين المناوي القاهريّ (ت ١٠٣١هـ)، عبد الخالق ثروت، عالم الكتاب، القاهرة ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦. الحدائق الناظرة، المحقِّق البحراني (ت١١٨٦هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم.

٧. الخصال، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) تحقيق وتعليق علي أكبر الغفاريّ، ١٤٠٣هـ، منشورات جماعة المدرِّسين، قم المقدَّسة.

٨. خصائص الأئمَّة، الشريف الرضيّ، أبو الحسن محمَّد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق محمَّد هادي الأمينيّ، مجموعة البحوث الإسلاميَّة، الأستانة الرضويَّة، ١٤٠٦هـ.

٩. خصائص أمير المؤمنين، النسائيّ، أبو عبد الرحمن بن شعيب بن عليّ بن سنان ابن بحر بن دينار (ت٣٠٣هـ)، تحقيق محمَّد هادي الأمينيّ، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

١٠. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، الجوهريّ أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١. الكليَّات، أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ، تحقيق عدنان درويش المصريّ، محمَّد المصريّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٢. مختار الصِّحاح، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ (ت٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣. مدارك الأحكام، السيِّد محمَّد العامليّ (ت١٠٠٩هـ)، تحقيق مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء تراث أهل البيت، مشهد، ط١، ١٤١٠هـ.

١٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحمويّ، أحمد بن محمَّد بن عليّ الفيُّوميّ (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمَّد الجزريّ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحيّ، المكتبة العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٦. نهج البلاغة، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تأليف الشريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ)، جمع الشيخ محمَّد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

مآسي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله دلالات وإشارات في الشعر
الشيخ أحمد الوائليّ رحمه الله أنموذجًا

م.د. جنان فاضل عليّ
جامعة المثنَّى/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

الحديث عن البضعة الطاهرة عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، إنَّما هو الحديث عن الله (سبحانه)؛ لوحدة الرِّضا والغضب بينهما، الله يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، والله جميل ويحبُّ الجمال، ولو كان الجمال شخصًا لكان فاطمة عليها السلام، وإنَّها نور الله جلَّ جلاله، اشتُقَّت من نور أبيها وبعلها قبل خلق آدم عليه السلام، حوريَّة في صورة أنسيَّة، تكوَّنت نطفتها في أعالي الجنَّة، تحدَّثت في بطن أمِّها، سجدت عند ولادتها، ونطقت بالشهادَتَين، فهي المباركة الطاهرة، الصدِّيقة، المحدَّثة، الزهراء، البتول، الحوراء، أمُّ أبيها، وأمُّ الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، وهي الشخصيَّة الثانية التي تمثِّل البيت العلويّ، صورة مطابقة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في هذه الأمَّة، والمحرِّك الحقيقيّ والدافع القويّ للأمَّة لتحقيق الأهداف المحمَّديَّة، ومن المعلوم أنَّ المعرفة التامَّة لا تكون إلَّا بالإحاطة الكاملة للأشياء، ومن يقدر أن يحرز ما عليه الزَّهراء عليها السلام من المقامات والقداسة والأسرار إلَّا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فإنَّ الخلق كلُّهم، حتَّى الأنبياء والملائكة، لم يستطيعوا كنهَ معرفتها والإحاطة بها، ولم تكن سيِّدة النساء عليها السلام بمعزل عن المخطَّط الذي جاءت به سياسة الدولة آنذاك، بل إنَّها على علم

بأنَّ الدور سوف يأتي للبيت العلويّ، لذا انطلقت لكي تعكس الرسالة الخالدة معلنة ثورتها ومعارضتها للسلطة الجائرة، وتُبدي رأيها السياسيّ بكلِّ أمانةٍ وصدقٍ للعقيدة الخالدة. وعبر تلك الثورة الفاطميَّة، راحت الصدِّيقة عليها السلام بعزمٍ شامخٍ مستمَد من عزم أبيها صلى الله عليه وآله؛ لتنقذ الأمَّة من ويلات ما دُبِّر لها من الخطوب والكوارث، وتُعيد الحقَّ إلى نصابه، وتكشف للأجيال المؤامرة التي حيكت ضدَّهم، وسلبتهم حقَّهم الدينيّ الذي نصَّ عليه القرآن الكريم، فخطبت خطبتها الخالدة، التي هزَّت فيها العقول والعواطف، فخلَّفت الأحداث الرهيبة التي تعرَّضت لها بضعة الرسول صلى الله عليه وآله أسًى مريرًا، وحزنًا مرهقًا في أعماق نفسها الشريفة، هذه المآسي آثرت دلائل وحقائق تنطق صوتًا للحقِّ عبر الأجيال ومرِّ السنين.

ولتسليط الضوء في الكشف لبعض الحقائق والأحداث التي عاصرتها البضعة عليها السلام، ومن خلال سيرتها الطاهرة عليها السلام، والمنعطف المؤثِّر والمؤلم في حياة الزَّهراء عليها السلام، جاءت هذه الدراسة الموسومة (مآسي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله دلالات وإشارات في الشعر؛ الشيخ أحمد الوائليّ أنموذجا)، وقد اشتملت الدراسة على مقدِّمة وثلاثة مباحث، وتناولت في المبحث الأوَّل (صلة القربى والنسب الشريف لمولاتنا الزَّهراء عليها السلام)، نسبها وأصل تكوينها عليها السلام، أمَّا المبحث الثاني (بضعة الرسول صلى الله عليه وآله كائن جبروتيّ)، وقد تفرَّع منه عدَّة محاور، أهمها: شخصيتها الملكوتيَّة عليها السلام، تسميتها وألقابها، وشمل المبحث الثالث (مآسي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله دلالات وإشارات) بعض من المآسي التي عاشتها البضعة عليها السلام، والتي كانت عاملًا مهمًّا في رحيل البضعة عليها السلام سريعًا، شعرًا، إذ إنَّ الكلمة الشعريَّة لها وقع كبير في الوجدان؛ لما تتميَّز به من جماليَّة فنيَّة، ووسيلة من الوسائل المهمَّة في تخليد الأفكار والأحداث التي تشكِّل هويَّة الأمة، وتحدِّد ملامحها الفكريَّة.

وختمت الدراسة بنتائج، أهمّها: مثَّلت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله فكر الإسلام في كلِّ خطوة تخطوها، وكلِّ كلمة تقولها، إذ كلماتها ظلَّت حتَّى اليوم تذكِّر بما حصل، وتدين

ما جرى، وتعكس بجلاء مسيرة الإسلام الأصيل بقيمه ومفاهيمه وجذروه العميقة، وكذلك فإنَّ شعائر الإسلام تتحوَّل إلى سلوك وواقع أساسه الإيمان، وركائزه الفضائل، وهياكله التسامح والرحمة.

المقدِّمة

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذِكره، ودليلًا على نعمه، ومعاذًا من بلائه ونقمه، وسبيلًا إلى جنانه، والصلاة والسلام على حبيبه ونجيبه ومصطفاه محمَّد صلى الله عليه وآله المبعوث رحمةً للعالمين، صلاةً يصعد أوَّلها ولا ينفد آخرها، وعلى أهل بيته عليهم السلام الغُرِّ الميامين، الأئمَّة الأطهار. وبعد:

إنَّ رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله لا بدَّ لها من امتداد يمثِّلها في كافَّة جوانبها، ويعطيها التفسير الصحيح، وهذا لم نجده إلَّا من خلال الامتداد الطبيعيّ للرسول صلى الله عليه وآله المتمثِّل في بضعته فاطمة عليها السلام، وإنَّ استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء وحفظ القرآن الكريم وعقائده ومناهجه، إنَّما يكون بواسطة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومن خلال ذريَّتها، وهذا ما كان يراه رسول الله صلى الله عليه وآله في فاطمة عليها السلام من خلال تطلُّعه إلى آفاق المستقبل الذي سيكون من ولد الزَّهراء عليها السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا شجرة، وفاطمة أصلها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها**»[1]، وفي الحديث عن سيرة مولاتنا الزَّهراء عليها السلام في هذه الدراسة لا نستطيع أن نوفي حقَّها في ذِكر مناقبها وفضائلها، وعظمة شأنها، وما تعرَّضت إليه من ظلامات، وكذلك لا يسعني في هذه الدراسة الإحاطة التامَّة للجوانب المشرقة في حياة الزَّهراء عليها السلام، مع اعتقادنا بضرورة التطلُّع على سيرتها وأحوالها، إذ كلّ ما اجتمعت من فضائل للأنبياء قد اجتمعت كلُّها في مولاتنا الزَّهراء عليها السلام، ومن المؤكَّد أنَّ التمسُّك بأهل بيت النبوَّة يعدُّ أمانًا من الهلاك في الدنيا، ونجاةً من العذاب في الأخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّما أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق وهوى،**

(١) ميزان الاعتدال: ١/ ٢٣٤.

وإنَّما مثل أهل بيتي مثل باب حطَّة في بني إسرائيل، من دخله غُفِر له»[1]. ومن الجدير بالذِّكر، أنَّ بضعة الرسول صلى الله عليه وآله تعرَّضت في حياتها لموجات قاسية من المحن والخطوب والرزايا، وقد أحاط بحياتها القصيرة تيَّارات من الحزن والأسى والألم، لاسيما بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، وانتقاله إلى جنَّة المأوى، حيث تزلزل الحقُّ عن أهله، وانقلبت الأمور ومالت عن شرع الله تعالى، إذ إنَّ للكلمة دور كبيروفعَّال للتأثير في النفس البشريَّة، وتزداد تأثيرًا ووقعًا في النفس عندما تأتي بأسلوبٍ أدبيّ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة (مآسي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله دلالات واشارات في الشعر؛ الشيخ أحمد الوائلي أنموذجًا)، وقد اشتملت الدراسة على مقدِّمة وثلاثة مباحث، تكفَّلت جميعها بإبراز ما قامت عليه هذه الدراسة، ثمَّ ختمت هذه الدراسة بما توصَّلت إليه من نتائج، ورفدت الدراسة بقائمة المصادر والمراجع.

(١) ذخائر العقبى: ٢٠.

المبحث الأوَّل

صلة القربى والنَّسب الشريف لمولاتنا الزَّهراء عليها السلام

إنَّ الإيمان بالله والعمل الصالح يورث محبَّة في قلوب الناس، وإنَّ من يروم القرب لله تعالى أن يتَّجه بملء قلبه لله ربِّ العالمين، وأن تكون تصرُّفاته لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، وإنَّ للإيمان أثرٌ بالغٌ في القيام بحقوق الله تعالى أوَّلًا، وحقّ الناس ثانيًا، لذا استقطب المؤمنون حُبَّ آل البيت عليهم السلام، لدورهم الفعَّال في إصلاح المجتمع الإنسانيّ، إذعانًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[2]، هُم رمز الطهارة الفكريَّة والإنسانية، وهي خلافة أنوار الرسالة المحمَّديَّة التي بذلوا في سبيلها مهجهم وحياتهم، وإنَّ ما يمثِّل أهل البيت عليهم السلام مولاتنا الزَّهراء عليها السلام، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله. عاشت بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله معظم حياتها القصيرة الأمد في كنف أبيها خاتم الأنبياء، وفي ظلِّ مودَّته ورعايته، وقد أحبَّها حبًّا إلهيًّا، وأحاطها بهالة من التبجيل والتعظيم، وأشاد بجليل قدرها وعظم منزلتها، وسموِّ مقامها في مجالسه ومحاضراته، مولاتنا الزَّهراء عليها السلام صورة مشرقة لجميع الفضائل التي بلغت بها أرقى مدارك الكمال والفضيلة، مثال العصمة، هالة النور، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمجموعة من الأصحاب في شأن بضعته: «**مَن عرف هذه فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمَّد، وهي بضعة منِّي، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى**

(١) الأنعام: الآية ١٦٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٦.

الله»[1]، وإنَّ حقيقة ومقام الزَّهراء لم يعرفه أحد كما هو حقُّه إلَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمَّة الهدى عليهم السلام، وبالطبع فإنَّ أصل تكوين الزَّهراء عليها السلام يختلف عن باقي البشر، إذ أجمع العلماء بأنَّ أصل مادَّة بدنها من الجنَّة، من أعلى أشجارها وثمارها، وأمَّا الروح المتناسبة مع هذا البدن، فقد اختارها الله تعالى لها، وهي من الأسرار الخاصَّة به تعالى، ولا نستطيع أن نفهمها إلَّا من الأخبار المتضمِّنة، روحها خُلِقت من نور عَظَمة الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله خلقني وخلق عليًّا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام، حين لا سماء مبنيَّة، ولا أرض مدحيَّة، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنَّة ولا نار، فقال العبَّاس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**لـمَّا أراد الله أن يخلقنا تكلَّم بكلمة خلق منها نورًا، ثمَّ تكلَّم بكلمة أخرى فخلق منها روحًا، ثمَّ مزج النور بالروح، فخلقني وخلق عليًّا وفاطمة والحسن والحسين، فكنَّا نسبِّحه حين لا تسبيح، ونقدِّسه حين لا تقديس، فلـمَّا أراد الله تعالى أن يُنشئ خلقه، فتق نوري، فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمَّ فتق نور أخي عليّ، فخلق الملائكة، فالملائكة من نور عليّ، ونور عليّ من نور الله، وعليّ أفضل من الملائكة، ثمَّ فتق نور ابنتي، فخلق منه السماوات والأرض، فالسموات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثمَّ فتق نور ولدي الحسن، فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمَّ فتق نور ولدي الحسين، فخلق منه الجنَّة والحور العِين، فالجنَّة والحور العِين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنَّة والحور العِين**»[2]، حبل الله المتين الممدود بين السماء والأرض، ولولاها لما قام للإسلام قائمة، فقد استطاعت بعلمها الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وجهادها حفظ الرسالة النبويَّة،

(١) الغدير: ٣/ ٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٥/ ١٠.

لذلك ينشد الشاعر قائلاً:

بلغة خصّها النبيّ لذى القربى
كما صرّحت به الانباءُ
لا تساوي جزءًا لما في سبيل الله
أعطته أمّك السّمحاءُ
ثمّ فيها إلى مودة القربى
سبيل يمشي به الاتقياءُ[1]

ففي هذه الابيات يجسد الشاعر، النسب الوضّاء لمولاتنا الزَّهراء عليها السلام،الأب فهو سيِّد الكائنات، وأشرف خلق الله، زعيم الانسانية ونبيها الأعظم محمَّد(ﷺ)، والأم فهي خديجة بنت خويلد سيِّدة نساء قريش وأم المؤمنين، ذات الحسب والنسب، تلك المرأة الجليلة التي وهبت كل ما تملك لنصرة الاسلام، ولم يبق شيء عندها من المال، فجزاها الله عن الاسلام خير الجزاء، وتذكر الروايات انّ الله تعالى منح أم المؤمنين خديجة قصرًا في الفردوس الأعلى، بما روي عن رسول اللهﷺ أنّه قال: (أمرتُ أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)[2]، نشأت مولاتنا الزَّهراء (سلام الله عليها) في احضان النبوة وذرى عطفه بيت الرسالة، لم ترضع الا من صدر امها [3]،وبعد وفاة امها رفدها النبي الأكرمﷺ بحنانه وحبه، فكلما أقبلت إليه الزَّهراء يقول: (مرحبا بأبنتي)[4]، وأفاض عليها مكنوناته النفسية التي أشرقت بها سماء الدنيا، وعلّمها القرآن الكريم، وأحاطها علما بجميع ما يتعلق بآيات الأحكام وأسباب النزول، وما يتعلق بها من أمور، كما درّسها أحكام الشريعة، ورسم لها معالم الايمان والأخلاق الفاضلة

(١) الديوان: ٣٠.
(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٩٧.
(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق: ١/ ١٩٤.
(٤) صحيح البخاريّ: ٨/ ٣٧٤.

وأصول الآداب، ومن برامج التربية التي قدَّمها النبيّ صلى الله عليه وآله لابنته الزَّهراء عليها السلام أنَّه أوصاها بجملة من الوصايا منها: «**إنَّ الله يحبُّ الخيِّر الحليم المتعفِّف، ويُبغض الفاحش الضنين السائل الملحف**»، «**إنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنَّة، وإنَّ الفحش من البذاء والبذاء في النار..**»[1]، وهكذا تكوَّنت شخصية الزَّهراء عليها السلام من حُلَّة النور الإيمانيَّة، نور أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وعلياء أمّها خديجة بنت خويلد عليها السلام الزكيَّة الطاهرة، وشرف الإمام عليّ عليه السلام زوجها، ومن مثل الزَّهراء عليها السلام في شرف مؤثل، ومجد شامخ، ونسب أصيل، صورة فريدة للكمال الإنسانيّ، جمعت كلَّ معاني العفَّة والفضيلة والشرف والكمال، صورة الأصالة والابداع الإلهيّ في خلقه، وإنَّ كلَّ علاقة قلبيَّة أو ارتباط عاطفي يشدُّنا إليها عليها السلام؛ لأنَّه قُربى النبيّ صلى الله عليه وآله، بل أنَّه يمثل في الواقع حُبٌّ لله تعالى والقيم الربَّانيَّة والكمالات الإلهيَّة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حبُّ أهل بيتي وذريَّتي استكمال للدين**»[2]، فارتباط الناس بالأئمَّة لم يكن ارتباطًا وجدانيًّا فحسب، وإنَّما هو التزام بالإسلام النقيِّ الصافي.

(١) دلائل الإمامة: ٦٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٥٨، ينابيع المودَّة: ٢/ ٢٦٨.

المبحث الثاني

بضعة الرسول صلى الله عليه وآله كائن جبروتيّ

إنَّ المتأمِّل لسيرة مولاتنا الزَّهراء عليها السلام يجد فيها نفحات العظمة والقداسة، فهي ليست امرأة عاديَّة، وإنَّما هي شخصيَّة إلهيَّة استطاعت أن تخرج إلى العالم تحيطها هالة من الحكمة والجلالة، حكمة ليس مرجعها الكتب والعلماء، وإنَّما علمها من صميم نفس لأنَّها آية الله في خلقه، فضيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرف لهم أهل الأرض، شخصيَّة كلَّما ازداد البشر تطوُّرًا للحياة وتطلُّعًا للحقائق، أبهرتهم عَظَمة تلك الشخصيَّة التي لم تخلق الدنيا مثلها، وسنتناول بعض من تلك العَظَمة بمحورَين، هما:

المحور الأوَّل: شخصيَّتها الملكوتيَّة عليها السلام

فاطمة الزَّهراء عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله كائن ملكوتيّ تجلَّى بهيئة إنسان، بل كائن جبروتيّ تمثَّل بصورة امرأة، شخصيَّة جمعت في تكوينها جميع الخصال الكماليَّة، والمظاهر الإلهيَّة والجبروتيَّة والملكيَّة والإنسيَّة، فمولاتنا الزَّهراء انطلقت بحركتها من الطبيعة إلى مرتبة الغيب إلى الفناء في الإلوهيَّة، وإنَّ هذا المظهر الصوريّ الطبيعيّ يمثِّل أعلى مراتب الإنسان[1]، حجَّة الله الكبرى على الخلق، بها فيهم الأنبياء والأوصياء، «**نحن حجج الله على الخلق وجدَّتنا فاطمة عليها السلام حجَّة الله علينا**»[2].

(١) ينظر: مكانة المرأة في فكر الإمام الخمينيّ: ٢٣.
(٢) الأسرار الفاطميَّة: ٢٦٥.

وقد أحبَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ابنته الزّهراء عليها السلام حبًّا إلهيًّا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها ويسرُّني ما أسرَّها**»(١)، وكان الرسول صلى الله عليه وآله يرى الزّهراء تتحدَّث مع أمّها خديجة وهي في بطنها أيّام الحمل، وتحدِّثها بما يطيِّب خاطرها ويبعث السرور والطمأنينة لها، ويكنِّيها بأمِّ أبيها، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**وأمَّا ابنتي فاطمة، فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني وثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، وهي الحوراء الإنسيَّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربِّها (جلَّ جلاله) زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**»، ويقول لم تكن امرأة عاديَّة، شخصيَّة متكاملة تحلَّت بصفات الأنبياء وخصالهم، امرأة تماثل فضائلها فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله، مفخرة بيت النبوَّة والعترة الطاهرة، لذلك ينشد الشاعر قائلًا:

كيف يدنو إلى حشاي الدَّاء
وبقلبي الصديقة الزَّهراءُ
من أبوها وبعلها وبنوها
صفوة ما لمثلهم قرناءُ
أفق ينتمي إلى أفق الله
وناهيك ذلك الانتماءُ
وكيان بناه أحمد خلقًا
ورعته خديجة الغرّاءُ
وعليّ ضجيعه يا لروح
صنعته وباركته السماءُ(٢)

---

(١) ينابيع المودة: ١٧١.

(٢) الديوان: ٣٠، أحمد بن حسُّون الوائليّ، ولد سنة ١٩٢٨ في النجف، رجل دين، عالم دينيّ،=

ففي هذه الأبيات يجسِّد الشاعر الحبَّ لاهل البيت عليهم السلام بوجهٍ عام، وحبُّ الصدِّيقة الزَّهراء بوجهٍ خاص، فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، ابنة أعظم نبيّ صلى الله عليه وآله، وزوجة أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وقائد الغرِّ المحجَّلين وأمُّ السِّبطين الحسن والحسين عليهما السلام، سيِّدي شباب أهل الجنَّة، والسادة الأطهار الأئمَّة الأخيار عليهم السلام من نسلها، فهي الوعاء والمنبت الطاهر لعترة النبيِّ المصطفى صلى الله عليه وآله، ويصرِّح بأنَّ حبَّ أهل البيت عليهم السلام مقرون بحبِّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، ويؤكِّد الشاعر بأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم بيت الوحي والعلم والطهارة، بما رويَ عن الإمام الباقر عليه السلام: «**بيت عليّ وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسقف بيتهم عرش ربِّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحًا ومساءً، وكلَّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل، وفوج يصعد، وإنَّ الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتَّى أبصر العرش، وزاد الله في قوَّة ناظره، وإنَّ الله زاد في قوَّة ناظر محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكانوا يبصرون العرش، ولا يجدون لبيوتهم سقفًا غير العرش، فبيوتهم مسقَّفة بعرش الرحمن، ومعارج الملائكة والروح فيها بإذن ربِّهم من كلِّ أمر سلام**»[2].

=وخطيب وشاعر، وأديب، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الإنسانيَّة من كليَّة العلوم بجامعة القاهرة ١٩٧٢، اشتهر بجودة البيان والأسلوب العلميّ، له عدَّة مؤلَّفات، منها رجالات الاسلام، سيرة شهداء الطفِّ، وله ديوان شعر مطبوع، توفِّي سنة ٢٠٠٣م في بغداد (الكاظميَّة)، ودُفِن بالنجف الأشرف، جوار مرقد كميل بن زياد رحمه الله.

(١) التوبة: الآية ٢٤.

(٢) تفسير البرهان: ٤/ ٤٨٧.

المحور الثاني: تسميتها والقابها

تسميتها:

تؤكِّد الشريعة الإسلاميَّة على مسألة مهمَّة تقع على عاتق الأبوَين حين يلد لهما مولود، إذ لا بدَّ من انتقاء اسم مبارك يدلُّ على معنًى لائق وجميل، تلبيةً للنفس، ومرضاةً للقلب والوجدان، فالاسم الذي يمنحه الأب أو الأم للمولود يترك أثرًا كبيرًا في النَّفس الإنسانيَّة بحسب ما توصلت إليه بحوث الدارسين من علماء النفس والاجتماع، بل إنَّها تترك تأثيرًا على السلوك قد يكون إيجابيّ أو سلبيّ، لذا لا بدَّ للفرد الواعي أن يتنبَّه لهذه القضيَّة.

وبالطبع فإنَّ المتأمِّل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام، يجد كثيرًا من الروايات التي تؤكِّد على ضرورة تسمية المولود بخير الأسماء وأفضلها، وذلك لما يتركه الاسم من بصمات وآثار بتصرُّفات الأفراد، ومن المؤكَّد أنَّ هذا الموضوع إنَّما يكون لعامَّة الناس، ولا يختصُّ بمولاتنا الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّ تسميتها جاءت من الباري عزَّ وجلَّ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «**شقَّ الله لك يا فاطمة اسمًا من أسمائه، فهو الفاطر وأنت فاطمة**»[1]، وحين بشِّر النبيّ صلى الله عليه وآله بولادة إشراقة الروح ونور الإيمان مولاتنا الزَّهراء عليها السلام، فاطلق عليها اسم (فاطمة)، وتذكر الروايات أنَّ وقت الولادة كان في يوم الجمعة من جمادى الآخرة[2]، قيل بعد البعثة النبويَّة، وبعد الإسراء بثلاث سنوات، وأنَّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: «**لمَ سمِّيت فاطمة يا رسول الله؟**»، فقال صلى الله عليه وآله: «**لأنَّها فُطِمت هي وشيعتها من النار**»[3]، مظاهر حيَّة للتعالي والتجلِّي، وكيف لا تكون وهي بضعة النبي الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله، أشبه به خلقًا ومنطقًا، وواكبت رسالته منذ البدء، فارتوت ينابيع العلم والمعرفة، تقول مولاتنا فاطمة عليها السلام في خطبتها: «**أيُّها الناس، اعلموا**

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥، الأسرار الفاطميَّة: ٣٨٤.
(٢) الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبيِّ الأطهر: ١/ ٣٠٩.
(٣) نساء النبيِّ وأولاده: ٩٠.

أنِّي فاطمة وأبي محمَّدصلى الله عليه وآله**، أقول عودًا وبدوًا، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا..»**، فمثَّلت الامتداد الطبيعيّ للرسالة، ومن ثمَّ الامامة، فيقينًا أن تكون سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين. يروى عن رسول الله**صلى الله عليه وآله** أنَّه قال: «**أمَا ترضَين أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمَّة، أو نساء العالمين؟**»[1]. تبقى هذه المعجزة الخالدة بعد سيِّد الأكوان محمَّد**صلى الله عليه وآله** الذي هو معجزة المعجزات، ومصدر العظمة الناطقة بعظمة الرسالة المحمَّديَّة، وإنَّها رحمة للعالمين، صورة فريدة للكمال الإنسانيّ، جمعت كلَّ معاني العظمة والفضيلة والشرف والكمال، صورة جليَّة من صور الإبداع الخُلقيّ والخَلقيّ لقدرة الله (جلَّ وعلا)؛ لتكون آية من آيات عظمته في خلقه، لتلك التسمية ينشد الشاعر بقوله:

فـاحـتـوى فـاطـمًا إلـيـه ونـادى

عـزَّ يـا بـضـعـة الـنـبـيّ الـعـزاءُ[2]

ألقابها:

لقد أعطى الله تعالى فاطمة الزَّهراء**عليها السلام** أوفر حظٍّ من العَظَمة، وأوفى نصيبٍ من الجلالة، بحيث لا يمكن إدراك كمالها وعظمة شأنها، فقد زكَّاها الله تعالى من كلِّ إثم، وعصمها من كلِّ ذنب، وحباها بكلِّ فضل، وجعلها قدوة لنساء العالم أجمع، فهي فضيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقِّهم آيات محكمات في الذِّكر الحكيم تُتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، والى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، وما أوتيت سيِّدتنا الكبرى**عليها السلام** من الفضائل والشموخ، ولا أن يأمل الوصول إلى شأو ما منحه الله تعالى إيَّاها، فيبرز نواحي ذلك ويوفيه، فهي

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٦.

(٢) الديوان: ٣٢.

(٣) الأحزاب: آية ٣٣.

الشخصيَّة الفذَّة التي تحدِّثها رسل، شخصيَّة إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة، واقتداره البديع العجيب، فإنَّ الله تعالى خلق محمَّدًا صلى الله عليه وآله ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثمَّ خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام لتكون علامة وآية على قدرة الله في إبداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب، فكانت البركات التي عمَّت العالم قد انتشرت فيه بواسطتها، المعصومة الكبرى والشفيعة في يوم الجزاء، وهي البضعة من جسد النبيّ صلى الله عليه وآله، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، من أحبَّها فقد أحبَّ الله ورسوله، ومن حاربها فقد حارب الله ورسوله، فمن الأعمال التي خصَّها الله تعالى لمولاتنا الزَّهراء عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله عقيب كلِّ صلاة، هو التسبيح الذي علَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كانت فاطمة أحبَّ الناس لأبيها، وقد أثرت الرَّحى بيديها، واستقت بالقربة حتَّى أثرت في نحرها، وكنست البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت القدر حتَّى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضر، فسمعنا أنَّ رقيقا أُتيَ بهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقلت لها: لو أتيت أباك فسالتيه خادمًا يكفيك، فأتته فوجدته مشغولًا، فاستحيت أن تراجعه، فرجعت، وفي اليوم الثاني بادر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بيت فاطمة عليها السلام فسألها عن سبب مجيئها إليه، فاستحيت أن تخبره، وسارع الإمام فقال: أنا والله! أحدِّثك يا رسول الله، إنَّها جرت بالرَّحى حتَّى أثَّرت في يديها، واستقت بالقربة حتَّى أثَّرت في نحرها.. وبلغنا أنَّه أتاك رقيق أو خدم، فقلت لها: سليه خادمًا. وانبرى النبيّ صلى الله عليه وآله فاتحهما بما هو خير من جميع متع الحياة، قائلًا: ألا أعلِّمكما خيرًا ممَّا سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تكبِّرا أربعًا وثلاثين، وتسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»[1]، وكذلك من المقامات والكرامات التي خصَّ الله تعالى مولاتنا الزَّهراء عليها السلام أنَّه أطلق على مولاتنا الزَّهراء عليها السلام القابًا عدَّة، نذكر منها:

(١) سنن أبي داوود: ٢/ ٤٨٩.

الزَّهراء عليها السلام:

مِن الألقاب المباركة لمولاتنا الزَّهراء، لم يكن اعتباطًا، وإنَّما كان تعبيرًا عن ذاتها؛ لأنَّ نورها الذي زهرت به السماوات والأرض، والذي هو من نور الله (جلَّ جلاله)، كرامة من الله تعالى، ولمقامها السامي عنده، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت لم سمِّيت فاطمة الزَّهراء زهراء؟ فقال: «**لأنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور عظمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السموات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرَّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيِّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله اليهم: هذا نور من نوري، وأسكنته في سمائي، خلقته من عَظَمتي، أخرجه من صلب نبيٍّ من أنبيائي، أفضِّله على جميع الأنبياء، وأُخرِج من ذلك النور أئمَّة يقومون بأمري، ويهدون إلى حقِّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي**»[1]، وكذلك فقد سُئِل الإمام الصادق عليه السلام عن السبب في تسميتها بهذا الاسم فقال: «**إنَّها إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السَّماء، كما تزهر الكواكب لأهل الأرض**»[2]، ولذلك اللقب يُشير الشاعر بقوله:

أتـــروح الـــزَّهـــراء تـطـلـب قـوتًـا

والـــذي اســـترفـــدوا بهـــا أغـنـيـاءُ

إنَّ الفرد المسلم بحاجة إلى المنهل الرائق، والمنبع الأصيل الذي يضمن له معرفة الحقِّ من الباطل، ويحقِّق له أقرب الطرق التي تُؤمِّن الوصول إلى خير الدنيا والآخرة، وبما أنَّ الإنسان يميل إلى الأخذ من أحبِّ من تعلَّق قلبه به، فإنَّ من يهوى آل البيت عليهم السلام سوف يأخذ العلم من أهله، والدين من محلِّه، والتنزيل من منزله، والاعتقاد من أصله.

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٢.

(٢) نساء النبيّ وأولاده: ٩٢.

البتول عليها السلام:

من الالقاب المباركة (البتول)؛ لأنَّها بتلت وانقطعت عن النظير[1]، فليس لها ندٌّ من النساء يشبهها في فضائلها، وقد سُئِل أحمد بن يحيى[2] عن سبب تسميتها بالبتول، فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمَّة، عفافًا وفضلًا ودينًا وحسبًا، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عزَّ وجلَّ، ولذلك ينشد الشاعر قائلًا:

أيُّهـــا المـــوســـع الـبـتـولـة هـضـمـا

ويـــك مـــا هـكـذا يـكـون الـوفـاءُ

الصدِّيقة عليها السلام:

ومن الألقاب المباركة (الصدِّيقة)، وقد أطلق الله تعالى هذا اللقب لمولاتنا إجلالًا وإكرامًا لما بلغت إليه من التصديق بكلِّ ما أتاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وكانت المؤمنة بكلِّ عقائدها الربَّانيَّة، والتي كانت تعمل على ضوء تلك العقائد، قال الامام الصادق عليه السلام: «**وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى**»[3]، يقول الشاعر ذاكرًا ذلك اللقب:

كـيـف يـدنـو إلى حـشـاي الـدَّاء

وبـقـلـبـي الـصـدِّيـقـة الـزَّهـراءُ

(١) لسان العرب: ١٦/ ٤٣ (مادَّة بتل).
(٢) سيرة الرسول وأهل بيته الأطهار: ١/ ١٧١.
(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ١٠٥

المبحث الثالث

مآسي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله دلالات وإشارات

ولاية أهل البيت عليهم السلام نور أخذ مكانه في قلب كلِّ مؤمن، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن أراد الحكمة**، أي معرفة سرِّ الخلقة وحقيقة الأشياء كما هو حقّها، **فليحبَّ أهل بيتي، ومن أراد أن يعرف نفسه ويعرف ربَّه، وأراد معرفة طريق السعادة أبصر بأنَّ الدنيا دار فناء وزوال، والأخرة دار بقاء ودوام، وجب أن يحبَّ أهل بيتي**»[1]، وبالطبع كلُّ من يخلص بحبِّه لأهل البيت عليهم السلام سوف يظهر جليًّا ما ينطبع بقلبه نور يتَّصل ويرتبط بنور من أحبَّهم وتخلَّق بهم، وذلك تظهر آثاره بما يجنيه من علوم تتَّصل بعلومهم، والله يختصُّ برحمته من يشاء، ومن عطاء الله وكرمه على البشريَّة أنَّه منَّ عليهم بدينه القويم، يُنير لهم الطريق من خلال صفوةٍ أختارهم، النبيّ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وجعل محبَّتهم وولايتهم الطريق المستقيم، والفوز بالجنَّة، والنجاة من سقر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن أراد التوكُّل على الله فليحبَّ أهل بيتي، ومَن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحبَّ أهل بيتي، ومَن أراد أن يدخل الجنَّة بغير حساب فليحبَّ أهل بيتي**»[2].

إنَّ المتأمِّل بسيرة الزَّهراء عليها السلام يتراءى له أنَّها بقيَّة النبوَّة ومعدن العلم والحكمة، العترة الطاهرة التي عصمها الله من الخطأ، وطهَّرها من الدَّنس، وفرض مودَّتها على جميع العباد، وللأسف كلّ الأسف على زمان عاشت فيه مولاتنا بضعة الرسول

(١) سيرة الزَّهراء: ١٦٢.
(٢) بحار الأنوار: ٧/ ٥٣٩.

الأعظم صلى الله عليه وآله ولاقت ما لاقته من المآسي والاحداث والظلامات التي تعرَّضت إليها من السلطات آنذاك، ومن تلك المآسي:

الاعتداء على شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ العظمة الإلهيَّة إذ تعاظمت بمشيئته وقدرته في عبدٍ من عباده بصورة تتحدَّى النبوغ والعبقريَّة حتَّى تصل إلى درجة الإعجاز، وقد شاء الله أنْ تتجسَّد هذه العَظَمة الخارقة وتتمثَّل هذه المعجزة بعد تكوينها في صورة بشريَّة سمَّاها الزَّهراء عليها السلام، شخصيَّة كلَّما ازداد البشر نضجًا وفهمًا للحقائق واطِّلاعا للأسرار، ظهرت عَظَمة تلك الشخصيَّة بصورة أوسع، ومن العجب كلّ العجب لما لاقته بضعة الرسول صلى الله عليه وآله مولاتنا الزَّهراء عليها السلام ظلمًا واضطهادًا، إذ تخطَّى ظلم هؤلاء القوم بالاعتداء على شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها وقفت موقفًا حاسمًا ضدَّهم، فقد جهدت على إفساد مخطَّطاتهم، وإرجاع الحقِّ إلى أهله، لذلك يشير الشاعر بقوله:

أي دهمـــاء جـلـلـت أفـــق الاســـلام
حـــتـــى تـــنـــكـــر الخـــلـــصـــاءُ
أطـعـمـوك هـــوان مـــن بـعـد عـزّ
وعـــن الحـــبّ نـابـت الـبـغـضـاءُ

ففي هذه الابيات، يصوِّر لنا الشاعر صورة مؤلمة تحزُّ في نفس كلِّ مسلم، إذ يقف الشاعر مذهولًا متسائلًا عمَّا فعله هؤلاء القوم ببضعة النبيِّ الاكرم صلى الله عليه وآله، قرَّة النبوَّة، وهيكل العَظَمة والقداسة، وجوهرة الخلقة، ودرَّة صدف الرسالة، سيِّدة نساء العالمين، ما بال هؤلاء القوم لم يحفلوا بأنَّ إيذاء بضعة الرسول صلى الله عليه وآله إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وجفاء لحقِّه ونكران لمعروفه لهم، أين هم من قول رسول الله بحقِّ أهل بيته عليهم السلام: «**هؤلاء الذين أمر الله تعالى بمودَّتهم فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فاطمة مهجة قلبي، وعليّ قرَّة عيني، والحسن والحسين ثمرة فؤادي، وأوصيائي من نسل الحسين أمناء**

ربِّ العالمين هم حبل الله»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**يا سلمان من أحبَّ فاطمة ابنتي فهو في الجنَّة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان حبُّ فاطمة ينفع في مائة موطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رَضيَت عنه ابنتي فاطمة رضِيتُ عنه، ومن رضِيتُ عنه رضيَ الله عنه، ومن غَضِبتْ فاطمة عليه غَضِبتُ عليه، ومِن غضيتُ عليه غضب الله عليه، يا سلمان ويلٌ لمن يظلمها ويظلم ذريَّتها وشيعتها**»[2]

ويؤكِّد الشاعر على جفاء هؤلاء القوم، وإصرارهم على تنفيذ سياستهم مهما كلَّفهم الأمر، وابتعدوا عن الحقِّ، بغضًا وحقدًا، إذ يقول:

أأضيعت الآء أحمد فيهم

وضلال أن تجحد الآلآءُ

هنا يجسِّد الشاعر ما آلت إليه مولاتنا الزَّهراء عليها السلام من ظلم، مأساة حقيقيَّة وألم، إذ يبيِّن الشاعر دلالات واضحة للضلالة والغي بانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل ما وصلوا إليه من حقد لبيت النبيّ صلى الله عليه وآله، فتذكِّرهم بأنَّهم قد رفدوا بِنَعم أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله براية الاسلام، بعد أن كانوا همج رعاع، عَبَدة أصنام، تذكر مولاتنا الزَّهراء عليها السلام أحوالهم في خطبتها، إذ تقول عليها السلام: «**وكنتم على شفا حفرة من النار، مُذقة الشَّارب، ونُهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطَّرق، وتقتاتون القدَّ، أذلَّة خاسئين، تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمَّد صلى الله عليه وآله بعد اللتيَّا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب..**»[3].

---

(١) ينابيع المودَّة: ٢/ ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧/ ٥٣٩.

(٣) كشف الغمَّة: ١/ ٤٧٩، سيرة الرسول: ١/ ٢٣٤.

ويتستفهم الشاعر من هؤلاء القوم في تمادي ظلمهم لمولاتنا الزّهراء عليها السلام، هل يكون جزاء الإحسان وردٌّ الجميل لرسول الله صلى الله عليه وآله هكذا، إذ يقول:

أَفَأجر الرسول هذا، وهذا

لمزيد من العطاء الجزاء

ويتألَّم الشاعر أشدَّ الألم لما حلَّ بالبضعة الغرَّاء عليها السلام من أحزان ونكبات، فيردعهم ردعًا مصحوبًا بالزَّجر والوعيد، إذ يقول:

أيُّها الموسع البتولة هضما

ويك ما هكذا يكون الوفاءُ

ففي هذا البيت تتعاظم الشجون في نفس الشاعر، فراح ينفِّس من همِّه ولوعته بالزَّجر لهؤلاء القوم، ليُطلق صرخة داخل نفسه، يدعوها بالتحذير والتنذير، هذه الصرخة تعبِّر عن مشاعر نفسه وما اعتلج صدره من هموم وأحزان، وهذه الصرخة المدماة تنمُّ عن إحساس الشاعر المرهف والشعور الحزين المتولِّد لما حلَّ بالبضعة الطاهرة عليها السلام من ظلم، ومأساة، وألم.

ونخب الحزن قلب مولاتنا الزَّهراء عليها السلام وألمَّ بها الآسى، إذ يقول الشاعر:

نهنهي يا ابنة النبيّ عن الوجد

فلا برحت بك البرحاءُ

ففي هذه الأبيات نجد أنَّ الشاعر قد استوطن الحزن نفسه، إذ جاءت كلماته دالَّة على عواطفه ومشاعره وآهاته وأوجاعه، فصوَّر إحساسه المتدفِّق في نفسه والآمه، لما حلَّ بالزَّهراء من مصيبة، وشدَّة الهمِّ والحزن تدعو النحيب والبكاء والألم، إذ أقدم القوم على الهجوم على دار البضعة عليها السلام وترويعها، وحرق دارها، يذكر المسعوديّ: «أنَّ العباس صار إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقام أمير المؤمنين ومَن

معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فتوجَّهوا إلى منزله فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهًا، وضغطوا سيِّدة النساء بالباب»[1].

تراكمت عليها المصائب يتبع بعضها بعضًا، لقد جحد القوم حقَّها، ولم يراعوا وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله فيها، وإسقاطها جنينها المحسن، وحرق دارها، وكسر ضلعها، فترك ذلك أعمق الحزن والآسى في نفسها، لذلك ينشد الشاعر قائلًا:

يا لوجد الهدى، أجل وعلى الدُّنيا
وما أوعبت عليه العفاء
وأريحي عينًا وان أذبلتها
دمعة عند جفنها خرساءُ
وانطوى فوق أضلع كسروها
فهي من بعد كسرهم أنضاءُ
وتناسي ذاك الجنين المدمّى
وان اسوحشت له الأحشاءُ

ففي هذه الأبيات يجسِّد الشاعر الاعتداء الأليم على بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، وحرمة الاسلام ووصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله التي أوصى بها قومه بالخلافة من بعده، فقد خرجت مولاتنا عليها السلام مدافعة عن الاسلام وإرجاع الحقِّ إلى نصابه، فهي بقيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وسيِّدة نساء العالمين، إلَّا أنَّ القوم لم يحفلوا بذلك، فعانت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله منتهى القسوة والغلظة، فقد أسقطت جنينها الذي سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمحسن، يقول المسعوديّ: «وضغطوا سيِّدة النساء بالباب حتَّى أسقطت محسنًا»[2]، فلازمت الفراش، ولم تتمكَّن من النهوض والقيام، وقد خلدت إلى البكاء، فكانت تجد فيه راحة نفسيَّة لها حتَّى عُدَّت

(١) إثبات الوصيَّة: ١٢٣، الملل والنِّحل: ١/ ٥٦.
(٢) إثبات الوصيَّة: ١٤٣.

من البكّائين الخمسة[1].

وســـوار عـلى ذراعـيـك مـن سـوط
غـطّـت بـضربـه الـلّـؤمـاءُ
في حـشـايـا الـظّـلام في مخـدع
الـزّهـراء آه ولـوعـة وبـكـاءُ
وهـي فـوق الـفـراش نـضـو من
الاسـقـام كالغصن جـفّ عنه المـاءُ[2]
أ لـرّزايـا الـسّـوداء لم تـبـق منـها
غـير روح ألـوى بهـا الاعـيـاءُ
ومـسـجّـى مـن جـسـمـهـا وسـمـتـه
بـالـنـدوب الـسّـيـاط كـيـف تـشـاءُ
وكـسـير مـن الـضّـلـوع تحـامـت
أن يـراه ابـن عـمّـهـا فـيّـسـاءُ

ففي هذا النصّ يبيّن الشاعر الظلامة لبضعة الهادي صلى الله عليه وآله، إذ يصوِّر مدى حبِّ هؤلاء القوم للملك والسلطان، لقد اقترفوا في سبيله كلَّ ما نهى عنه الإسلام، اعتدوا على بضعة الرسول المختار صلى الله عليه وآله، حينما خرجت مدافعة عن الإسلام، وإرجاع الحقِّ إلى أهله، نكروا بيعة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام، فوقفت ضدَّهم، وجهدت على إفساد مخطَّطاتهم، إلَّا أنَّ هؤلاء القوم لم يحفلوا بذلك، بل إنَّهم اعتدوا عليها بالضرب، وعصر الباب، وإسقاط جنينها المحسن، يقول الطبريّ: «وكان سبب وفاتها أنَّ قنفذ مولى الرجل لكزها بنعل السيف، فأسقطت محسنًا، ومرضت من ذلك مرضًا شديدًا»[3].

(١) البكّاؤون الخمسة: آدم ويعقوب ويوسف وعليّ بن الحسين وفاطمة. ينظر: بحار الأنوار: ١١/ ٢٠٤.
(٢) الديوان: ٣١.
(٣) دلائل الإمامة: ١٣٤.

ويا عجبًا من دهر تُنتهَك فيه الحرمات، ويطغى فيه الظلم والعدوان، قوم غرَّتهم الدنيا بشهواتها، فقست قلوبهم، فهي كالحجارة، بل هي أشدُّ قسوة، بنت النبيّ المختار صلى الله عليه وآله، سيِّدة نساء العالمين، الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، سرُّ الله في خلقه، تُضرَب؟! إلى ذلك يشير الشاعر بقوله:

وجبين محمَّد كان يرتاح
إليه مبارك وضَّاءُ
لطمته كفّ عن المجد والنخوة
فيما عهدتها شلّاءُ

ففي هذين البيتَين يُلفِت الشاعر الانتباه إليه؛ لما فيه من تصوير للأحداث المروِّعة التي تعرَّضت إليها بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله من انتهاكٍ للدين والانحراف عن الطريق القويم وموازين الحقِّ، زلزال أفجع وأقسى من زلزال الارض، لقد تعدَّى القوم شرائع الله، وتهالكوا على الأمرة والسلطان، بمنتهى القسوة والصرامة، هجموا على دار البضعة عليها السلام وحرقوه، ولم يكتفوا، بل تجاوزوا بضرب بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، يروي الشهرستانيّ عن إبراهيم بن سيَّار: «إنَّ عمر ضرب فاطمة حتَّى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمَن فيها»[1].

ولـمَّا بدت لها طلائع الرحيل، أوصت بوصيَّتها إلى ابن عمِّها عليه السلام، لذلك ينشد الشاعر بقوله:

وبدت في شفاهها همهمات
لعليّ في بعضها إيصاءُ
بيتيمين وابنتين وبالـ
ـنبض بقلبها الأبناءُ

(١) الملل والنِّحل: ١/ ٥٧.

ووصايا نمَّت عن الهضم والعتب
روتها عن بعدها أسماءُ

ففي هذه الأبيات يجسِّد الشاعر وصيَّة البضعة عليها السلام لابن عمِّها أمير المؤمنين عليه السلام، في أن يواري جثمانها المقدَّس في غلس الليل البهيم، ولا يحضر تشييع جنازتها من سبَّبوا لها الألم والحزن، وأن يعفي موضع قبرها (رمزًا لغضبها عليها السلام)، ويؤكِّد الشاعر أنَّ ما المَّ بالبضعة الطاهرة من هضم وحزن وألم، قد روته أسماء التي كانت أقرب الناس اليها، إذ كانت أوَّل من رأت البضعة قد دنا الموت إليها، وهي تلهج بذِكر الله تعالى، فقد سمعت تلك الروح العظيمة إلى بارئها تحفُّها ملائكة الرحمن، وتستقبلها أنبياء الله، ويتقدَّمهم سيِّد المخلوقات رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد أثَّر الحزن ببضعة الرسول صلى الله عليه وآله ووديعته حتَّى أرهقها، وسارع في دنوِّ أجلها، وأخذت تذوي كما تذوي الأزهار عند الظماء، ففارقت الحياة سلام الله عليها، وهي في ريعان الشباب مقهورة مظلومة، فصلوات الله عليك مولاتي وسلامه، لذلك يقول الشاعر:

ثمَّ ماتت ولها فما أقبح
الخضراء ممَّا جنوه والغبراءُ
سجِّيت في فراشها وعليّ
وبنوه على الفراش انحناءُ

ففي هذه الأبيات يصوِّر لنا الشاعر بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله ووديعته الزَّهراء عليها السلام في أمَّته، حين فتكت بها الأمراض، وتناهبت جسمها الآلام، لما تعرَّضت إليه من محن وأحزان وألم، شمعة كانت تخبو شيئًا فشيئًا. نعم جسم فاطمة ذوى قليلًا قليلًا حتَّى لزمت فراش المرض، وأذَّنت شمس حياتها بالمغيب! مشى الموت إليها سريعًا وهي في ريعان شبابها الغضِّ.

ويصوِّر الشاعر فداحة الخطب وعِظم المصيبة حين أخبرت أسماء أبناء الزَّهراء عليها السلام برحيل البضعة، إذ يقول:

وتـلاقـت دمـوعـهـم فـوق صـدر
كـان لـلـمـصـطـفـى عـلـيـه ارتمـاءُ
وعـلـيّ بـمـدمـع يـقـتـضـيـه الحـزن
سـكـبًـا وتمـنـع الـكـبريـاءُ
فـاحـتـوى فـاطـمًا إلـيـه ونـادى
عـزّ يـل بـضـعـة الـنـبـيّ الـعـزاء

هنا يجسِّد الشاعر تلقِّي خبر رحيل البضعة حين دخل الحسن والحسين عليهما السلام إلى البيت، وسألوا أسماء عن أمِّهم، فأخبرتهم برحيلها فأخبروا أبوكما، فكان ذلك الخبر المروِّع كالصاعقة على الحسنين عليهما السلام، وأبوهما عليه السلام. لقد انطوت برحيلها عليها السلام آخر صفحة من صفحات النبوَّة، وقد ارتفعت تلك الروح العظيمة إلى جنان الله ورضوانه، فما أظلَّت سماء الدنيا، فيما مضى وما هو آت، من بنات حوَّاء، مثلها قداسة وشرفًا وعفَّة.

ويمضي الشاعر في تصويره ما أوصت به الوديعة عليها السلام، إذ يقول:

وتـولى تجـهـيـزهـا مـثـل مـا أوصـتـه
مـن حـين مـدّت الـظّـلـمـاءُ
وعـلـى الـقـبـر ذاب حـزنًـا ونـدّت
دمـعـة مـن عـيـونـه وكـفـاءُ

ففي هذه الأبيات يبيِّن الشاعر مراسيم تجهيز وغسل الجسد الطاهر، ولـمَّا حلَّ الهزيع الأخير من الليل، قام الإمام فصلَّى على الجسد الطاهر، ثمَّ أوعز إلى المقرَّبين أن يحملوا معه الجثمان العظيم إلى مثواه الأخير، ولم يخبروا أيَّ أحد بتشييعها (لوصيَّتها)، ثمَّ أودعها في قبرها، وأهال عليها التراب، ووقف على حافَّة القبر وهو يروي ثراه بدموع عينيه.

ولم يكتفَ الشاعر بذلك، وإنَّما راح يرسم لنا صورة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يردُّ الوديعة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول:

ثـــمَّ نـــادى وديـعـــة يـــا رســـول الله

رُدَّت وعـيـنـهـا حمـــــــراءُ[1]

ففي هذا البيت يُبدِع الشاعر في تجسيِّد الحدث، بعد أن أودع الإمام عليه السلام البضعة في القبر، وقف على حافَّة القبر وهو يروي ثراه بدموع عينيه، حزنًا ولوعةً ومصابًا جلل، قائلًا: «**السلام عليك يا رسول الله عنِّي، وعن ابنتك النازلة في جوارك، السريعة اللحاق بك، لقد استُرجِعت الوديعة، وأُخِذت الرهينة، أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمسهَّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستُنبِئك ابنتك بتظافر أمَّتك على هضمها، فأحفَّها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذِّكر، والسلام عليكما سلام مودِّعٍ لا قالٍ ولا سَئِم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين**»[2]، فعاد بعد ذلك الإمام عليه السلام إلى بيته محزونًا، متألِّماً لما أصاب البضعة عليها السلام من نكباتٍ وآلام.

(١) الديوان: ٣٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٢٠٨.

الخاتمة

اتَّسمت خاتمة الدراسة بنتائج أهمَّها:

١. أبانت الدراسة فضائل بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء عليها السلام من خلال مسمَّياتها، وما اختُصَّت به من مناقب ومعارف، وأنَّ الله تعالى أعطى جميع العلوم لفاطمة عليها السلام: «علم ما كان، وما يكون، وما هو كائن».

٢. الإسلام نور وإبداع، أكَّد على مخاطبة العقول والتأمُّل في مجريات الأحداث، لاسيما فيما يتعلَّق في القضايا العقائديَّة، التي توصل الإنسان إلى طُرق الخير ومعرفة الحقِّ، وأخذ العلم من مصدره.

٣. وجدنا من خلال هذه الدراسة أنَّ مولاتنا الزَّهراء عليها السلام مثَّلت حلقة وصل بين النبوَّة الكبرى والإمامة العظمى، المدافعة عن حقوقها، ممَّا لا يخفى على أحد أهميَّة الدور الكبير الذي تميَّزت به الزَّهراء عليها السلام في وسط المسلمين، واستطاعت أن تبرزه للمسلمين على شكل حلقات تاريخيَّة، تشهد لها عظمتها، وعلوِّ شأنها وقربها للنبيّ صلى الله عليه وآله، إذ أعطت عليها السلام المقياس والحد الفاصل بين الفكرة والتطبيق، وأنقذت الإسلام من خطر التشويه والزوال بسبب ما آلت إليه الحكومات آنذاك.

٤. وترى الدراسة أنَّ في رحاب القرآن العظيم والعترة الطاهرة تحقِّق الأمَّة آمالها وأهدافها، في الوحدة والتضامن والأمن والأمان، وخلق جيل واعٍ مثقَّف قادر لا تهزُّه العواصف الفكريَّة، بل يكون قادرًا على مجابهة التيَّارات التي تحاول أن تشوِّه الدين الإسلاميّ.

٥. إنَّ الدين الإسلاميّ بأبعاده الفكريَّة ومستوياته العلميَّة أكَّد على البشريَّة بالعلم والتعلُّم، والنظر الدقيق في مجريات الأحداث وما يتعلَّق بحياته وواقعه من شرائع وسنن، هنا لا بدَّ أخذ هذه الأحكام والدروس من الصفوة الذين اختارهم الله تعالى لهداية البشر، وهم النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ولاسيما ممَّا وقفنا عليه في هذه الدراسة من بعض سيرة بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، لكي نكون في سفينة النجاة؛ لأنَّ من تمسَّك بهم نجا، ومن تخلَّف عنهم هلك وهوى.

٦. وممَّا وجدناه في هذه الدراسة أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حصَّن أمَّة الإسلام من مغبَّة الفتن والزيغ والأهواء، بل وضمِن لها حياة كريمة وأمن واستقرار، وذلك عن طريق إطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وإلَّا فقد توعَّد كلَّ من نصب لهم العداوة والبغضاء غضب الله وسخطه عذابه.

٧. أبانت الدراسة أيضًا أنَّ مولاتنا الزَّهراء، ومن خلال سيرتها، تعطي المرأة المسلمة أعظم درس في الحياة، يؤدِّي بها إلى سلوك الصراط المستقيم لتعيش في ظلال رحمة الله (جلَّ جلاله)، يضاف إلى ذلك تعلِّم المرآة تحمُّل المسؤوليَّة تجاه الأسرة والمجتمع.

٨. مثَّلت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله فكر الإسلام في كلِّ خطوة تخطوها، وكلِّ كلمة تقولها، إذ كلماتها ظلَّت حتَّى اليوم تذكِّر بما حصل، وتُدين جرى، وتعكس بجلاء مسيرة الإسلام الأصيل بقيمه ومفاهيمه وجذروه العميقة، وكذلك فإنَّ شعائر الإسلام تتحوَّل إلى سلوك وواقع أساسه الايمان وركائزه الفضائل وهياكله التسامح والرحمة.

٩. ومن المؤكد أنَّ الإسلام دعا في ميادين التربية الفكريَّة إلى التأمُّل الجادِّ في خلق

الله تعالى، والبحث عن حقائق وأسرار هذا الكون العجيب، وتقصِّي الحقائق، والابتعاد عن كلِّ هوًى يحجب الحقَّ ويعمي الأبصار، وصولًا إلى مرضاة الله.

١٠. نجد أنَّ الشاعر وفِّق من خلال شعره في تصوير بعض ملامح سيرة بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، وما دار بها من أحداث وأبعاد تلمُّ بجودة الصنعة الفنيَّة من خلال تجسيِّده للوقائع والحقائق التي تناثرت في كتب المؤلِّفين من روايات وأحاديث جمَّة، إذ يعدُّ شعره في هذا الجانب وثيقة أدبيَّة تاريخيَّة جسَّدت مبادئ وأهداف الفكر الإسلاميّ بواسطة بقيَّة النبوَّة، تلك الشخصيَّة التي التقت فيها شعلة النبوَّة بالمثاليَّة البشريَّة التي هزَّت القلوب، وفجَّرت الأفكار نحو أهدافها التي تمحورت حول الحقِّ الإلهيّ الذي خرجت إليه مدافعة عنه، ذلك الخروج الحزين؛ ليكرِّس حقيقة في النفوس طالبة الإصلاح في أمَّة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتظلَّ العقيدة نبراسًا والحقَّ هاديًا للمخلصين له، فكانت مطالبتها عليها السلام خروجًا من أجل العقيدة، وستظلُّ سيرة البضعة عليها السلام أيقاظًا مستمرًّا وتذكيرًا دائمًا بسموِّ المبادئ التي كان فداها هذه النفس الطاهرة، وكذلك وجدنا أنَّ الشاعر قد أبدى تفاعلًا نفسيًّا وروحيًّا لما حلَّ بالبضعة عليها السلام من نكبات ومصائب أودت بحياتها مبكِّرًا، وتقديمه العزاء والمواساة، وقد أجاد في توظيفها توظيفًا صحيحًا، فأضفت على تجربته الشعريَّة نوعًا من الأصالة الفنيَّة وصدقها عن طريق إكسائها هذا البُعد التاريخيّ الحضاريّ، فضلًا عمَّا امتازت به من الكليَّة والشمول، بحيث تخطَّت حواجز الزمن، فامتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة.

١١. وكذلك تبيَّن لنا أنَّ الشاعر أجاد في تصوير المشاهد والأحداث ورسم معالمها رسمًا فنيًّا متمكِّنًا، ممَّا أثار أحاسيس ومشاعر المتلقِّي وتفاعله معه؛ وذلك

لصدق ما جال في خلد الشاعر وأحاسيسه، وذلك يعود بالطبع إلى أنَّ تلك القلوب المتشبِّعة بصدق الإيمان أبت أن تعشق الجمال وتجانس بين النبض والإلهام، فتجعل أصحابها يرسمون بالكلمات عالمًا من المثل والجماليَّات لا يحدُّهُ ولا يلحقُ بانطلاقته أشدُّ الأخيلة جموحًا.

المصادر المراجع

* القرآن الكريم.

١. إثبات الوصيَّة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المسعوديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٦.

٢. الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، ط٤، ٢٠٠٣.

٣. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٤. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر الشافعيّ، دار الفكر، دمشق، ١٤١٩.

٥. تفسير البرهان، هاشم البحرانيّ، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت.

٦. دلائل الامامة، محمَّد بن جرير الطبريّ، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.

٧. ديوان الشيخ أحمد الوائليّ، د. أحمد الوائلي، دار الصفوة، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

٨. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، أحمد بن عبد الله الطبريّ، مكتبة الصحابة، ط١، ١٩٩٥.

٩. سيرة الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، الشيخ باقر القريشيّ، دارمكتبة الحوراء، ط١، ٢٠١٣.

١٠. سيرة الزَّهراء، عبدالحسين دستغيب، ترجمة قاسم الهاشميّ، قم، ط١، ١٩٨٢.

١١. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ت.

١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دارالجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

١٣. صحيح البخاريّ، للبخاريّ، ضبطه: د. مصطفى، دار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٩٩٣.

١٤. الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد الواقديّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

١٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، دار العلم، قم.

١٦. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، عليّ بن عيسى الأربلِّيّ، دار الطباعة، حسين الطهرانيّ، محمَّد صادق الخوانساريّ، الطبعة الحجريَّة، وطبعة النجف، ١٣٨٤هـ.

١٧. الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبيِّ الأطهر، السيِّد محمَّد باقر الموسويّ، ط١، ١٤٢٩.

١٨. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

١٩. مكانة المرأة في فكر الإمام الخمينيّ، سفارة الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة، دمشق.

٢٠. مسند أحمد بن حنبل، ابن حنبل، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.

٢١. الملل والنِّحل، محمَّد بن عبدالكريم الشهرستانيّ، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٤٠٦هـ.

٢٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمَّد بن أحمد الذهبيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٢٣. ينابيع المودَّة لذوي القربى، سليمان بن أبراهيم القندوزيّ، دار الأسوة، قم، ط١، ١٤١٦.

المحتويات

- التَّعالق النصِّيّ وأبعاده الخطابيَّة بين الخطبتَين الفدكيَّة والشقشقيَّة ٥
أ.د. مولود محمَّد زايد جامعة ميسان/ كليَّة التربية
- الأسلوب الإنشائيّ في خُطب الهاشميَّات (السيِّدة الزَّهراء والسيِّدة زينب) ٢٥
أ.م.د. سحر ناجي المشهديّ الكليَّة التربويَّة المفتوحة/ مركز النجف الدراسيّ
- أثر علوِّ النَّغم في الخطبة الفَدكيَّة ٥٥
فاطمة عبد الجليل عبَّاس
- إشكاليَّة تأريخ الأدب العربيّ- مقاربة نقديَّة أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام مثالًا ٧٥
أ.م.د. سامر عبد الكاظم چلَّاب/ جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة
- دُرَرُ الشُّعراء في ما قيلَ بحقِّ الزَّهراء عليها السلام دراسة أسلوبيَّة ٩٩
د. فاطمة مهدي البزَّال/ لبنان/ الجامعة اللبنانيَّة/ دكتوراه في اللغة العربيَّة وآدابها
- الصدِّيقة الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء في الخطاب النَّثريّ الأندلسيّ كتاب درر السمط في خبر السبط لابن الأبَّار القضاعيّ (ت ٦٥٨هـ) (دراسة تحليليَّة) ١٣٥
أ.م.د. حيدر زوين جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب/ قسم اللغة العربيَّة
- القُرآنيَّة في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ١٦٣
د. ماجد مهدي ذياب
- مكوِّنات التَّشكيل الأسلوبيّ في أدعية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ١٩٩
م.م. عليّ جواد كاظم الجبوريّ

- الدُّعاءُ الفاطميُّ- فِعلًا كلاميًّا قراءةٌ جديدةٌ ٢٣٣

أ.م.د. موفَّق مجيد ليلو/ المديريَّة العامَّة لتربية مَيسان

أ.م.د. ظافر عبيِّس عناد جامعة المثنَّى/ كليَّة التربية الأساسيَّة

- السَّبكُ النَّحويُّ وأثرُهُ في بِناءِ النَّصِّ الخطبَةُ الفَدَكيَّةُ اختيَّارًا ٢٥٩

أحمد موفَّق مهدي

- القَصَصُ الأمين في خلْقِ الزَّهراء سيِّدَةِ نِسَاءِ العالمين عليها السلام ٢٩٩

الباحث الدكتور أكسم فيَّاض

- خطبةُ الإمام عليّ عليه السلام عند دفنِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قراءة تأويليَّة ٣٢٧

محمَّد حاكم الگريطي/ جامعة الكوفة/ كليَّة التربية للبنات

- مآسي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله دلالات وإشارات في الشعر الشيخ أحمد الوائليّ رحمه الله أنموذجًا ٣٤٧

م.د. جنان فاضل عليّ جامعة المثنَّى/ كليَّة التربية الأساسيَّة

Lect. Sabrina Abdulkadhom Abdulridha Ali/University of Al-Zahraa for Women

- A Pragma-Stylistic Study of Counseling in Fatimatulzahra's (PBUH) Fadak Sermon 163
  Asst. Lect. Noor Al-Huda Kadhim Hussein/The General Directorate of Education in the governorate of Babylon
- Analysis of Lexical Stylistic Devices in Al-Zahraa's Speech in Lamenting her Father 187
  Asst. lect. Taif Hatam Shardaghly/University of Babylon/ College of Education for Human Sciences

Contents

- A Rhetorical Analysis of Imamate in Al-Zahraa (PBUH)'s Sermon on Muhajirin and Ansar's Families 3
  Masoumah Abathar Witwit/PHD Student in Babylon University/Department of English
- A Linguistic Approach to Power in Al-Zahraa's Speech 39
  Dr. Wafaa Sahib Mehdi Muhammed/University of Baghdad/College of Education for Women
- Sayyidah Fatima Al-Zahraa (pbuh): The Woman that Defends the Imamate 81
  Asst. Prof. Dr. Shireen Shihab Hamad
  Asst. Lect. Amal Khadim/Wasit University/College of Education for Human Sciences
- The Legitimacy of Al-Jihad (Struggling) in the Fadikia Sermon for the Lady AL-Zahraa (PBUH) Cognitive Stylistic Analysis 111
  Asst. Dr. Adawyia Sattar Abood/Thi-Qar Education Directorate
- Sensitivity in English with Reference to Al-Fadakiya Sermon by Sayyidah Fatima Al- Zahraa (PBUH) 137
  Asst. Prof. Zainab Hussein Alwan/University of Kerbala

10. Norgaard, N., Busse, B. and Montoro, R. (2010). Key Terms in Stylistics. London and New York: Continuum.
11. Ortega,L. (2013) Understanding Second Language Acquisition. London and New York: Routledge.
12. Ritchie.L.D. (2013).Metaphor. Cambridge: Cambridge University Press.
13. Simpson, P. (2004). Stylistics: A Resource Book for Students. London: Rutledge.
14. Wales, K. (2011). A Dictionary of Stylistics. London and New York: Routledge.

Web Sources

1. https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/stylistics.
2. https://pereklad.nmu.org.ua/ua/LECTURE%201.
3. https://literarydevices.net/simile/.
4. https://poemanalysis.com/definition/antonomasia/.
5. https://examples.yourdictionary.com/examples-of-synecdoche.html.
6. https://www.merriam-webster.com/dictionary/allegory.

Arabic Refereces

١. القزوينيّ. (١٤١٤) فاطمة الـزَّهـراء من المهد إلى اللحد، قـم، المطبعة العلميَّة.

2. Personification is the lexical device which is prevailed in Al-Zahraa (pbuh) speech. She resorts to it in various situations to fulfill her goals. she represents a good description of sadness. It validates the second hypothesis.

References

1. Abrams, M.A & Harpham, G.G. (2012). A Glossary of Literary Terms.10th Ed. USA: Wadsworth.
2. Allott, N. (2010). Key Terms in Pragmatics. New York: Continuum International Publishing Group.
3. Baldick, C (2001). The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms.2nd ed. Oxford: Oxford University Press.
4. Cruse, A. (1986). Lexical Semantics. Cambridge: Cambridge University Press.
5. ---------- (2006). A Glossary of Semantics and Pragmatics. Edinburgh: Edinburgh University Press Ltd.
6. Coupland,N.(2007) Style: Language Variation and Identity. Cambridge: Cambridge University Press.
7. Crystal, D. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics.6th.ed. Oxford: Blackwell Publishing Ltd.
8. Finch, G. (2000). Linguistics Terms and Concepts.New York: Palgrave Macmillan Ltd.
9. Mikics, D. (2007). A New Handbook Of Literary Terms. London: Yale University Press.

est degree of glorification,as mentioned in the aforementioned above.

As for personification, she recourse to it with a frequency of (17) and a ratio of (41.463%) to give an idea that everything, including the mountains, the birds, the sky, and the pulpit in which it was illuminated, cried with her because of separation.

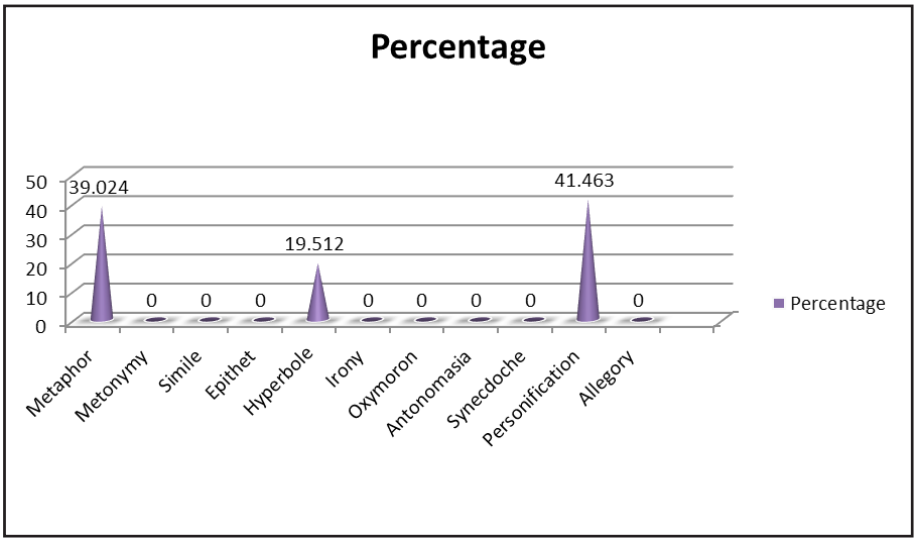
The proportion of sadness, crying, and pain of calamity varies according to the different fathers and sons. This situation lies between the prophet Mohammad (pbuh) and Al-Zahraa (pbuh) that her love for him was not motivated by fatherhood and the prophecy only.

Other devices such as metonymy, simile, epithet, irony, oxymoron, antonomasia, synecdoche, and allegory are not utilized by Al-Zahraa (pbuh) in the texts analyzed. Thus, scoring the percentage (0%).

As a result, personification scores the highest rate in Al-Zahraa (pbuh) speech to give the impression that all living and non-living organisms weep with her and embody the manifestations of distress at the death of the prophet of mercy and humanity.

8. Conclusion

1. The results of the analysis reveal that sorrow, wailing, suffering, and oppression are the topics that are usually referred to by Al-Zahraa (pbuh) speech. It validates the first hypothesis.



The preceding table and figure show the lexical devices used by Al-Zahraa (pbuh) to express her grief and persecution after her father's death.

In concise, they elucidate that Al-Zahraa (pbuh) employed metaphor with a frequency of (16) and a proportion of (39.024%). She uses metaphor which is more than a device. It is a powerful shortcut to instant and memorable understanding and a practical tool for creative issue-solving since they conjure up clear visuals and let us "see" things from different points of view. She also uses hyperbole with a frequency of (8) and a rate of (19.512%).To show the impact of losing her great-father. She considers him the kind father and, at the same time, the messenger of God and the master of the messenger. She venerates him with the utmost veneration and the high-

7. Statistical Analysis

The analysis of this text begins with a classification of the lexical devices that regulate the selected texts and identifying the prevalent device that differentiates Al-Zahraa style.

Table (1): The Overall Frequencies and Percentages of lexical Devices.

Lexical devices	Frequency	Percentage
Metaphor	16	39.024 %
Metonymy	0	0
Simile	0	0
Epithet	0	0
Hyperbole	8	19,512%
Irony	0	0
Oxymoron	0	0
Antonomasia	0	0
Synecdoche	0	0
Personification	17	41.463%
Allegory	0	0
Total	41	

Figure (1): The Overall Frequencies and Percentages of lexical Devices

the poor, and others.

Text 9:

«فلأجعلن الحـــزن بعـــدك مؤنسي
ولأجعلن الدمـــــع فـــيك وِشاحيا»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٧)

Tears are associated with sadness, especially in cases of separation. In this speech, Al-Zahraa (pbuh) operates metaphor to illustrate that sadness is her friend after her father's death. Also, she is crying so hard for her father that she wet his soil with her tears and scars, so she tries to shed light on the amount of sorrow by using metaphor such as in "الدمع" and "وشاحيا."

Text 10:

«والأرض مـــن بـعـد الـنـبـي كئيبة
أســـفًـــا عـلـيـه كـــثـــيرة الـــرجـــفـــان»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٧)

Metaphor is evident in "والارض من بعد النبي كئيبة" and"كثيرة الرجفان" Al-Zahraa (pbuh) shows the state of the earth after the death of the messenger that it is wistful and unstable.

6. Methodology

The researcher, in brief, relies on quantitative and qualitative analysis to verify or refute the hypotheses set in the study.

القلوب». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

Metaphor is evident in "والبكاء قاتلنا" and "انينا يخدش القلوب" to express melancholy.

Text 7:

«قَــلَّ صَــبرِي وَبَــانَ عَـنِّـي عَـزَائـي
بَـعـدَ فَـقـدِي لِخَـاتَـمِ الأَنـبِـيَـاءِ»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٦)

Every day in the world, fathers die, and their daughters grieve for them. They grieve for their fathers' lost, but the percentage of grief and crying varies according to the different fathers and daughters. Al- Zahraa (pbuh) went through a difficult situation with losing her father. This calamity robbed her of every decision, stability, and calmness. Thus, she invests metaphor in "وبان عني عزائي" to express her heartache.

Text 8:

«يَــا رَسُــولَ الإِلَــه يـا خِــيرةَ الله
وَكَــهــفَ الأَيــتَــامِ وَالــضُّــعَــفَــاء»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٦)

Our Prophet Muhammad (pbuh) has a position to which no angel, Prophet, or messenger will ever rise, for he is the beloved of Allah whose virtues are perfected. In the above speech, Al-Zahraa (pbuh) uses metaphor to say that the Prophet is the cave that contains all people, whether orphans, the oppressed,

perfections. Al-Zahraa (pbuh) remembers all the qualities of her father by using metaphorical words such as" "انت ربيع الدين and "نور النبيين" to distinguish him from others.

Text 4

«رُميتُ يا أبتاه بالخطب الجليل.. وطُرِقتُ يا أبتاه بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

The death of the Messenger of Allah was not easy, especially for his daughter, Al-Zahraa (pbuh), who felt more than others the greatness of the scandal outrage and the weight of the calamity that had befallen her, and for the Muslims with the death of the Messenger of Allah. For this reason, her grief over him, weeping over him, was the greatest. She utilizes metaphor to express all that pain in

«رُميتُ يا أبتاه بالخطب الجليل.. وطُرِقتُ يا أبتاه بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول».

Text 5:

«وقبرك فرِحٌ بمواراتك». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

After the death of the prophet Mohammad (صلى الله pbuh), Al-Zahraa, (pbuh) took the affliction and grief. A Metaphor in the above speech elucidates that whoever is near the messenger feels the happiness she has lost.

Text 6:

«والثكل شاملنا! والبكاء قاتلنا! والأسى لازمنا.. ثمَّ زفرت، وأنَّت أنينًا يخدش

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٤)

Al- Zahraa (pbuh) anticipates one of the stylistic devices, metaphor, in (حزن جديد) and in "وفـؤادي والله صـبّ عنيد".In general, metaphor is used to clarify an idea or to create a contrast. So, in her speech,she gives us an idea of the amount of pain that afflicted her to leave her bond in life.

Text 2:

«جـل خـطـبـي فـبـان عـنـي عـزائـي

فـبـكـائـي في كـل وقـت جـديـد»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٤)

Al-Zahraa (pbuh) describes the greatness of her calamity after the death of her father, so she used metaphor in" فبان عني عزائي" and described where she " فبكائي في كل وقت جديد " indicated that her crying every time is wherein " جديد " جديد" is utilized for certain things such as (new car) (سيارة جديدة), here" "جديد to show Al-Zahraa sadness and lamenting for her father.

Text 3:

«وأنت ربيع الدين، ونور النبيِّين». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

Prophet Mohammad (pbuh) occupies a unique position with Allah as he was singled out for phrases without other prophets as "يا ايها المزمل" and "يا ايها المدثر" and when his attributes are addressed, we find that the prophet possessed all the

The prophet Mohammad (pbuh) is the servant who was honored with the perfection of servitude to his master and humanity, whom his lord brought near, raised his rank over all people, and sealed the prophets and messengers with him. So, Al-Zahraa (pbuh) exploits this device to elucidate that even " الاسلام " is sad for his death.

Text 6:

«فليبكه شرق البلاد وغربها

وليبكه مضر وكلّ يماني»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٧)

Personification is evident in " فليبكه شرق البلاد وغربها " and " وليبكه مضر وكل يماني " to express the case of sadness.

Text 7:

«وليبكه الطود المعظم جوّه

والبيت ذو الأستار والأركان»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٧)

Al-Zahraa (pbuh) employs personification to clarify that everything must be sad for that tragic event.

Metaphor

Text 1:

«إنّ حزني عليك حزن جديد

وفؤادي والله صبّ عنيد»

tract wailing is related to irrational things. Al-Zahraa exploits this device to illustrate that everything is sad due to the separation of the Prophet in these words.

«قد بكتك الجبال والوحش جمعًا

والطير والأرض بعد بكي السماء»

Text 3:

«وبكاك الحجون والركن والمشعر ياسيدي مع البطحاء». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٦).

Once again, Al-Zahraa (pbuh) chews the pain and swallows the heartbreak of the loss of the most significant personality in Islam. She mentions that everything weeps for the death of the Prophet Mohammad (pbuh).

Text 4:

«وبكاك المحراب والدرس

للقرآن في الصبح معلنًا والمساء»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٦)

Al-Zahraa (pbuh) repeats her grief by using personification in "وبكاك المحراب والدرس للقران" "for the death of the prophet Mohammad (pbuh).

Text 5:

«وبكاك الإسلام إذ صار في النا

س غريبًا من سائر الغرباء»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٦)

The world's troubles and the disasters of eternity descended on Al-Zahraa (pbuh), who spent her life in anguish, anxiety, and choking. Following this enormous catastrophe, the tower of hope fell. She reviews her life after the death of her father and the wrath of time on her with words mentioned above. She employed overstatement in the above extract" "صِرْنَ لَيَالِيَا.

Personification

Text 1:

«**بكتك– يا أبتاه– الأملاك**» (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

The celestials were not created without the messenger of God, and these celestials were harnessed in the service of man, such as harnessing the moon and seas for man.

Concerning the moon, we benefit from light, and concerning the sea, we benefit from water. In this excerption, Al-Zahraa (pbuh) monopolizes the stylistic device of personification in these words"بكتك ياأبتاه الاملاك" upon the death of the Prophet in order to give the impression that everything is sad for that great character.

Text 2:

«**قـد بكـتـك الجـبـال والـوحـش جمعًا**

والـطـير والأرض بـعـد بـكـي الـسـماء»

(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥)

Crying accompanies a person in cases of grief. In this ex-

Text 2:

«يا أبتاه، انقطعت بك الدنيا بأنوارها، وذوتْ زهرتها وكانت ببهجتك زاهرة».
(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٤).

Al-Zahraa (pbuh) continues to portray her situation and the state of the world after the departure of the Prophet of Mercy, Muhammad (pbuh), by using overstatement in"انقطعت بك الدنيا بأنوارها" and " وذوت زهرتها".

Text 3:

«وقفتِ الأفلاك». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

Al-Zahraa (pbuh) monopolizes the stylistic device of hyperbole in these words"وقفتِ الأفلاك" She gives the impression that everything stopped after the death of the Prophet. In simple terms, life is dead.

Text 4:

«يا أبتاه ما أعظم ظلمة مجالسك!!». (القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٥).

Al-Zahraa (pbuh) characterizes the state of the councils after the death of her father as dark with the departure of the light used to light them by using an overstatement "ما أعظم ظلمة مجالسك".

Text 5:

«صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوأَنَّهَا
صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا»
(القزوينيّ، ١٤١٤: ٢٥٦)

4.10. Personification

Personification is a type of metaphor in which inanimate objects, animate non-human beings, or abstract qualities are given human characteristics. As in: "The sun smiled down on us" (Wales,2011:314).

4.11. Allegory

Allegory expresses human existence truths or generalizations through symbolic literary characters and their activities. It includes styles such as fable and parable (Web Source 6).

5. Text Analysis

Hyperbole

Text 1:

«فقد انخمد صوتي، وانقطع ظهري، وتنغَّص عيشي، وتكدَّر دهري فما أجد يا أبتاه بعدك أنيسًا لوحشتي، ولا رادًا لدمعتي، ولا معينًا لضعفي، فقد فنيَ بعدك محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحل ميكائيل». (القزورنيّ، ١٤١٤: ٣٥٤).

Al- Zahraa (pbuh) is the most intelligent woman in Islam. The tragedy of the Messenger Mohammad's (God may pray upon him) death deprived his virtuous daughter of peace, stability, and tranquility. Thus, she resorts to utilize hyperbole in "محكم التنزيل", "انقطع ظهري" and "محل ميكائيل" to explicate her state after losing her father.

to increase emphasis or to draw attention. Exaggeration may be either positive or negative.e.g. "I will die if she asks me to dance". (Cruse,2006:80).

4.6. Irony

In its most basic form, a trope comprises of saying one something whilst intending the opposite as in "A pilot has a fear of heights." (Mikics,2007:160).

4.7. Oxymoron

According to Baldick (2001:179) oxymoron includes two typically contradicting concepts into a *PARADOX, as in the word "bittersweet or the phrase living death".

4.8. Antonomasia

Antonomasia refers to substituting a word or phrase for a proper name. Typically, this is something that depicts the individual or kind of individual. E.g. "Excuse me Tarzan, could you please come down from that tree." (Web Source 4).

4.9. Synecdoche

It is a figure of speech used to portray the entirety of something by using a word or phrase that, when used literally, only refers to a portion of it. For example: "The phrase "hired hands" can be used to refer to workers. "The farmer needed to bring on some hired hands." (Web Source 5).

analogy or simile as in "Time is a river".(Ritchie,2013:4).

4.2. Metonymy

The literal name of one thing is used to describe something else with which it has become closely linked due to a shared experience(Abrams and Harpham, 2012: 132).As in this example: "The ham sandwich would like the bill".

In this instance, "the ham sandwich" refers to the consumer who requested a ham sandwich(Allott,2010:125).

4.3. Simile

A simile is characterized by an explicit comparison between two entities or acts. Most similes involve the word like. e.g. "You are behaving like a spoilt child"(Cruse, 2006:165).

It is also a figure of speech that expressly compares two inherently distinct objects or concepts by employing the words "like" or "as." Such as, "Life is like a box of chocolates" (Web Source 3).

4.4. Epithet

In common usage, an epithet is typically understood to be a descriptive (adjective) term or appellation used to describe someone. For example: "The iron lady "(Wales, 2011: 141).

4.5. Hyperbole

It involves intentional exaggeration for rhetorical purposes,

literary effects to linguistic 'causes' where these are felt to be relevant"(Wales (2011: 453).

3. Style

This notion is expressed differently in various contexts and diverse scholarly perspectives:

The word "style" comes from the Latin word "stilus," which meant a short stick with a sharp point on one end and a flat back that Romans used to write on wax tablets(Galperin, 1977: 10).

Recently, style is a quality of language that conveys accurate emotions or opinions, or an author-specific system (Web Source 2). It is a contextually constrained variation in language(ibid.).

It also, refers to a manner of accomplishing something. (Coupland, 2007:1).

According to Verdonk (2002:5), style is just the use of language in a utilizing various option to develop multiple styles and effects for particular objectives distinctly.

4. Lexical Stylistic Devices

4.1. Metaphor

The term "metaphor" refers to the substitution of one word for another with a seemingly different meaning, the comparison of one concept to another, or the creation of an implicit

What are the specific topics that the Al-Zahraa (pbuh) always deal with in her speech ?2) What are the most prevalent devices that distinguish her style?

2. A Spotlight on Stylistics

A field of linguistics deals with the study of character choices in language usage, particularly literary language, as regards sound, shape, or vocabulary made by various individuals or social groups in distinct contexts of use (Web Source 1).

As for Simpson (2004: 2), stylistics is a method of textual interpretation in which language is given prominence since the many forms, patterns, and levels that comprise the linguistic structure are a significant indicator of the function of the text.

Stylistics is the application of linguistics techniques to the study of the concept of style in language. Since the rise of linguistics, there has been a more systematic endeavor to give a 'linguistic' basis for literary effects, in addition to a desire to expand the scope of inquiry to include non-literary texts such as sermons (Finch, 2000:189). Thus, it is an interdisciplinary field since it combines linguistics with literary or non-literary disciplines (Norgaad et al., 2010: 2).

Stylists' goal is not just to "describe the formal features of texts for their own sake, but to show their functional paramountcy for the interpretation of the text; or in order to relate

2. Personification is the most prevailing device that identifies her speech.

Key words: Stylistics, Al-Zahraa Sermon, Lexical Devices.

1. Introduction

Language is one of the most distinctive characteristics of our species, entwined with all others including consciousness, sociality, and culture (Ortega, 2013:X). At the most basic level, it may refer to a specific act of speaking, writing, or signing in a given circumstance (Crystal, 2008: 265).

Language and style never transcend a singular focus on the preeminence of words. Fundamentally, stylistics is a field of linguistics that analyzes the characteristics of situationally diverse uses (varieties) of language and attempts to build principles that can account for the specific decisions made by the individuals and social groupings regarding their language usage (ibid:460).It is, in sum, the study of style.

In this study,it is necessary to mention that the death of the messenger of Allah was not an easy matter, especially for his daughter Al-Zahraa (pbuh) who felt more than others the great and heavy disaster that befell the Muslims with the death of the Messenger of Allah. Artlessly, this paper endeavors to answer the following questions:

Analysis of Lexical Stylistic Devices in Al- Zahraa's Speech in Lamenting her Father

Asst. lect. Taif Hatam Shardaghly
University of Babylon/ College of Education for Human Sciences/ Department of English

Abstract

This paper tries to shed light on analyzing lexical devices in Al-Zahraa's speech. It attempts to accomplish the following aims:1) Shedding light on the topics that Al-Zahraa (pbuh) frequently mentions in her speech. 2) Pinpointing out the most prevailing devices that identify her speech.

Consequently, it hypothesizes that:

1. The grief and wailing for the loss of her father are the most common topics of Al-Zahraa speech.
2. Personification is the most preponderant device that identifies her style.

Ultimately, it concluded that:

1. Melancholy and weeping are the topics that are usually referred to by Al-Zahraa›s speech.

Counselling in infertility. ESHRE Monographs, Oxford: ESHRE Special Interest Group on Psychology and Counselling.

4. Kabir, S. M. S. (2017). Essentials of Counseling. Dhaka: Abosar Prokashana Sangstha.
5. Leong, F.T. (2008). Encyclopedia of Counseling. London: SAGE.
6. Norgaard, N.; Busse, B. and Montoro, R. (2010). Key Terms in Stylistics. London and New York: Continuum.

Web Resources

1. https://www.englishspeakingcounsellor.com/2017/07/01/counselling-vs-advice.html (Accessed in 6/5/2021).
2. https://specialties.bayt.com/ar/specialties/q/89906/what-is-the-difference-between-counselling-and-advice/ (6/5/2021).
3. https://en.wikipedia.org/wiki/Sermon_of_Fadak#Fatimah's_sermon_in_the_mosque_(Shia_View) (Acessed in 23/5/2021).

depends on the reward and punishment principle. This validates hypothesis No. (2). Which reads: The representatives and the commissives are the most dominant classes of speech acts to achieve intellectual awareness and to remind the addressees of The Judgment Day as an effective way to change their behavior depending on the reward and punishment principle.

5. The quality and the manner maxims are intentionally flouted by Lady Fatimatulzahra (PBUH) speaker-addressee level of discourse to achieve awareness of Mohammad's Houshold (PBUT) rank and her (PBUH) right. This validates Hypothesis No. (3). Which reads: As a counselor, Lady Fatimatulzahra intentionally does not observe Grice's maxims on the speaker-addressee level of discourse to generate conversational implicature and to convey her messages effectively.

References

1. Gladding, S.T. (2004). Counseling: A Comprehensive Profession (5th edition). Upper Saddle River, NJ: Merrill/Prentice Hall. P 6-7.
2. Hickey, L. (1989). The Pragmatics of Style (RLE Linguistics B: Grammar). USA and Canada: Routledge.
3. Jacky, B. and Kentenich, H. eds. (2002). Guidelines for

highly utilized by Lady Fatimatulzahra (PBUH) in addition to simile and overstatement to deliver her message in a more effective and understandable way. This validates hypothesis No. (1). Which reads: Rhetorical questions, metaphor, simile and overstatement are the stylistic devices that are utilized by Lady Fatimatalzahra (PBUH) to trigger a pragmatic interpretation in counseling in the sermon

4. Counseling in this sermon is not for the addressees only but for us and the society as a whole and this is the role of Fatimatulzahra (PBUH) as counselor, an effective women in the Islamic society and as an extension of Prophet Mohammed's tradition to defend women's rights and call for justice in the whole society. As such, the representatives and the commissives are the most dominant classes of speech acts utilized by Lady Fatimatulzahra (PBUH) in the counseling process on the higher level of discourse. That is, the representatives are used in counseling, preaching, reminding and citing evidence from the Glorious Quran to defeat the addressees irrational beliefs which is one goal of counseling. The commissives, on the other hand, are utilized to remind the addressees of The Judgment Day as an effective way to change their behavior. Thus, she (PBUH)

contribution relevant and coherently built.

8. Conclusions

The present study has come up with the following conclusions:

1. The Fadak Sermon by Fatimatulzahra (PBUH) represents a process of counseling adhering to its basic philosophy, principles and steps by means of certain linguistic forms or stylistic devices that trigger a pragmatic interpretation to defend Islam and Islamic fundamentals and to pursue establishing the basic rights and humanistic principles sought by Islam.
2. The Quranic verses and The Prophet's Hadith are highly employed by Lady Fatimatulzahra (P.B.U.H.) for different purposes that are relevant to counseling such as setting the scene for counseling by reminding the addressees of her authority and rank in Islam as a certified person to trust her counseling; providing evidence and support for her righteous statements and to remind the addressees of The Judgment Day and the worst fate the oppressors are going to meet.
3. As an emphatic one, a persuasive and a concluding strategy in counseling and as a stylistic device in the sermon, rhetorical questions along with metaphor are

Table (2): The Results of the Stylistic Devices Use and Grice's Maxims Flouting in the Sermon

Grice's Maxims					Total		Stylistic Devices	Total	
No. of extract	1	2	3	4	Freq.	perc.		Freq.	Perc.
Quantity	0	0	1	1	2	7.6%	Rhetorical Questions	15	71.4%
Quality	4	0	0	0	4	15.3%	Metaphor	4	19%
Relation	0	0	0	0	0	0%	Overstate-ment	1	4.7%
Manner	4	10	4	2	20	76.6%	Simile	1	4.7%

The maxim of manner makes a higher percentage, i.e. (76. 6%) as a result of the indirectness which is manipulated by Lady Fatimatulzahra (PBUH) as a strategy of counseling. For that same reason rhetorical questions constitute the highly used device in the sermon making (71.4%).The maxim of quality also constitutes a high percentage, i.e. (15.3 %) as a result of manipulating metaphor in the sermon as an effective device and to make the subject more relatable to the addressees and to deliver the message in an improved and understandable way. As for the maxim of relation, it is not flouted at all by the Lady (PBUH) as every sentence in the sermon is relevant and the successive steps of counseling make each conversational

Exp.	0	0	0	3	3	4%
Com.	7	0	0	5	12	16.2%
Dec.	0	0	0	0	0	0%
Total	21	20	22	11	74	99.9 %

As far as these findings are concerned, it is clear that different types of SAs are performed by Lady Fatimatulzahra (PBUH) such as the representatives, the expressives and the commissives. However, the high percentage of the use of some SAs is indicative in that it contributes to the theme of the Sermon as a counseling process. For example, the representatives are highly employed by her (PBUH) making (79.7 %) in. This can be attributed to the Lady's aim. Again the representatives are mainly used in this extract to convey her discontent about the spread of the injustice and oppression in the Islamic society. She (PBUH) conveys the miserable situation into which the society turned after the death of her father Prophet Mohammad (PBUH) which is a goal of counseling to achieve intellectual awareness. As for the commissives, they are also highly used to remind them of The Judgment Day as an effective way to change their behavior depending on the reward and punishment principle. It should be noted, however, that the directives are not used at all in the selected extracts because counseling, unlike advising, is a non-directive and an indirect professional help to change behavior.

achieve persuasiveness and effectiveness. In

«أم على قلوبهم أقفالها؟».

the addressees' hearts are assimilated to something that is locked and receives no guidance or directions. The tone is changed in this extract but still indirectness in giving advice is in process because counseling is a non-directive professional help. Thus, harshness is seen to a suitable strategy of counseling after some praise and she (PBUH) follows the punishment rather than the reward in this context to help them figure out their faulty behavior and bad deeds as "Muslims". Moreover, the maxim of manner is flouted because of the rhetorical question used

«أفلا تتدبَّرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها؟».

and she (PBUH) is intentionally not clear enough or indirect in the counseling process.

7. Discussion of Results

Table (1): The Results of Speech Acts Use in the Sermon

SAs					Total	
No. of Extract	1	2	3	4	Freq.	perc.
Rep.	14	20	22	3	59	79.7 %
Dir.	0	0	0	0	0	0%

rights rather than oppressing people and take their rights which is another strategy of counseling to make the addressees aware of their role and responsibility in society. Moreover, the maxim of his manner is flouted four times as she (PBUH) uses the rhetorical questions four times changing the way of criticizing the oppressive and bad behavior done by those «Muslims». Again such use is strategic in counseling to help the person recognize the faulty behavior himself in order to adjust it.

Extract (4):

«معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبَّرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها؟ كلَّا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوَّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرَّ ما منه اغتصبتم! لتجدنَّ والله محملهُ ثقيلاً، وغبّهُ وبيلًا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه (من البأساء) والضرَّاء، وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون».

Two classes of speech acts are used in this extract. The representatives in the first part, the expressives in the second part:

«ولبئس ما تأوَّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرَّ ما منه اغتصبتم».

and the commisives in the third part in

«لتجدنَّ والله محملهُ ثقيلاً، وغبّهُ وبيلًا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه (من البأساء) والضرَّاء، وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون».

Examining Grice's maxims, the maxim of quality is flouted as a result of the metaphor employed as a stylistic device to

ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلَّ ثناؤه، في أفنيتكم، في ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافًا وصراخًا وتلاوةً وألحانًا، ولقبله ما حلَّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حتم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

Again representatives are mainly used in this extract to convey her discontent about the spread of the injustice and oppression in the Islamic society. She (PBUH) conveys the miserable situation into which the society turned after the death of her father Prophet Mohammad (PBUH). In this extract, using the phrase:

«يا معشر النقيبة وأعضاد الملَّة وحضنة الإسلام».

is of use to affect the addresses that they have a certain position and this position imposes a responsibility on them. In doing so, she (PBUH) assists them to achieve intellectual awareness and bring into the conscious the unconscious to figure out the faulty behavior which is one of the basic philosophies about counseling.

In this extract, the maxim of quantity is flouted in the vocatives

«يا معشر النقيبة وأعضاد الملَّة وحضنة الإسلام»

resulting in an overstatement by being more informative than required to emphasize that the addressees have a role located for them at the time of the prophet (PBUH) and to remind them of their responsibility to follow his tradition and protect

Commissives are manipulated to remind them of The Judgment Day as an effective way to change their behavior depending on the reward and punishment principle; and punishment is used in this extract as a reminder.

The stylistic device used here is simile in:

«تجلَّى لكم كالشمس الضاحية أنِّي ابنته».

for the sake of emphasis that she (PBUH) is the prophet's daughter and this is svery clear just like the clarity of the sun and she (PBUH) has the right in inheriting Fadak.

In this extract, the maxim of manner is flouted ten times in the extract as she (PBUH) uses rhetorical questions that need no answer as a persuasive way. Such use is strategic in counseling to achieve awareness and challenge poeple to confront faulty beliefs with contradictory evidence that they themselves gather and evaluate.

Extract (3):

ثمَّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت لهم : «يا معشر النقيبة وأعضاد الملَّة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقِّي والسِّنةُ عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: «المرء يُحفظ في ولده؟» سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوَّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمَّد ﷺ؟ فخطبٌ جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمَّت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة،

Extract (2):

«وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهليَّة تبغون؟ ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟!! أفلا تعلمون؟ بلى، قد تجلَّى لكم كالشمس الضاحية أنِّي ابنته. أيُّها المسلمون، أأُغلبُ على إرثي؟ يابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا على الله ورسوله، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾، [١] وقال في ما اقتصَّ من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾، [٢] وقال (أيضاً): ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، [٣] وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾، [٤] وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، [٥] وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصَّكم الله بآية (من القرآن) أخرج أبي محمَّدًا صلى الله عليه وآله منها؟ أم تقولون: إنَّ أهل ملَّتين لا يتوارثان؟ أوَلست أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمِّي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمَّدٌ صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكلِّ نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلُّ عليه عذاب مقيم».

In this extract, Lady Fatimatulzahra (PBUH) moves to the next step of counseling which is in-depth exploration of the problem. She (PBUH) again uses representatives. However, in the part:

«فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمَّدٌ صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكلِّ نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلُّ عليه عذاب مقيم»

zahra enhances and lay foundation of the addressee's trust in her.

As a counselor, Lady Fatimatulzahra (PBUH) makes use of certain stylistic devices such as the metaphor as a strategy to find ways of effectively communicating and making the speech more persuasive in handling and tackling the situation in an effective way and to achieve the best outcome. In saying:

«فأنار الله بأبي محمَّدﷺ ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلَّى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصَّرهم من العماية».

It becomes clear that she (PBUH) does not refer to the real light that is generated by electricity or fire or sun or the moon; rather, she refers to removing the ignorance, fallacy, slavery and oppression (I.e. as referred to as "blindness" or "darkness". Thus, the coming of the prophet Mohammad with the Islam clarifies mad makes obvious the right values in all aspects of the society. Such use is of value to present evidence about her position as a counselor and an extension of her fathers; and as an effective way of describing the situation.

The maxims of quality and manner are flouted four times because of the four metaphorical uses in the extract in which the speaker says what is literally not true and for which she (PBUH) lacks adequate evidence to communicate a deeper message in counseling.

6. Analysis of Data

Four extracts of the sermon are analyzed pragmastylistically adopting both quantitative and qualitative approaches according to an eclectic model based on Black's (2006) model of level, Searle's (1969) theory of speech acts and Grice's (1975) maxims and implicature.

Extract (1):

«وأشهد أنَّ أبي محمَّدًا (النبيّ الأمّيّ)ﷺ عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمَّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور. ابتعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقًا في أديانها، عُكَّفًا على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمَّدﷺ ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلَّى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصَّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم».

After praising Allah, which is a way to invite Muslims to be content and thankful to Allah in every situation (for better and worse), Lady fatimatalzahra (PBUH) starts with expressing her affinity to the prophet of Allah Mohammad (PBUH) to set the scene for the counseling process that she has the authority and the qualification to present the professional help for the addresses. Thus, the ground is set for counseling by means of representative speech acts. In this way, Lady fatimatal-

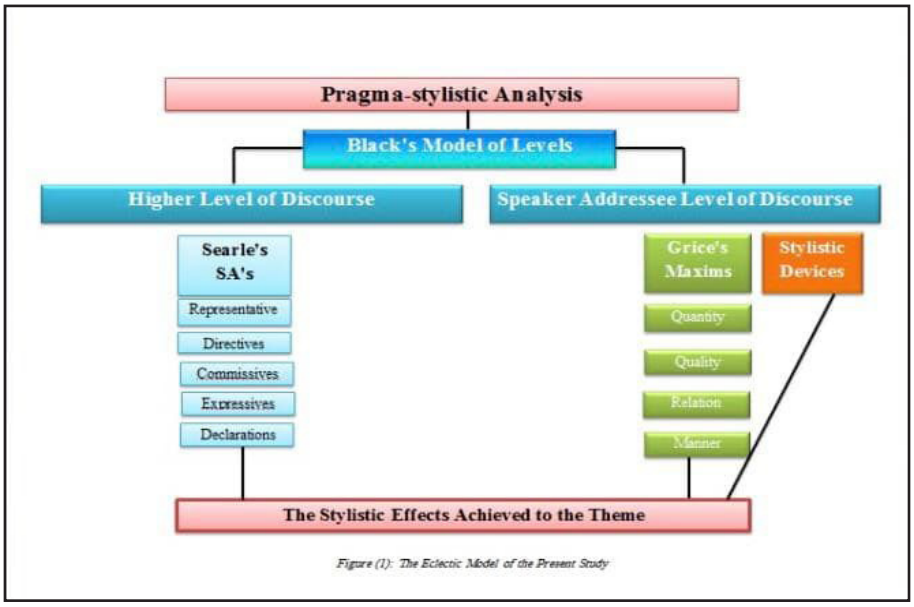


Figure (1): The Eclectic Model of the Present Study

5. Data Analysis

The Sermon of Fadak is Fatimatulzahra's (PBUH) speech in the Islamic Prophet Muhammad's mosque. Fatimah delivered this sermon in the presence of a group of Muhammad's companions who had gathered in the mosque including Umar and Abu Bakr. She (PBUH) entered the mosque with a group of women and her trusted servant. Fadak was part of the bounty given to Muhammad, and Fatimatulzahra (PBUH) believed that she should have inherited it. Nevertheless, after Muhammad's (PBUH) death, it was not given to her by Abu Bakr, as he claimed Muhammad said that prophets do not leave inheritance. Thus, this land became a matter of dispute between her (PBUH) and Abu Bakr (Website Resource 3).

best for them while advising is letting people know what you think is best for them, while (Web Resource 1).

Counseling is considered as non-directive and indirect therapy while the advising is a direct statement of what is thought to be better for someone in a certain situation (Leong:2008 , 508).

Counseling refers to instructions given by a certified person telling one how to handle and tackle the particular situation in an effective way and to achieve the best outcome but advising is a kind of a suggestion on how to handle a particular situation (Web Resource 2). Counseling also refers to the process or the professional help involved in finding or identifying the root cause of a problem by the counselor and making the counsellee solve it by acting upon the decision arrived in the sessions. Advising, on the other hand, is giving a solution or a point of view of someone on such problem by the experience of self or by general, where this could be taken by the receiver or even ignored (ibid.).

4. The Model of Analysis

In accordance with the theoretical background, the following eclectic model is utilized for the data analysis of the present study. This model is based on Black's (2006) model of levels, Searle's (1969) theory of speech acts and Grice's (1075) maxims and implicature as illustrated in the following figure:

pendence; empowerment; self-nurturance; and valuing diversity

9. To assist people in recognizing, claiming, and using their personal power to free themselves from the limitations of gender-role socialization.
10. To confront all forms of institutional policies that discriminate on the basis of gender.

As for the philosophy of counseling, it is claimed that:

1. Humans are self-determining and they change when they determine their behavior is not getting them what they want and when they believe they have choices of behaviors.
2. People choose total behavior, hence responsible for acting, thinking, feeling, and psychological states.
3. Acting and thinking are chosen behaviors (changing acting and thinking influences feelings and physiological states).
4. Clients are connected to a living system; a change in one part of the system will result in a change in other parts. Thus, it is necessary to bring about transformation both in the individual client and in society (ibid:182).

3.2. Counseling vs. Advising

Advising and counseling are two very different things. Counseling is allowing people to explore and decide what is

3.1. Goals of and Philosophy of Counseling

According to Kabir (2017: 182-83), there are different approaches and philosophies of counseling. However, they share certain basic goals:

1. Helping the client bring into the conscious the unconscious.
2. To achieve intellectual awareness.
3. To challenge clients to confront faulty beliefs with contradictory evidence that they themselves gather and evaluate.
4. To help clients seek out their dogmatic beliefs and vigorously minimizing them.
5. To help clients change irrational beliefs by replacement of illogical and unrealistic ideas with more realistic and adaptive ones through direct intervention and confrontation by the therapist.
6. To help people take responsibility for their life and life decisions and to become more truthful with themselves or to find clarity on what their purpose in life is and how they can learn from the past to create something valuable and meaningful to live for.
7. To bring about transformation both in the individual client and in society
8. To stress quality; balancing independence and interde-

5), a formal definition of counseling would be that it is "an interpersonal process, based on a theoretical framework which (was) or is used to bring about a change in a skilled and systematic way".

Counseling is conducted with persons who are considered to be functioning well and those who are having more serious problems. Counseling meets the needs of a wide spectrum of people especially those who need help in regard to adjustment or remediation (Gladding. 2004: 6).

Cognitive therapy uses a variety of techniques and approaches to identify and then modify the cognitive distortions and irrational beliefs people adopt. Counseling as a cognitive therapy technique is based on the idea that beliefs determine feeling and behavior. Thus, what disturbs people mind is not events but their judgments. Thoughts are typically considered as distorted or irrational when they do not square with reality or cannot be supported with objective evidence or when they cause certain problems. Counseling is utilized to educate some people about how thinking affects feelings and behaviors and how certain patterns of thinking and beliefs may contribute to real problems. For example, the counselor discusses the veracity of the "client's" beliefs and whether they can be defended rationally (Leong, 2008: 508).

that neither stylistics nor pragmatics alone can explain. Its function is summarised by its examination of the way stylistic and pragmatic factors co-determine the surface form of the utterance.

More precisely, in analysing a text, it focuses on the forms that the speaker or the writer may choose or has chosen from many other forms that have the same truth condition or semantic meaning, but may achieve different objectives or they may do so in another way. So, pragma-stylistics considers the desired effects behind such choices (i.e. expressive, affective, attitudinal etc.), their communicative qualities (i.e. clarity, effectiveness etc.) and the context in which they are used (i.e. the physical distances, the relationship between the speaker and the hearer and what is known and what is new) (ibid: 578). Its approaches are a combination of pragmatic and stylistic approaches to explain the way (literary) language is used in context and how it may contribute to the characterisation of the protagonists in a literary piece of art or how powerful structures are created and so on (Norgaard et al., 2010: 39).

3. Counseling

Counseling is an imprecise term that is used to describe a wide range of functions and performed by an equally wide range of individuals. According to Jacky and Kentenich (2002:

commissives are the most dominant categories of speech acts on the higher level of discourse to achieve intellectual awareness and to remind the addressees of The Judgment Day as an effective way to change their behavior depending on the reward and punishment principle. (3) As a counselor, Lady Fatimatulzahra intentionally does not observe Grice's maxims on the speaker-addressee level of discourse to generate conversational implicature and to convey her messages effectively. In order to achieve the aim of the study and test its hypotheses, the following procedures are adopted: (1) Presenting a theoretical background about pragmastylistics and counseling (2) Analyzing four extracts of Fadak sermon according to an eclectic model developed by the study and based on Black's (2006) model, Searle's theory of speech acts and Grice's maxims and implicature.

2. Pragmastylistics

Pragma-stylistics as a branch of stylistics, has emerged late in the 1980's with the developments of conversation analysis, pragmatics and discourse analysis when stylisticians became equipped with tools to analyse the meaning of dialogue and interaction in literary types (Norgaard et al., 2010: 45). For Hickey (1989: 545), it is stylistics with a pragmatic component. It offers complete explanation about many phenomena

tional significance.

As such, the sermon constitutes a rich data for the present study to conduct a pragmastylistic analysis to answer the following questions: (1)What are the stylistic devices that are utilized in Lady Fatimatalzahra's (PBUH) sermon to trigger a pragmatic interpretation in counseling? (2) What are the most dominant classes of speech acts used by her (PBUH) sermon on the higher level of discourse along with the stylistic effects achieved through their use in counseling? (3) How does the non-observance of maxims yield stylistic effects on speaker-addressee level of discourse in counseling.

The present study aims at: (1) Specifying the stylistic devices that are utilized by Lady Fatimatalzahra (PBUH) to trigger a pragmatic interpretation in counseling in the sermon (2) Identifying the most dominant classes of speech acts used by Lady Fatimatu; zahraa (PBUH) on the higher level of discourse along with the stylistic effects achieved through their use in counseling (3) Showing how the non-observance of maxims yields stylistic effects on the speaker-addressee level of discourse in counseling.

Thus, it is hypothesized that (1): metaphor, simile and overstatement are the stylistic devices that are utilized by Lady Fatimatalzahra (PBUH) to trigger a pragmatic interpretation in counseling in the sermon (2) The representatives and the

in words and deeds. Thus, Fatimatulzahra (PBUH) is a role model who sets an illustration of the highest morals, ethics, values and principles. One particular event recounted in the history is the dispute over the land Fadak which was received from her father (PBUH). Her knowledge of her legal rights and desire for justice indicates that she was a woman involved in the affairs of society. In this vein, her role is more a counselor than a defender of her own rights. In her famous sermon, Fadak, she delivers a message not only for the addressees, but for the society in general and the Islamic society in particular in an eloquent, effective, and persuasive way to change certain faulty widespread beliefs and attitudes towards the woman and her rights.

This study is concerned with the sermon of Lady Fatimatulzahra (PBUH) and analyzing its ideas to reach the purposes that she sought to convey. The Glorious Qur'an was the most important evidence that she relied on and employed in explaining their rights to perform a persuasive function in appealing to the recipient, as well as her attempts to reform a society that began to move away from the teachings of Islam and religious unity after the death of the Prophet Mohammad (may God's prayers be upon him and his family) in a brilliant and rational manner. Those honorable speeches, in addition to their aesthetic value, have an intellectual role and an educa-

tion in counseling in the sermon (2) The representatives and the commissives are the most dominant classes of speech acts to achieve intellectual awareness and to remind the addressees of The Judgment Day as an effective way to change their behavior depending on the reward and punishment principle. (3) As a counselor, Lady Fatimatulzahra (PBUH) intentionally does not observe Grice's maxims on the speaker-addressee level of discourse to generate conversational implicature and to convey her messages effectively. The following procedures are adopted: (1) Presenting a theoretical background about pragmastylistics and counseling (2) Analyzing four extracts of Fadak sermon according to an eclectic model developed by the study. After analyzing the data, the study has come up with certain conclusions that validate the hypotheses above.

Keywords: Fatimatulzahra, Fadak Sermon, Counseling, Pragmastylistics

1. Introduction

In an account of her ethical attributes, Fatimatualzahra (PBUH) inherited the genius and wisdom, the determination and will-power, the piety and sanctity, the generosity and benevolence, the devotion and worship of Allah, the self-sacrifice and hospitality, the forbearance and patience, and the knowledge and nobility of disposition of her illustrious father, both

A Pragma-Stylistic Study of Counseling in Fatimatulzahra's (PBUH) Fadak Sermon

Asst. Lect. Noor Al-Huda Kadhim Hussein
The general Directorate of Education in the governorate of Babylon, Halab Secondary School

Abstract

The present study is an attempt to study counseling in Fatimatulzahra (PBUH) sermon Fadak. It mainly aims at: (1) Specifying the stylistic devices that are utilized by Lady Fatimatalzahra (PBUH) to trigger a pragmatic interpretation in counseling in the sermon (2) Identifying the most dominant categories of speech acts used by Lady Fatimatulzahra (PBUH) on the higher level of discourse along with the stylistic effects achieved through their use in counseling and (3) Showing how the non-observance of maxims yields stylistic effects on the speaker-addressee level of discourse in counseling. Thus, it is hypothesized that (1): Rhetorical questions, metaphor, simile and overstatement are the stylistic devices that are utilized by Lady Fatimatalzahra (PBUH) to trigger a pragmatic interpreta-

2. Abu Raman, Ghada Khaldoon (2016). Senses Correspondence in Abbasid Blind Poetry Bashar Bin Burd as an Example. (http://mohamedrabeea.net/library/pdf/63ef4def-8874-4fb8-a915-88e2d3e14022.pdf).
3. Al-Majlisi, Muhammad Baqer. (2003). Al-Zahra (pbuh) and Fadak Sermon. Tehran: Golestan Kawthar Publishing House.
4. Amari, Fatima (2013). Style Constructional Al-Mutanabi's Poem "Don't Buy the Slave". (http://archives.univ-biskra.dz/handle/123456789/4422?mode=full). (https://www.aljazeera.net.lifestyle).
5. Dahmani, Noor Aldeen.(2012). Rhetoric of Artistic Image in Quranic Discourse. (https://theses.univ-oran1.dz/document/45201232t.pdf).
6. Darweesh, Muhi-Aldeen. (1992). Analysis of Holy Quran. Vol. 8. Homs: Ibn Katheer Publication.
7. Mizab, Asmahan. (2013). Syntactic Tense and its Denotations: An Applied Study in Diwan Abi Firas Al-Hamdani. (http://theses.univ-batna.dz/index.php/theses-en-ligne/doc_details/4158----------).
8. Muhammad, Ahmadi. (2006). Muhammad (PBUH) The Kind Person. (https://ar.islamway.net'article').

In Theoretical issues in Behaviour Therapy. Edited by S. Reiss and R.R. Bootzin. San Diego: Academic Press, pp.107-121.

28. Rosas-Jiménez, Carlos Alberto. (2020). Highly sensitive people. Psicol. estud., v. 25, e47811.
29. Somerville, Leah H. (2013). "The Teenage Brain: Sensitivity to Social Evaluation." Current Directions in Psychological Science, 22(2), pp.121-127.
30. Strauss, Clara; Taylor, Billie Lever; Gu, Jenny; Kuyken, Willem; Baer, Ruth ; Jones, Fergal and Cavanagh, Kate. (2016). What is Compassion and How can We Measure it? A Review of Definitions and Measures. Clinical Psychology Review 47 (2016) pp. 15-27.
31. Timpano, Kiara R., Julia Y. Carbonella, Meghan E. Keough, Jonathan Abrahowitz, Norman B. Smidth. "Anxiety Sensitivity: An Examination of the Relationship with Authoritarian, Authoritative, and Permissive Parental Styles." Journal of Cognitive Psychotherapy: An International Quarterly. 29,2,pp. 95-105.

B- Arabic References

*** Holy Quran.**

1. Abbas, Hassan (1998). Characteristics of Arabic Sounds And their Meanings. Damascus: Publications of Arab Writers Union.

tween the Interest in Poetry and the Degree of Sensitivity: A Primary Study of Sample of Khorasan-Iran Students. PAROLE Journal of Linguistics and Education 9(1):15, pp.15-23.

23. Orloff, Judith. (2017). The Empath's Survival Guide: Life Strategies for Sensitive People. (https://www.pdfdrive.com/the-empaths-survival-guide-life-strategies-for-sensitive-people-e184252160.html).
24. Oxford University Press. (2022). Sensitive. In Oxford Learner's Dictionaries. Retrieved November 6, 2022, from (https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/sensitive).
25. Ozen, Dilek Sirvanli and Fulya Kubra Guneri. (2018). Basic Determinant of Success of Interpersonal Relationship: Rejection Sensitivity. Current Approaches in Psychiatry, 10(4), pp. 454-469.
26. Ponce-Valencia, Alicia; Jiménez-Rodríguez, Diana; Simonelli-Muñoz, Agustín Javier; Gallego-Gómez,Juana Inés ; Castro-Luna, Gracia and Pérez, Paloma Echevarría. (2022). Adaptation of the Highly Sensitive Person Scale (HSP) and Psychometric Properties of Reduced Versions of the Highly Sensitive Person Scale (R-HSP Scale) in Spanish Nursing Students. Healthcare, 10, 932, pp. 1-22.
27. Reiss S, McNally RJ. (1985) "Expectancy Model of Fear."

(http://www.academia.edu/6655640/The_Sermon_of_Fadak).

16. Jauk, Emanuel; Knödler, Madita; Frenzel, Julia and Kanske, Philipp. (2022). Do highly sensitive persons display hypersensitive narcissism? Similarities and differences in the nomological networks of sensory processing sensitivity and vulnerable narcissism. J. Clin. Psychol. 2022; 1-27.
17. Jose, Franklin Thambi and Preethi, J.(2020). Literary Devices in the Novels of Anita Nair. High Technology Letters. Volume 26, Issue 7, pp. 1115-1119.
18. Kubokawa, Amanda and Ottaway, Amber. (2009) "Positive Psychology and Cultural Sensitivity: A Review of the Literature." Graduate Journal of Counselling Psychology, 1(2),pp. 130-138.
19. Lovecky, D. (1992). Exploring Social and Emotional Aspects of Giftedness in Children. Roeper Review, Vol. 15, No. 1, pp. 18-25.
20. Magri, Elisa (2021). "Social Sensitivity and the Ethics of Attention." European Journal of Philosophy. 30, pp.725-739.
21. Mendaglio, Sal. (1995).Sensitivity Among Gifted Persons: A Multi-faceted Perspective. Roeper Review, Vol. 17, No. 3. pp. 168-172.
22. Moqaddam, Reza Naqavi.(2019).The Relationship be-

9. Esposito, Benita A. (2018). The Gifted Highly Sensitive Introvert: Wisdom for Emotional Healing and Expressing Your Radiant Authentic Self. (https://www.pdfdrive.com/gifted-highly-sensitive-introvert-e147384917.html).
10. Gallagher, Ann. (2020). Slow Ethics and the Art of Care. Bingley: Emerald Publishing Limited.
11. Gardner, H. (1984). "The Development of Competence in Culturally Defined Domains: A Prelimenary Framework." In Culture Theory: Essays on Mind Self and Emotion. Edited by R.A Shweder and R.A. LfiVine. New York: Cambridge University Press.
12. Gilbert, Paul; Catarino, Francisca; Duarte, Cristiana; Matos, Marcela; Kolts, Russell and Stubbs, James; Ceresatto, Laura; Duarte, Joana ; Pinto-Gouveia, José and Basran, Jaskaran. (2017). Journal of Compassionate Health Care (2017) 4:4.pp.1-24.
13. Hofstede, G. (1991). Cultures and Organizations: Software of the Mind. New York: McGraw Hill.
14. Ishibashi, Syunsaku; Murata, Jun; Tokunaga, Akiko ; Imamura, Akira; Kawano, Kojiro; Iwanaga, Ryoichiro and Tanaka, Goro.(2022). Relationship between Sensitivity Tendency and Psychological Stress Reactivity in Healthy Students. Healthcare, 10, 949. pp.2-9.
15. Jaffer, Tahir Redha. (2013). The Sermon of Fadak.

clinical implications. (https://academic.oup.com/book/10943/chapter-abstract/159227399?redirectedFrom=fulltext).

3. ----------. (2004). Revisiting Jung's concept of innate sensitiveness. (https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1111/j.1465-5922.2004.00465.x)
4. ----------. (2010). Psychotherapy and the Highly Sensitive Person: Improving Outcomes for That Minority of People Who Are the Majority of Clients. New York: Taylor and Francis Group, LLC.
5. ----------. (2000). Aron, E. N. (2000). The Highly Sensitive Person in Love: Understanding and Managing Relationships when the World Overwhelms You. New York, NY: Harmony Books.
6. Beaver, David I. and Clark, Brady Z. (2008).Sense and Sensitivity: How Focus Determines Meaning. Oxford: Wiley-Blackwell.
7. Brislin, Richard. (1992). "The Measurement of Intercultural Sensitivity Using the Concepts of Individualism and Collectivism." International Journal of Intercultural Relations, 16, pp.413-436.
8. Chen, Xinyin, Junsheng Liu, Wendy Ellis and Lynne Zarbatany. (2016). "Social Sensitivity and Adjustment in Chinese and Canadian Children." Child Development, 87(4), p.1115-1129.

Conclusions

1. Al-Zahraa's senstivity is an alternative way to face, cope with, and address the pains she encounters.
2. In the light of data selected, it is concluded that Fatima Al-Zahraa expresses her authentic feelings in a sensitivity manner.
3. Diversification in using linguistic devices indicates her tenderness.
4. Though being loaded with sadness, sensitivity means being rational, patient and quiet.
5. Al-Zahraa's degree of sensitivity represents a flow of emotions. It is fluctuated between positive and negative ones.
6. Rather than being negative, Al-Zahraa's sensitivity can be regarded as divine and blessed.

Bibliography

A. English References

1. Ali, Abdullah Yusuf. (2006). The Meaning of The Noble Qur'an. (https://www.holybooks.com/wp-content/uploads/2010/05/english-quran-with-commentariesyusuf-ali.pdf).
2. Aron, E. N. (1999). High sensitivity as one source of fearfulness and shyness: Preliminary research and

«فدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ الله وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ الله الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبعَيْنِ الله ما تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾».

(Al-Majlisi, 31-5:2003).

So take its reins and saddleit, with its sore back and suppurating hooves,ever disgraceful, branded with the wrath of Allāh and eternal dishonor, leading to "the fire, set ablaze by Allāh, that roars over the hearts" (Q104:6-7), for what you are doing is witnessed by Allāh, "and they who act unjustly shall know towhat final place of turning they shall turn back." (Q26:227) (Jaffer, 2013: 22).

Fatima Al-Zahraa has arranged her sermon dramatically. The chronological order of her speech reflects her capacity of mastering the specch. Artistic representation of emotions calls for inspiration and meditation.

Her emotional flow is introduced along with her sensitivity in order to withhold the means of injustice within her speech to advocate her. Fatima Al-Zahraa wants to awaken people's consciousness of her status, because if injustice has been done against anyone, being silent should not be the answer. She wants to awaken poeople's conciusness of her status.

Such wave of emotions; namely stressed, sad, proud , anger etc., stir passive minds to act rather than being silent.

sitivity and inspires through the power of patience, the consciousness of all the listeners. Similes, here, inspire all shades of consciousness. Expressively, she utters these words that carry the sense of sensitivity which is a palliative care for her sufferings.

In this text, sensitivity is compatible with patience and steadfastness.

Text -4-

«وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ».

(Al-Majlisi, 31-5:2003).

Meanwhile, you were livinglives of ease and comfort; relaxed, unper-turbed and secure, awaiting the reversal of ourfortunes, keenly waiting for news [of ourfailures], retreating during conflict (Jaffer, 2013: 16)

Abbas (1998:55) points out that "pronouncing Tā sound assures of being psychologically disturbed and suggests sensitivity". Under false pretenses, Fatima Al-Zahraa engages her audience' senstivity using a more creative tone. repetition of Tā sound sound that provokes thinking.

Tā sound is dominated by images of loneliness and meanness. Fatima Al-Zahraa feels disgusted of those who sacrifice their heavenly afterlife for mere worldly pleasures.

Text -5-

بُعْدَ الإيمانِ؟).

(Al-Majlisi, 31-5:2003).

So why have you become confused after yourclear stance? Why have you become secretiveafter your proclamation? Why have youretreated after being at the forefront? Andwhy have you opted for polytheism after believing [in Allāh]? (Jaffer, 2013: 21).

Fatima Al-Zahraa illustrates the situation of betrayal. . She is then revealing an interpersonal type of sensitivity in which she reflects upon social injustice. Linguistically, the excessive use of rhetorical questions symbolizes her highly sensitivity. She describes the double-faced people whom their words do not match their actions.

Al-Zahraa's senstive words symbolizes the voice of conscience and the flame which never dies.

Text -3-

«وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا».

(Al-Majlisi, 31-5:2003).

yet weendure patiently with you through what feelslike the stabbing of daggers and the piercing of [our] sides with spearheads. (Jaffer, 2013: 18).

With the amount of pressure that Sayyidah Fatimah went through, she shows that patience is a powerful tool to use against them. With the use of simile, she stresses her sen-

5. Sensitivity in Al-Fadakiyah Sermon by Sayyidah Fatima Al- Zahraa (Peace be upon her)

Text -1-

«وزَعَمْتُمْ أَلَا حِظوَةَ لِي، وَلا إِرْثَ مِنْ أبي لارَحِمَ بَيْنَنَا!».

(Al-Majlisi, 2003 :31-5).

You (O Abū Bakr!) claim that I have no entitlement and inheritnothing from my father?! (Jaffer, 2013: 19).

yet you claim that I have

The speech includes an interpersonal type of sensitivity. Sayyidah Fatima Al-Zahraa (PBUH) has lost her rights of what her father has given her; The Land of Fadak and therefore reveals her sensitivity through speech. Analysing the form of sensitivity from the syntactic level, it can be seen that she uses past tense " زَعَمْتُمْ « (pretend) which provokes thinking and rethinking of Al- Zahraa's Divine status. She gives free rein to her sensations to overlap with her words.

Her sensitivity loaded with sadness. The past tense reaveals the deliberate violation of her rights. Al-Zahraa makes use of the word (زَعَمْتُمْ) so as to persist in the face of challenge and be more resistant to achieve her goal; namely, defending her stolen rights.

Text -2-

«فَأَنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُم

Phonologically, some sounds convey sensitivity, meditation, awaken the conscience and feelings such as: t, w, h, x, u, y, y, q, q, k."(Amari, 2013:13)

Mizab (2013: 31) notices that "past tense" conveys sensitivity. Al-Darweesh (1992:314) mentions that rhetorichal question is used to express sensitivity.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الصافات ١٥٦).

(Or have ye an authority manifest?) (Ali, 2006:4316)

4. Model of Analysis

The researchers diagram the model adopted as follows:

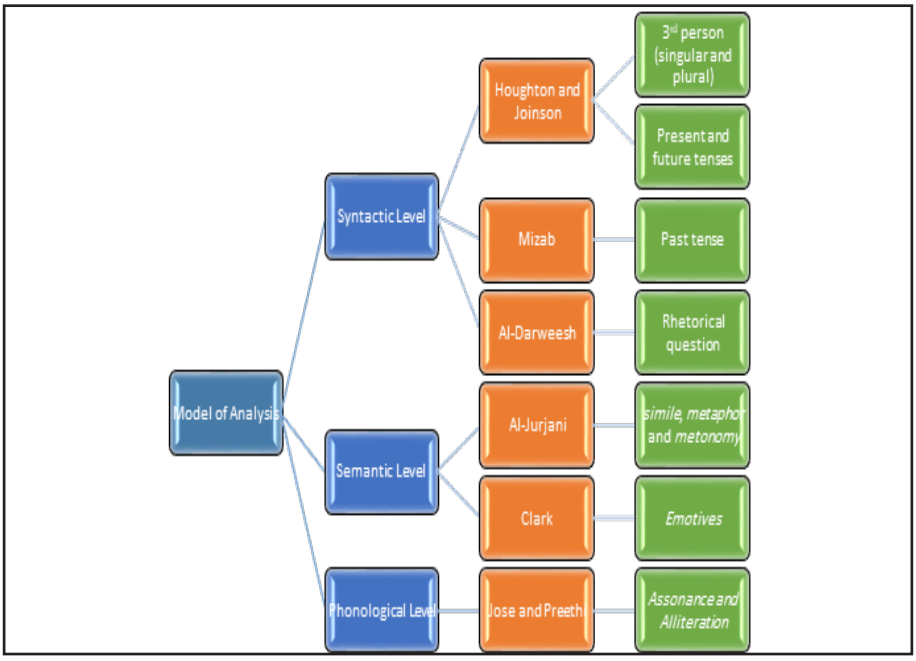


Fig. (3) The researchers' formulation of data analysis model

sadness. A living example of sensitive people is the Prophet Mohammad whom characterized in Holy Quran as being touchy person:

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ (آل عمران ١٥٩).

(And had you been severe and harsh-hearted, they would have broken away from about you) (Ali, 2006:47).

This Quranic verse explains that the prophet had a sensitive personality and revealed this when he and his companions lost the Battle of Uhud. He shows a form of interpersonal sensitivity showing that kindness and mercy after such a loss is a better answer to bear the pain of loss on one hand and to hold his companions together into a firm group instead of blaming them for the loss. Identifying with their pain is the answer to reach a form of unity and to restore their power once again.

Abu Raman (2016:64) sensitivity can be attained by one's conscientious and emotions.

Similarly, Al-Saleh (2019: 6) shows that sensitive people are the most honest and compassionate ones. They are greatly affected by social stimuli.

3.1. Lingustic Manifestation of Sensitivity in Arabic

Linguists have found that sensitivity may be detected from the use of certain literary devices. Al-Jurjani confirms that simile, metaphor and metonomy evoke sensitivity (Dahmani,2012:160).

2.2. Lingustic Manifestation of Sensitivity

Sensitivity is closely related to the surrounding environment (Ishibashi et al.,2022:1). Beaver and Clark (2008:4) mentions anumber of expression that denote sensitivity such as:

1. Exclusives:only, just,merely...
2. Non-scalar additives:too, also...
3. Particularizers: in particular, for example...
4. Intensives: really, totally...
5. Qualitificational adverbs: always, usually....
6. Determiners: many, most..
7. Sentential connectives: because, since..
8. 8-Emotives: regret, be glad..
9. 9-Negation: not, no....

Metaphor, simile, assonance, alliteration, consonance, onomatopoeia are among devices that indicate the writer's sensitivity (Jose and Preethi (2020:1115).

3. Sensitivity in Arabic

Sensitivity is widely common in Arabic. It is an inherent feature. Among the advantages of senstvity is : sympathy, rejecting injustice, power of intuition and avoiding struggle (https://www.aljazeera.net'lifestyle).

Muhammad (2006:1) reveals that sensitive persons have unique features. Sensitive persons share others happiness and

differences vary from one individual to another. This helps in identifying others and with such an evaluation one can form a certain perception of every person that is being confronted. Thirdly, it is important that values and beliefs a person withholds, should be respected. Lastly, cultural sensitivity may also include the necessary adaptation of certain cultural views in order to comprehend other people's cultural beliefs to a certain extent to meet each other's needs. This creates a higher level in cultural sensitivity (Kubokawa and Ottaway, 2009:131).

2.1.2.2. Intercultural Sensitivity

This type of sensitivity is concerned when more than one culture coexists with other cultures. It is commonly defined as "a sensitivity to the importance of cultural differences and to the points of view of people in other cultures" (Brislin, 1992:414). This kind of sensitivity is one of the focuses in scholarly literature. For instance, an analysis of overseas students may be done to study intercultural interactions and even predict them. Some students may even have some additional programs added to their study programs if they lack cultural sensitivity associated to the country they are studying in. This type of sensitivity may aid managers for instance if they are willing to succeed in any program they intend to have overseas. It is then crucial in the studies that are of cross-cultural nature.

inclusion and exclusion. They also show signs of concern of social evaluation and may notice when being socially evaluated or they may be even believe they are under evaluative scrutiny. This type of sensitivity is then essential in every person's self-development. Opinions of others greatly effects one's self perception and self-evaluation (Chen et. al, 2016: 1115-1116). Those with a lower level of interpersonal sensitivity show less concern for evaluative opinions and therefore little to no response is evident.

Some interpersonal types of sensitivity may be pointed out that determine how sensitivity may be socially activated within a person on a social level.

2.1.2.1. Cultural Sensitivity

Before defining cultural sensitivity, it is necessary to reflect upon the meaning of culture as it also has been the subject of study in different fields. According to the interculturalist Geert Hofstede (1991:9), culture is defined as "the collective programming of the human mind, which distinguishes the members of one group or category of people from another." The importance of this type of sensitivity may be reflected through three major points. Firstly, understanding the means of culture and its leading principles and beliefs, leads to an automatic development of cultural sensitivity. Secondly, one should acknowledge the fact that cultural differences exist and these

of interpersonal relationships. With such an aspect, a certain level of understanding between members of a society is possible and reveals the positions in were subjects are located in on the social horizon. The major interest that this kind of sensitivity is concerned with however, is finding the level of sensitivity in a context as well as the attentiveness found in an intersubjective encounter between the subjects. A clear example of this type of sensitivity, is within the means of a classroom. A teacher takes the role of explaining subject material, while also paying attention to the students and their level of attention. The level of focus the teacher might give might also vary, when she for instance gives her attention to a certain student who asks a question. The main focus will certainly be on this student, but at the same time there is a level of attentiveness to the rest of the students in the class (Magri, 2021:727).

This type of sensitivity is extremely evident in adolescents as they are very careful with having successful peer and romantic relationships. Interpersonal sensitivity is defined as "[a] shifting motivation toward social relatedness [that] is thought to intensify the attention, salience, and emotion relegated to processing information concerning social evaluations and social standing (Somerville, 2013: 121). The level varies again between one individual and another. Those with a high social sensitivity level show a greater emotional response to social

of rejection, they will most likely overreact when interpreting a certain situation as a form of rejection and this may be the case for a lifetime as such people's expectations are always associated to rejection. Rejection sensitivity includes two assumptions: the first one is acceptance- rejection. This assumptions shows the necessity of interpersonal relations. Having social relations is a means of survival as people need the existence of each other as they are responsible for a healthy social and physical life. With the missing of such social ties, expectations of rejection increases while acceptance of rejection decreases. The second assumption is concerned with biopsychosocial history. In addition to the fact that human beings have a natural response to threat, but life experiences also add up to the acceptance and rejection of threat. This also depends on the environment one lives in which may play a significant role in the level of rejection sensitivity. This depends on the personal differences that is decided through the cognitive-emotional processing system that was proposed by Mischel and Shoda in 1995 that can be defined as "a personality approach that emphasizes individual differences in cognitive-emotional processes" (Ozen and Guneri, 2018: 456).

2.1.2. Interpersonal Sensitivity (Social Sensitivity)

On a general note, interpersonal sensitivity, also known as 'social sensitivity' in psychology, is necessary for the formation

ous physical issues such as developing a heart attack. Studies have proved that people that suffer from anxiety sensitivity suffer from fearing from any negative outcomes that are resulted from anxiety. an individual who suffers from this kind of anxiety then is most likely to suffer from symptoms such as panic attacks leading to even more serious cases such as post-traumatic stress disorder (PTSD). Different scientific studies have been identifying the essential factors behind the existence of such a type of anxiety (Timpano et al., 2015:96). Outcomes of different studies done by Reiss and McNally (1985:110) point that anxiety sensitivity is either genetic, or developed from the surroundings, or both factors combined. Children that had an upbringing with a belief that somatic sensations were dangerous, would in result have a higher level of anxiety sensitivity.

2.1.1.2. Rejection Sensitivity

This type of sensitivity reveals the fear of being rejected and overreacting when an occasion of such means occurs. This type is then the cause of some negative results. For more positive results, rejection should be avoided or accepted by the individual to have a more positive life. Rejection and acceptance depends on the type of messages an individual may receive from the surrounding environment. If a person has the sense

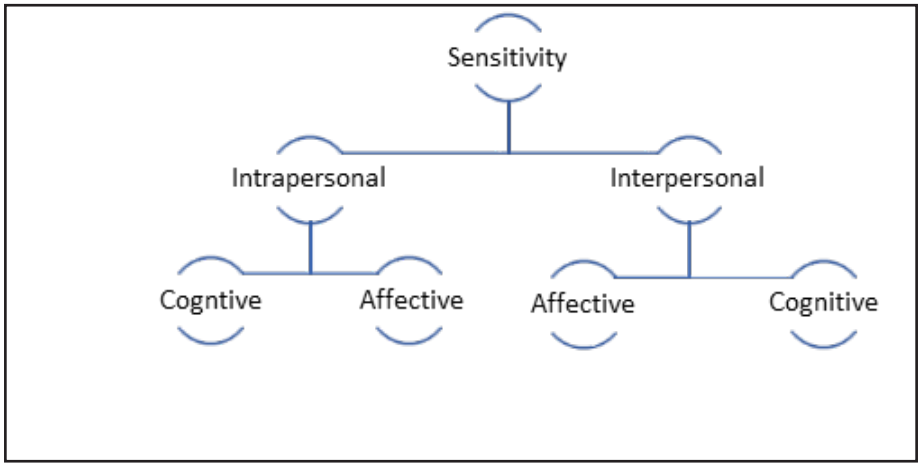


Fig. (2) Components of Sensitivity
(cited in Mendaglio,2010:171)

Each type will be explained thoroughly to highlight the differences between the different types of sensitivity:

2.1.1. Intrapersonal Sensitivity

This type of competence may be defined as "an individual's sensitivity to, and understanding of, his own needs, desires, anxieties, and the like (Gardner, 1984: 264). This type sets a person's self-worth as it may determine the level of control over one's life. Among the most common types of intrapersonal sensitivity will be highlighted.

2.1.1.1. Anxiety Sensitivity

This type of sensitivity includes certain physical phenomena, like the racing of the heart that might trigger more danger-

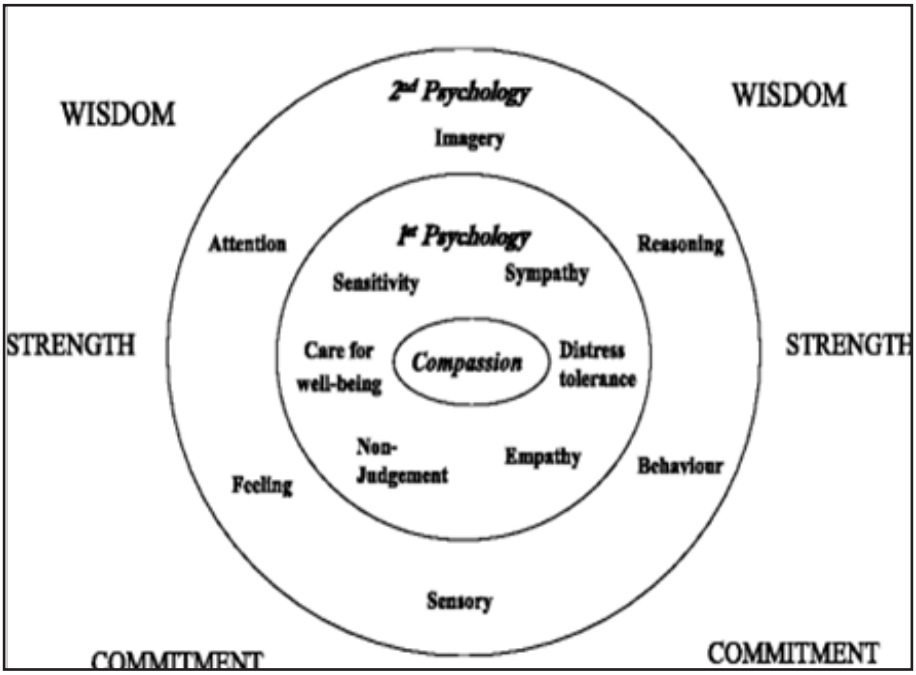


Fig. (1) Compassion Motive and Competencies

Generally speaking, sensitivity is a multidimensional process which includes feeling and thinking of self and other.

2.1. Types of Sesitivity

Becoming a more significant topic of research over time, Clark (1988),as cited in Mendaglio(1995:170), highlights two types of sensitivities" unusual sensitivity to the expectations and feelings of others; and, sensitivity to inconsistency between ideals and behavior". In the same token, Mendaglio (ibid:171) further classifies sensitivity according to the following diagram:

identification with others". He points out that"passion, compassion, and empathy are associated with sensitivity, passion is the central aspect of sensitivity".

Aron (2000:42-3) indicates that sensitivity is a good strategy for reducing one's stimulation. It requires thinking carefully, checking out new situations, noticing all the subtitles and considering all their implications.

Ponce-Valencia et al. (2022:1) express that sensitive indiviuals have "greater ability to respond to positive and negative experiences".

In his introduction , Jauk et al.(2022:1) point out that sensitivity is described as a blessing and a burden. He adds that "sensitive persons tend to perceive life as a whole as challenging".

According to Strauss et al.(2016:17), 'sensitivity' involves being reactive to people's feeling and emotions. Gilbert et al. (2017:3) sees sensitivity as one of the attributes of compassion. He diagrams it as follows:

2. Senstivity in English

Senstivity often plays a significant role in depicting a one's mind. The subject of sensitivity is vast and diverse. It has been deals with by several scholars.

Aron (1999 :20) defines sensitivity as an emotional reactivity. It differs from one person to another. For him (2004:1), sensitive individuals are affected by negative experiences. It has an impact on one's inner feeling.

Moqaddam(2019:16) says "it seems quite reasonable that sensitive persons should be more emotional, as they are aware of more and also more easily overaroused".

Maarten, as cited in Esposito (2018:15), mentions that sensitivity is the sign of being truly alive and compassionate. Rosas-Jiménez (2020:1) defines sensitivity as "the ability to capture details and subtleties."

Sensitivity gives a more accurate sense of what underlies behaviors we"

label as shy, anxious, inhibited, reactive, neurotic, or withdrawn"(Aron (2010:10).

Orloff (2017:9) states that the degree of one's sensitivity can vary from one situation to another and from one place to another.

Lovecky (1992: 21) remarks that "the trait of sensitivity is characterized by a depth of feeling that results in a sense of

After analyzing the data selected, the findings of the investigation shall validate all the hypotheses mentioned above through successfully having answered the following questions:

1. Introduction

Sensitivity, a defining human characteristic, is a term that cannot be disclosed within one definition, as it is used in different contexts and fields. The context of where the term is used and studied should therefore be identified beforehand. This research concerns itself with sensitivity that is related the psychological nature of human kind and will be highlighted in the means of the scientific study of this field. Starting with a general understanding of the term, sensitivity is derived from the term 'sensitive,' which is defined by the Oxford Learner's Dictionaries (2022) as the state of being "aware of and able to understand other people and their feelings." This term is flexible, for it can be associated to being excessive on one hand, like when referring to a person as being 'hyper sensitive,' suggesting that one is extremely sensitive and it can also be associated to the means of a deficiency, like when referring to a person as being 'insensitive,' which reflects the idea of a lack of sensitivity (Gallagher, 2020).

tion to God's commands, leaving him suffer from extreme pain.

In his footsteps, the amount of cruelty his daughter Sayyidah Fatima Al-Zahraa (PBUH) had to endure, can be considered as the essential emotional motivator that prompted her to use methods that reflect the reality of her intense feelings and tenderness. This way she was capable of mimicking human emotions and able to coexist with the bitter reality despite the loss of her rights.

Her well-known ‹Fadakiya Sermon› is characterized to be exploded with sensitivity and feelings, as Fatima Al-Zahraa (PBUH) made use of a number of linguistic connotations through which she created a clear picture in the mind of the recipient for the purpose of revealing the extreme level of suffering, betrayal and injustice she was subjected to. This paper aims then to investigate the syntactic-semantic dimensions used that have successfully reflected the state of sensitivity in Sayyidah Fatima Al-Zahraa's Fadakiya Sermon and also tends to trace back the relation between sensitivity and the included topics of the sermon. It will then be proven that:

1. Sayyidah Fatima Al-Zahraa (PBUH) makes use of certain devices that denote sensitivity in her sermon.
2. It is expected that there is a close correlation between sensitivity and the main issues of the speech.

Sensitivity in English with Reference to Al-Fadakiya Sermon by Sayyidah Fatima Al- Zahraa (PBUH)

Asst. Prof. Zainab Hussein Alwan
University of Kerbala

Lect. Sabrina Abdulkadhom Abdulridha Ali
University of Al-Zahraa for Women

Abstract

From a religious aspect, sensitivity may be defined as a certain psychological state and a divine gift that characterizes human beings from other living creatures. Being in such a state, the person is commonly associated to a state filled with passion, feelings and tenderness by which they can sympathize with others. Many factors can awaken a state of sensitivity within the individual. Analysing the different situations the Prophet's household (PBUT) were exposed to, cruelty can be marked as being one of the essential factors that caused the rise of extreme sensitive feelings. Prophet Mohammed (PBUH), for instance, was characterized by his delicate senses when witnessing people's disobedience and persistent objec-

of Cognition. In:J.Spiro, B.C.Bruce &W.F.Brewer.(Eds.), Theoretical Issues in Reading Comprehension.(pp: 33-58). Hillsdale, Nj: Erlbaum.

- Rumelhart, D. & Norman, D.(1976). Accretion, Tuning and Restructuring: Three Modes of Learning. (No. 7602). California University. San Diego La Jolla Center for Human Information Processing.
- StockWell, P. (2002). Cognitive Poetics: An Introduction.Routledge: London.
- Werth, P.(1999). Text Worlds: Representing Conceptual Space in Discourse. London: Longman.
- Woldemariam, H. (2015). The Teaching and Learning of Poetry at Postgraduate level: A cognitive Stylistics Approach. PoN (NUST), Polytechnic of Namibia, Department of Communication Windhoek, Namibia.

Arabic References

- البستاني، محمود. (١٩٩٣). القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلاميّ. مشهد: مؤسَّسة الطبع والنشر في الأستانة الرضويَّة المقدَّسة.
- الخاقانيّ، محمد طاهر آل شُبَّر. (١٩٩٢). شرح خطبة الصدِّيقة فاطمة الزَّهراءعليها السلام. قم. انتشارات أنوار الهدى.

- Freeman, Y. (2000). Considerations for the Selection of Culturally Relevant Text. Unpublished Article, University of Arizona, Tucson.
- Gavins,J. (2007). Text World Theory: An Introduction. Edinburgh University Press.
- Hintikka, J.(1962). Knowledge and Belief. Ithaca NY: Cornell University Press.
- Lakoff, G. &Johnson, M. (1980). Metaphors We Live by.Chicago: Chicago University Press.
- Lahey,E.(2014). Stylistics and Text World Theory, in Burke,M.(ed.). The Routledge Handbook of Stylistics (pp.284-96). London: Routledge.
- Leech, G. and Short, M. (1981). Style in Fiction: A linguistic Introduction to English Fictional Prose. London: Longman.
- Levinson, S. (1983). Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press.
- - Norgaard, N., Busse, B., and Montoro, R. (2010). Key Terms in Stylistics. London: Continuum.
- Patil, J.(2014). Stylistic Analysis of the Poem ' Daffodils': A lingua-cognitive Approach ". In Cyber Literature: The International Online Journal Issue: 2,(pp.82-89). http://www.English cyber literature. net.
- Rumelhart, D.(2017). Schemata: The Building Blocks

feel about something to convey a meaning in more creative way that may be a guide for future action; that is, 'struggling'.

English References

- Bertrand, R. (1972). The philosophy of Logical Atomism. Routledge Classics: London.
- Bolisani, E., &Bratianu, C. (2018). The Elusive Definition of Knowledge. In Bolisani, E., and Bratianu, C. (2018). Emergent knowledge strategies: Strategic thinking in knowledge management pp.(1-22). Cham: Springer International Publishing. DOI:10.1007/978-3-319-60656_1.
- Brown,G & Yule, G.(1983). Discourse Analysis.Cambridge: Cambridge University Press.
- Bara, B. (2011). Cognitive Pragmatics: The Mental Processes of Communication. International Pragmatics 8-3, PP.(443-445).
- Cook, G. (1989). Discourse. Oxford: Oxford university Press. (1994).
- Discourse and Literature: The Interplay of Form and Mind. Oxford: Oxford University Press.
- Evans,V. (2013). Metaphor, Lexical Concepts and Figurative Meaning Construction. Journal of Cognitive Semiotics V.(1-2). pp.(73-107).

Conclusion

Al-Zahraa's (pbuh) sermon represents an important text and a distinguished work of rhetoric in the Islamic era for the multiplicity of the topics that it handles and the diversity of stylistic structures that it contains.This blessed sermon included a summary of the noble Islamic rules.It is a call to adhere to the universal values of religion and a call to commitment to rights and duties. Struggling is one of the urgent duties in an era when rights were lost and injustice prevailed.

Cognitive stylistics is a fruitful field to analyze literary or non-literary texts. In terms of schema theory,the interpretation of the lady's sermon, especially the selected extracts, requires an activation to recall pre-Islamic era and post-Islamic era schema that involve all the entities and events.This activation enables the interlocutors to grasp the gist of the sermon. Legitimacy of struggling is one of the legitimate provisions that lead to social reform.Equally significant, the text world theory with its elements can be utilized by the text producer to help the receivers to understand two important worlds:the discourse world (authorial and personal), and the text world (literary).

Figurative language is successfully employed to form a clear image of the topic.It connects what we think,and how we

protection),participle: (They are described with struggling). (They are known with goodness and righteousness), past verbs with an object: you fought the Arabs, you endured toil and fatigue,you strived the nations, you struggled the most courageous ones.

The words (a wink), (an apathy that is close to sleep) are used metaphorically to refer to weakness of defense of the lady's right and not taking care of it. She ((pbuhmay want to say (blinking and leaving it). That is, not taking care of the lady's right is because their stupor like the stupor and torpidity of the parts of the body when they sleep. The word Al-Sinna (an apathy that is close to sleep) is in line with the verse:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ (سورة البقرة ٢٥٥).

Thus, her (pbuh) speech is not heresy or personal opinion, but it is logical. The words (strived), and (the most courageous ones) are also metaphorical words the refer to their strength that qualify the supporters for the task (struggling).

In the same vein, the nouns, العدد والعُدة, والاداة والقوة السلاح والجُنة, الكفاح,الخير والصلاح, الكد والتعب and the verbs قاتلتم,تحملتم,ناطحتم,كافحتم (fought, endured, strived, struggled) give a positive connotation that they are righteous and good enough to take upon themselves the responsibility of struggling.

وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبِي يَقُولُ: اَلمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟»

in which she (pbuh) wants to say ' why this droop to defend me and my right which is defense of Prophet (GOD Prays Upon Him) according to what he (GOD Prays Upon Him) said (Fatima is a part of me).

In short, these expressions that characterize the interlocutors' states and actions provide them with triggers to understand the new meaning (the legitimacy of struggling), and this knowledge is enough to make them aware of their new task (struggling) which is represented into the text by many linguistic tools.

Stylistically, parallelism is manifested in many constructions as in:

«تَلْبَسُكُمُ الـدَّعْـوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الخَـبْرَةُ، وَأَنْـتُـمْ ذَوُو الْـعَـدَدِ وَالْـعُـدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمَ الْبُهَمَ».

This extract is full of phonological and structural parallelism to provide facilitation and simplicity to the participants in the interactive process to grasp the gist of the speech. The lady (pbuh) uses the same pattern of words for two or more ideas which have the same level of importance as in nouns: (tool and force, number and equipment, the weapon and

sults of prophecy, and consolidating the imamate, is focused through the representational as well as interactive participants in this extract. that's to say, mentioning to the representational participants (the supporters) in this extract, their characteristics, actions, and the events in which they were engaged, is a motivation to recall their prior knowledge (real world) to understand the text world.

Their prior knowledge of their history is represented in the expressions

«وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالخَيْرِ وَالصَّلاحِ».

Which refer to their states whereas the expressions:

«قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ وَناطَحْتُمُ الاْمَمَ، وَكافَحْتُمْ الْبُهَمَ»

refer to the events (the wars) in which they participated with the Prophet (GOD Prays Upon Him).

The interactive meaning is related to the interactive participants; that is the relationship between the lady ((pbuh and (the supporters). This relationship urges them to protect the lady (pbuh) in herself, and her right that is represented in ' Fadak'.This meaning and relationship are presented in the expression:

«يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟

and similarity. The word (strange) refers to courage of Arab's enemy. The word (wolves) refers to thieves and tramps who were surrounding Arabs.These expressions indicate the difficulties, troubles, and severities in which Al-Imam Ali (pbuh) was driven. This indication gives a sense of necessity for a real Khalifah (successor) who is assigned by divine decree.

Extract (3):

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الْأَنْصارِ فَقالَتْ: «يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهﷺ أَبِي يَقُولُ: اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ.. أَيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الاْمَمَ، وَكافَحْتُمَ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دارَتْ بِنا رَحى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُم بُعْدَ الإِيمانِ؟ ألا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَداؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين». (الخاقانيّ، ١٩٩٢: ٢٢٦).

The representational meaning that is intended by the lady (pbuh); struggling to support the religion, maintaining the re-

the real Khalifah (successor). The interlocutors are seen as interactive participants who carry the interactive meaning; that is, the way in which they recognize their relationship with Al-Imam (pbuh); the successor and subordinates.

The lady (pbuh) uses many stylistic devices to show the urgency of 'struggling' so that the interlocutors do not go back to where they were. The repetition and structural parallelism are manifested in the word (God) which is repeated four times, and the clauses (exhausted in God), (Diligent in God's command), (close to God's messenger), (a master of God's guardians) to emphasize Al-Imam Ali's (u) entitlement of caliphate.

These expressions show the states of Al-Imam (pbuh) that he exhausted his pure self to obey God's commands and prohibitions. He (pbuh) exploits all his capabilities in order to uphold the word of truth. He is the Prophet's (GOD Prays Upon Him) guardian and successor. The representation of Al-Imam Ali's (pbuh) states and actions is the triggers which stimulate the interclocutors' prior knowledge of him (pbuh) to allow them to construct a mental representation of the text world.

The words (strange), and (wolves) in the phrases (the strange men), (Arab wolves) present analogy in which the two compared things become as one thing for their total contiguity

in the sentences (breaks the idols), (hits the heads) (the enemy was defeated), and (they turned their backs), indicate real that the Prophet (GOD Prays Upon Him) and his cousin (pbuh) are 'agents' who deserve obedience. The nouns in give the sense that the interlocutors were 'recipients' that are characterized as disgraceful and humiliated ones.

Extract (2):

«فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ اللّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ الله، مُجْتَهِدًا في أَمْرِ الله، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ الله سَيِّدَ أَوْلِياءِ الله، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا، وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ». (الخاقانيّ، ١٩٩٢: ٢٠٩).

To provide a meaningful interpretation of new knowledge (the urgent need for struggling), the lady (pbuh) utilizes the interlocutors' background knowledge about Al-Imam Ali (pbuh) to reinforce a belief that Al- Imam (pbuh) is worthy of the caliphate and imamate, and he is more deserving of it than anyone else. In this extract, the world-building elements (characters, time, place) are the same of the previous extract but function-advancing propositions are related to the states and actions of Al- Imam (pbuh). Al-Imam (pbuh) is shown as the represented participant who carries the represented meaning; that is, he is

ignorant), their actions (drinking camel urine and eating trees leaves),are considered as triggers and evaluative criteria that stimulate aspects of their prior knowledge to construct a representational meaning of the world of the text.

Equally important, the lady Al-Zahraa' (pbuh) creates an interactive meaning by making the interlocutors as the represented participants and interactive participants at the same time.This is achieved by describing their prior world and portraying the new one that calls for struggling in the hands of the messenger's successor to preserve the resultants of the Islamic mission.

Stylistically, the image of the interlocutors' (characters) previous life, present life, and their features, is represented by some stylistic devices. At grammatical and lexical level,there is a repetition of the word ' God ' in (servants of God), (trustees of God) that refers to the importance of the interlocutors' status and the burden of the mission that entrusted to them since it is ' divine mission'. The structural parallelism is presented in the constructions

«صادعا بالنذاره، مائلًا عن مدرجة المشركين، ضاربًا ثبجهم، آخذًا بأكظامهم، داعيًا الى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة».

These constructions contain gerund and prepositional phrase which give the sense of continuity and persistence with which the divine mission is fulfilled and completed. The verbs

which the lady (pbuh) wants them to recognize the difference between their previous life and the presented one. She said:

«وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ.. تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُم».

These descriptions of their life before Islam remind them that they were weak and a few humiliated ones who were almost kidnapped by the Romans and Persians. You were on the brink of a pit of fire because of your disbelief. This description is a reference to the verse:

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣).

Drinking from the roads in which camels urinate and eating leaves of trees indicate that they were erroneous, uneducated, and ignorant ones. These reminds them that (pbuh) actions are schemata of Pre-Islamic life.Then, she and his cousin Al-Imam Ali (pbuh) they were saved by her father, hits the heads, breaks the idols by these description:

Thus, the world-building elements like the actors whether the interlocutors or not like. The Prophet (GOD Prays Upon Him) and Al-Imam Ali (pbuh), the time (after the issue of looting Fadak), the place (The Prophet's Mosque), and function-advancing propositions like the interlocutors' states (weak,

3.3. Data Analysis

Three extracts from the lady Al-Zahraa's (pbuh) sermon that is known ' Al-Fadakyia sermon are analyzed according to the eclectic model that is explained in the section (3.2).

Extract (1):

ثُمَّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: «أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وِأُمَناءُ الله عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَم.. وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُم». (الخاقانيّ، ١٩٩٢: ١٦١).

Cognitively speaking, the lady (pbuh) was totally aware and conscious that there is a shared belief that combines her (pbuh) with the attendants; that is all of us under the umbrella of Islam. We have one religion, one prophet, and one holly book. She said (اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمَّد) (GOD Prays Upon Him) know that I am Fatima and my father is Muhammed (GOD Prays Upon Him) to refer to the ' shared belief' that what is she said is not wrong, and what she does is not futility. To reinforce what she ((pbuh wants to say, she (pbuh) borrows a verse (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم) from Holly Qura›n to give her speech a sense of logicality. Arousing the previous knowledge and related it to the real world is a form of comparison through

3.2.2.2.2. Simile and Analogy

Simile is a form of comparison based on similarities which is made explicit by means of 'like' or 'as' (Norgaard etal.,2010:107). Analogy is a form of relationship between two things in which one thing becomes a representation and an embodiment of the other as if they become the same thing (البستاني, 1993:200), for example (contentment is an endless treasure).

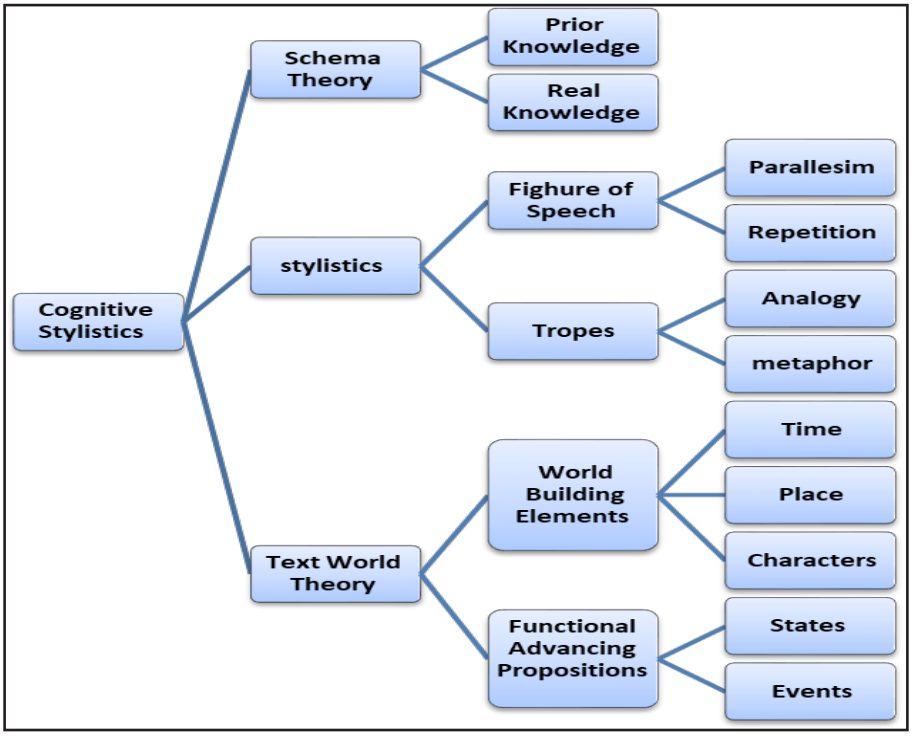


Figure (1): The Model of Analysis

issues such the use of some verbs, nouns, or adjectives with specific form.

3.2.2.2. Tropes

3.2.2.2.1. Conceptual Metaphor

The concept of metaphor refers to a word, phrases, or expressions that are used figuratively in an atypical meaning in discourse. As a linguistic phenomenon, it was conceived as " a series of asymmetric mappings stored in long –term memory uniting structure from amore concrete source domain to a more abstract target domain " (Evans, 2013:76). Through different verbal means, metaphors allow the conveyance of ideas and " alter the schemata by generating new ways of mapping the real world on the textual world " (ibid). In the same vein, Lakoff & Johnson (1980:156) remark that the power of the metaphors is extended to the extent that they may create new realities and guide for future action.This refers to the broadening scope of their use through which new conceptual metaphors are invented in a text to produce considerable and significant changes on the way people perceive the world around them. They further state that the use of metaphors is not restricted to physical explanation of reality, but it is a reflection of the social and linguistic behaviors of the culture where they emerge (ibid).

represented through some linguistic tools.

3.2. The Model

Based on the preliminaries on schema and text world theories, the eclectic model is formed. It involves cognitive as well as stylistic analysis..

3.2.1. Cognitive Devices

These devices include the principles of the Text World Theory for Stockwell (2002): world building elements (time, place, characters), and function –advancing proposition (events, states, actions) as well as the concepts of knowledge and belief.

3.2.2. Stylistic Devices

They involve the functional use of figures of speech and tropes for Leech and Short (1981).The former includes grammatical and lexical features (repetition and parallelism), The latter involves metaphor, simile, and analogy.

3.2.2.1. Grammatical and Lexical Features

Repetition and parallelism will be included within the analysis. The first refers to repeat a word or a phrase for a purpose the user intends. The second occurs when there is isomorphism where similarity of form reflects or suggest similarity of meaning (Cook: 1989:15). It can be found at different levels of language. These features also includes some morphological

al communicates. It is subjective (ibid:447). He further states that to have true knowledge, we should be able to observe the mental state of others in some direct manner rather than infer them from circumstances.

3. Methodology

This section presents the research method which involve the description of data selected and the eclectic model for analysis.

3.1. Data Description

The selected data is the lady Al- Zahraa's (pbuh) sermon that is known, Al-Fadakyia sermon which is delivered at the Prophet's Mosque in Al-Midina Al-Minwarah in the presence of the supports, the immigrants, and the companions of the Prophet (GOD Prays Upon Him).

The particular data is chosen for its ' evocative ' function. It is an evidence of her death with oppress and usurp of her (pbuh) right. The right that necessitates stirring the listeners' feelings, enlightening their minds, and recognizing their legitimate duty, which is ' struggling ' and confronting injustice. It is also very eloquent, robust with strong argument. Some extracts are analyzed from cognitive stylistic point of view to show how the concept of struggling is realized cognitively through schema and text world theories that are stylistically

Bertrand (1972:152) points out that " we perceive hard and soft through touch, but it is the mind that judges that they exist or not". Consequently, senses alone can not lead us to know the real world. This gives rise to the truth that " knowledge consist in reflection, not in impression, and perception is not knowledge " (ibid: 153).

Empiricism, as an opposable perspective to rationalism, argues that ideas and forms can not be separated from physical objects and sensory information. Through our sensory interface with the real world, knowledge can be created and finally it is processed by our mind (ibid).

2.3.2. Belief

Concerning belief, Bara (2011:446) identifies three types of beliefs: individual, common, and shared. It is argued that in some cases and in a given context, the agents believe a certain thing but in a totally autonomous fashion. This is referred to as ' individual belief'. In other cases, all the agents have the same individual beliefs and they share knowledge of their surrounding environment, this is called ' common belief ' or 'mutual belief' upon which much human interaction based: It is objective rather than subjective (ibid). Shared belief is related to the common ground, the sum of knowledge, and suppositions that some people share and enable us to identify a series of cultur-

world is complementary, the epistemological level of information may be highly verifiable and uniform between these two worlds. So, it is worthy to mention to the mental states for communication that involve belief, knowledge, attention, and consciousness.The focus will be on the concepts of belief, and knowledge.

2.3.1. Knowledge

The concepts of knowledge and belief are closely related with different properties. The properties of a belief are defined " by a set of axioms derived from the theory of logic". Whereas knowledge is " a derived concept, that is a sort of abbreviation of true beliefs about the world "(Jaakko, 1962).

Knowledge is a result of knowing which is one of the most specific human processes. It has been a subject of human inquiry from the ancient times. Plato and Aristatle developed ' epistemology ' as a theory of knowledge. Many arguments and theories try to illustrate the nature of knowledge and try to give a satisfactory definition of it. Most of these theories have been integrated into two major perspectives: rationalism and empiricism. Both of these perspectives accept that knowledge is ' a justified true belief ' (Bolisani &Bratianu, 2018:2). Rationalism argues that knowledge is a result of a reasoning process rather than sensory experience.

and times,recent or past, and real or imaginary situations.

Werth (1999:83) differentiates between discourse world and text world. The former is defined as" the situational context surrounding the speech event itself". Thus,it deals with details of location, the time expectation, discourse participants as well as the relationships, knowledge and experience on which the participants depend to understand and process the language used. The latter is concerned with the deictic and referential elements in it.

Stockwell (2002:137) refers to two types of linguistic uses that formulate the text worlds: world building elements and function-advancing propositions. The first cue is concerned with the features of language that establish " the background against which the foreground events of the text will take place". It includes time, place, characters and other objects that furnish the text world available for reference. The second cue involves events, states, processes, actions, and any predications or arguments that are related to the objects and characters in the text world. These elements propel the dynamic or the narrative within the text world forward. This is done by what is called ' world –switch by which the enactors can switch to different worlds. Such a process is achieved by using a variety of tenses, tense shifts, and modality (ibid:138).

Since the relationship between discourse world and text

pretation, and restricting which involves creating a new image and prospective of the world over a significant period of time. The use of schema theory in stylistics is represented by the role of this theory to make inference to link events, and examine the thoughts of characters that perceive the world differently (Cook, 1994:270).

2.3. Text World Theory

Text world theory (TWT henceforth) is a cognitive tool that is concerned with how the participants in the discourse construct mental representations for the situations being described. These mental representations (meanings), or mental performance is found in cognitive psychology and it is highly influenced by the style of narration such as the vividness of description, the amount of details provided, and the pace of action. Therefore, stylistic features are regarded central to TWT and indicate that cognitive linguistics moves beyond literature to everyday discourse (Gavins, 2007:8). This movement is a result of an interest in figurative language with heavy pragmatic and ideological effect. Accordingly, the focus is on language as well as the context in which it is produced and received (ibid:9).Lahey (2014:221) states that the key ideas of this theory is availability of two discourse participants in the discourse world who talk about happenings or events in different places

For the purpose of this study, three cognitive theories: schema theory, conceptual metaphor theory, and text world theory will be given a special focus since they provide some useful analytical means to be utilized in the analysis and interpretation of literary texts as well as uncover how listeners/readers can connect between the text world and the real world. Accordingly, certain metaphorical images involved in the text can only be understood by providing a way of thinking about how the individuals' experience (real knowledge) would influence their viewing and interpretation of the text world (woldemariam, 2015:18).

2.2. Schema Theory

The notion of schema was first introduced by the British psychologist Frederic Bartlett in 1932, and then it was developed by the American psychologist Richard Anderson in 1990. Rumelhar (1980) asserts that the process of reorganizing the existing schemes to create a new view of the world enables the people to combine their knowledge to the interpretation of texts. That's to say, people's interpretation of a text relies on their own knowledge of the surrounding world that is mentally represented in their mind. Three processes of acquiring information are suggested by Rumelhart and Norman (1976:38-39): accretion means adding new details to the existing schema, tuning means developing new loots for inter-

of events in the Arabic nation before the Prophet Mohammed (GOD Prays Upon Him) starts off the Islamic mission. By referring to the previous surrounding world, she (pbuh) wants to create a new perspective of the present world (textual world). This creative image is built on different metaphorical images that generate new ways of mapping the real world on the textual world.

2. Theoretical Underpinnings

2.1. Cognitive Stylistics

Cognitive stylistics is a sub-discipline in the field of applied linguistics that focuses on cognition and contextual effects in production and understanding the texts. In this respect, this sub-discipline offers significant means for the producer of a text as well as the receiver to have a clear view of text and context, knowledge and beliefs, and circumstances and uses (Stockwell (2002: 15).

Thus, it can be said that cognitive stylistics offers to the readers or listeners a starting point to understand and approach how a literary context is built depending on their background knowledge and experiences. Put it differently, texts contain triggers which motivate reader's / listener's prior knowledge to build a mental representation of the text world (Patil, 2014: 82 -83).

ticipant in communication. To convey the intended meaning by the speaker accurately and to interpret it correctly by the listener, a series of mental states whether emotional or cognitive; conscious or unconscious are involved. The present research aims at applying the integrated approach of analyzing texts in terms of cognitive linguistic theories and stylistic devices. Such an approach of analysis is a departure from textualist to contextualist stylistics interpretation of a text. This involves a fact that a text must not be taken as a finished product, whether an utterance or a discourse, but it must be taken into consideration the contribution of mental states of production and interpretation of a text. That's to say cognitive stylistics offers important means for the producer of a text as well as for the receiver since it suggests that texts are " the products of cognizing minds ", and their interpretation as " the products of other cognizing minds in the context of the physical and socio-cultural worlds in which they have been created and read" (Freeman : 2000:253). Consequently, different theories such as schema theory, text world theory, conceptual metaphor theory, mental space theory etc. provide frameworks for the analysis of the text.

Through her Fadakyia sermon, the lady Al-Zahraa' (pbuh) notices that stimulating the listeners to struggle requires an activation of their prior knowledge (schemata) of the course

Al-Zahra's (PBUH) speech in the Prophet's (GOD Prays Upon Him) Mosque in the presence of the two sheikhs, the immigrants and the supporters. This sermon shows the legitimacy of many issues such as her inheritance of Fadak, imamate, and struggling. The latter one is the focus of the study. The lady AL-Zahraa's utilizes the schema and Text world Theories to provide a way of thinking about background knowledge, and stimulates the audience's experience which affects their viewing and interpretation of the text world.

The results of the analysis present that the schema and real world knowledge play a regarding role in interpreting the text world. It is also shown that the figurative language leads to produce new image schemata and creates new stylistic frame works that illustrate the concept of the struggling.

Key Words: Cognitive Stylistics,Text World, Schema Theory, Background knowledge, Legitimacy, Struggling, Figurative language.

1. Introduction

It is believed that communication is a cooperative activity between two or more people in which the meanings of each transaction are constructed by all those interlocutors in a shared community. This belief leads to a fact that the responsibility for communication falls on the shoulders of every par-

The Legitimacy of Al-Jihad (Struggling) in the Fadikia Sermon for the Lady AL-Zahraa (PBUH) Cognitive Stylistic Analysis

Asst. Dr. Adawyia Sattar Abood
Thi-Qar Education Directorate/Nasiriyah Department

Abstract

Cognitive stylistics is a sub-discipline in the field of applied linguistics that involves the applications of cognitive linguistics and psychology to text analysis. The present study is an attempt to show how cognitive stylistics is employed to discover the sublime mysteries of literary texts.

Through the process of reading and listening, the readers and listeners utilize their previous background knowledge (schema) to infer meaning. Thus, this study aims to shed light on the effect of the real life schematic knowledge in the construing of the texts as well as the cognitive processes that the receivers of the text exploit to construct a mental representation of the world of the text. The selected text for the study is

Sheikh Jaafar al-Naqdi, Al-Haidariyah Press, Al-Sharif Al-Radi for Publishing, 2nd edition.

16. A'yan Al- shi'eh, Sayyid Muhsin al-Husayni al-Amili, Ibn Zaydun Press, 1st Edition.
17. Al-Ihtejaj, Sheikh Abi Mansour Ahmed bin Ali bin Abi Talib Al-Tabarsi, investigated by Al- Sayid. Muhammad Baqir Al-Khursan, Dar Al-Numan for printing, 1st edition.
18. Nahj al-Balaghah, Al-Sayyid Al-Sharif Al-Radi, investigated by Ali bin Muhammad bin Al-Sukoon, Heritage Revival and Investigation Division, 2nd edition.
19. Tathkirat al-Khawas Min al-Ummah, Yusuf bin Qazali al-Baghdadi al-Sibt bin al-Jawzi, investigated by Hussein Taqizadeh, The International Assembly of Ahl al-Bayt, 1st Edition.
20. Sherh Al- Akhbar fi Fedha'l Al-A'imeh Al- Atthar, Judge Abi Hanifa Al-Numan bin Muhammad, investigated by Muhammad Al-Husseini Al-Jalali, Islamic Publishing Foundation, 2nd edition..

8. Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, the house of reviving of Arab Heritage, 1st edition.
9. Al-Mewsu'etu Al-Qubra en Fatima Al-Zahra (pbuh), Ismail Al-Ansari Al-Zanjani, Publications of Delil, 1st Edition.
10. Al-Irshad fi Me'rifet Hujej Allah ala Al-Ibad, Muhammad bin Muhammad bin Al-Nu'man Al-Baghdadi, Al-Sheikh Al-Mufid, Aal Al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage, 2nd Edition.
11. Dela'il Al-Imameh, Muhammad bin Jarir al-Tabari, investigated by the Department of Islamic Studies, Al-Bethah Publishing Corporation, 1st edition.
12. Firdaws al-Akhbar bi-Mathur al-Khattab, Sherweh bin Shahrdar bin Sherweh al-Dailami - Ibn Hajar al-Asqalani, investigated by Fawaz Ahmed al-Zumarli, Dar al-Kitab al-Arabi for publishing, 1st edition.
13. Muqtetefat Wala'ieh, Sheikh Waheed Al-Khurasani, Al-Imam Foundation for Publishing and Distribution, translated by Abbas Bin Nakhi, 3rd edition.
14. Keshif Al- Ghumeh fi Me'refet Al-a'imeh, Abu al-Hasan Ali bin Isa bin Abi al-Fath al-Arbali (May Allah rest his soul in peace), who died in the year 693 AH, Dar Al-Adwaa, Beirut Lebanon, 1st Edition.
15. Al- Anwar Al- Alewieh we Al- Asrar Al-Murtazawieh,

Sources and References

1. Amali Al-Sadooq, Abu Ja'afar bin Muhammad bin Ali bin Babawayh Al-Sadooq, Al-Alamy Foundation, Beirut, Lebanon.
2. Ma'alim Al-Tenzeel (Tafsir Al-Baghawi), Al-Hussein Bin Masoud Al-Baghawi, Dar Ibn Hazm, 1st Edition.
3. Kenz Al-O'mal fi Sunen Al-Aqual wa Al-Af'al, Ala'addin Ali bin Hossam Al-Din Al-Muttaqi Al-Hindi, investigated by Bakri Al-Hayani, Al-Risala Foundation, 2nd edition.
4. Sahih Muslim, Muslim bin al-Hajjaj Al-Nisaburi, investigated by Nazr bin Muhammad al-Faryabi Abu Qutaybah, Dar Taibah for publication, 1st edition.
5. Manaqib Ameer Al-Mu'mineen, Ali Ibn Abi Talib, (may Allah be pleased with him), Ali Ibn Muhammad Ibn Muhammad Ibn al-Tayyib, known as Ibn al-Maghazili (D. 483 AH), investigated by Abu Abd al-Rahman Turki bin Abdullah al-Wadi'i, Dar al-Athar - Sana'a, 1st edition.
6. Yanabee' Al- Mewedeh li Thewi al-Qurba, Suleiman bin Khoja Ibrahim Qabalan Al-Husseini Al-Hanafi Al-Naqshbandi Al-Qandouzi, investigated by Sayed Ali Jamal Ashraf Al-Husseini, Dar Al-Aswa, 1st edition.
7. Noor al-Absar fi Manaqib aal-Bayt al-Mukhtar, Moamen bin Hasan Moamen al-Shablanji, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2nd edition.

of all the infallible Imams (peace be upon them).

The caliphate was not in the concept of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) an authority as much as it is a responsibility and duty towards the nation and leading it according to the true rules of Islam that were brought by the last of the Prophets (Allah's prayers and peace be upon him and his household) and maintaining them from aberration and deviation, and this matter is not possible for anyone except for the Imams whom Allah has singled them out with His revelation, and the Messenger(Allah's prayers and peace be upon him and his household) stipulated them and linked them to the Book (The Holy Qur'an).

So, Al-Zahra's (peace be upon her) demanding for her right, which was embodied in her great (Fedaekia) sermon, was the first renaissance in Islam against pre-Islamic Qaraishi domination, oppression, and tyranny.

We conclude with the words of al-Zahraa (peace be upon her) in her sermon when she said: "O' people, know that I am Fatima and my father is Muhammad (Allah's prayers and peace be upon him and his household).

I say back and forth and I do not say what I say wrong and I do not do what I do away from the right"[1].

(1) Sherh Al-Akhbar, Judge Al-Numan bin Muhammad, 3rd Volume, P.34

ation of a virtuous society. As in the narration.

And from one of his sermon. (peace be upon him) when he went out to fight the people of Basra. Abdullah bin Al-Abbas said, "I entered to the Commander of the Faithful (peace be upon him) in Dhi Qar, and he was mending his sandal. Then he said to me: What is the value of this sandal? I said, "It has no value." Then he said, "I swear upon Allah, I like it more than commanding you, except that I establish the rightness or get rid of the falsehood"(1).

So, the caliphate is meaner than the sandal if it does not exploited in the obedience to Allah, the settlement of justice, and the fulfillment of rights, and we also find this concept in the conditions that Al-Imam Al-Hassan (peace be upon him) set to be adhered by Muawiya which forbids him from shedding the blood of the innocent, and commands him to enjoin good and forbid evil and other conditions. And this concept is evident in its most wonderful form in the renaissance of Al-Imam Al-Hussein (peace be upon him) when he said: (I did not emerge out of enjoyment or arrogance, but I went out to seek reform in the nation of my grandfather, the Messenger of Allah (Allah's prayers and peace be upon him and his household) I want to enjoin good and forbid evil).

This concept was manifested in the behaviors and sayings

(1) Nahj al-Balaghah, 1st Volume, P. 80.

tion from these borders and told him nothing had been left, so turn to my seat. The Imam replied, "I told you that if I specified it, you would not want it[1].

It is also clear through this conversation, the concept of caliphate according to both sides. The concept of caliphate for the owners of the Saqifah, the Umayyads, and the Abbasids is nothing more than power, possession, tyranny, killing, displacement, despotism, seizing the reins of ruling by various means, raising the slogan (the kingship is sterile), and engaging in pleasures, drunkenness, and luxury at the expense of the hungry people.

While the concept of caliphate among Ahl al-Bayt (peace be upon them), we find it embodied and unified in their principles and goals, and manifested in their words and actions alike. We find it in the hadith of the Commander of the Faithful (peace be upon him) with Ibn Abbas when he saw him mend his sandal while he was on his way to the fight of the camel. Ibn Abbas showed his surprising of how as a commander, he had to mend his sandal Then the Imam asked him: What is the value of this (sandal)? So Ibn Abbas's answer is that it has no value, and the Imam's answer (peace be upon him) comes to clarify the true concept of the caliphate, and clarifies its heavenly goals that represent goodness, charity and human reforming and the cre-

(1) Tathkirat al-Khawas, Sibt bin Al-Jawzi, 1st Volume, P. 314.

hood and so that the first ignorance does not return, and human idols are worshiped, as happened during the era of the Umayyads and Abbasids.

- For the sake of Islam and Muslims in the first place, and for the caliphate to have its own people, whom the Prophet (Allah's prayers and peace be upon him and his household) stipulated.

Fedek remained and remains the great trace that indicates the first right that was usurped in Islam and the most important command of Allah that was distorted, and the first disobedience to the orders of the Prophet and the first return to ignorance. As Fedek means Caliphate, and this becomes clear as mentioned before in Al-Imam Al- Kadhim's (peace be upon him) reply to the Abbasid Mahdi who called him and offered to give him Fedek back, so Al-Imam Al- Kadhim's (peace be upon him) refused to accept it, and when Al-Mahdi insisted on him, he said (peace be upon him): I only accept it within its limits, and when Al-Mahdi asked him about its limits, he (peace be upon him) said: The first border: Aden, the second border: Samarkand.. and the third border is Africa.. And the fourth limit? The sword of the sea next to the Khazars and Armenians.and these were the borders of the Abbasid state. Al-Mahdi couldn't control himself when he heard the fourth border, so he stood up with anger on his face, and he understood the Imam's inten-

from the lack of provision, and the length of the road, far traveling, and the greatness of judgment day[1].

Ali, who says about Fedek itself: (And what I do with Fadak and other things, and the soul's place is the grave tomorrow, its traces are cut off in its darkness, and its news is absent, and a hole, if it was increased in its space, and the hand of its digger expands it, the stone and rain would compress it and blocks its holes the accumulated dirt, but it is my soul that I tame with piety, to come safe on the day of greatest fear.

So, their demanding for Fedek was not for the sake of Fedek itself, but rather:

- In order that none of the Muslims starves and begs at the doors of the rich was her demanding.
- In order not to be (in Hijaz or Al-Yamamah one has no greed for the loaf and has never been full)[2]. And so that the pain of poverty agitates and kills the poor.
- In order for a person not to disbelieve in his Lord and sell his religion for a loaf of bread.
- In order that the Sunnah of Al- Mustafa and the rulings of the noble Sharia and the Sunnahs of the Noble Qur'an will not be distorted.
- In order to establish the right and demolish the false-

(1) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 40th Volume, P.345.

(2) Nahj Al-Balaghah, 3rd Volume, P.72.

(Allah's prayers and peace be upon him and his household). Fatima, whose hands were rough and she was trembling from the hardship of life and the hunger of the bowels and Fedek was in her hand. but she did not control its revenues, but rather to satisfy the hunger of the poor, wipe the tears of the orphan, and console the captive's foreignness.

Fatimah, the mistress of all women, who, on her wedding day, was satisfied with a dress of wool, a bed of burlap, one pot, one jar, and a piece of matting, all of which were the price of Ali's armor.

Fatima, whose soul has been addicted to altruism and generosity with all the sustenance she possesses, which satisfy her breath and that of her children.

And Ali... who opens the treasury and the gold, silver and money sparkle before him, so he says: (O'! Yellow, seduce other people than me), then he calls Qanbar to gather the Muslims and distributes according to the division of the Messenger of Allah. Then he gives Qanbar three dinars and takes three... and sweeps the treasury then cries and says

(O' world, go away from me, to me you have exposed? Or to me did you look forward to me? it's not your time, go away, seduce other people than me, I do not need you, no one else but me, I divorced you three times irrevocably, your living is short, your danger is easy, and your hope is very tiny, oh oh,

upon him), when he said: (So grant me from you a guardian who inherits me and inherits from the family of Jacob), and he said (also): (And those who are related to each other are closer to each other in the Book of Allah), and he said: (Allah recommend you with regard to your children, for the male is like the share of the two females), and he said: (If he leaves something good, it is the will to the parents and relatives with kindness, a right upon the righteous), and you claimed that I have no favor, no inheritance from my father, and no kinship between us. May Allah single you out with a verse (from the Qur'an) and

My father Muhammad (Allah's prayers and peace be upon him and his household) out of it? Or do you say that the People of two religions do not inherit each other? Aren't me and my father from the same religion? Or are you more knowledgeable about the Qur'an and its generalities than my father and my cousin?)

Then she addressed the Ansar (the supporters)and said: (O' Banu Qila, Is my father's heritage usurped, while you see and hear me, in a forum and a gathering?[1].

Al-Zahra's sermon and the message of the commander (peace be upon them both) may raise a wonder which is (why is all this concern for Fedek, which is a land while they are the masters of the people of earth after the Messenger of Allah

(1) Al-Ihtejaj, Al-Tabarsi, 1st Volume, P 138.

lamic Center at that time and the assembly of all Muslims, as she carefully chose the appropriate time so that the mosque would be crowded with people of different classes of immigrants and supporters, and she also chose to go out in a group of women to prove that she was in a real demonstration to demand the usurped rights, in addition to that she chose a place in the mosque to sit in, so a veil was put between them and her, as she is the pride of all honorable, and the lady of all veiled women. Then she delivered her fedekia Improvised and protested sermon, which has remained throughout the ages and times a document to condemn the oppressors and evidence of their hypocrisy, and a reference to which the confused people refer to in order to know the truth and its people from falsehood and its people.

One of the repercussions of this case was the sermon (Al-Fedekia) by Mrs Al-Zahraa (peace be upon her), in which she demanded for Fedek, including her saying (peace be upon her): (O' Muslims, will I be prevailed over my inheritance? O' Ibn Abi Quhafa, is it in the Book of Allah that you inherit your father and I do not inherit my father? You have brought something false to Allah and His Messenger, have you intentionally left the book of Allah and discarded it behind your backs? When he says: (Solomon inherited David), and he said in what he quoted from the news of Yahya bin Zakariya (peace be

"I only take it within its limits."..

Aaron said, what are its limits??

He said: The first border is Aden, the second border is Samarkand, the third border is Africa, and the fourth border is Saif al-Bahr, which follows the Khazars and Armenia.

So, Haron (said nothing has left for us, it means that you demanded the entire Islamic patch, and nothing was left of it[1].

The Imam said (I told you that if I specified it, you would not return it).

So, her demand for Fedek was, in its essence, a demanding for the return of the caliphate to its legitimate owners, who are the Commander of the Faithful (peace be upon him) and the Imams, the obedient to Allah, and therefore it is a demanding for preserving the tolerant Sharia and preserving the message of heaven and keeping it away from the hand of distortion and forgery.

And because her aim (peace be upon her) is great, she decided to engrave her demanding to achieve it on the stone, so as not to obscure its truth or remove its impact. Therefore, she did not go to Abu Bakr's house, but chose to go towards the mosque of her father, the Messenger of Allah (Allah's prayers and peace be upon him and his household), which is the Is-

(1) A'yan Al- shi›eh, Muhsin al-Husayni Al-Amili, P.47.

be upon her).

This is supported by what was included in her sermon (peace be upon her) in terms of praising her hubby and reminding of his unique heroic stances, where she said: "So Allah rescued you by my father, Muhammad after the small and big hardship, and after you were afflicted by beast of the men, the wolves of the Arabs, and the rebellion of the People of the Book, Whenever they lit a fire for war, Allah extinguished it, or the horn of Satan appear, or a gaping hole from the polytheists appeared, he threw his brother (i.e. Ali) into its distractions, He will not lean from it until he tramples its marrow with his soles, and extinguishes its flames with his sword, toiling for the sake of Allah, striving in the command of Allah, close to the Messenger of Alla, the master of Allah's guardians, ready, adviser, hardworking and industrious while you are living safe in luxury, lie in wait for bad things and wish us misfortunes, back down from duel, and flee from fighting[1].

Therefore, Fedek has become not just a village or a garden, but has become a title for the Caliphate and for the entire Islamic region.

This meaning was confirmed by Imam Al-Kadhim (peace be upon him) when he defined it for the Abbasid Mahdi after he insisted on him to take Fedek, so the Imam said to him:

(1) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 29th Volume, P.237.

her) wanted to reveal the miserable truth of those who looted the caliphate, and to reveal their evil nature to all people, so that he who perishes may perish by evidence, and those who live may live according to evidence, and the shortest way to that is by demanding for Fedek, Otherwise, She is more valued and higher than being keen on the world.

So her demanding (peace be upon her) for Fedek was an opportunity to give her opinion about the existing government, and to declare it before the masses. She attended the House of Government in the Prophet's Mosque (Allah's prayers and peace be upon him and his household), and delivered her clear statements in front of everyone, exposing that usurping government in its center and stripping it of any legitimacy, showing the right of Imam Ali to lead the nation after the Messenger (Allah's prayers and peace be upon him and his household), as she said in her sermon: « Or do you know more about the specialties of the Qur'an and its generalities than my father and my cousin"[1].

And her saying: "And you have kept away who is more deserving of expansion and seizure"[2].

Her demand (peace be upon her) for Fedek was a prelude to her claim for the right of succession for her husband (peace

(1) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 29th Volume, P.227.

(2) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 29th Volume, P.229.

Makkah and in Abi Talib shi'b, and helping her great father and quicken him with morale, to accompanying the Commander of the Faithful in the difficult stages of his life in Medina, in the war, in his foreignness, against the threats he faced, and in the difficulties of material life and the various pressures, as well as during the period of his misfortune - that is, after the departure of the Messenger (Allah's prayers and peace be upon him and his household), whether in the Medina mosque or on his sick bed, during all these stages and phases, this great human being was a striver, fighter, and seeker. She was a wise fighter and a knowledgeable fighter.

The incident took place and the usurping government at that time seized all the political and economic rights of Beni Hashim, and deprived them of all their privileges and their material and moral rights, as they seized not only Fedek, but also the inheritance and the fifth, i.e. the shares of relatives - and considered them as the rest of the people «if he died or was killed, did you turn on your heels?».

Hence, Mrs. Al-Zahraa herself stood up to demand for those looted rights, supported by her virtue, honor, and closeness to the Messenger of Allh (Allah's prayers and peace be upon him and his household) on the one hand, and her femininity, because women enjoy more freedom than men in such situations on the other hand. So, Mrs Al-Zahraa (peace be upon

is the manifestation of Allah's satisfaction and wrath, the Messenger of Allah's (Allah's prayers and peace be upon him and his household)said: "Oh Fatima, Allah's gets angry for your anger and gets satisfied for your satisfaction(1). Therefore, it is appropriate to study all human attributes according to the criterion of Fatima's satisfaction (pbuh) and her wrath. Fatima in the field of defending the imamate was like a raging sea whose waves reached the highest point, so everything she had was a sacrifice for Ali (pbuh) and for the position of Ali (pbuh); and she is the one who said: "My soul is redeemed for your soul and my spirit is to protect your spirit"(2), and when she (pbuh) saw them taking Ali by force to the mosque, she said: "Let my cousin go, for He who sent Muhammad with the right, if you do not let him go.. I will put the shirt of the Messenger of Allah (PBUH) on my head, and I will cry out to the Almighty Allah, as Salih's camel is not more honorable to Allah than me, nor is the baby camel is more honorable to Allah than my children(3).

Her life (peace be upon her) was full of jihad, as she was like a sacrificing soldier in the various fields. She had her presence and active and influential role since her childhood in

(1) Keshif Al-Ghumeh, Ibin Abi Al-Fath al-Arbali, 1st Volume. P.458.

(2) Al-Anwar Al-Alewieh, Sheikh Jaafar Al-Naqdi, P.280.

(3) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 28th Volume, P.206.

from them at all.

Otherwise, how is Allah's satisfaction and wrath relates to the one who can be described satisfaction and wrath released from fancy and passion.?

Accordingly, whatever is issued by Mrs al-Zahraa in terms of words, actions, or attitudes, it reveals the divine command and legislation. She is a legitimate argument upon all people, and she (peace and prays be upon her) is a proof an argument upon all her sons, the pure Imams, and that is why Imam Al-Hassan Al-Askari said: "She is an argument upon us."

Imam Al-Hujjah said: "In the daughter of the Messenger of Allah, I have a good model." And Imam Al-Hussein said: "My mother is better than me. As Al-Zahraa (pbuh) rose to the level of steadfastness in enduring problems and accepting misfortunes that did not shake her firm structure: "O' you who are tested by Allah who created you before He created you and found you patient when He tested you"[1].

Based on the foregoing, it must be said that Lady Al-Zahra (pbuh) was the role model for women, the Imam of men, and the leader of all virtuous people. And since satisfaction and wrath are two descriptions that combine all human attributes, on the basis that human action is either the source of Allah's pleasure or the source of His wrath, and since Fatima (pbuh)

(1) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 97th Volume, P.114.

Thus, she is an argument upon her infallible children peace be upon them).

The Second Topic: Mrs. Fatima Al-Zahra(peace be upon her) the Woman that Defends the Imamate.

After referring to the status of al-Zahra' (peace be upon her) and her greatness, we are compelled to put her in her true place, which is the divine selection, which means the presence of individuals who embody the principles and values in their lives,

who reach the level of purity and perfection, and be role models and guides for mankind throughout history. The Almighty Allah did not make it a rank limited for men rather than women, rather he selected samples of women as he selected from men, which indicates women's ability and eligibility to get the highest levels of perfection, and to be in a position of leadership and imitation, and in the level of superiority and excellence over all human beings, women and men, Mrs. Al-Zahra is presented as a symbol and role model for the entire Islamic nation,

Of course, the meaning of the connection of Allah's satisfaction with her satisfaction, and Allah's wrath with her wrath, indicates her infallibility, impartiality, and perfection, and that her behavior and practices, and even her feelings and emotions are in harmony with divine values, and do not deviate

of Allah upon us)[1] And the Messenger Muhammad (Allah's prayers and peace be upon him and his household)has, in every gesture of his great personality, an indication of copious wisdom from the copious ocean of his knowledge, so in his coming with Ali and Fatimah and their two sons on the day of Mubahala, there is a tight divine arrangement, as you see him (i.e "the Messenger") advancing, "and Ali" following him, and "Fatima" in the middle (between them), this situation has a significance! It means that Fatima is (an isthmus between the great prophecy and the mighty guardianship), and it also means: that "Fatima" (peace be upon her) enjoys the position of (polarity), and she has the central role (pivotal) between the two situations: the greatest revelation and the notification, for the one who preceded her was the Messenger of Allah (Allah's prayers and peace be upon him and his household) and the one who was walking behind her was Ali (peace be upon him), the owner of the shrine of interpretation of revelation[2].

It is, then, the isthmus connecting between the prophethood and the Imamate, and the holy Hadith testify that: (Oh Ahmed, if it were not for you, I would not have created heavens, and if it were not for Ali, I would not have created you, and if it were not for Fatima, I would not have created you both.

(1) Firdaws al-Akhbar, Ibn Hajar Al-Asqalani, 3rd Volume, P.418.

(2) Muqtetefat Wala'ieh, Sheikh Waheed Al-Khurasani, P.140.

was amazed because of that and he said to her: (O' the serviced by the human kind, and O' the infallible at the end of time, and O' Bilqis of the chamber of sanctification and majesty, and O' Asiya of the world of completion and perfection, and O' contended Zahraa, and O' human nymph, and O' The daughter of the infallible Prophet (...), the mother of al-Hassan al-Zaki, the poisoned (peace be upon him), and the mother of al-Hussein, the oppressed (peace be upon him), the bride whose wedding outfit is little, the glorified woman of cover of the dears, the star of the path of admition, and O' candle of the Messenger's board, O' Ahmadi part, O' Muhammadan goods![1].

And Imam Al-Hussein (peace be upon him) says: (My mother - Fatima - is better than me)[2]. and as transmitted by Abi Jafar Al-Baqer (peace be upon him) when he said (And she was (peace be upon her) imposed to be obeyed by all Allah's creation of jinns, humans, birds, beasts, prophets and angels[3].

And Al-Imam Al-Hassan Al-Askari (peace be upon him) says: (We are the arguments of Allah over his creation, and our grandmother Fatima (peace be upon her) is the argument

(1) Al-Mewsu›etu Al-Qubra en Fatima Al-Zahra (pbuh), Ismail Al-Ansari Al-Zanjani, 5th Volume, P.130.

(2) Al-Irshad, Al-Sheikh Al-Mufid, P.232.

(3) Dela'il Al-Imameh, al-Tabari, P.106.

adise for it is a human nymph»[1].

Transmitted by Aisha, she said: "O' Messenger of Allah, why do I see you whenever you kiss Fatima, as if you were licking her as if she is honey or she licking you as if you are honey?" He said: O' Aisha, when I was taken on a journey to my Lord, Gabriel entered me into Paradise gave me an apple, I ate it, and it became a light in my loin. So when it was from me that which was to Khadija, that light descended at that time and Fatima was created from it, so if I wanted to smell the fragrance of Paradise, I kissed Fatima, so if is the Day of Resurrection Fatimah was called for and she would be clothed in the garments of Paradise, then she would pass among ten thousand bridesmaids, and a caller calls: O' people of the gathering, lower your eyes so that Fatima (peace be upon her) passes"[2].

And its sacred position according to the Commander of the Faithful is evident in this narration and how he describes her.

The Commander of the Faithful (peace be upon him) entered upon her some days during her illness of which she died, while she was in the immaculate room. He found that she kneaded a dough and put clay in water to wash her two children, Al-Hassan and Al-Hussein's (peace be upon them both) heads and clothes, so the commander (peace be upon him)

(1) Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir Al-Majlisi, 8th Volume, P. 151.

(2) Yanabee' Al-Mewedeh,Al-Qandouzi Al- Shafi›ee, 2nd Volume, P.131.

hang it in the throne». And Gabriel (peace be upon him) did, so the seven heavens and the seven earths bloomed, so the angels glorified and sanctified. Then the Almighty Allah said: By my glory, majesty, presence, dignity, and rising in my highest place, I will make the reward of your glorification and sanctification of Fatimah, her husband, her sons, and her lovers until the Day of Resurrection(1).

And the narration of Furat al-Kufi, may Allah have mercy on him, transmitted by Salman al-Muhammadi, may Allah be pleased with him said: Some the Prophet's wives (Allah's prayers and peace be upon him and his household)said, "O' Messenger of Allah (Allah's prayers and peace be upon him and his household)why do you love Fatima in such a way that you do not love anyone from your household?! He said: "When I was taken on a journey to heaven, Gabriel(peace be upon him) ended me up in the blessed tree and he took one of the fruits of the blessed tree, rubbed it between his fingers, then fed it to me, then wiped his hand between my shoulders, then said: O' Muhammad, the Almighty Allah presages of Fatimah from Khadija bint Khuwaylid. And when I descended to earth, it was as it was, so Khadija became attached to Fatimah, and if I miss Paradise, I would bring her near and smell the fragrance of Par-

(1) Manaqib Ameer Al-Mu›mineen, Ali Ibn Abi Talib, Ibn al-Maghazili, P.35.

And this is what we see also in the narration of Muhammad bin Jarir al-Tabari "the Imami" transmitted by Ibn Abbas who said: A man from the nobles of the Arabs came to the Messenger of Allah (Allah's

prayers and peace be upon him and his household)and said to him: O' Messenger of Allah(Allah's prayers and peace be upon him and his household) with what thing have you have been preferred than us while you and we are from one water?.

He (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said :O' brother of the Arabs, when The Almighty Allah loved creating us, he uttered one word and the water became light, and uttered another, it became spirit, so He created me, created Ali, created Fatima, created Hassan, and created Hussein.

Then He created the throne from my light, and I am more honorable than the Throne. He created heavens from Ali's light, so Ali is more honorable than the heavens. He created the moon from Al-Hassan's light, so Al-Hassan is more honorable than the moon. He created the sun from Al-Hussein's light, so Al-Hussein is more honorable than the sun.

Then the Almighty Allah afflicted the earth with darkness, so the angels could not stand that and they complained to the Almighty Allah, and He, the Almighty told Gabriel (peace be upon him) «take from Fatima's light and put it in a lamp and

Fatima)[1].

And he (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said (Fatima is a part of me, she is my heart, and she is my soul that is between my two sides)[2].

And he (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said (Fatima. Indeed, Allah becomes angry because of your anger).

When we reach the love that the Noble Prophet had for Fatimah Al-Zahra, we become incapable of reaching the fullness of its reality and identity. And we are not exaggerating if we say that it is beyond the power of the pen, the tongue, analysis and eloquence, because the perfections and virtues of the Beloved - who is the Lady Al-Zahraa - cannot be counted or even reached the goal of their reality. The love of the Noble Prophet for Al-Zahraa (peace be upon her) was not a passion love of a father for his daughter, rather, it was love mixed (with glorification, sanctification, and annihilation in her Allah's prayers be upon her. Al-Zahraa (peace be upon her) reached in the heart of the Most Noble Prophet(Allah's prayers and peace be upon him and his household) a great position to the extent that he made him declare over and over again, "Her father sacrifices her."

(1) Yanabee' Al- Mewedeh,Al-Qandouzi Al-Shafi'ee, 2nd Volume, P. 322, Part 56.

(2) Noor Al-Absar, Moamen Al-Shablanji, P. 52.

(Allah›s prayers and peace be upon him and his household) (We have given you Al-Kawthar) in reference to al-Zahra' and her high status. This is al-Zahra's status for Almighty Allah.

As for her status for the Messenger, it is clear from what the Messenger of Allah (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said about Fatima (peace be upon her): (If I longed for the fragrance of Paradise, I would smell Fatima's neck)(1).

And he, (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said (the Mighty and Sublime Allah, weaned my daughter Fatimah, her sons, and those whom he loved from Hellfire, and for that she was named Fatimah)(2).

And he (Allah's prayers and peace be upon him and his household)said (Fatima is a part of me, what suspected her suspects me, and what hurt her hurts me)(3).

And he (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said (Fatima was created as a nymph in a human form)(4).

And he (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said (The first to enter Paradise: Ali and

(1) Kenz Al-O'mal, Ala'addin Al-Muttaqi Al-Hindi, 6th Volume, P. 219.

(2) Kenz Al-O'mal, Ala'addin Al-Muttaqi Al-Hindi, 6th Volume, P. 219.

(3) Sahih Muslim, Muslim bin al-Hajjaj, 5th Volume, P.354

(4) Manaqib Ameer Al-Mu›mineen, Ali Ibn Abi Talib, Ibn al-Maghazili, P.35.

So Fatima Al-Zahraa, Allah's peace be upon her, is the fruit of Paradise that Allah gifted to His Prophet, may Allah's prayers and peace be upon him and his household.

The interpreters say that one of the chiefs of the polytheists, Al-Aas bin Wael, met the Messenger of (Allah's prayers and peace be upon him and his household) one day at the door of Bani Sahem when he wanted to leave the Sacred Mosque.

And he talk with the prophet in front of a group of the leaders of Quraysh while they were sitting in the Sacred Mosque, and as soon as he finished his conversation with the Messenger (Allah's prayers and peace be upon him and his household) and left him, he came to those sitting, and they said to him: Who were you talking to? He replied: that the aseptic. He meant the Prophet (Allah's prayers and peace be upon him and his household) had no children and offspring, so his offspring will be cut off. This is because a son of the Messenger of Allah from Khadija called Abdullah had died some time before that.

This was a reason for the revelation of Surat Al-Kawthar, which is: **(Indeed, We have given you Al-Kawthar ۝ Pray to your Lord and sacrifice ۝ Indeed, he who hates you is the aseptic)** in response to the Al-ass who claimed that he(Allah›s prayers and peace be upon him and his household) was aseptic[1]. And it is enough for us Allah›s saying to his prophet

(died 381 AH), P.546..

(1) Tafsir Al-Baghawi, Al-Hussein Bin Masoud Al-Baghawi, 8th Volume, P. 60.

journey. Where Gabriel, peace be upon him, went out with the Prophet to the door of the mosque, and the Prophet saw a white animal between the mule and the donkey (Al-Buraq), in its thighs there were two wings that stimulated his legs, then Gabriel placed his hand at the end of the Messenger›s extremes, so he carried him on it, and the Messenger went out with Gabriel, peace be upon him, until he ended up to Jerusalem. As for the heavenly journey, it is the one when the Prophet was ascended to the heavens.

(And indeed, he saw him at another downfall ۞At Sidrat al-Muntaha, ۞There shelter paradise).

What happened on this journey? The Prophet (Allah›s prayers and peace be upon him and his household) will answer us this question.

The Prophet (Allah's prayers and peace be upon him and his household) said that when he was ascended to heaven, Gabriel took my hand and brought me into heaven. He gave me some of its freshness, and I ate it, and that turned into a sperm-drop in my loins, and when I descended to the ground, I had an intercourse with Khadija and became pregnant with Fatimah. So Fatimah was a human nymph, and whenever I longed for the fragrance of Paradise, I smelled the fragrance of my daughters[1].

(1) Amali Al-Sadooq, Abu Ja'afar bin Muhammad bin Ali bin Babawayh,

nite in (the identifiable). The identifiable is what the definition applies to among the members of definite. You say to me: define a person, so I say: a speaking animal. It must be a speaking animal. This definition is equal to the definite that He is human and applies to all of his members. It means: it applies to all of its members. The definition be all-encompassing, which means: all-encompassing individuals and one of the conditions as well. That the definition be clearer than the definite for the listener and more obvious and easier. It is not permissible to define the definite in such a way that the definition is equally or more hidden than the definite.

The question is, is it possible to define the essence and nature of Mrs. Fatima Al-Zahraa so that we can talk about her as if we knew her before talking about her as a revolutionary and defender of the Imamate? This is what we will discuss first in these pages.

The First Topic

The Status of Al-Zahraa, (peace be upon her).

Time: 21 Jumada Al-Awwal in the fifth year of the Prophet's mission.

Location: From the sacred Mosque in Mecca to Jerusalem. {Glory be to Him who carried His servant by night from the Sacred Mosque to the Al-Aqsa Mosque} and it was an earthly

Foreword

Peace be upon the Lady of Women, the nymph of the sky, the third of the Ahlu Alkisaa, the possessor of knowledge and splendor, the source of giving and benevolence, the origin of generosity and giving, the site of honesty and fidelity, the mother of the saints, the mother of the martyrs, the husband of the master of the guardians, the daughter of the best of the prophets, Fatimah al-Batoul al-Zahra.

Who is Al-Zahraa, peace be upon her? They said that she is the most noble model morally, culturally, and socially. She is the complete model of the believing Muslim woman. She is the one who was brought by the Holy Qur'an, and they concealed her. They hide her as a model and an example, so examples of deviation appeared. They hide her as a source of knowledge, courage and jihad among our society, so that the woman be the one who is fascinated by showing her virtues to the human wolves!

Before going into her definition, peace be upon her, we will define the definite.

The logical definition has conditions, otherwise it would be any words. One of the conditions stipulated by reasoning in defining the definite is that the definition be equal to the defi-

Sayyidah Fatima Al-Zahraa (pbuh): The Woman that Defends the Imamate

Asst. Prof. Dr. Shireen Shihab Hamad
Asst. Lect. Amal Khadim
Wasit University/College of Education for Human Sciences

Abstrct

This research humbly presents Al-Zahra (PBUH) as a woman who had defended the guardianship of the Ahlu al-Bayt (PBUH) and to prove their right to lead the nation after the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him). She has always been presented as a woman of tears who tried to get her financial rights only neglecting the fact that she did it only to defend Imamate. This is an example of her powerful role as a leader. This is proved through her sermon (PBUH) in the Prophet›s Mosque, her other sermon with the women of Medina, and in various other situations, in which she performed her apostolic duty in defending the Imamate of Imam Ali (PBUH). Her great words are evidences of her ability to defend Islam as a powerful woman.

announcing them? Do you thus turn on your heels after daring, associating (others with Allah) after believing? Will you not fight people who violated their oaths? Plotted to expel the Apostle and became aggressive by being the first (to assault) you? Do ye fear them? Nay, it is Allah Whom you should more justly fear, if you believe! Now I see that you are inclined to easy living; having dismissed one who is more worthy of guardianship [referring to Ali]. You secluded yourselves with meekness and dismissed that which you accepted. Yet, if you show ingratitude, ye and all on earth together, yet, Allah free of all wants, worthy of all praise. Surely, I have said all that I have said with full knowledge that you intend to forsake me and knowing the betrayal that your hearts sensed. But it is the state of soul, the effusion of fury, the dissemination of (what is) the chest, and the presentation of the proof. Hence, Here, it is! Bag it (leadership and) put it on the back of an ill she-camel, which has a thin hump with everlasting grace, marked with the wrath of Allah, and the blame of-ever (which leads to) the Fire of (the wrath of Allah kindled (to a blaze), that which doth mount (right) to the hearts; For, Allah witnesses what you do, and soon will the unjust assailants know what vicissitudes their affairs will take! And I am the daughter of a warner (the Prophet) to you against a severe punishment. So, act and so will we, and wait, and we shall wait".

decree final, and a predestination fulfilled: "Muhammad is not but an Apostle: Many were the apostles that passed away before him. If he died or was slain, will ye then turn back on your heels? If any did turn back on his heels, not the least harm will he do to Allah; but Allah (on the other hand) will swiftly reward those who (serve Him) with gratitude."

O you people of reflection; will I be usurped the inheritance of my father while you hear and see me?! (And while) You are sitting and gathered around me? You hear my call, and are included in the (news of the) affair? (But) You are numerous and well equipped! (You have) the means and the power, and the weapons and the shields. Yet, the call reaches you but you do not answer; the cry comes to you but you do not come to help? (This) While you are characterized by struggle, known for goodness and welfare, the selected group (which was chosen), and the best ones chosen by the Messenger for us, Ahlul- Bayt. You fought the Arabs, bore with pain and exhaustion, struggled against the nations, and resisted their heroes. We were still, so were you in ordering you, and you in obeying us. So that Islam became triumphant, the accomplishment of the days came near, the fort of polytheism was subjected, the outburst of was subjected, the outburst of infidelity calmed down, and the system of religion was well-ordered. Thus, (why have you) become confused after clearness? Conceal matters after

ing punishment.

Fatima then turned towards the Ansar and said:

O you people of intellect! The strong supporters of the nation! And those who embraced Islam; What is this shortcoming in defending my right? And what is this slumber (while you see) injustice (being done toward me)? Did not the Messenger of Allah, my father, used to say: A man is upheld (remembered) by his sons'? O how quick have you violated (his orders)?! How soon have you plotted against us? But you still are capable (of helping me in) my attempt, and powerful (to help me) in that which I request and (in) my pursuit (of it). Or do you say: "Muhammad has perished;" Surely this is a great calamity; Its damage is excessive its injury is great, Its wound (is much too deep) to heal. The Earth became darkened with his departure; the stars eclipsed for his calamity; hopes were seized; mountains submitted; sanctity was violated, and holiness was encroached upon after his death. Therefore, this, by Allah, is the great affliction, and the grand calamity; there is not an affliction-which is the like of it; nor will there be a sudden misfortune (as surprising as this). The Book of Allah-excellent in praising him-announced in the courtyards (of your houses) in the place where you spend your evenings and mornings; A call, A cry, A recitation, and (verses) in order. It had previously came upon His (Allah's) Prophets and Messengers; (for it is). A

inherited David (Dawood)'? And when it narrates the story of Zacharias and says: `So give me an heir as from thyself (One that) will inherit me, and inherit the posterity of Jacob (Yaqoob)' And: `But kindred by hood have prior rights against each other in the Book of Allah' And: Allah (thus) directs you as regards your children's (inheritance) to the male, a portion equal to that of two females' And, If he leaves any goods, that he make a bequest to parents and next of kin, according to reasonable usage; this is due from the pious ones.' You claim that I have no share! And that I do not inherit my father! What! Did Allah reveal a (Qur'anic) verse regarding you, from which He excluded my father? Or do you say: `These (Fatima and her father) are the people of two faiths, they do not inherit each other?!' Are we not, me and my father, a people adhering to one faith? Or is it that you have more knowledge about the specifications and generalizations of the Qur'an than my father and my cousin (Imam Ali)? So, here you are! Take it! (Ready with) its nose rope and saddled! But if shall encounter you on the Day of Gathering; (thus) what a wonderful judge is Allah, a claimant is Muhammad, and a day is the Day of Rising. At the time of the Hour shall the wrongdoers lose; and it shall not benefit you to regret (your actions) then! For every Message, there is a time limit; and soon shall ye know who will be inflicted with torture that will humiliate him, and who will be confronted by an everlast-

cast it behind your backs! What! Do you detest it? Or according to something else you wish to rule? Evil would be the exchange for the wrongdoers! And if anyone desires a religion other than Islam (submission to Allah), it never will it be accepted from him; And in the hereafter, he will be in the ranks of those who have lost. Surely you have not waited until its stampede seized, and it became obedient. You then started arousing its flames, instigating its coal, complying with the call of the misled devil, quenching the light of the manifest religion, and extinguished the light of the sincere Prophet. You concealed sips on froth and proceeded towards his (the Prophet) kin and children in swamps and forests (meaning you plot against them in deceitful ways), but we are patient with you as if we are being notched with knives and stung by spearheads in our abdomens, Yet-now you claim that there is not inheritance for us! What! "Do they then seek after a judgment of (the Days of) ignorance? But How, for a people whose faith is assured, can give better judgment than Allah? Don't you know? Yes, indeed it is obvious to you that I am his daughter. O Muslims! Will my inheritance be usurped? O son of Abu Quhafa! Where is it in the Book of Allah that you inherit your father and I do not inherit mine? Surely you have come up with an unprecedented thing. Do you intentionally abandon the Book of Allah and cast it behind your back? Do you not read where it says: And Solomon (Sulayman)

and exerting himself (in service to Islam); While you were calm, gay, and feeling safe in your comfortable lives, waiting for us to meet disasters, awaiting the spread of news, you fell back during every battle, and took to your heels at times of fighting. Yet, When Allah chose His Prophet from the dwell of His prophets, and the abode of His sincere (servants); The thorns of hypocrisy appeared on you, the garment of faith became worn out, The misguided ignorant(s) spoke out, the sluggish ignorant came to the front and brayed. The camel of the vain wiggled his tail in your courtyards and the your courtyards and the Devil stuck his head from its place of hiding and called upon you, he found you responsive to his invitation, and observing his deceits. He then aroused you and found you quick (to answer him), and invited you to wrath, therefore; you branded other than your camels and proceeded to other than your drinking places. Then while the era of the Prophet was still near, the gash was still wide, the scar had not yet healed, and the Messenger was not yet buried. A (quick) undertaking as you claimed, aimed at preventing discord (trial). Surely, they have fallen into trial already! And indeed Hell surrounds the unbelievers. How preposterous! What an idea! What a falsehood! For Allah's Book is still amongst you, its affairs are apparent; its rules are manifest; its signs are dazzling; its restrictions are visible, and its commands are evident. Yet, indeed you have

ful preaching He destroyed idols, and defeated heroes, until their group fled and turned their backs. So night revealed its dawn; righteousness uncovered its genuineness; the voice of the religious authority spoke out loud; the evil discords were silenced. The crown of hypocrisy was diminished; the tightening of infidelity and desertion were untied, So you spoke the statement of devotion amongst a band of starved ones; and you were on the edge of a hole of fire;(you were) the drink of the thirsty one; the opportunity of the desiring one; the fire brand of him who passes in haste; the step for feet; you used to drink from the water gathered on roads; eat jerked meat. (Lady Fatima was stating their lowly situation before Islam). You were despised outcasts always in fear of abduction from those around you. Yet, Allah rescued you through my father, Muhammad after much ado, and after he was confronted by mighty men, the Arab beasts, and the demons of the people of the Book Who, whenever they ignited the fire of war, Allah extinguished it; and whenever the thorn of the devil appeared, or a mouth of the polytheists opened wide in defiance, he would strike its discords with his brother (Ali), who comes not back until he treads its wing with the sole of his feet, and extinguishes its flames with his sword. (Ali is) diligent in Allah's affair, near to the Messenger of Allah, A master among Allah's worshippers, setting to work briskly, sincere in his advice, earnest

pletion of weights and measures a cause for avoiding neglecting the rights of others, forbidding drinking wines an exaltation from atrocity, avoiding slander a veil from curse, abandoning theft a reason for deserving chastity. Allah has also prohibited polytheism so that one can devote himself to His Mastership. Therefore; Fear Allah as He should be feared, and die not except in a state of Islam; Obey Allah in that which He has commanded you to do and that which He has forbidden, for surely those truly fear among His servants, who have knowledge.' O People! Be informed that I am Fatima, and my father is Muhammad I say that repeatedly and initiate it continually; I say not what I say mistakenly, nor do I do what I do aimlessly. Now has come unto you an Apostle from amongst yourselves; It grieves him that you should perish; ardently anxious is he over you; To the believers he is most kind and merciful. Thus, if you identify and recognize him, you shall realize that he is my father and not the father of any of your women; the brother of my cousin (Ali) rather than any of your men. What an excellent identity he was, may the peace and blessings of Allah be upon him and his descendants. Thus, he propagated the Message, by coming out openly with the warning, and while inclined away from the path of the polytheists, (whom he) struck their strength and seized their throats, while he invited (all) to the way of his Lord with wisdom and beauti-

an legacy which He left to guard you: The eloquent Book of Allah, the Qur'an of the truth, the brilliant light, the shining beam. Its insights are indisputable, its secrets are revealed, its indications are manifest and those who follow it are surely blessed. (The Qur'an) leads its adherents to righteousness. Listening (and acting upon) it leads to salvation. Through it are the enlightening divine arguments achieved, His manifest determination acquired, His prohibited decrees avoided, His manifest evidence recognized, His convincing proofs made apparent, His permissions granted and His laws written. So Allah made belief (in Islam) a purification for you from polytheism. He made prayers an exaltation for you from conceit, Zakat purification for the soul and a (cause of) growth in subsistence, fasting an implantation of devotion, pilgrimage a construction of the creed and justice the harmony of the hearts. And He made obedience to us (Ahl al-Bayt) the management of the affairs of the nation and our leadership (Ahl al-Bayt) a safeguard from disunity. He made jihad (struggle) a way for strengthening Islam and patience a helping course for deserving (divine) rewards. He made commending what is right a cause for public welfare, kindness to parents a safeguard from (His) wrath, the maintaining of close ties with one's kin a cause for a longer life and for multiplying the number of offspring, in-kind reprisal to save lives, fulfillment of vows the earning of mercy, the com-

complish His decree, and an implementation of the dictates of His Mercy. So he (Muhammad) found nations differing in their creeds, obsessed by their fires [Zoroastrians], worshipping their idols [Pagans], and denying Allah [atheists] despite their knowledge of Him. Therefore, Allah illuminated their darkness with my Father, Muhammad, uncovered obscurity from their hearts, and cleared the clouds from their insights. He revealed guidance to the people. He saved them from being led astray, taking them away from misguidance, showing them the right religion and inviting them to the Straight Path (as-Sirat al-Mustaqeem). "Allah then chose to recall him mercifully, with love and preference. So, Muhammad is now in comfort, released from the burden of this world, surrounded angels of devotion, satisfied with the Merciful Lord and with being near the powerful King. So, peace of Allah with my Father, His Prophet, the trusted one, the one whom He chose from among His servants, His sincere friend, and peace and blessings of Allah with him."

Fatima (P.B.U.H) then turned to the crowd and said:

"Surely you (people) are Allah's servants at His command and prohibition, bearers of His creed and revelation. You are the ones whom Allah entrusted to fare with your own selves, His messengers to the nations. Amongst you does He have the right authority, a covenant which He brought forth to you and

giving generously to His creatures. I testify that there is no God but Allah, the One without a partner, a statement which sincere devotion is its interpretation, the hearts guarantee its continuation, and in the minds and hearts is its perpetuation. He is the One Who cannot be perceived with vision, nor can He be described by tongues, nor can imagination comprehend how He is. He originated things but not from anything that existed before them, created them without pre-existing examples. Rather, He created them with His might and spread them according to His will. He did so not for a need for which He created them, nor for a benefit (for Him) did He shape them, but to establish His wisdom, bring attention to His obedience, manifest His might, lead His creatures to humbly venerate Him and exalt His decrees. He then made the reward for obedience to Him and punishment for disobedience so as to protect His creatures from His Wrath and amass them into His Paradise. "I also testify that my Father, Muhammad, is His servant and messenger whom He chose and prior to sending him when the [souls of all] beings were still concealed in that which was transcendental, protected from anything appalling, associated with termination and nonexistence. Allah the Exalted One knew that which was to follow, comprehended that which would come to pass and realized the place of every event. Allah sent him (Muhammad) to perfect His commands, a resolution to ac-

الإيمانِ؟ بؤسًا لقومٍ نكثوا أَيمانَهُمْ من بعدِ عهدِهِمْ، وهَمُّوا بإخراجِ الرسول وهُمْ بدؤوكُمْ أوَّلَ مَرَّة، أَتَخْشَونَهُمْ فاللهُ أحقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كنتمُ مؤمنين، ألَا وقد أرى أنْ قَدْ أَخَذْتُمْ الخفض، وأبعَدْتُمْ مَن هو أحقُّ بالبَسطِ والقَبض، وخَلَوْتُم بالدَّ عَة ، ونَجَوْتُمْ بالضِّيقِ من السَّعَة، فَمَجَجْتُم ما وَعَيْتُم، ودَسَعْتُمُ الذي تَسَوّ غْتُم، فـ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾. أَلا وقَدْ قلتُ ما قلتُ هذا على معرفَةٍ مِنِّي بالجذلَةِ التي خامَرَتْكُمْ ، والغَدْرَةِ التي اسْتشْعَرَتْها قلوبُكُمْ، ولكنَّها فَيْضَة النَفْسِ ونَفْثَةُ الغَيْظ، وخَوَرُ القَناة وَبَثَّةُ الصَدْر، وتَقْدِمَة الحُجَّةِ، فَدونكموها فاحتَقِبوها دَبَرَةَ الظَهر، نَقِبَةَ الخُفِّ باقية العارِ، موسومَة بِغَضَبِ الجَبارِ وشنارِ الأَبَد، موصولةً بنارِ اللهِ الموقَدة، التي تَطَّلِعُ على الأفئدة، فبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وأنا ابنةُ نَذيرٍ لكُمْ بَين يَدَي عذابٍ شديد، فاعملوا إنَّا عامِلون، وانتظِروا إنَّا منتَظِرونَ.

Appendix (2)

Al-Zahraa's Speech (Translated version)[1]

"Praise to Allah for that which He bestowed (us). We thank and laud Him for all that which He inspired and offered, for the abundant boons which He initiated, the perfect grants which He presented. Such boons are too many to compute, too vast to measure. Their limit is too distant to grasp. He commended them (to His beings) so they would gain more by being grateful for their continuity. He ordained Himself praiseworthy by

(1) The translated version of the speech is Al-Jubouri's translation of this speech in the bibliography he wrote about Lady Fatima (PBUH) in the website of www.al-islam.org but with some modifications by the researcher.

حَشْرِك، فَنِعْمَ الحَكَمُ الله، والزَعيمُ مُحَمَّد، والمَوْعِدُ القِيامَة، وَعِنْدَ الساعةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلون، ولا ينفَعُكُمْ إذ تَنْدمون، ولِكُلِّ نَبأٍ مُسْتَقر، وَسَوْفَ تَعْلَمونَ مَن يَأتيهِ عذا ب، يُخزيه وَيَحِلُّ عليهِ عَذاب مُقيم.

ثمَّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معشرَ النقيبة ، وأعْضادَ المِلَّة، وحَضَنَةَ الإسلام، ما هذِهِ الغَميزَة في حَقِّي، والسِّنَةُ عَن ظُلامَتي؟ أما كانَ رسَولُ الله أبي يقول: «**المَرْءُ يُحْفَظُ في وُلْدِهِ؟**»، سَرْعانَ مَا أحْدَثْتُم، وَعَجْلانَ ذا إهالَة ، ولَكُم طَاقَة بما أُحاوِلُ، وَقُوَّة على ما أطْلُبُ وأُزاوِل، أتقولونَ ماتَ محمَّد ؟ فَخَطْبٌ جَليل اسْتَوسَعَ وَهْنُه، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ ، وَاظْلَمَّتِ الأرْضُ لِغَيْبَتِه، وكُسِفَتِ الشَمسُ وَالقَمَر، وانْتَثَرَتِ النجومُ لِمُصيبَتِه، وأَكْدَتِ الآمال، وَخَشَعَتِ الجِبال، وأُضيعَ الحَريم، وأُزيلَتِ الحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِه، فَتِلكَ وَاللهِ النازِلةُ الكُبْرى، والمُصيبَةُ العُظمى، لا مِثْلُها نازِلَة، ولا بائِقَة عاجِلَة، أعْلَنَ بها كتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُه في أفْنِيَتِكُمْ ، وَلِقَبْلِهِ ما حَلَّ بِأنبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ حُكْمٌ فَصْلٌ، وقَضاءٌ حَتْمٌ، ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ**﴾. إيهًا بني قِيلة، أَأُهْضَمُ تُراثَ أبي، وأنتُمْ بِمرَأىً مِنِّي ومَسْمَع، ومُنْتَدى ومَجْمَع، تُلْبِسُكُمُ الدَعْوَة، وتَشْمِلُكُمُ الحيرَة، وأنتُمُ ذُوو العددِ والعُدَّة، والأداةِ والقُوَّة، وعندَكُمُ السلاحُ والجُنَّة، توافيكُمُ الدَعْوَةُ فلا تُجيبون، وتأتيكُمُ الصَرْخَةُ فلا تغيثونَ، وأنتُمُ مَوْصوفونَ بالْكِفاح، مَعروفونَ بِالخَيْرِ والصلاح، والنُخْبَةُ التي انْتُخِبَتْ، والخِيرَةُ التي اخْتيرَتْ لنا أهْلَ البَيْتِ، قاتَلْتُمُ العَرَب، وتَحَمَّلْتُم الكَدَّ وَالتَعَب، وناطَحْتُمُ الأُمَم، وكافَحْتُمُ البُهَم، لا نَبْرَحُ أو تَبْرَحون، نأمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرون، حتَّى إذا دارَتْ بِنا رَحى الإسلام، ودَرَّ حَلَبُ الأَيام، وَخَضَعَتْ ثَغْرَةُ الشِرك، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإفك، وَخَمَدَتْ نيرانُ الكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الهَرَج، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّين، فأنَّى حرتُمْ بعدَ البيان؟ وأسرَرْتُـمْ بعد الإعْـلان؟ ونَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقدام؟ وأشْرَكْتُمْ بعدَ

جِلبابُ الدِّين، ونَطَقَ كاظِمُ الغاوين، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّين، وهَدَرَ فَنيقُ المُبطِلين، فَخَطَرَ في عَرَصاتِكُم، وَأَطْلَعَ الشَّيْطانُ رأسَهُ مِن مَغْرِزِه، هاتِفًا بِكُم فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُستَجيبين، ولِلغِرَّةِ فيه ملاحِظين، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وأَحْشَمَكُمْ فَألفاكُمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَوَرَدْتُـمْ غَيْرَ مَشْرَبِكُمْ ، هذا والعهدُ قَريب، والكَلْمُ رَحيب، والجُرْحُ لَـمَّا يَنْدَمِلْ، والرَّسولُ لَـمَّا يُقْبَرْ، إبتدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الفِتْنَةِ ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْـنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فهيهاتَ منكُمْ، وكيفَ بِكُمْ، وأَنَّى تُؤفَكون، وكتابُ اللهِ بينَ أَظْهُرِكُمْ، أمورُه ظاهِرة، وأحكامُهُ زاهِرة، وأعلامُهُ باهِرة، وزواجِرُهُ لايحَة، وأوامِرُهُ واضِحَة، وقد خَلَّفتموهُ وراءَ ظهورِكُمْ، أَرَغْبَةً عنهُ تريدون؟ أم بغيرِهِ تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. ثمَّ لم تلبثوا إلَّا ريثَ أنْ تَسْكُنُ نفرتُها، ويَسْلُسُ قِيادُها، ثُمَّ أخذتُمْ تُورونَ وَقْدَتَها، وتُهَيِّجونَ جَمْرَتَها، وتَسْتَجيبونَ لِهتافِ الشيطانِ الغَوِيّ، وإطفاءِ أنوارِ الدِّينِ الجَلِيّ، وإهمالِ سُنَنِ النَبيِّ الصَفِيّ ، تَشْرَبونَ حَسْوًا في ارتِغاء ، وَتَمْشونَ لأهلِهِ وَوُلْدِهِ في الخَمَرَ ةِ والضَرَّاء، ونصبرُ منكُمْ على مِثْلِ حَزِّ المُدى، وَوَخْزِ السِنانِ في الحَشا، وأنتُمُ الآنَ تَزْعَمون: أَنْ لا إرْثَ لَنا، أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ تَبْغونَ؟ ومَن أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حكمًا لِقَوْمٍ يوقِنون! أَفَلا تعلمون؟!

بلى قَدْ تَجَلَّى لَكُمُ كالشَّمسِ الضَاحِيَةِ، أنِّي ابنَتُه، أيُّها المسلمونَ أَأُغْلَبُ على إرْثي؟ يا ابنَ أبي قُحافة، أَفي كتابِ اللهِ تَرِثُ أباكَ ولا أَرِثُ أبي؟ لَقَدْ جئتَ شيئًا فريًا! أَفَعَلَى عَمدٍ تركتُمْ كتابَ اللهِ ونبذتموهُ وراءَ ظهورِكُمْ؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾، وقال فيما اقتَصَّ مِن خَبَرِ يَحيى بنِ زَكَرِيَّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾. فَدونَكَها مخطومَةً مرحولةً تَلقاكَ يَوْمَ

تعريضًا للمَغفرة، وتوفيَةَ المكاييلِ والموازينِ تغييرًا للبَخْس، والنهيَ عن شُرْبِ الخمرِ تنزيهًا عن الرجس، واجتنابَ القَذْفِ حجابًا عن اللعنة، وتركَ السرقَةِ إيجابًا للعِفَّة، وحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصًا لَهُ بالربوبيَّة. فاتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تموتُنَّ إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا اللهَ فيما أمركُمْ بِهِ ونهاكُمْ عنه، فإنَّهُ إنَّما يخشى اللهَ من عبادِهِ العُلماء. أيُّها الناسُ اعلموا أَنِّي فاطِمةُ وأبي مُحَمَّد، أقولُ عودًا وبدوًا، ولا أقولُ ما أقولُ غلطًا، ولا أفعلُ ما أفعلُ شَطَطًا ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فإن تَعْزوهُ وتَعرفوهُ تَجِدوهُ أبي دونَ نسائِكُم، وأَخا ابنِ عَمِّي دونَ رجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ المعزِّي إليه، فَبَلَّغَ الرسالَةَ صادعًا بالنذارَة ، مائلًا عن مَدْرَجَةِ المُشركين، ضاربًا ثَبَجَهُمْ آخِذًا بأكظامِهِم داعيًا إلى سبيلِ ربِّهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، يَجِفُ الأصنامَ وَينكُثُ الهام، حتَّى انهزمَ الجمعُ وولَّوا الدُّبُر، حتَّى تَفَرَّ ى الليلُ عن صُبْحِه، وأسْفَرَ الحَقُّ عن مَحْضِه، ونَطَقَ زعيمُ الدِّين، وخَرَسَتْ شَقاشِقُ الشَياطين، وطاحَ وشيظُ النفاقِ، وانْحَلَّتْ عُقَدُ الكفرِ والشقاق، وفُهْتُمْ بكلمةِ الإخلاصِ في نَفَرٍ من البِيضِ الخِماصِ، وكنتُمْ على شَفا حُفرَةٍ من النار، مِذْقَةَ الشارِب، ونهزَةَ الطامِع، وقَبْسَةَ العَجْلان، ومَوْطِئَ الأقدام، تشْرَبَونَ الطَرَق، وتَقتاتونَ القِدَّ أذِلَّةً خاسِئين، تخافونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِن حَوْلِكُم، فأنقذَكُمُ اللهُ تبارَكَ وتعالى بمحمَّدٍ بعد اللُّتَيَّا والتي، وبعد أنْ مُنِيَ بِبُهْم الرجالِ وذُؤبانِ العَرَب، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب، كُلَّما أوقدوا نارًا للحربِ أَطفأها الله، أو نَجَمَ قَرْنُ الشيطان ، أو فَغَرَتْ فاغِرة من المشركين، قَذَفَ أخاهُ في لَهواتِها، فلا يَنكَفِئ حَتَّى يَطأَ جَناحَها بأَخْمصِه، ويُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِه، مَكدودًا في ذاتِ الله، مجتهدًا في أمرِ الله، قريبًا من رسولِ الله، سَيِّدًا في أولياءِ الله، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا، لا تأْخُذهُ في اللهِ لومَةُ لائِم، وأنتُمُ في رفاهيَّةٍ من العيش، وادِعونَ فاكِهونَ آمِنون، تَتَرَبَّصونَ بِنا الدوائِر وتَتَوكَّفُونَ الأخبْار ، وتَنْكِصونَ عِنْدَ النزال، وتَفِرُّونَ مِنَ القِتال.

فلمَّا اختارَ اللهُ لنبيِّهِ دارَ أنبيائِهِ ومأوى أصفيائِه، ظَهَرَ فيكُمْ حَسَكَةَ النِفاق، وَسَمُلَ

ابتعثَه، إِذِ الخلائِقُ بالغيبِ مكنونَة، وبسترِ الأهاويلِ مصونَة، وبنهايَةِ العَدَمِ مقرونَة، عِلمًا من اللهِ تعالى بمآيِلِ الأُمور، وإحاطة بحوادثِ الدهور، ومعرفةً بمواقعِ الأُمور، ابتعثَهُ الله إتمامًا لأمرِه، وعزيمةً على إمضاءِ حُكْمِه، وإنفاذًا لمقاديرِ حَتْمِه، فرأى الأُمَمَ فِرَقًا في أديانِها، عُكَّفًا على نيرانِها، عابِدَةً لأوثانِها، مُنْكِرةً للهِ مع عِرفانِها فأَنارَ اللهُ بأبي محمَّدٍ ظُلَمَها، وكَشَفَ عن القلوبِ بُهَمَها ، وجَلى عن الأبصارِ غُمَمَها، وقامَ في الناسِ بالهدايَة، فأنقذَهُمْ من الغوايَة، وبَصَّرَهُمْ من العَمايَة، وهَداهُمْ إلى الدين القويم، ودعاهُمْ إلى الطريقِ المستقيم. ثمَّ قبضَهُ اللهُ إليهِ قبضَ رأفَةٍ واختيار، ورغبةٍ وإيثار، فمحمَّد من تَعَبِ هذه الدارِ في راحَة، قد حُفَّ بالملائِكَةِ الأبرار، ورضوانِ الربِّ الغفار، ومجاورَةِ المَلِكِ الجبار، صلَّى اللهُ على أبي نبيِّه، وأمينِه، وخيرتِهِ من الخلقِ وصفيِّه، والسلامُ عليهِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

ثمَّ التفتت إلى أهل المجلس، وقالت:

أنتُمُ عِبادُ اللهِ نَصْبَ أمرِه ونهيِه، وحَمَلَةُ دينهِ وَوَحْيِه، وأُمناءُ اللهِ على أنفسِكُم، وبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَم، زعيمُ حَقٍّ لَهُ فيكُم، وقَدَّمَهُ إليكُم، وبقيَّة استخلفَها عليكُم، كتابُ اللهِ الناطِق، والقرآنُ الصادِق، والنورُ الساطِع، والضياءُ اللامِع، بَيِّنَة بصائِرُه، منكشفة سرائِرُه، مُنْجَلِيَة ظواهِرُه، مغتَبِطَة به أشياعُه، قائد إلى الرضوانِ اتِّباعُه، مؤدٍّ إلى النجاةِ استماعُه، بِه تُنالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَة، وعزائِمُه الْمُفَسَّرَةُ، ومحارِمُه الْمُحَذَّرَة، وبَيِّناتُه الجالية، وبراهينُه الكافية، وفضائِلُه المندوبَة، ورُخَصُه الموهوبَة، وشرائِعُه المكتوبَة. فجعلَ اللهُ الإيمانَ تطهيرًا لكُمْ من الشِّرك، والصلاةَ تنزيهًا لكُمْ عن الكِبَر، والزكاةَ تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيامَ تثبيتًا للإخلاص، والحجَّ تشييدًا للدِّين، والعدلَ تنسيقًا للقلوب، وطاعتَنا نظامًا للمِلَّة، وإمامَتَنا أمانًا للفُرقَة، والجهادَ عزًّا للإسلام، والصبرَ معونَةً على استيجابِ الأجر، والأمرَ بالمعروفِ مصلحَةً للعامَّة، وبِرَّ الوالدينِ وقايَةً من السَّخَط، وصِلَةَ الأرحامِ مَنْسَأَةً في العمرِ ومَنْماةً للعَدَد، والقِصاصَ حقنًا للدِّماء، والوفاءَ بالنَّذْرِ

Appendix (1)

Al-Zahraa's Speech (Arabic Original Version)[1]

إنَّه لـمَّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة فدكًا وبلغها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسها ، واشتملت بِجلبابها ، وأقبلتْ في لـمَّة من حَفَدَتِها ونساء قومها، تَطَأ ذُيولَها، ما تَخْرِمُ مشيَتُها مشْيَة رسول الله، حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حَشْدٍ من المهاجرينَ والأنصار وغيرهم، فَنبِطَتْ دونها مُلاءة، فجلستْ ثمّ أَنَّتْ أَنَّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلِسُ ، ثمَّ أمْهَلَتْ هُنَيْئَة حتّى إذا سكن نَشيج القوم وَهَدَأَتْ فَوْرَتُهُم؛ افتتحت الكلام بحمد الله والثَّناء عليه والصلاة على رسوله فعاد القوم في بكائهم، فلمَّا أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت:

الحمدُ لله على ما أنعم، ولَهُ الشُّكرُ على ما أَلهَم، والثناءُ بما قدَّم، مِن عمومِ نِعَمٍ ابتدأها، وسُبوغِ آلاءٍ أسْداها، وتَمامِ مِنَنٍ أَوْلاها، جَمَّ عن الإحصاءِ عددُها، ونأى عن الجزاءِ أمَدُها، وتفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لاستزادَتِها بالشُكرِ لاتِّصالها، وَاسْتحْمَدَ إلى الخلائِقِ بإجْزالِها، وثنى بالندبِ إلى أمثالِها، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، كلمةً جَعَلَ الإخلاصَ تأويلَها، وَضَمَّنَ القلوبَ مَوْصولَها، وأنارَ في التفكُّرِ معقولَها. الممتنعُ من الأبصارِ رؤيَتُه، ومِنَ الألسُنِ صِفَتُه، ومن الأوْهامِ كيفيَّتُهُ، ابتدعَ الأشياءَ لا من شيءٍ كان قَبْلَها، وأنشأها بلا احتذاءِ أمْثِلَةٍ امتَثَلَها، كَوَّنَها بقدرتِه، وذَرَأَها بمشِيَّتِه، من غيرِ حاجَةٍ منهُ إلى تكوينِها، ولا فائدةٍ لَهُ في تصويرِها، إلَّا تثبيتًا لحكمتِه، وتنبيهًا على طاعتِه، وإظهارًا لقدرتِه، وتعبُّدًا لبريَّتِه، وإعزازًا لدعوتِه، ثمَّ جعلَ الثوابَ على طاعتِه، ووضعَ العقابَ على معصيتِه، ذِيادةً لعبادِهِ عن نقمتِه، وحياشَةً لهم إلى جَنَّتِه. وأشهدُ أنَّ أبي مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ اختارَهُ قبلَ أنْ أَرْسَلَه، وسَمَّاه قبلَ أَنِ اجْتباه، واصطفاهُ قبلَ أَنِ

(1) This speech of Al-Zahraa has been taken from the book entitled: (بلاغات النساء لابن طيفور).

Number 1, pp. 33-50.

17. Searle, J. R. (1969). Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge: Cambridge University Press.
18. Sinclair, J. & Coulthard, M. (1975). Towards an Analysis of Discourse: the English Used by Teachers and Pupils. Oxford: Oxford University Press.
19. Soring, K. (1989). Some Remarks on Linguistic Strategies of Persuasion in Language, Power, and Ideology (ed.) Ruth Wodak. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
20. Tollefson, J. W. (1991). Planning Language, Planning Inequality. London: Longman.
21. van Dijk, T. A. (2001). Critical Discourse Analysis. In D. Tannen; D. Schifrin and H. Hamilton (Eds.), Handbook of Discourse Analysis (pp. 352-371). MA: Blackwell Publishing.
22. Wareing, S. & Thomas, L. (1999). Language, Society and Power: An Introduction. London: Routledge.
23. Wodak, R. (2007). Pragmatics and Critical Discourse Analysis: A cross-disciplinary inquiry. Pragmatics and Cognition, 15 (1), pp. 204-225.

8. Goffman, E. (1967). Interaction Rituals: Essays in Face-to-Face Behavior. New York: Doubleday.
9. Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), Syntax and Semantics (Vol. 3), (pp. 41-58). New York: Academic Press.
10. Grice, H. P. (1989). Studies in the Way of Words. MA: Harvard University Press.
11. Huddleston, R. & Pullum, G. K. (2002). The Cambridge Grammar of the English Language. Cambridge: Cambridge University Press.
12. Leech, Geoffry. (1983). Principles of Pragmatics. London: Longman Group Limited.
13. Ordoni, Abu Muhammad (2008). Fatima The Gracious. Qum: Ansariyan Publications.
14. Neustupný, J. V. (2002). Language and Power into the 21st Century. Paper prepared for the conference Language and Empowerment, organized by The Malaysian Association of Modern Languages, April 11-13, 2002 at the Petaling Jaya Hilton, Kuala Lumpur.
15. Quirk, R.; S. Greenbaum; G. N. Leech, and J. Svartvik (1985). A Comprehensive Grammar of the English Language. London/New York: Longman.
16. Ratri, A. & Ardi, P. (2019). Power and Impoliteness in the Devil Wears Prada Movie. Elite Journal. Volume 6,

٢. الخوانساريّ، أبوالقاسم جعفر بن الحسين (١٣٤١هـ)، شرح خطبة الزَّهراءعليها السلام، دار حفظ التراث البحرانيّ.

٣. الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد ابن الحسن (١٤١٤هـ)، كتاب الأمالي ، قم المقدَّسة، دارالثقافة.

٤. الهاشميّ، أحمد (١٩٩٩)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميليّ، القاهرة، المكتبة الوطنية.

References

1. Ali, Y. (1987). English Translation of the Meanings of the Holy Quran. Al-Madinah Al-Munawarah: King Fahad Holy Quran Printing Complex.
2. Austin, J. (1962). How to Do Things with Words. Oxford: Clarendon Press.
3. Black, E. (2006). Pragmatic Stylistics. Edinburgh: Edinburgh University Press Ltd.
4. Booth, W. (2004). The Rhetoric of Rhetoric. London: Blackwell.
5. Brown, P. & Levinson, S. (1987). Politeness: Some Universals in Language Usage. Cambridge: Cambridge University Press.
6. Fairclough, N. (1989). Language and Power. London: Longman Group.
7. Fairclough, N. (2001) Language and Power. Second Edition. London: Longman.

to Allah], never will it be accepted of him; and in the Hereafter He will be in the ranks of those who have lost [All spiritual good" (Ali, 1987, p. 27).

Final Remarks

The analysis of this speech comes up with the following points:

1. The process of transmitting ideas or verbalizing thoughts involves signaling various other information about the interlocutors like that of power. This speech is a monological argument that is highly intellectual where various linguistic forms are employed to establish, convey and maintain power.
2. It is the ultimate power to ask for one's right from those who illegitimately took it. Thus, this speech is characterized by being powerful due to its deliverer, context of delivery, and linguistic constructions.
3. Power can be realized linguistically in terms of the directive and commissive speech acts as well as the figurative use of language.

المصادر العربيَّة

١. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (١٩٠٨)، بلاغات النساء، القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوَّل.

"Thus, (why have you) become confused after clearness? Conceal matters after announcing them? Do you thus turn on your heels after daring, associating (others with Allah) after believing?"

«ما هذِهِ الغَميزَة في حَقِّي، والسِنَة عَن ظُلامَتي؟ أما كانَ رسَولُ الله أبي يقول: المَرْءُ يُحْفَظ في وُلْدِهِ ؟».

"What is this shortcoming in defending my right? And what is this slumber (while you see) injustice (being done toward me)? Did not the Messenger of Allah, my father, used to say: A man is upheld (remembered) by his children?"

5. The use of Quranic verses is a sign of power in that knowledge of this glorious book and utilizing that in its right context entails the powerful ability of the speaker. She recites some verses from the Glorious Quran in a brilliant way. The verses are in harmony with the event and the exact meaning she alludes at. The reference to the Quranic verses is direct when she quotes the full verse from the Quran and it is indirect when she quotes a part of the verse and adds it to her words. In the following verse from the Surah of (Al-Imran: 85), she indicates that those people who changed the path of Islam have chosen not to be Muslims at all. On the day of Judgment, they are surely the losers.

«ومن يبتغ غير الإسلام دين اً فلن يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين».

"If anyone desires a religion other than Islam [submission

water in the roads to refer to the miserable state they were in before Islam. She says:

«تشَرْبَونَ الطَرَق، وتَقتْاتونَ القِدَّ أذِلَّةً خاسِئين».

"You used to drink from the water gathered on roads; eat jerked meat. You were despised outcasts always in fear of abduction from those around you".

«فلما أختارَ اللهُ لنبيِّهِ دارَ أنبيائِهِ ومأوى أصفيائِه، ظَهَرَ فيكُمْ حَسَكَةَ النِفاق، وَسَمُلَ جِلبابُ الدِّين».

"Yet, when Allah chose His Prophet from the dwell of His prophets, and the abode of His sincere (servants); The thorns of hypocrisy appeared on you, the garment of faith became worn out".

4. The illocutionary force of rhetorical questions is an assertion. A rhetorical positive question has the illocutionary force of a negative assertion, whereas a rhetorical negative question has the illocutionary force of a positive assertion (Black, 2006, p. 26). It is intended to enhance the interest, attention or participation of the congregation. In her speech, Al-Zahraa (PBUH) puts the following rhetorical questions where no response is anticipated from the audience. The conspiracy occurred and people gave the pledge to Abu Bakr as their caliphate. Here are some examples of such rhetorical questions:

«فأَنَّى حرتُمْ بعدَ البيان؟ وأسرْتُمْ بعد الِاعْلان؟ ونَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقدام؟ وأشْرَكْتُمْ بعدَ الإيمانِ؟».

Al-Zahraa (PBUH).

«فَدونَكَها مخْطومَة مرحولةً تَلقْاكَ يَوْمَ حَشْرِك».

"So, here you are! Take it! (Ready with) its nose rope and saddled! But if shall encounter you on the Day of Gathering".

She compares Fadak to a camel. She tells Abu Bakr that you took Fadak as a ready-made thing as someone who takes a camel with its saddle and rope to ride straightforwardly. On the day of judgment, punishment will be the reward.

2. Another example of figurative language is that of simile. One example of simile has been mentioned in this speech. She says that it is very apparent and clear to everyone that she is the daughter of Muhammed (PBUH). As you see the sun in a bright, clear and cloudless day, you know that Fatimah is the daughter of the Prophet:

«بلى قَدْ تَجَلَّى لَكُمُ كالشمسِ الضاحِيَةِ أَنِّي أنا ابنته».

"Yes, indeed it is obvious to you that I am his daughter as you see the clear sun".

3. Another figure of speech is that of metonymy. It replaces the name of a thing with the name of something else that is associated with it to indicate a deliberate covert reference of an expression to imply another meaning when the speaker avoids overt reference (الهاشمي, 1999, p. 286). In the following examples, Al-Zahraa (PBUH) states the situation of those people before Islam and she says they used to drink the dirty

do".

Al-Zahraa (P.B.U.H.) resorts to the speech act of warning[1] . She warns them against a future event or state of affairs and they believe this event will occur due to their bad acts and deed. She ends her words saying:

"فَدونكموها فاحتَقِبوها دَبَرَةَ الظَهر، نَقِبَةَ الخُفِّ باقية العارِ، موسومَةً بِغَضَبِ الجَبارِ وشنارِ الأَبَد، موصولةً بنارِ اللهِ الموقَدة، التي تَطَّلِعُ على الأفئدة، فبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلونَ"

"Here it is! Bag it (leadership) and put it on the back of an ill camel, which has a thin hump with everlasting grace, marked with the wrath of Allah, and the blame of ever (which leads to) the Fire of (the wrath of Allah kindled (to a blaze), that which doth mount (right) to the hearts; For, Allah witnesses what you do".

6.2. Rhetorical Level

The use of figurative language implies the power of the speaker. Some figures of speech are utilized in the data.

1. Metaphor is a notable figurative device in the speech of

(1) The expressive speech act of warning has the following felicity conditions, as proposed by Searle (1969, p. 67):
Prepositional content condition: a future event or state of affairs. Preparatory condition: hearer (H) has reason to believe this event will occur. Sincerity condition: speaker (S) believes that the event is not in hearer's interest. Essential condition: counts as an undertaking to the effect that the event is not in hearer's best interest.

"Allah sent him (Muhammad) to perfect His commands, a resolution to accomplish His decree, and an implementation of the dictates of His Mercy. So, he (Muhammad) found nations differing in their creeds, obsessed by their fires, worshipping their idols, and denying Allah [atheists] despite their knowledge of Him".

Al-Zahraa (PBUH) issues the speech act of threatening[1]. She says that you will get your punishment from Allah for what you have done with me. She has the power to threaten those weak and coward people for their deeds. Moreover, she sure of the punishment they are to get in doom's day:

«فَدونكموها فاحتَقِبوها دَبَرَةَ الظَهر، نَقِبَةَ الخُفِّ باقية العارِ، موسومَةً بِغَضَبِ الجَبَّارِ وشنارِ الأَبَـد، موصولةً بنارِ الله الموقَدة، التي تَطَّلِعُ على الأفئدة، فبعَيْنِ الله ما تَفْعَلونَ».

"Here it is! Bag it (leadership) and put it on the back of an ill camel, which has a thin hump with everlasting grace, marked with the wrath of Allah, and the blame of ever (which leads to) the Fire of (the wrath of Allah kindled (to a blaze), that which doth mount (right) to the hearts; For, Allah witnesses what you

(1) Threatening is a commissive act that has these felicity conditions: Propositional content condition relates to a future act by speaker against hearer. Preparatory conditions: (a) speaker has the ability to carry out the act of threatening. (b) hearer believes speaker is able to do the threat. Sincerity condition: speaker wants hearer to feel the threat. Essential condition: hearer does not want the act of threatening to be performed.

«يا معشرَ النقيبة ، وأعْضادَ المِلَّة، وحَضَنَةَ الإسلام، ما هذِهِ الغَميزَة في حَقِّي، والسِنَةُ عَن ظُلامَتي ؟ أما كانَ رسَولُ الله أبي يقول: (المَرْءُ يُحْفَظُ في وُلْدِهِ ؟) سَرْعانَ مَا أحْدَثْتُم، وَعَجْلانَ ذا إهالَة».

"O you people of intellect! The strong supporters of the nation! And those who embraced Islam; What is this shortcoming in defending my right? And what is this slumber (while you see) injustice (being done toward me)? Did not the Messenger of Allah, my father, used to say: A man is upheld (remembered) by his sons'? O how quick have you violated (his orders)?!"

The expressive act of affirming[1] abounds throughout the entire speech. She asserts her power by the facts she affirms. In many lines, Al-Zahraa (P.B.U.H.) affirms the blessings of Allah upon human beings and states the grace and beneficence of her father upon them:

«وأشهدُ أنَّ أبي مُحَمَّد اً عبدُه ورسولُه، اختارَه قبلَ أنْ أَرْسَلَه، وسَمَّاه قبلَ أَنِ اجْتباه، واصطفاه قبلَ أَنِ ابتعثَه، إِذِ الخلائِقُ بالغيبِ مكنونَة، وبِسترِ الأهاويلِ مصونَة، وبنهايَةِ العَدَمِ مقرونَة، عِلمًا من الله تعالى بمآيِلِ الأُمور، وإحاطة بحوادثِ الدهور، ومعرفة بمواقعِ الأُمور، ابتعثَه الله إتمامًا لأمرِه، وعزيمة على إمضاءِ حُكْمِه، وإنفاذ اً لمقاديرِ حَتْمِه، فرأى الأُمَمَ فِرَقاً في أديانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأوثان ها، مُنْكِرةً لله مع عِرفانِها».

(1) The felicity conditions of affirming are summarized by Searle (1969, p. 66): speaker has evidence for the truth of the proposition. It is not obvious to both speaker and hearer that hearer knows the proposition and the speaker believes that proposition.

«الحمدُ لله على ما أنعم، ولَهُ الشُّكرُ على ما أَلهَم، والثناءُ بما قدَّم، مِن عمومِ نِعَمٍ ابتدأها، وسُبوغِ آلاءٍ أسْداها، وتَمام مِنَنٍ أَوْلاها، جَمَّ عن الِإحصاءِ عددُها، ونأى عن الجزاءِ أَمَدُها، وتفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها».

"Praise to Allah for that which He bestowed (us). We thank Him for all that which He inspired and offered, for the abundant boons which He initiated, and the perfect grants which He presented. Such boons are too many to compute, too vast to measure. Their limit is too distant to grasp".

In the following lines, Al-Zahraa issues the expressive speech act of rebuking(1) to those who took her right and did not give Imam Ali (PBUH) the succession of Caliphate after the death of the Prophet. Such a negative speech act entails being issued by someone who has power over his interlocutors. According to the Cambridge dictionary, rebuke is the expression of sharp disapproval or criticism of (someone) because of their behaviour or actions. She rebukes their behaviour of depriving her of Fadak. She is powerful enough to state her right as she has the power to express this rebuke publicly:

(1) The felicity conditions of the expressive speech act of rebuke can be proposed as follows: Propositional content condition: a previous act done by someone. Preparatory condition: speaker disapproves of this act and he has the power to tell the doer of action about his opinion. Sincerity condition: speaker feels that this act deserves to be disapproved and criticized and the doer needs to be told that. Essential condition counts as an expression of showing disapproval.

lytical framework that has been developed after discussing the relevant literature in the previous sections is the basic apparatus for the analysis of this speech. Some illustrative examples are included in this practical part.

6.1. Pragmatic Level

Within the pragmatic level, the theory of speech acts of Austin (1962) is utilized. Thus, some speech acts are distinguished in the data under scrutiny. Here are some illustrative examples:

In the following lines, the speech act of acknowledgement is realized(1). According to the online Cambridge dictionary, acknowledging means the fact of accepting that something is true or right and recognizing its importance or quality. Al-Zahraa (PBUH) acknowledges the blessings, grants, and boons of Allah upon human beings after praising Him in the first three sentences, she states her awareness of Allah's blessing upon people. This acknowledgement explains her power of knowledge.

(1) The felicity conditions of the expressive speech act of acknowledgement can be proposed as follows: Propositional content condition: a previous act done by someone. Preparatory condition: this act is beneficial for speakers who want to tell doers and others that they got benefit out of this act. Sincerity condition: speaker feels that this act deserves to be acknowledged and the doer deserves to be told of the good deed. Essential condition counts as an expression of acknowledgement.

some speech acts (to issue requests, orders, demands, blames, threats, or advice), using modals (should, must, or have to), or using declarative statements are strategies to impart institutional power. Asserting, presenting opinions as facts, using of figurative language, or assuming the listener is interested or engaged are strategies of influential power.

In the context of this study, Figure (1) below summarizes the linguistic realizations of power in the data under scrutiny.

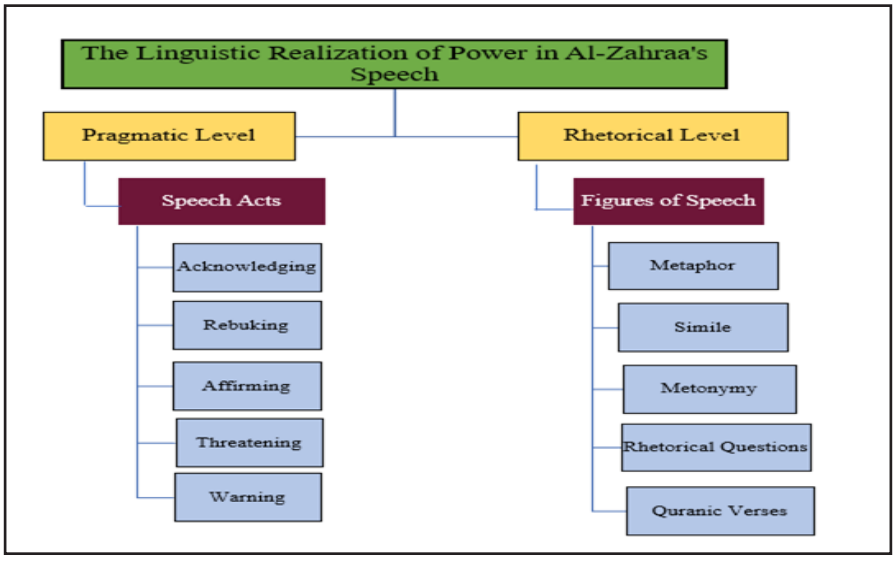


Figure (1): The Analytical Framework of the Linguistic Realization of Power in Al-Zahraa's Speech

6. Data and Analysis

The data under scrutiny is Al-Zahraa's (PBUH) speech upon the confiscation of Fadak after the death of her father. It is in Appendix (1) whereas its translation in Appendix (2). The ana-

Huddleston and Pullum (2002, p. 132) argue that the use of conditional sentences may hint at the power of the speaker. For example, 'if you do not respond soon, further action will be taken'. Syntactically, such a sentence is conditional but pragmatically it is a threatening speech act. The co-authors further explain that giving permission implies power (p. 931). This is basically achieved through the use of modal verbs. For instance, 'You may not attend the lecture'. The use of modal verbs like 'must, should, or ought to' implies that the person has power (p. 998). Moreover, all directives are issued by people with power (p. 930). Commands and orders denote authority. A prohibition is an order not to do something (p. 931). Stating facts whether historical, natural, or social entails knowledge and knowledge is power. A question that does not expect a direct response is rhetorical (Quirk et al., 1985, p. 824). It is syntactically an interrogative but semantically a statement (p. 804). Its illocutionary force is the assertion. Furthermore, using rhetorical questions implies powerfulness because they do need an answer which means the speaker is aware of what is he saying and he is sure of the response.

To sum up the previous discussion, powerful discourses are produced by powerful people with political, institutional, or personal authority. A powerful piece of discourse is characterized by specific linguistic constructions and strategies. Using

ing more power may opt to breach them.

One feature of powerful language is that of being persuasive. The use of figurative language gives the impression that the speaker is powerful and has mastered his use of language. It is a sign of power in language. The use of established metaphors, for instance, can reassure the audience and evoke the power of memory, establishing a bond between the speaker and the listener. In terms of cognition and rhetoric, using figures of speech hints at the idea that the speaker is cognitively aware of his thoughts and their presentation figuratively. He presupposes that the listener can decode the indirectness of his words. Irony, hyperbole, or metaphor, for instance, need more processing time to be encoded and decoded.

Leech (1983, p. 15) sees rhetoric as "the effective use of language in its most general sense"; he stipulates that its significance lies in the focus it places on a goal-oriented situation where a speaker uses language in order to produce a particular effect in the mind of hearers. In a similar vein, Grice (1989, p. 220) holds that the speaker may intend to address the mental states of the addressees, convince them, or simply impart his thoughts, beliefs, or attitudes. According to Booth (2004, p. 31), the core concern of rhetoric is how to designate the most effective language that expresses a thought in a given situation. Effectiveness here implies powerfulness.

language we use with others depends on power relations because the more powerful they are, the more polite we need to be. The basis of their theory is built on Goffman's (1967) concept of face. Face-saving acts prevent others from feeling publicly embarrassed whereas face-threatening acts may cause embarrassment to others. According to Ratri & Ardi (2019, p. 33), the exercise of power can be achieved via the use of impoliteness.

Sinclair and Coulthard (1975) argue that teachers initiate the classroom discourse (asking a question) and give feedback to students' responses because they have power over their students. Their model of Initiation-Response-Feedback describes power relations between teachers and students in a classroom setting. Fairclough (2001, p. 38) clarifies that the more traditional a classroom is, the more physical structural features support the power/status of the teacher.

Grice's (1975) principles of cooperation are concerned with how people achieve effective communication by adhering to four conversational maxims. The maxims of quality, quantity, relevance, and manner are supposed to be abided by in any communicative act. These maxims are usually breached and figures of speech are yielded. Grice (1975) argues that people with more power are more likely to flout these maxims in conversations. Even those who wish to create the illusion of hav-

between language and power. In conversations, variations in linguistic styles tell who enjoys power among social groups. Different settings may inform us about power differences. For instance, in formal settings like the judge-accused interaction, formal roles and powerful speakers are revealed. In spoken conversational exchanges, one can decide who holds power on the basis of the language features he uses. Fairclough (1989) expounds in many encounters, the language used reflects the unequal power relations between interlocutors. In his critical approach to discourse analysis, Fairclough (1989, p. 43) distinguishes between two distinct aspects: power in discourse that is found in the linguistic structures and linguistic strategies to create or impart power and power behind discourse which refers to the ideological and sociological perspectives associated with who is asserting power over others and why.

5.1. Power in Discourse

One may use linguistic strategies when talking to others to help him establish or maintain his power or dominance. Interrupting others, threatening others' faces with directives, using polite or impolite language, and flouting the maxims of cooperation are some of the conversational strategies to hold and show power.

Brown and Levinson (1987) expound that power is a crucial dimension in interpersonal communications. The polite

involve participants not present in time and place. In mass media, television, films, and newspapers the power enacted is not clear. Fairclough (1989, p.46) calls it the hidden power. It is characterized by one-sidedness and the audience is not specified nor heterogeneous.

5. Language and Power

It is a fact that the relationship between language and power is mutual. Language is a means to construct and maintain power. As Sornig (1989, p. 96) puts it, "words can be used as instruments of power". Conversely, the power of language is fed by the power of individuals. One main claim of Fairclough (1989) is that power is built and sustained via language use. Some people use language as their main tool for maintaining power and status. Language has the potential to yield power. The worst genocides in the world were undertaken by a dictator's words. The media, advertising agencies, educational institutions, politicians, religious institutes, the monarchy, and many others use language to help them maintain authority or gain influence over others. The first language/power argument arose to help the dominated and reverse the balance of power in the outside world.

The vocabulary and linguistic strategies people use to assert and maintain power over others explain the relationship

held by people who have authority such as politicians and the police. On the other hand, personal power is based on one's occupation or role in society. The manager, for example, has power over the employee. From another perspective, head-teachers, government officials, or the police enjoy what is called institutional power. They do not have to convince others with their authoritative power.

When an individual does not have authority but tries to gain power to influence others, he uses what is called influential power. It means having the ability to lead and motivate others. He uses language to persuade others to support him or believe him. Thus, it can be called persuasive power. It is peculiar to those who enjoy the power of persuasion. In the context of this paper, it is a truism that knowledge of the verses of the glorious Quran is a sign of power. Manipulative power, on the other hand, is pervasive in the contexts of social and cultural society.

Some governmental agencies or institutions impose their will on their dependents. People anticipate and accept societal and interactional power and its consequences as they see it as a primary organizing principle in society. Politicians, marketing agencies, advertisers, or the media need to use powerful language to facilitate their business or project works. Sometimes this is achieved manipulatively. Some kinds of discourse

The concept of power is often investigated in terms of the critical approach when ideologies are involved. Mostly, a negative implication is associated with ideologies like racism, sexism, or sectarianism. However, power can be evaluated positively (Neustupný, 2002). It is interpreted with the assumption that what we are doing is the only natural, objective, and correct course of action we can take and that it is beneficial to all. When it is perceived as such, it is acknowledged, welcomed, and accepted wholeheartedly. When parents, teachers, or managers exercise power over their children, students, or employees, they seek their benefit. They do their legitimate duties to their dependents as responsible people. The regulations they put organize the state of affairs.

The base of social power lies in social resources: money, fame, status, information, knowledge, culture, and the like. The rich have power as they own money; the power of parents lies in knowledge and authority whereas military power is based on rigid laws (van Dijk, 2001, p. 354). Critical analysts tend to highlight how power is created in language and maintained by power abuse of the dominant groups. It is a fact that "language is not powerful on its own; it gains power by the use of powerful people make of it" (Wodak, 2007, p. 209).

4. Power: Types

Wareing and Thomas (1999) state that political power is

ality, and her nobility of mind. The power of her words lies in the fact that they are uttered by an infallible woman. She was completely upset, sorrowful, and furious, but she went out to state her right in this speech in full serenity, solemnity, prudery, and dignity.

3. Power: Definitions

Power is the capacity to implement one's interests or "the ability to achieve one's goals", as Tollefson (1991) puts it. A powerful person wants to achieve his goals in the best suitable way to him. Thus, practicing power can be coercive, manipulative, persuasive, or incentive. This concept has been investigated in terms of the political and social sciences, psychology, and critical studies whereas those who are concerned with the relationship between language and power were sometimes close to the field of sociolinguistics.

The study of power was first concerned with understanding the ruling élites (Mills, 1956). This conception dates back to Marx (1859) who sees power as confined to the ruling class and to economics. It is limited to people who have wealth, privilege, and access to decision-making like the political, military, and economic institutions. Sometimes, power can be acquired due to a position. A president has power when he wins presidential elections. Thus, it is temporary.

tire world on all levels 1414, (الطوسي, p. 668). However, no action has been taken upon its delivery. This research work aims to scrutinize the linguistic realization of power in this speech. It endeavors to find out the linguistic constructions and strategies that rendered this piece of discourse powerful. Moreover, this research might establish an analytical framework that can be used to detect powerfulness in any piece of discourse.

2. Al-Zahraa's Speech

History reports that the most important and critical events in Islam occurred after the death of Prophet Muhammed (PBUH). The apostasy occurred and Abu Bakr deprived the Caliphate of Imam Ali (PBUH) who was obliged to pay allegiance to Abu Bakr (Ordoni, 2008, p. 122). Fatima's inheritance was usurped, her house was set on fire and her embryo was aborted. The Land of Fadak is part of the bounty given to Prophet Muhammad (PBUH) which he bequeathed to his daughter before his death. The Prophet's daughter went out to claim her taken rights. As a matter of fact, two speeches have been delivered by Fatima Al-Zahraa (PBUH) during her short life (1341,الخوانساري, p. 4). Fatima (PBUH) had to give a speech on her confiscated inheritance of Fadak along with the extortion of Imam Ali's succession of Prophet Muhammad (PBUT). This speech reflects her divine knowledge, her strength of person-

ly in this speech. It makes use of the pragmatic, and rhetorical levels of analysis. It is found that power can be realized linguistically via some speech acts and figurative devices that are employed to impart the speaker's power.

1. Introduction

Al-Zahraa (PBUH), the dearest daughter of Prophet Muhammad (PBUH), witnessed the most miserable events in her life upon the death of her father. She went out and spontaneously delivered a speech that is regarded as a miracle up to our present time. This speech elucidates the role, power, and courage of Muslim women in life. The rationale behind scrutinizing this piece of discourse is to unfold its meanings and show what linguistic aspects made it a powerful one. Moreover, it is the sacred mission of Shiite believers to unravel historical events concerning their doctrine. Al-Zahraa's words are valuable enough to be approached in terms of many disciplines including linguistics. Furthermore, the speech involves conveying information about the interlocutors' status, roles, and power. Al-Zahraa's inheritance speech establishes facts and realities about a crucial state of affairs in the lives of Muslims sending political, theological, social, religious, moral, and educational messages. Accordingly, it deserves a thorough investigation. Moreover, it is delivered by the most powerful lady in the en-

A Linguistic Approach to Power in Al-Zahraa's Speech

Dr. Wafaa Sahib Mehdi Muhammed
University of Baghdad/College of Education for Women

Abstract

Al-Zahraa's inheritance speech is considered as one of the most powerful pieces of discourse. Power generally refers to one's ability to get others to behave or not to behave in a particular manner. Although it is viewed as powerful, this speech never achieved its immediate or postponed aims and purposes. It has been delivered by a powerful character and it has been formulated linguistically in a powerful way. This paper endeavors to scrutinize the linguistic manifestations of the concept of power in the inheritance speech that Al-Zahraa (PBUH) delivered after the passing away of her father, Prophet Muhammed (PBUH). This descriptive qualitative study aims to build an analytical framework out of miscellaneous linguistic theories to visualize how power has been realized linguistical-

tion, and Future of Islam. Random House.

- Bitonti, A and Trupia, F. (2021:1). Rhetoric. The Palgrave Encyclopedia of Interest Groups, Lobbying and Public Affairs Publisher: Springer
- Gulpaygani, L. S. (2014). Fatimiyyah is ʿAshura. Lulu. com.
- Hassan, A. (2021). The prophet's heir: The life of Ali ibn Abi Talib. Yale University Press.
- Leech, G and Short, M. (2007). Style in Fiction: A Linguistic Introduction to Functional Prose. 2nd edition. United Kingdom: Pearson Education Limited.
- Madelung, W. (1997). The Succession to Muhammad: A Study of the Early Caliphate. Cambridge University Press.
- Mshvenieradze, T. (2013). Logos, Ethos and Pathos in Political Discourse. Theory and Practice in Language Studies. Vol. 3(11), 1939.
- Piscatori, J and Saikal, A. (2019). Islam Beyond Borders: The Umma in World Politics. Cambridge: Cambridge University Press.
- Ting, S. H. (2018). Ethos, Logos and Pathos in University Students' Informal Requests. Journal of Language Studies. Volume 18(1), February 2018 http://doi.org/10.17576/gema-2018-1801-1

and standing for Allah and Islam that qualifies him to lead the Islamic nation.

5. Al-Zahraa uses logos rhetorical strategy for emphasizing that if Muslims has chosen the leadership of Imam Ali and the guidance of imamate, they would have been blessed by Allah and they would life a great life but they chose the wrong leadership which will destroy their lives and will lead them to bad consequences
6. Al-Zahraa uses pathos rhetorical strategy to emphasize by appealing to emotions by making her audience afraid of what will happen in the future and make them believe by their hearts and emotions that they will never witness happiness, peace, order and they will face the tyranny of oppressors.

References

- Al-Marsumi, N.H. R. (2017). The Use of Tautology in "The Thorn" by William Wordsworth: A Stylistic Study. Arab World English Journal for Translation & Literary Studies, 1(3). DOI: http://dx.doi.org/10.24093/awejtls/vol1 no 3.1
- Al-Qurashi, B. S. (2006). The Life of Fatimah Az-Zahra', The Principal of all Women: Study and Analysis. Qom: Ansariyan Publication.
- Aslan R. (2011). No god but God: The Origins, Evolu-

5. Conclusions

The present study has reached to the following conclusions:

1. Al-Zahraa uses lexical schemes of anadiplosis, anaphora, climax, epanalepsis, polyptoton, and tautology for lamenting Muslims for choosing the wrong leadership and refusing the concept of imamate as a guidance in their lives.
2. Al-Zahraa uses the syntactic schemes of hyperbaton, parallelism, parataxis, and polysyndeton for blaming Muslims for their great mistake of refusing the imamate guidance and Imam Ali's leadership to lead them and reminding them of Imam Ali's great qualities that could save and enhance the Islamic nation.
3. Al-Zahraa uses tropes like antithesis, apostrophe, metaphor and personification for blaming Muslims for not choosing the leadership of Imam Ali that could save the Islamic nation and showing them the dark days that they will face because of choosing the wrong leadership.
4. Al-Zahraa uses ethos rhetorical strategy for emphasizing Imam Ali's credibility, trustworthiness and his great moralities that are reflected his faith in Allah, standing for righthood and virtuous, bravery, physical strength

order and she predicts that they will face dictatorship, oppression and chaos in a way that they never witnessed before. She engages their emotions by trying to comfort their hearts not with the good things that will happen in the future by the horrors that they will face.

اصبحت والله- عائفة لدنياكن

قالية لرجالكن

لفظتهن بعد ان عجمتهم

و شئنتهم بعد ان سبرتهم

I become indifferent for your world and decided to leave the style of your lives

Hated your men

And hated them after knowing their truth and their reality

Here, Al-Zahraa uses these lines to engage her audience's emotions by showing her state and revealing her true feelings about Muslims who have replaced the guidance of imamate and chosen the wrong leadership and stood against the leadership of imam Ali which consequently led to the attack on her house and finally her death after being attacked. She engages the audience's emotions to lament them and making them understand the importance of the imamate that they have lost.

using logic and reason that she is puzzled by the wrong choice of Muslims for their leader and for choosing the unqualified and unworthy leader to lead the Islamic nation instead of Imam Ali who leads people by the guidance of imamate and in a virtuous and rightful way.

Pathos:

ثم طيبوا عن دنياكم انفسا
واطمئنوا للفتنة جاشا
و ابشروا بسيف صارم
و سطوة معتد غاشم
و هرج شامل
و استبداد من الظالمين

Let your hearts be comforted by the fact that you will never have a good life

And be sure and comforted by the strife that will happen

And cheer for the domination of oppressors and their swords upon you

And the control of aggressors

And a complete chaos and disorder

And the tyranny of oppressors

Here, Al-Zahraa uses these lines to emphasize by appealing to emotions by making her audience afraid of what will happen in the future and make them believe by their hearts and emotions that they will never witness happiness, peace,

Here, Al-Zahraa uses the words of a Qur'anic verse to emphasize for Muslims using logic and reason that they are committing great mistakes by choosing another leadership rather than the leadership of Imam Ali and they are mistaken in believing that they have done the right decision since their choice will destroy the Islamic nation and lead to Muslim's sufferings for many years.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾

Unquestionably, it is they who are the corrupters, but they perceive [it] not.

Here, Al-Zahraa uses this Quraanic verses to emphasize using logic and reasons for Muslims that choosing another leadership instead of Imam Ali and refusing the guidance of Imamate is not the right action that identify them as rightful Muslims but classify them as the corrupted Muslims who have destroyed the Islamic nation by choosing the wrong leadership.

﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾

Say, « Allah guides to the truth. So is He who guides to the truth more worthy to be followed or he who guides not unless he is guided? Then what is [wrong] with you - how do you judge?»

Here, Al-Zahraa uses this Quraanic verse to emphasize by

كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

And if only the people of the cities had believed and feared Allāh, We would have opened [i.e., bestowed] upon them blessings from the heaven and the earth; but they denied [the messengers], so We seized them for what they were earning. [385]

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾

And the evil consequences of what they earned struck them. And those who have wronged of these [people] will be struck [i.e., afflicted] by the evil consequences of what they earned; and they will not cause failure.[1353]

Here, Al-Zahraa uses these Qur'anic verses to emphasize by appealing to logic and reason that if Muslims has chosen the leadership of Imam Ali and the guidance of imamate, they would have been blessed by Allah and they would life a great life but they chosen the wrong leadership which will destroy their lives and will lead them to bad consequences. She also emphasizes that Muslims who have chosen the bad leadership will face the bad consequences of their choice and will be punished severely by Allah since they will be the reasons for the destruction of the Islamic nation.

فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً

People who commit mistakes thinking that they are doing the right thing.

make them happy and ensuring for them having a great life without poverty and danger and Muslims would see clearly the difference between the credibility of Imam Ali and the dishonesty of the corrupted leaders.

2. Logos:

وما الذي نقموا من ابي الحسن
نقموا منه–والله–نكير سيفه
و قلة مبالاته بحتفه
وشدة وطاته و نكال وقعته

Why they have hated Ibi-Alhassan
They hated him since he stands for Allah and virtues
For not caring about death
And for his bravery and his revenge from Allah's enemies

Here, Al-Zahraa emphasizes by appealing to logic and reason that Imam Ali is worthy for the leadership of the Islamic nation by referring to his qualities that qualifies him to lead a nation like a bravery, strong faith in Allah, standing for Allah and standing against falsehood. She refers to Imam Ali's qualifications to remind Muslims of the importance of imamate in their lives that they have lost and making the see clearly their great lose and the seriousness of their mistake of choosing another leaders instead of Imam Ali.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن

and guide it by imamate since he is worthy of leadership for his great morals, honesty, credibility and faith in Allah that would lead the Islamic nation to prosperity, peace and greatness.

و لاصدرهم بطانا

و نصح لهم سرا و اعلانا

و لم يكن يحلى من الغنى بطائل

و لا يحظى من الدنيا بنائل

غير ري الناهل

و شبعة الكافل

و لبان لهم الزاهد من الراغب

و الصادق من الكاذب

He would lead Muslims to peace and happiness

Do his best for Muslims

He would not do anything for his personal benefits

And would take the amount of money that would suffice him and his family's needs

And by this, people can see clearly the difference between Imam Ali has stands for virtuous and rightfulness and other corrupted leaders who wants nothing but their own benefits

Al-Zahraa uses these sentences to emphasize shed light on Imam Ali's high morals, credibly, honesty and his faith in God by explaining that if Imam Ali was chosen as their leader he would help Muslims and do every possible thing for them to

Bravery and not being afraid of death

His strength and his punishment for enemies

Here, Al-Zahraa uses these lines to influence Muslims by emphasizing Imam Ali's credibility, trustworthiness and his great moralities that are reflected his faith in Allah, standing for righthood and virtuous, bravery, physical strength and standing for Allah and Islam. She sheds light on these characteristics to emphasize that Imam Ali was worthy of leadership and he has a great credibility and great moral that would lead the Islamic nation and guide it by Imamate to be a great nation.

والله لو تكافوا عن زمام نبذة رسول الله اليه لاعتلقه

لسار بهم سيرا سجحا

لا يكلم خشاشه

و لا يتعتع راكبه

و لأوردهم منهلًا نميرًا صافيًا رويًّا فضفاضًا تطفح ضفتاه، و لا يترنق جانباه

I swear by God if they have chosen Imam Ali as their leader, he would lead them in the best possible way

He would lead this nation in a peaceful way

That would never hurt Muslims

And would lead them to prosperity, success and greatness

Al-Zahraa uses these sentences to emphasize that choosing Imam Ali as their leader and as the rightful successor for the prophet Muhamad would save Muslims and Islamic nation

which inanimate object or non-human gains human attributes (Wales, 2011: 314).

وابشروا بسيف صارم

Cheer for a sword that will shed blood

Here, Al-Zahraa uses the word(سيف) with the meaning of a sword to personify the sword for shedding light on her prophecies in which the Islamic nation will be controlled by oppressors who will shed Muslims' bloods and will use their swords for controlling Muslims and keeping them obedient.

4.2. The Analysis of Ethos, Pathos and Logos

Al-Zahraa (PBUH) 's Sermon on Muhajirin and Ansar's Families will be analyzed for finding out different types of ethos, pathos and logos that are used by her for lamenting Muslims and making them understand the importance of the Imamate that they have lost:

1. Ethos:

وما الذي نقموا من ابي الحسن

نقموا منه–والله– نكير سيفه

و قلة مبالاته بحتفه

و شدة وطأته و نكال وقعته

و تنمره في ذات الله عز وجل

What they hated about Imam Ali

They hated his standing for God and Righteous

Here, Al-Zahraa compares the replacement of the great leadership of Imam Ali for the Islamic nation and his guidance of Imamate with other unqualified leaders who will destroy the Islamic nation to the bird who is trying with his small wings rather than his main big wings so he would never be able to fly. She also compares the replacement of Imam Ali's leadership with unqualified leaders to attempting to raise something by using the parts of the body that can not lift anything instead of using strong muscles that can lift heavy things.

اما: لعمري لقد لقحت

فنظرة ريثما تنتج

ثم احتملوا ملء القعب دما عبيطا

وذعافا مبيدا

I swear by my life that there will be a strife

You will see the results soon

And you will see the bad consequences of your choice

Here, Al-Zahraa uses the word لقحت)) with the meaning of (vaccinated) to compare the bad consequences related to the Muslim's wrong choice of replacing the imamate of Imam Ali with bad leaders and its consequences by comparing the consequences of choosing the bad leaders to the infection that will spread in the entire Islamic community and will destroy this community.

4. Personification: it is identified as a figure of speech in

for Islam and refusing the leadership of Imam Ali to a crocked spear that can not be used in war and to beating a stone.

والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله اليه لاعتلقه

ولسار بهم سيرا سجحا

لا يكلم خشاشة و لا يتعتع راكبه

ولاوردهم منهلا نميرًا صافيًا رويًا فضفاضًا تطفح عيناه ولا يترق جانباه

If they have followed Imam Ali's guidance after the guidance of the prophet Muhamad, he would lead them in the right way

And lead this nation in a good way for its people

That does not brought misery or suffering for its people

And he would lead them to prosperity and a good life for their nation

Here, Al-Zahraa compares the great leadership of Imam Ali for this nation to the way in which a man who leads a group of travelers and lead the animals who hold those travelers in a good way that does not hurt the Animal nor the travelers and takes them to places where they can find pure springs of water.

استبدلوا– والله الذنابا بالقوادم

و العاجز بالكاهل

By the name of God, the replaced great leaders with unqualified ones

And Strong leaders with helpless ones

domain of reference is moved in to another based on some perceived similarity among the two fields (Wales, 2011: 265).

لفظتهم بعد ان عجمتهم

و شنتهم بعد ان سبرتهم

فقبحا لفلول الحد

Refuses and become disgust of them after knowing their truth and reality

So, a disgrace for becoming weak and not failing after being strong and faithful Muslims

Here, Al-Zahraa compares her disgust and hatred for Muslims who failed her and refused the imamate of Imam Ali like a disgusting food that a person throws out of his mouth because of its bad taste. She also emphasizes her refusal for those Muslim by comparing her self to a person that digs deeply in to something to find the depth and the reality of something and emphasizing that she hated them because of knowing their real nature and truth. She also compares the cowardice and the weakness of Muslims and their inability to stand for Islam after standing and fighting for it by a sword that was sharp but lost its sharpness and can not be used anymore.

وقرع الصفاة و صدع القناة

Beating a stone and the crack of a spear

Here, Al-Zahraa Compares the weakness, failure, inability to stand against oppression and falsehood, and not standing

orator when he turns away from his immediate audience to addressing an absent or a dead person(Wales, 2011: 29).

ليت شعري الى اي سناد استندوا

و على اي عماد اعتمدوا

و بأية عروة تمسكوا

و على اية ذرية اقدموا و احتنكوا

I wish I could know why they depend on such leaders

And base their nation on these leaders

And why trusted such leaders

And what a great mistake they have made in standing against the prophet Muhamad's family which is the greatest family on earth

Here, Al-Zahraa addresses Al-Muhajirin and Al-ansar and expresses her astonishment for their decision to stand with other leader rather than Imam Ali and refusing the Imamate of Imam Ali who can save Islam and the Islamic nation. She expresses her astonishment for their choice of leaders and depending and trusting these unqualified leaders who will destroy the Islamic nation and bring to them nothing but suffering and misery. She also expresses her astonishment for their wrong way of behaving with the family of the prophet Muhamad which is regarded as the greatest family on earth.

3. Metaphor: It is regarded as a very frequent trope of rhetoric when words are utilized in a metaphoric sense. One

control Muslims with power, killing and blood, disorder and chaos and will be oppressive leaders who will oppress Muslims.

4.1.3. Tropes

1. Antithesis: This device refers to the effective contrast of ideas by using contrasting lexical items in a formal structure of parallelism(Wales, 2011: 25).

فقبحا لفلول الحد

واللعب بعد الجد

A disgrace for your weakness and silence.

And for becoming indifferent to righthood and Islam after standing and fighting for it.

Here, Al-Zahraa uses these sentences with contrasting ideas to emphasize the contrast between the state of Muslims when they were seriously standing with the prophet Muhamad to stand for Islam and this nation and their current state in which they has become indifferent regarding what is right and what is wrong and become weak people who are controlled by oppressive leaders who want to destroy the Islamic nation instead of standing for imamate of Imam Ali that is the rightful successor for the prophecy of the prophet Muhamad.

2. Apostrophe: It is defined as a common rhetorical figure in traditional poetic and dramatic language. It is rooted in the

leaders who will shed the bloods of Muslims, take their rights and force them to live in a miserable way under oppression , domination and control.

Parataxis: This device deals with the linking of clauses by juxtaposition instead of using explicit subordination or coordination (Wales, 2011: 303).

و لاوردهم منهلا نميراً صافيا روياً فضفاظا تطفح ضفتاهو و لا يترنق جانباه

Here, Al-Zahraa uses these sentences (He would take them to a spring of water that has a pure water with overflowing fountain) to emphasize that Imam Ali's leadership would be so good leadership that will lead the nation to prosperity, development, peacefulness, happiness, and great fortunes. She also emphasizes that Imamate guidance can save the Islamic nation and enlighten their lives.

Polysyndeton: this device deals with the marked use of a number of conjunctions in succession particularly the same one and especially for co-ordinate clauses or phrases(Wales, 2011: 330).

و اطمئنوا للفتنة جاشاً و ابشروا بسيف صارمٍ و سطوة معتد غاشم و هرج شامل و استبداد من الظالمين

Here, Al-Zahraa uses the conjunction و(and) repeatedly to foresee the future of Muslims after choosing tyrant leaders who will cause suffering, disasters, and distress. They will also

و الصادق من الكاذب

Al-Zahraa uses these two sentences (They would be able to see clearly and see the difference between the devout and the pious leader and the evil, oppressive and corrupted leaders) to emphasize that choosing the imamate guidance in their lives and the leadership of Imam Ali would save their lives and their nation from corrupted leaders who will steal the public money and destroy the Islamic nation.

لا يكلم خشاشة

و لا يتعتع راكبه

Al-Zahraa uses these two sentences (Not hurting or disturbing the traveler) to emphasize that the leadership of Imam Ali for Muslims and the Islamic nation would have been a great one that would save this nation and would lead Muslims in the right way and bring peace and prosperity to their nation. Also, choosing Imam Ali and the guidance of Imamate for their nation would enable them to live peacefully and happily.

فيا حسرة بكم

و انى بكم

و قد عميت عليكم

Al-Zahraa uses these sentences (Alas on you and your choice of leadership and your inability to see the truth and the reality) to express her deep sadness for their wrong choice of their leaders and choosing dictators, oppressive , corrupted

her visitors' style of living and emphasizing that she rejects to live in a society that have no principles and no understanding for the importance of Imamate in the society.

استبدلوا – والله –الذنابا بالقوادم

Al-Zahraa uses this sentence (They replaced the good leaders with the bad ones who can not lead this nation) and changing the word order by adding the word (والله) with the meaning of swearing to ensure that Muslims has made a great mistake in not choosing Imam Ali to be their leader and for Imamate to guide their life and replacing this great leader with unqualified leader who can not manage their lives and will destroy the Islamic nation.

Parallelism: This is defined as common device in Rhetoric which is based on the principle of equivalence. It is also the repetition of the same structural pattern that usually happens between phrases or clauses (Wales,2011: 301-302).

لفظتهم بعد ان عجمتهم

و شئنتهم بعد ان سبرتهم

Al-Zahraa uses these two sentences (I become disgusted and angry of your men because of their wrong actions and betrayal) to emphasize her angriness, disgust and hatred for the Muslims who refuses the imamate of Imam Ali and choose other leaders who will destroy their nation.

و لبان لهم الزاهد من الراغب

Tautology: It is defined as the repetition of the using the words that give the same idea repeatedly using different words(Al-Marsumi, 2017: 140).

فقبحا لفلول الحد

واللعب بعد الجد

Here, Al-Zahraa uses the words فلول الحد blunt sword اللعب بعد الجد becoming indifferent to something which was before so important) that give similar meaning for emphasizing and showing her disappointment and disapproval for Muslim's actions who were standing for the prophecy of the massager Muhamad but did not stand for his succeeder Imam Ali and refuses the guidance of Imam in their lives by becoming weak people who are controlled by powerful oppressors who want to destroy the Islamic nation.

4.1.2. Syntactic Schemes

Hyperbaton: It is identified as a figure of speech where normal word order is changed by inversion or fronting. This deviation is often used for emphasis (Wales, 2011: 202).

اصبحت– والله– عائفة لدنياكن

Al-Zahraa uses this sentence (I become indifferent for your world and decided to leave the style of your lives) and changing the word order by adding the word((والله with the meaning of swearing to ensure her decision to not have any desire for

in different case forms and the words that are derived from the same root are repeated) Wales, 2011: 229).

ولسار بهم سيرا سجحا

Here, Al-Zahraa uses the words سار meaning march and with the meaning of marching سيراto emphasize how Imam Ali and the justice of Imamate can lead their lives and the Islamic nation. She emphasizes using these words that Imam Ali and the guidance of Imamate was supposed to lead the Islam nation in a great way that will lead to its prosperity, happiness, and peace for Muslims all over the Islamic nation.

و على أي عماد اعتمدوا

Here, Al-Zahraa uses the words عماد with the meaning of mainstay and uses the word اعتمدوا with the meaning of depended on to express her astonishment for the Muslim people's misguidance and wrong judgment in choosing the wrong, oppressive leaders who will commit huge number of mistakes, shed blood, and destroy the Islamic nation.

ليت شعري الى سناد استندوا

Here, Al-Zahraa uses the word سناد meaning base and the word استندوا meaning relied on to express her amazement and sadness for people's bad decision of choosing and relying on an oppressive leadership that can destroy the Islamic nation instead of relying on the guidance of Imamate for leading their nation to prosperity and peacefulness.

واستبداد من الظالمين

يدع فيئكم زهيدا

وجمعكم حصيدا

Here, Al-Zahraa arranges her words, phrases and sentences in an ascending power starting with blaming Muslims for not choosing Imam Ali as their leader and showing the consequences of refusing the Imamate concept in their lives by starting with the negative effects of the wrong leadership on their lives which starts with not being able to have a good life anymore, then, being controlled by dictators who kill Muslims and shed their blood, and suffering of the tyranny of dictators and oppressors.

Epanalepsis: It is identified as a rhetorical figure of repetition used mainly for the emphasis of emotions(Wales, 2011: 138).

لبئس المولى و لبئس العشير

وبئس الظالمين بدلا

Here, Al-Zahraa repeats the word بئس with the meaning of misfortune and misery to emphasize the bad consequences for not accepting the leadership of Imam Ali and refusing the guidance of Imamate in their lives. She also sheds light on the misery and the misfortune that they will face for choosing the wrong leaders to lead them Islamic nation.

Polyptoton: A figure of speech in which a word is repeated

a rightful leader who refuses falsehood and stands for virtues and rightfulness.

Anaphora: It is a figure of speech that deals with the repetition of the same word at the start of successive clauses, sentences, or verses. It is found in verse and prose of all periods and can be used in an effective way to create descriptive and emotional effects(Wales, 2011: 20).

لبئس المولى و لبئس المصير

و بئس الضالمين بدلا

Here, Al-Zahraa uses the word بئس which means misfortune to emphasize in these two lines that Muslims replaced the imamate guidance of Imam Ali by the leadership of unqualified and bad leaders who will destroy their lives and the Islamic nation.

Climax: It refers to the point of the greatest significance and intensity in a play, film, novel or a short story. It is identified as a dramatic mean of persuasion which presents the events and arguments in an ascending order till reaching the best point in the story (Wales, 2011: 58).

واطمئنوا للفتنه جاشا

وابشروا بسيف صارم

وسطوة معتد غاشم

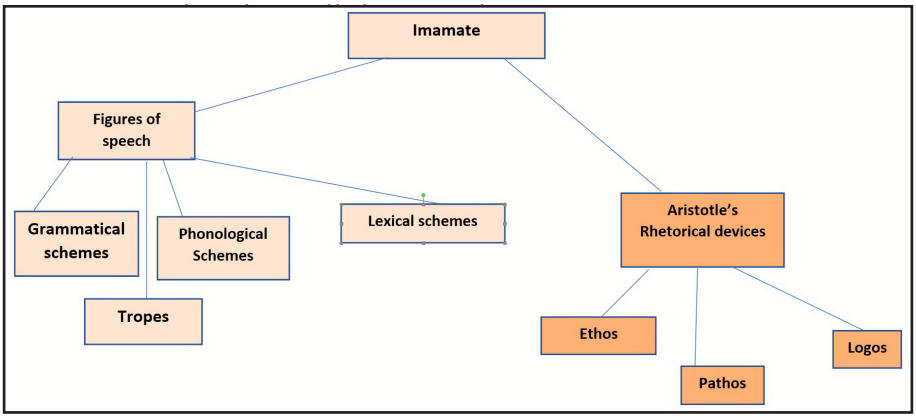
وهرج شامل

In these two lines, Al-Zahraa used the word عجبا in different ways repeatedly to express her astonishment regarding Muslims and their wrong actions in not standing with Imam Ali and refusing his leadership as the first Muslim Caliphate after the death of the prophet Muhamad. Besides she expresses her astonishment for Muslim's great mistake in rejecting the concept of Imamate to guide and lead their lives after the death of the prophet.

لبئس المولي و لبئس العشير

و بئس للظالمين بدلا

In these two lines, Al-Zahraa used the word بئس which means misfortune lament Muslims for not standing with Imam Ali and replacing the guidance of Imamate that can enlighten their lives and gave leadership of the Islamic nation to the



uses the word نقموا which means resented or hated to emphasize that they hated Imam and refuse his leadership since he is

such an impression of people on him/her. As to the Discourse Ethos, it is the Ethos created immediately for the specific situation and during the discourse. (Amossy, 2000, p. 63, as cited in Mshvenieradze, 2013, p. 1940)

The data in the present study will be analyzed based on the eclectic model qualitatively only.

4. Data Analysis

The concept of Imamate in Fadak sermon will be analyzed first based on Leech and Short(2007) figures of speech model to identify the lexical devices used by Fatma Al-Zahraa in selected extracts in which she sheds light on the concept of Imamate. Then, these extracts will be analyzed based on Aristotle's model of rhetorical devices to find out the ways in which ethos, pathos and logos are used by Fatima Al-Zahraa to lament people and bash them for losing the concept of Imamate and the consequences of such loss in their lives.

4.1. The Analysis of figures of speech

4.1.1. Lexical Schemes

Anadiplosis: It refers to the repetition of the last part of a verse or a line at the start of the next(Wales, 2011: 18).

وما عشت أراك الدهر عجبا

وان تعجب فعجب قولهم

and identification for the audience's needs (Ting, 2018: 234).

2. **Logos**: it is regarded as a rational appeal and the audience are persuaded by the proof, or apparent proof supported by the words of the speech itself. Logos means appealing to reason which identifies clarity and integrity of the argument as essential for convincing the audience (ibid).
3. **Ethos**: It is regarded as an ethical appeal and appealing to the personal character of the Speaker. Ethos refer to the persona, or projected character of a speaker/communicator that include credibility and trustworthiness of the speaker. There are two types of ethos that are primary ethos (person-specific) and discourse (situation-specific) ethos as in the following (Ting, 2018: 234).

According to Ruth Amossy (second part of 20th century) one of the most popular scientists and linguists, there are two types of Ethos: Preliminary Ethos and Discourse Ethos. Preliminary Ethos is what the audience preliminary knows about the speaker (writer), in other words, what it knows about speaker's authority, marital status and social status. Some orators attempt to ground on it and use such Ethos in his/her favor during a discourse, in case if it is positive. But in case if the Preliminary Ethos is negative the speaker does his/her best to revoke

A. Figures of Speech:

Within figures of speech, there is a consideration for features which are foregrounded by departing in some way for the norms of communication and deviating from linguistic norms. Figures of speech are classified according to the followings(Leech and Short,2007: 63):

1. **Grammatical and lexical**: it deals with any cases of formal and structural repetition like anaphora, parallelism, and chiasmus.
2. **Phonological Schemes**: It deals with the phonological patterns of rhyme, alliteration, assonance. It also deals salient rhythmical patterns like vowel and consonant sounds patterns.
3. **Tropes**: It deals with obvious violations of, or departures from the linguistic code. It is concerned with Deviant lexical collocations like metaphor, metonymy, synecdoche, paradox, and irony (Leech and Short, 2007: 63).

B. Aristotle classification of rhetorical devices:

1. **Pathos**: is regarded as an emotional appeal and deals with situating the audience in to a certain frame of mind. Using pathos means adhering to security, love, guilt, greed, pity, humor, anger, insult, empathy, fear and confusion for convincing the audience. In such an emotional appeal. The speaker views understanding

political or non-political like parliamentary debates, rallies, hearings, trials, public events of variant types and communication on social media. Rhetoric is mainly defined as the art of effective speaking or persuasion by words. Moreover, the word rhetoric is used to identify the study of different techniques of this art and for this reason, rhetoric is described as both an art and a science. Rhetoric is regarded as one of the great products of the Greek civilization.

Aristotle is regarded as the man who made the first scientific study of rhetoric where he calls rhetoric as a techne, art and body techniques in which he dealt with the study of persuasive speaking and the study of ideas. Aristotle related dignity to rhetoric and a method of reasoning that is based on credibility, systemizing the classification between what is true and what seems to be true. Moreover, Aristotle presented three strategies of persuasion that can be applied to any subject. Rhetoric according to Aristotle is the way of identifying and discovering all the means of persuasion in a specific case (ibid).

3. The Model

The eclectic model of this study is based on Leech and Short's (1981:75-80) figures of speech and on Aristotle classification of rhetorical devices that are ethos, pathos, logos as in the followings:

of the prophet Muhamad ahl al-bayt are regarded as the legal replacements for the societal leadership. After the death of the prophet Muhamad in 632, the inner circle of Muslims gathered in Medina to choose the rightful successor that must be one of the four Abu Bakr al-Siddiq, 'Umar ibn Kha tab, Uthman ibn Affan, and 'Ali ibn Abi Talib. However, a group of Muslims who are now identified as Shia believed that Imam Ali's position as the cousin and son-in-law of the Prophet, by marriage to his daughter Fatima, qualifies him to be the rightful replacement for the prophet Muhamad (ibid).

The Shi'i conception of the Imam as the person who has the divine authority have significant influences on forming the doctrine of Imamate. Firstly, it regards the Imam as what is identified as Hu hujjat Allah (God's proof) and the Imam is regarded as the direct proof of the existence of God). So, the concept of(hujja) is basic for Shia's Islam since it basic for the legitimacy of the concept of Imamate(ibid).

2.3. Rhetoric

Bitonti and Trupia (2021:1) rhetoric is found in all cases in which leaders, candidates or any person attempt to persuade the audience concerning a point related to any subject and especially by means of a speech. Rhetoric is generally used in all cases and types of communication and in variant contexts

ish judgments(al- Qurashi, 2006: 161).

2.2. The Concept of Imamate

Shi'a Islam has developed the position of Imam and the institution of Imamate to lead and guide the community of believers. Whitin Shi'a Islam, the Imam is regarded as having a high and a divine authority based on Blood relations to the prophet Muhamad. While Sunni Muslims are guided by the school of by the school of jurisprudence (madhhab) to which they belong. Shi'a Muslims are classified according to which Imam are accepted as the right successor for the prophet Muhamad and are part of his family or household. The Shi'a Muslims are categorized according to three groups that are: those who follow twelve Imams that are called as Twelvers, the followers of seven Imams that are identified as Isma'ilis and the followers of five Imams that are known as Zaydis. The Twelvers are regarded as the greatest majority of the Shi'a Muslims (Piscatori and Saikal, 2019: 51).

Shia's Islam conception concerning Imam and his leadership is based on the idea that replacement of the prophet Muhamad should be related to the prophet Muhamad by the bloodline. In Sunni Islam, the legitimacy of the Khalifa in Sunni Islam is based on the consent of Islamic community of citizens while in Shia's Islam, only the leaders who are members

consequences of choosing the wrong leadership and the dark days that they will face for choosing oppressors for their leadership.

The procedures followed in this study are:

1. Presenting a theoretical background of Al-Zahraa's sermon Muhajirin and Ansar, the concept of Imamate and the field of rhetoric,
2. Explaining the model used for the analysis in the present study,
3. Outlining the methodology used for the analysis of the data in this study,
4. Analyzing the data according to the model of this study,
5. Coming out with conclusions after the analysis based on the results of the analysis.

2.The Theoretical Framework

2.1. Al-Zahra's Sermon on Muhajirin and Ansar's Families

When Fatima become ill and was near to death, Muslim's women come to visit her in her house. They asked her about her health and she answered that she has decided to resenting life and its joys and she hated the Muhajirin and Ansar's men because of their great mistakes, their cowardice, and their fool-

The present study is aimed at:

- Finding out the lexical schemes that are used by Al-Zahra for lamenting and bashing Muhajirin and Ansar for losing Imamate in their lives.
- Describing the use of the syntactic schemes used by Al-Zahraa in her sermon to bash and lament people for losing the imamate guidance and the consequences of such loss.
- Explaining the use of the tropes by Al-Zahraa in her sermon to lament Muslims for not choosing the leadership of Imam Ali and the guidance of Imamate.
- Explaining the way of using ethos rhetorical strategy by Al-Zahraa to bash and lament the audience for losing the concept of Imamate in their lives.
- Describing the ways of using logos rhetorical strategy by Al-Zahraa.
- Outlining the ways of using pathos rhetorical strategy by Al-Zahraa.

This study hypothesizes that:

- Al-Zahraa uses lexical, syntactic schemes and tropes for lamenting Muslims and make them understand the importance of the imamate that they have lost.
- Al-Zahraa uses pathos, ethos and logos for showing Muslims the great qualities of Imam Ali, showing the

1. Introduction

This study analyses the rhetorical strategies used by Al-Zahraa in her Sermon on Muhajirin and Ansar's Families to bash and lament Muhajirin and Ansar for not standing with Imam Ali and losing the imamate concept. The problem of the study is that the rhetorical strategies that are used by Al-Zahraa for influencing Muhajirin and Ansar concerning the imamate concept in their lives has not been tackled before. The current study attempts to answer the following questions:

1. What are the lexical schemes used by Al-Zahraa in her sermon to bash and lament people for losing the imamate guidance and the consequences of such loss?
2. What are the syntactic schemes used by Al-Zahraa in her sermon to lament Muslims for not choosing the leadership of Imam Ali and the guidance of Imamate?
3. What are the tropes used by Al-Zahraa for lamenting Muslims for choosing the wrong leadership?
4. How is ethos rhetorical strategy used by Al-Zahraa to bash and lament the audience for losing the concept of Imamate in their lives?
5. How is logos rhetorical strategy used by Al-Zahraa?
6. How is pathos rhetorical strategy used by Al-Zahraa?

Al-Muhajirin and Ansar has not be tackled before to the researcer's best knowledge.

The Study Aims at specifying the rhetorical strategies that are used by Al-Zahraa to bash and condemn Al-Muhajirin and Ansar.

This Study Hypothesizes that Al-Zahraa uses different rhetorical strategies that include allusion, irony, utopia, hyperbole, and parallelism to influence the audience regarding their loss of the concept of Imamate and the consequences of such loss. The current study also hypothesizes that Al-Zahraa uses pathos, egos, and logos rhetorical strategies to influence the audience regarding understanding the consequences of losing the Imamate in their lives. This study is significant since to the researcher's best knowledge, the imamate concept has not been analyzed in Al-Zahraa (PBUH)'s Sermon on Muhajirin and Ansar's Families for exploring the impact of the use of rhetorical devices for lamenting Al-Muhajirin and Ansar for not standing with Imam Ali and losing the guidance of Imam in their lives.

The Experts that are related to Imamate concept will be taken from Al-Zahraa (PBUH)'s Sermon on Muhajirin and Ansar's Families and will be analyzed based on Leech and Short's rhetorical strategies and Aristotle's rhetorical strategies of pathos, egos, and logos.

A Rhetorical Analysis of Imamate in Al-Zahraa (PBUH)'s Sermon on Muhajirin and Ansar's Families

Masoumah Abathar Witwit
PHD Student in Babylon University, Department of English

Abstract

The Present Study deals with the rhetorical analysis of the concept of Imamate in Al-Fadak's sermon. The term imamate is according to Shia Islam is described as a doctrine that refers to certain individuals descended from the prophet Muhamad and are regarded as leaders and guides for the Islam nation after the death of the prophet Muhamad.

This Study Analyzes how Al-Zahraa uses rhetorical devices as devices bashing and condemning Muhajirin and Ansar for not standing with Imam Ali and for showing the consequences of not accepting the concept of Imamate in their lives.

The Problem of this Study is that the different rhetorical devices used by Fatima Al-Zahraa for blaming and bashing

The Studies in English Language